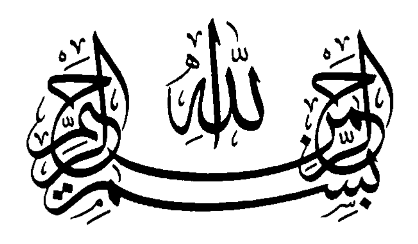
دراسات في العقائد والفرق



وتأويلاته الباطنية للآيات القرآنية في كتابه أصول الكافي

د. صلاح عبد الفتاح الخالدي





١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م

رقم الاجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر
(٢٩٨٠) / ١٧ / ٨ / ٢٠٠٦



دار عمار للنشر والتوزيع
عمّان - ساحة الجامع الحسيني - سوق البتراء - عمارة الحجيري
تلفاكس ٤٦٥٢٤٣٧ - ص.ب ٩٢١٦٩١ عمّان ١١١٩٢ الأردن

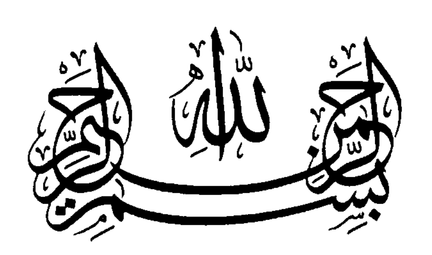
دراسات في العقائد والفرق



وتأويلاته الباطنية للآيات القرآنية في كتابه أصول الكافي

د. صلاح عبد الفتاح الخالدي




بسم الله الرحمن الرحيم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

انَّ الحمدَ للّه، نَحمدُه ونَستعينُه، ونَتوبُ إليه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللّه من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يهدِه اللّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضللْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إله إلا اللّه، وحده لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلواتُ اللّهِ وسلامُه عليه، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد أَنزلَ اللّهُ القرآن، وجعلَه نوراً وهدىٰ، وإماماً ورحمة، وروحاً وشفاء، وهو كتابٌ كَريم، مُيَسَّرٌ للذِّكر، مُبَيَّنُ المعنىٰ، واضحٌ للفهم، مُعجزٌ في الأُسلوب، فيه تِبيانُ كُلِّ شيء، بيانٌ للناس..

ورغمَ هذه الطبيعةِ الواضحةِ للقرآن، إلاَّ أَنَّ كثيراً من الفرقِ الإسلامية لم تُحسنْ فهمَ آياتِه، وإنما وقعتْ في أخطاء عديدةٍ في هذا الفهمِ والتفسيرِ والتأويل، وظهرتْ هذه الأَخطاءُ في أفكارِ وتَفاسيرِ هذه الفرق، منها الشيعة، والخوارج، والمعتزلة، والمرجئة، والصوفية..

وتحدثَ علماء عن اختلافِ المفسرين، ومظاهرِ خطئِهم في التفسير. ومنْ خيرِ مَنْ تكلمَ في ذلك الإمامُ ابنُ تيمية في رسالتِه «مقدمة في أصول التفسير»، التي حققها الدكتور عدنان زرزور، وأصدرَ الدكتور سعود الفنيسان كتابه «اختلاف المفسرين: أسبابه وآثاره».. وتحدثْتُ عن الأَسبابِ والأَخطاء والفِرَقِ والمناهج، في كتابي «تعريف الدارسين بمناهج المفسرين».

وأُلخصُ الكلامَ عن أَخطاءِ المفَسِّرين، وأُحيلُ الراغبينَ في التوسع علىٰ كتابي المذكور.

أخطاءُ المفسرين علىٰ ثلاثةِ أَصناف:

١ ـ الخطأُ في الهدفِ والقصدِ والباعث. كأَخطاءِ غيرِ المسلمين.

٢ ـ الخطأُ في منهجِ النظرِ للقرآن. كأَخطاءِ رجالِ الفرقِ الإِسلاميةِ من غيرِ أَهلِ السنة، مثل: الشيعة، والخوارج، والمعتزلة، والصوفية..

٣ ـ الخطأُ في بعضِ الجزئياتِ الفرعية، وهو الذي لا يخلو عنه عالم، لأَنَّ العصمةَ لا تكونُ إِلاّ لرسولِه ﷺ، كأَخطاءِ المفسرين من أَهلِ السنة، مثل: الطبري، وابن كثير، والرازي، والقرطبي، وابن عاشور، وسيد قطب..

والخطأُ في فهمِ الآياتِ القرآنية، من حيثُ النظرُ والاستدلال، يقعُ من جهتين:

الجهةُ الأولى: الخطأ في المدلول والدليل معا:

أَيْ أَنَّ القومَ اعتقدوا مبادىءَ خاطئة، وآمنوا بأَفكارٍ باطلة، وعندهم معانٍ مردودة، لم تَرِدْ في القرآنِ ولا السنة، ولم يقلْ بها سلفُ الأُمةِ من الصحابة والتابعين، ثم دَخلوا عالَمَ القرآنِ بهذه المبادىء والأَفكارِ والمعاني، ونظروا في الآياتِ علىٰ أَساسِها، وحَرَّفوا معانيَ الآيات، وجعلوها شاهداً ودليلاً علىٰ تلك الأباطيل. فكان خطؤُهم في المدلولِ والفكرة، وفي الاستدلالِ بالآية، وبذلك أَخطأوا في المدلولِ والدليلِ معاً. ويدخلُ في هذا البابِ معظمُ أَخطاءِ الفرقِ الإِسلامية، كالشيعة والمعتزلة والخوارج وغيرها.

الجهة الثانية: الخطأ في الدليل دون المدلول:

يكونُ المدلولُ صواباً، وتكونُ الفكرةُ صحيحة، لكنَّ الاستشهادَ بالآيةِ يكونُ خاطئاً، لأَنَّ الآيةَ لا تتحدثُ عن ذلك. ومن هذا البابِ بعضُ أَخطاءِ المفسرينَ من أَهلِ السنة، في الاستشهادِ ببعضِ الآيات، علىٰ بعضِ الأَفكارِ الصحيحة، لكنَّ الآياتِ لا تشهدُ علىٰ ذلك.

وقد ذكرنا أمثلة عديدة علىٰ هذين الخطأين في «تعريف الدارسين بمناهج المفسرين» [١٢١ ـ ١٣٧].

ولما تكلمنا عن مظاهرِ الانحرافِ في التفسير، عند حديثنا عن الاتجاهاتِ المنحرفة في التفسير، ذكرنا أَربعةَ مظاهر لذلك الانحراف:

١ ـ الخطأُ في الاستدلالِ بالقرآن، مع صوابِ الفكرة، وعدم إبعادِ الآيةِ عن معناها الصحيح.

٢ ـ الخطأُ في الاستدلالِ بالقرآن، مع صوابِ الفكرة، ولكنه تَمَّ إبعادُ الآيةِ عن معناها الصحيح.

٣ ـ الخطأُ في الاستدلالِ بالقرآن، مع خطأ الفكرة، وعدمِ سلبِ الآية معناها الصحيح.

٤ ـ الخطأُ في الاستدلالِ بالقرآن، مع خطأ الفكرة، ومع سلبِ الآيةِ معناها الصحيح.

وأَقبحُ هذه الأَخطاءِ هو الرابع، وهو الذي وقعَ فيه المفَسِّرُ صاحبُ الفكرة الخطأ في سلسلةٍ من الأَخطاء، هي:

الأَول: اعتقادُه الفكرةَ الخاطئة، المخالفةَ للكتابِ والسنةِ وفهمِ سلفِ الأُمة.

الثاني: بحثُه في القرآن لدليلِه الخاطىء، ودخولُه عالَمَ القرآنِ بالهوىٰ، والمقرَّرِ الفكريِّ المُسْبَق.

الثالث: حملُه الآيةَ القرآنيةَ علىٰ الفكرةِ الخاطئة، مع أَنها لا تدلُّ عليها.

الرابع: سلبُ الآيةِ معناها الصحيح الذي تدلُّ عليه. [تعريف الدارسين: ٤٩٥ ـ ٥٠٠].

ونشهد أن تفاسير الشيعة من أهم الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن، وأنه تحقق في تلك التفاسير هذه الأخطاء المذكورة..

معظمُ أَخطاءِ المفسِّرين الشيعة أَخطاء منهجية، يتجلّىٰ فيها الخطأُ في منهجِ النظرِ في القرآن. وهي أَخطاء في المدلولِ والدليلِ معاً، فأَفكارُهم التي آمَنوا بها معظمُها أَفكارٌ خاطئة، ومع ذلك دَخَلوا عالَمَ القرآنِ بهذه الأَفكارِ الخاطئة، وبَحثوا عن آياتٍ،

لتكونَ شاهدةً لتلك الأَفكار، وبذلك سَلبوا الآيةَ معناها الصحيح، وحَملوها علىٰ معنىٰ خاطىء، وحَوَّلوها إليه، مع أَنها لا تتحدثُ عنه، ولا تدلُّ عليه.

ومن أَكثرِ التفاسيرِ الشيعيةِ امتلاءً بالأَخطاء تفسيرُ القُمِّي، لمؤلِّفه «علي بن إبراهيم القُمّي»، الذي كانَ شيخاً لإمامِ الشيعةِ الكُلَيْني، وقد طُبِعَ تفسيرُ القُمّي في النجفِ بمقدمة وتعاليق للطيب الموسوي الجزائري.

وإنَّ كتابَ «الكافي في الأُصول» للكُلَيْني هو أَهَمُّ كتبِ الحديثِ عند الشيعة، وتتلمذَ الكلينيُّ علىٰ شيخهِ القُمِّي، وقد أَوردَ في الكافي كثيراً من الرواياتِ التفسيرية، وذَكَرَ معظمَها في كتابِ الحجةِ من الكافي، الذي خَصصه للاحتجاجِ لعقيدةِ الشيعةِ في الإمامةِ والوصايةِ والولاية، والنصِّ علىٰ إمامةِ عليٍّ بنِ أَبي طالبِ رضي اللّه عنه والأَئمةِ من ذريته في القرآن، وفي حديثِ رسولِ اللّه ﷺ. وورد في رواياتِ الكُلَينيِّ كثيرٌ من الأَخطاءِ التفسيرية، التي تدخلُ ضمنَ التصنيفِ السابق: الخطأ في الدليل والمدلول معاً.

والكُلَيْنِيُّ هو: أَبو جعفر: محمدُ بنُ يعقوبِ بنِ إسحاق، الكُلَيْنِيُّ، الرازي، الشيعيُّ الإمامي، من كبارِ شيوخِ الشيعةِ الإمامية.

وُلِدَ في قريةِ «كُلَيْن»، ولم تُحَدَّدْ سنةُ ميلادِه. وهي قريةٌ واقعةٌ جنوبَ غربِ مدينةِ «الري» في إيران، قريبةٍ من مدينةِ «قُمْ» الشيعيةِ المشهورة. ولذلك نُسِبَ إلىٰ القريةِ التي وُلِدَ فيها، والإقليمِ الذي تَتبعه، فقيل عنه: الكُلَيْنِيُّ، الرازيّ. .

ولما تلقىٰ العلمَ علىٰ علماءِ الشيعةِ في الرّيّ وقُمْ، توجَّه إلىٰ بغداد، وصارَ يعلِّمُ الشيعةَ فيها، حتىٰ انتهتْ إليه رئاسةُ فقهاءِ الشيعةِ الإمامية، وبقيَ في بغداد يُعَلِّمُ ويؤلِّف، إلىٰ أَنْ توفي فيها سنةَ (٣٢٩)هـ.

وقد طلبَ منه تلاميذُه تأليفَ كتابِ معتَمَدٍ في الحديث، يكونُ أَصلاً من أُصولِ الحديثِ عند الشيعة، ويكونُ كافياً لهم، يكتفونَ به عن غيرِه. . فاستجابَ لهم، وأَلَّفَ لهم كتاب «الكافي من الأُصول»، فاستغرقَ تأليفُه عشرينَ سنة، بحيثُ اعتنىٰ به الكلينيُّ عنايةً خاصة، وسجلَ فيه أَصحَّ الرواياتِ الحديثية ـ علىٰ أُصولِ الحديثِ عند الشيعة،

التي تخالفُ أُصولَ الحديثِ عند أهلِ السنة ـ ونقلَ رواياتِه الحديثيةَ مسندَةً عن كبارِ الأئمةِ المعصومين عند الشيعة، مثل: عليٌّ بنِ أبي طالب رضي اللّه عنه، وعليٌّ بن الحسين زين العابدين، ومحمدِ الباقر بن علي، وجعفرِ الصادق بن محمد، وموسىٰ الكاظمِ بن جعفر. . . وبلغَ مجموعُ الرواياتِ الحديثيةِ في «الكافي» مع المكرر منها، (١٦١٩٩) وهو رقم كبير. .

والكتابُ هو الكتابُ الحديثيُّ الأولُ عند الشيعةِ الإمامية، ويؤمنونَ بصحةِ كُلِّ رواياتِه، ويعتقدون بمعانيها، ونظرتُهم له تفوقُ نظرةَ أَهلِ السنةِ لصحيح البخاري وصحيح مسلم.

ومن كلامِ علماءِ الشيعةِ في الثناء علىٰ الكليني وكتابه «الكافي»:

ـ قالَ الشيخ المفيد: «الكافي» من أَجَلِّ كتبِ الشيعة، وأكثرِها فائدة.

ـ وقالُ محمد بن مكي: «الكافي» أَجَلُّ الكتبِ الإسلامية، وأَعظمُ المصنفاتِ الإمامية، ولم يُعملْ للإمامية مثلُه. .

ـ وقال محمد أَمين الاسترابادي: سمعْنا عن مشايخِنا وعلمائِنا أنَّه لم يُصنَّفْ في الإسلامِ كتابٌ يُوازيه أو يُدانيه!!

ـ وقال المجلسي: «الكافي»: أَضبطُ الأُصول وأَجمعُها، وأَحسنُ مؤلَّفاتِ الفرقةِ الناجية وأَعظمُها!

ـ وقالَ الحسينُ المقَدَّم: يَعتقدُ بعضُ العلماءِ أَنه عُرِضَ علىٰ القائم، فاستحسَنه، وقالَ عنه: هو كافٍ لشيعَتِنا!! [مقدمة الكافي لحسين محفوظ: ٢٦ ـ ٢٩].

والقائِمُ عندَ الشيعةِ هو الإمامُ الثاني عشر الغائب، الذي ينتظرونَ خروجَه في آخرِ الزمان، ولا أدري كيف عرضَ الكُلينيُّ عليه كتابه؟ وهم يَزعمونَ أنَّ هذا الإمامَ الغائبَ هو الذي سَمّاه «الكافي» وقال عنه: هو كافٍ لشيعتنا!!

ويهتمُّ الشيعةُ بالكافي اهتماماً خاصاً، يقرءونَه ويتعلمونَه، ويحفظونَ رواياتِه، ويؤمنون بمضمونها، ويعتقدون صدْقَها وصحَّتَها وصوابَها. . ولهم علىٰ الكافي

مجموعةٌ من الشروحِ والتعليقات.

وطُبِعَ «الكافي» عدة طبعات. والنسخةُ التي عندي مصوَّرَةٌ عن الطبعةِ الرابعة، الصادرةِ في مجلَّدين، عن دارِ التعارف ودارِ صعب في لبنان عام: ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م. وصححَ الكتابَ، وعَلَّقَ عليه «علي أكبر الغفاري».. وكتب له مقدمةً مطولةً الدكتور حسين علي محفوظ، تحدث في المقدمة عن الكليني وعن «الكافي» بالتفصيل!!

وكثيرٌ من الرواياتِ الحديثيةِ التي أوردَها الكلينيُّ في «الكافي» تحتاجُ إلىٰ نظرٍ ونَقد، وبَحثٍ وتَحليل، وتَصويبٍ وتَقويم، وعرضِها علىٰ الأُصولِ الصحيحةِ المعتمدة، من الكتابِ والسنةِ وفهمِ سلفِ الأُمةِ من الصحابة والتابعين، لمعرفةِ ما فيها من أَخطاء، سواء ما تعلَق منها بالعقيدةِ أَو الأَحكامِ أَو التاريخِ أَو السيرة.. وحبذا لو أَخَذَ مجموعةٌ من الباحثينَ المختصين كلُّ واحدٍ ما يخصُّه من هذه الروايات، وبيَّنَ ما فيها من أخطاء. لما لكتاب «الكافي» من منزلة خاصة عند الشيعة، ومن بابِ نُصحِهم، وتقديمِ الحقيقةِ لهم..

ولتفسيرِ القرآنِ مكانٌ ملحوظٌ في «الكافي» ولا سيما أَنَّ شيخَ الكُلينيِّ من المفسِّرين المعتَمدين عندَ الشيعة، وهو عليُّ بنُ إبراهيمَ القُمّيُّ الذي أشرنا له.

وبعضُ رواياتِ الكلينيِّ التفسيريةِ صحيحة، وبعضُ المعاني التي قَدَّمَها فيها صائبة، وهي قليلة في «الكافي»، وهذه لم أَقِفْ عندها، لأَنها صحيحة، لا تَحتاجُ إلىٰ بحثٍ أَو نظرٍ أَو تحليل..

لكنَّ معظمَ الرواياتِ التفسيريةِ خاطئةٌ، والمَعاني التي قَدَّمَها فيها مردودة، وهي التي لَفَتَتْ نظري، وأَثارت اهتمامي، ودَعَتْني إلىٰ عرضِها علىٰ الأُصولِ المعتمدةِ من الكتابِ والسنةِ وفهمِ سلفِ الأُمة، لمعرفةِ ما فيها من أَخطاء..

أَغفلتُ الكلامَ عن الرواياتِ التاريخية التي تتحدَّثُ عن القرآن، وعن الرسولِ ﷺ وأَصحابِه الكرام، رضوانُ الله عليهم، والتي هي باطلةٌ ومردودة، لأَنها تُشكِّكُ في حفظ القرآن، وتتهمُ الصحابةَ في جمعِهم وحفظهم له، أَغفلتُ الكلامَ عنها لأنها لا تتحدث عن تفسيراتٍ خاطئةٍ لآياتِ القرآن.

كانتْ وقفتي في هذا الكتاب مع الرواياتِ التفسيريةِ الخاطئةِ في «الكافي» للكُلَيني، التي قَدَّمَ فيها تفسيراتٍ خاطئةً لبعضِ آياتِ القرآن.

لم أَلتفتْ لأسانيدِ الرواياتِ التفسيريةِ في «الكافي»، لأن هذا لا يَعنيني في هذا الكتاب، فهو دراسةٌ حديثية، تقومُ علىٰ معرفةِ الرجال، والبحثِ عن توثيقِهم أو تجريحِهم، فإنْ لم يَكونوا عُدولاً ثقاتٍ رُدَّتْ أَحاديثُهم!! والمعلومُ أَنَّ معظمَ رجالِ الأَسانيدِ عند الشيعة ليسوا عُدولاً عند أَهلِ السنة، ومطعونٌ فيهم، وفق قواعدِ التخريجِ والجرحِ والتعديل!!

لقد كانتْ وَقفتي عند مُتونِ الرواياتِ التفسيريةِ الخاطئة في «الكافي»، لمعرفةِ ما فيها من أَخطاء، وتقديمِ المعنىٰ الصائبِ الصحيحِ للآياتِ التي تحدَثَتْ عنها..

وأَعطيتُ الآياتِ التي تحدثْتُ عنها أَرقاماً مسلسلةً، بلغَ مجموعُها مائتين وست وعشرين آية، وتابعْتُ الكُلينيَّ في حديثِه عنها، فلم أُرتبْها علىٰ أساسِ ترتيبِ المصحف، وإنما رتبتُها كما هي في ترتيبِ «الكافي»، في كتبِه وأَبوابِه!

ومن أَهمِّ كتبِ «الكافي» كتابُ «الحجة»، الذي اهتمَّ به الكُلينيُّ كثيراً، وتوسَع في ذكرِ آياتِه الحديثية، لأنه أَرادَ منه الاحتجاجَ لما يؤمنُ به الشيعةُ الإمامية، من الولايةِ والإمامةِ والوصاية، والاعتقادِ الجازمِ بأَن إمامةَ عليٍّ رضي الله عنه وأَولادِه منصوصٌ عليها في القرآن، وكلامِ رسولِ الله ﷺ، لكنَّ الصحابةَ حَذَفوا الآياتِ التي نَصَّتْ علىٰ ذلك، حتىٰ لا يُدينوا أَنفسهم، لما اعتدوا علىٰ علي، وأعطوا الخلافةَ لأَبي بكرٍ رضي الله عنه!! ولذلك كانت الأَخطاءُ التفسيريةُ في كتابِ «الحجة» من «الكافي» أَكثرَ منها في غيرِها من كتبِه وأَبوابه.

وقفتُ مع الكُلينيِّ وقفةً سريعةً مع مقدمتِه.

ثم عَرضتُ الأَخطاءَ التفسيريةَ في كتاب «فضل العلم» من «الكافي»، وكانت ثلاثة.

ثم عَرضتُ تلك الأَخطاءَ في كتابِ «التوحيد» من «الكافي»، وكانت خمسة عشر خطأً.

وكانت الوقفةُ المطولةُ مع الأَخطاءِ التفسيرية في كتاب «الحجة» من «الكافي»، بسببِ كثرةِ أَخطائه التفسيرية، وكانت مائةً وتسعين خطأً، وهي صلبُ الكتاب ومعظمُه.

ثم عَرضتُ الأَخطاءَ التفسيريةَ في كتابِ «الإيمانِ والكفر» من «الكافي»، وكانت اثنتي عشر خطأً.

ثم عرضتُ الأَخطاءَ التفسيريةَ في كتابِ «فضل القرآن» وهو آخرُ كتبِ «الكافي»، وكانت ستَّةَ أَخطاء.

ولقد حرصتُ في بياني لتلك الأَخطاءِ التفسيريةِ أَن أَكونَ موضوعياً، كما حرصتُ أَنْ أَكتفيَ بالعَرْضِ والنقد، والتصحيحِ والتصويب، وأَنْ أَبتعدَ عن الحكمِ والاتهام والإدانة، كما أَني ابتعدتُ كلياً عن التجريح والاستفزاز، والسبابِ والشتمِ واللعن، لأَنَّ المؤمنَ ليسَ سبّاباً ولا لَعّاناً، ولا فاحشاً بذَيء اللسان، ولأَنَّ هذا الأُسلوبَ يُغَطِّي علىٰ الحقيقة، ويَصرفُ القراءَ عنها.

لقد اكتفيتُ في هذا الكتابِ بالعرضِ والنقدِ والتصحيحِ والتصويب، ووضعتُ أَمام القراءِ الكلامَ الذي أَوردَه واعتمدَه الكليني، كما هو، لم أَزِدْ عليه، ولم أُنْقِصْ منه، ولم أَتصرفْ به.. وذكرتُ ما فيه من خطأ، بعرضِه علىٰ الكتابِ والسنةِ وفهمِ سلف الأُمة.

وأَتركُ الحكمَ علىٰ رواياتِ الكُلينيِّ التفسيريةِ الخاطئةِ للقراءِ الكرام، وأَسأَلُ اللّهَ أَن ينفعَ بهذا الكتاب، الذي ما أَردتُ به إِلا الانتصارَ للقرآن، والدفاعَ عن الصحابةِ الكرام، وتصحيحَ الأَخطاء، وتقديمَ الحقيقةِ لطالبيها.

وأَسأَلُ اللّهَ القبولَ، وجزيلَ الحسنات، ورفعَ الدرجات.. وصلىٰ اللّه علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي

الأحد ٢٧ / ٦ / ١٤٢٧هـ

٢٣ / ٧ / ٢٠٠٦م

مع الكليني في مقدمة الكافي

أ ـ قالَ الكُلَيْنيُّ في مقدمةِ الكافي: «. . . فمضىٰ ﷺ، وخَلَّفَ في أُمَّتِه كتابَ اللّه، وَوَصِيَّه أَميرَ المؤمنين، وإمامَ المتَّقين، صلواتُ اللّه عليه، صاحِبَيْن مؤتَلفَيْن، يشهدُ كلُّ واحدٍ منهما لصاحبه بالتَّصديق، ينطقُ الإمامُ عن اللّه في الكتاب، بما أوجب اللّهُ فيه علىٰ العباد، من طاعتِه، وطاعةِ الإمامِ وولايَتِه. . .» [١ : ٤].

جَعَلَ أَميرَ المؤمنين عليَّ بن أَبي طالبٍ رضي اللّهُ عنه بمنزلةِ القرآنِ الكريم، فهما في نَظَرِه صاحِبان مُؤْتَلِفان، يَشهدُ كلٌّ منهما لصاحبِه. . . وفي هذا من الغُلُوِّ والمبالغةِ ما فيه. . ولا يُمكنُ لعليِّ بن أَبي طالبٍ رضي اللّه عنه ـ مهما عَلَتْ منزلتُه ـ أن يكونَ في مُسْتوىٰ القرآن الكريم.

ب ـ ذَكَرَ الكُلَيْنيُّ في المقدمةِ السببَ الذي حَمَلَهُ علىٰ تأليفِ «الكافي»، وهو حِرصُهُ علىٰ النصح والإرشادِ والتعليم، وجَعَلَ كتابَه جواباً علىٰ سؤالٍ وُجِّهَ إليه من أَحدِ تلاميذِه . . قالَ مُخاطباً تلميذَه: «وذَكَرْتَ أَنَّ أُموراً قد أَشْكَلَتْ عليكَ، لا تعرفُ حقائِقَها، لاختلافِ الروايةِ فيها، وأَنَّك تعلمُ أَنَّ اختلاف الروايةِ فيها لاختلافِ عِلَلِها وأَسْبابها، وأَنَّك لا تجدُ بحضرتِك مَنْ تُذاكِرُه وتُفاوضُه، ممَّنْ تَثِقُ بعلمِه فيها. . .

وقُلْتَ: إنَّكَ تحبُّ أَنْ يكونَ عندك كتابٌ كافٍ، يُجْمَعُ فيه من جميعِ فُنونِ الدين، ما يَكْتَفي به المتعلِّم، ويَرجعُ إليه المسترشد، ويأْخُذُ فيه مَنْ يُريدُ علْمَ الدينِ والعملَ به، بالآثارِ الصحيحةِ عن الصادقينَ عليهم السلام، والسُّننِ القائمةِ التي عليها العمل، وبها يُؤدّىٰ فرضُ اللّه عزَّ وجلَّ وسنَّةُ نبيِّه ﷺ. .» [١ : ٨].

أَي أَنَّ الكُلَيْنيَّ يُريدُ في كتابه «الكافي» أَنْ يُزيلَ الإِشكالَ عن الرواياتِ المختلفة،

وأَنْ يَتركَ الرواياتِ والآثارَ غيرَ الصحيحة، وأَنْ يَختارَ منها الآثارَ الصحيحةَ المقبولةَ المعتمدَة، التي يَكْتَفي بها المتعلمُ، ويَرجعُ إليها المسترشد، وتكونُ مرجعاً لكلِّ مَنْ أَرادَ معرفةَ الحَقِّ والعملَ به..

ج - ذَكَرَ الكُلَيْنيُّ في المقدمةِ القاعدةَ الأساسيةَ في معرفةِ الرواياتِ والآثارِ الصحيحةِ المقبولة، والتمييزِ بينها وبين الرواياتِ المردودة.. قال: «**اعلم أَخي - أَرشدَكَ الله - أَنه لا يَسَعُ أَحَداً تمييزُ شيءٍ مما اخْتلَفَ الروايةُ فيه عن العلماء عليهم السلام برأيِه، إلّا علىٰ ما أَطْلقهُ العالِمُ بقولِه عليه السلام: «اعْرِضوها علىٰ كتابِ الله، فما وافىٰ كتابَ الله عز وجل فَخُذوه، وما خالَفَ كتابَ الله فرُدّوه..**» [١ : ٨].

القاعدةُ في تمييزِ وتمحيصٍ ونَقْدِ الرواياتِ والآثارِ المختلفة محصورةٌ في عرضها علىٰ كتابِ الله، لأَنَّه هو المرجعُ والحَكمُ والقاضي والمهيمن، فما وافقَ كتابَ الله فهو صحيحٌ مقبول، وما خَالَفَ كتاب الله فهو باطلٌ مردود..

وهذه القاعدةُ صحيحةٌ مُجْمَعٌ عليها، ويَلتزمُ بها كلُّ مؤمنٍ، في أَيِّ زمانٍ ومكان.. لكن ليس المهمُّ هو الاعترافَ النظري، إنما المهمُّ هو الالتزامُ العملي.. فهل التزمَ الكُلَيْنيُّ بها، وانطلقَ منها وهو يتحدَّثُ عن الأُصولِ في كتابه «الكافي»؟.. لِنَنْظُرْ ولْنُتابِعْ، ثم نَحْكُمْ!!..

* * *

الأخطاء في كتاب «فضل العلم»

هل طعام الإنسان علمه؟:

١ - رویٰ في باب «النوادر» من كتاب «فضل العلم» عن زيدِ الشَّحَّام، عن أَبي جعفرَ - محمد الباقر - في قولِ اللّه عز وجل: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴾ [عبس: ٢٤].

قالَ الشَّحّامُ لأَبي جعفر: ما طعامُه؟

قالَ أَبو جعفر: هو عِلْمُه الذي يأْخُذُه، عَمَّنْ يَأْخُذُه» [الكافي: ٤٩ - ٥٠].

نَسَبَ الكُلَيْنيُّ إلىٰ أَبي جعفر أَنَّه فَسَّرَ الطعامَ في الآيةِ بالعلم فمعنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴾: علىٰ طالبِ العلم أَنْ يَنظرَ في عِلْمه الذي يتعلَّمُه، ويَعرفَ عَنْ مَنْ يأْخُذُه، فلا يَأْخُذُهُ عن غيرِ الثقة، وإلاَّ ضَلَّ وهَلَك.

والمعنىٰ صحيح، فالواجبُ علىٰ طالبِ العلمِ أَنْ يبحثَ عن العالمِ الثِّقة، ليأْخُذَ عنه العلم، وصَدَقَ عبدُ اللّه بنُ المبارك رحمه اللّه عندما قال: «إِنَّ هذا العِلْمَ دِينٌ، فاعْرِفوا عَمَّنْ تأْخُذونَ دِينكم..».

ولكنَّ الاستشهادَ بالآية علىٰ هذا المعنىٰ الصحيح خَطَأٌ، واعتبارُ المرادِ بالطعامِ في الآيةِ العلمُ باطلٌ مردود، لأَنَّ الكلامَ في الآيةِ وما بَعْدَها عن الطعامِ المأكولِ حقيقة. قال تعالىٰ: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ * أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَآئِقَ غُلْبًا * وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا * مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾ [عبس: ٢٤ - ٣٢].

تتحدَّثُ الآياتُ عن المراحلِ التي يمرُّ بها الطعامُ، قبلَ أَنْ يُصبحَ طعاماً مأكولاً، مِنْ صَبِّ الماء، ثمَّ شَقِّ الأَرض، ثم إنباتِ الحَبِّ والشَّجر، ثم تكوينِ الثمارِ والفواكه.. وأَينَ هذا من العلمِ الذي يتعلَّمُه طالبُ العلم؟!

ومن المتفقِ عليه في عالَمِ التفسير أَنَّه لا يجوزُ قَطْعُ الآيةِ عن سِياقِها، والاستشهادُ

بها علىٰ غير ما سِيقَتْ له. وإنَّ للسياقَ أثَراً مهمّاً في حُسْن فهمِ الآيةِ وتفسيرِها والاستدلالِ بها. . .

هل يولدُ الإمام عالماً بالقرآن؟:

٢ - روىٰ الكُلينيُّ في بابِ «الرد إلىٰ الكتابِ والسنة» عن عبدِ الأعلىٰ بنِ أَعْيُن قال: سمعتُ أبا عبدِ اللّه - جعفرَ الصادق - يقول: «قد وَلَدَني رسولُ اللّهِ ﷺ، وأنَا أَعلَمُ كتابَ اللّه، وفيه بَدْءُ الخلق، وما هو كائنٌ إلىٰ يوم القيامة، وفيه خَبَرُ السماءِ، وخَبَرُ الأَرض، وخَبَرُ الجنَّةِ، وخَبَرُ النَّار، وخَبَرُ ما كانَ، وخَبَرُ ما هو كائنٌ، أَعْلَمُ ذلك، كما أَنظُرُ إلىٰ كَفّي. إنَّ اللّه يقول: «فيهِ تِبْيانُ كُلِّ شيء. . » [الكافي: ١ : ٦١].

أَخطأَ الكُلَيْنيُّ أوَّلاً في ذِكْرِ الآيةِ. حيثُ زَعَمَ أنَّ الآيةَ هي: «فيه تبيانُ كل شيء»، مع أنَّ نَصَّ الآية هو: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

وكونُ القرآنِ تِبْياناً لكلِّ شيء صحيح، وإخبارُ أَبي عبد اللّه أَنَّ في القرآنِ بَدْءَ الخلق، وما هو كائِنٌ إلىٰ يوم القيامةِ صحيحٌ أَيْضاً، وكذلك إخبارُه أَنَّ فيه خَبَرَ السماءِ والأَرض، والجنَّةِ والنَّار، وخَبَرَ ما سبَقَ أَنْ كان، وما سيكونُ في المستقبل. . كُلُّ هذا صحيحٌ لا اعتراضَ عليه.

إنّما الاعتراضُ علىٰ القولِ المنسوبِ إلىٰ أَبي عبدِ اللّه: «وَلَدَني رَسولُ اللّهِ وأَنا أَعْلَمُ كتابَ اللّه»، وقولِه: «أَعلمُ ذلك من القرآنِ كما أَنظرُ إلىٰ كفّي. . ».

إنَّ ظاهرَ هذا الكلام أَنَّ الإمامَ من أَئِمَّةِ آلِ البيتِ يولَدُ من بَطْنِ أُمِّه عالِماً بكلِّ ما كانَ وسيكون، ويخرجُ من بَطْنِ أُمِّه وهو مُحيطٌ عِلْماً بكلِّ ما في القرآن، وأَنَّ اللّه عَلَّمَهُ ذلك العلمَ وهو جنين!! ودليلُ ذلك أنَّ أَبا عبدِ اللّه كان يَنظرُ إلىٰ «لوحةِ» عُلومِ القرآنِ المختلفة، كما ينظرُ إلىٰ كَفِّه!!

إنَّ هذا الكلامَ مردود، لأنَّهُ يَتعارَضُ مع القرآن، فقد أَخبرَنا اللّهُ أَنَّ الإنسانَ يُولَدُ جاهِلاً، ويَخرُجُ مِنْ بَطْنِ أُمِهِ لا يَعلمُ شيئاً، ثمَّ يُعَلِّمَهُ اللّهُ بعدَ ذلك، عندما يَكبَرُ ويَسعىٰ في تحصيلِ العلم، يستوي في ذلك العلماءُ والأولياءُ وأَئِمَّةُ آلِ البيت، وكُلُّ طلبةِ العلمِ

علىٰ اختلافِ الزمانِ والمكان.. قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

تصنيف غريب للصحابة:

٣ ـ نَسَبَ الكُلَيْنيُّ في بابِ «اختلافِ الحديث» كلاماً خطيراً لعليِّ بن أَبي طالبٍ رضي اللّه عنه، فيه اتهامٌ كبيرٌ لكثيرٍ من أصحابِ رسولِ اللّه ﷺ.

ونُسجلُ الكلامَ الخطيرَ كاملاً، كما أثبتَه واعتَمَدَهُ الكُلَيْنيُّ، ثمَّ نبينُ ما فيه من خطأ بعونِ اللّه...

رویٰ عن سليمِ بن قيسِ الهلالي قال: «قُلْتُ لأَميرِ المؤمنينِ عليه السلام: إِنّي سمعْتُ من سلمانَ والمقدادِ وأَبي ذرٍّ شيئاً من تفسيرِ القرآنِ، وأَحاديثَ عن نبيِّ اللّه عليه الصلاةُ والسلام، غَيْرَ ما في أَيدي النّاس، ثم سمعْتُ منك تصديقَ ما سمعْتُ منهم... ورأيتُ في أَيدي النّاسِ أَشياء كثيرةً من تفسيرِ القرآن، ومن الأحاديثِ عن نبيِّ اللّه ﷺ، أَنتم تخالفونهم فيها، وتزعمونَ أَنَّ ذلك كُلَّه باطل!! أَفترىٰ النّاسُ يَكْذِبونَ علىٰ رسولِ اللّهِ ﷺ مُتَعَمِّدين، ويُفَسِّرونَ القرآنَ بآرائهم؟!

فأَقْبَلَ عَلَيَّ، فقال: قد سَأَلْتَ، فافهم الجواب..

ثمَّ قال: إِنَّ في أَيدي النّاسِ حَقّاً وباطِلاً، وصِدْقاً وكَذِباً، وناسِخاً ومَنْسوخاً، وعاماً وخاصّاً، ومُحْكَماً ومتشابهاً، وحِفْظاً وَوَهْماً..

وقد كُذِبَ علىٰ رسولِ اللّه ﷺ علىٰ عَهْدِه، حتّىٰ قامَ خَطيباً، فقال: أَيُّها النّاسُ قد كَثُرَتْ عَلَيَّ الكِذَابَةُ، فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مقعَدَهُ من النّار... ثم كُذِبَ عليه بعدَ ذلك...

وإِنَّما أَتاكم الحديثُ من أَربعة، ليس لهم خامس:

أ ـ رَجُلٌ مُنافقٌ، يُظهِرُ الإِيمانَ، مُتَصَنِّعٌ بالإِسلام، لا يتأَثَّمُ ولا يَتَحَرَّجُ أَنْ يَكْذِبَ علىٰ رسولِ اللّه ﷺ مُتَعَمِّداً، فلو عَلِمَ النّاسُ أَنَّهُ منافقٌ كَذَّاب، لم يَقْبَلوا منه، ولم يُصَدِّقوه، ولكنهم قالوا: هذا قد صَحِبَ رسولَ اللّه ﷺ ورآهُ وسَمعَ منه... وأَخذوا

عنه، وهم لا يَعْرِفون حالَهُ، وقد أَخبَرَهُ اللّهُ عن المنافقين بما أَخبَرَه، وَوَصَفَهم، فقالَ عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ [المنافقون: ٤]، ثمَّ بَقُوا بعدَه، فتَقَرَّبوا إلىٰ أَئِمَّةِ الضَّلالة، والدعاةِ إلىٰ النّار، بالزّورِ والكَذِبِ والبهتان، فولّوهم الأَعمال، وحمَلوهم علىٰ رقابِ النّاس، وأَكَلوا بهم الدُّنيا، وإنَّما النّاسُ مع الملوكِ والدنيا، إلاّ مَنْ عَصَمَ اللّه..

ب ـ ورجُلٌ سَمعَ من رسولِ اللّهِ ﷺ شيئاً، لم يَحملْه علىٰ وَجهِه، ووَهِمَ فيه، ولم يتعمَّدْ كَذِباً، فهو في يَدِه، يقولُ به، ويعملُ به، ويَرويه، فيقول: أَنا سمعْتُه من رسولِ اللّه ﷺ... فلو عَلِمَ المسلمون أَنَّه وَهِمَ لم يَقْبَلوه، ولو عَلِمَ هو أَنَّه وَهِمَ لرفَضَه.

ج ـ ورجُلٌ ثالثٌ سَمعَ من رسولِ اللّهِ ﷺ شيئاً أَمَرَ به، ثمَّ نهىٰ عنه وهو لا يعلم، أَو سمعَه ينهىٰ عن شيء، ثمَّ أَمَرَ به وهو لا يَعْلَم، فحفظَ منسوخَه ولم يحفظ الناسخ، ولو علم أَنه منسوخٌ لرفَضَه، ولو علمَ المسلمون إذْ سمعوه منه أَنَّه منسوخٌ لرفضوه..

د ـ وآخرُ رابعٌ لم يَكْذِب علىٰ رسولِ اللّه ﷺ، مُبغضٌ للكذبِ خوفاً من اللّه، وتعظيماً لرسولِ اللّه ﷺ، لم يَنْسَه، بل حفظَ ما سمعَ علىٰ وجْهِه، فجاءَ به كما سمع، لم يَزِد فيه، ولم يُنْقِصْ منه، وعَلِمَ الناسخَ من المنسوخ، فعملَ بالناسخ، ورفَضَ المنسوخ. فإنَّ أَمْرَ النَّبيِّ ﷺ مثْلُ القرآن، ناسخٌ ومنسوخ، وخاصٌّ وعامّ، ومُحكَمٌ ومُتشابه... قد كانَ يكونُ من رسولِ اللّه ﷺ الكلامُ له وَجْهان: كلامٌ عامٌّ وكلامٌ خاص، مثلُ القرآن. وقال اللّه عز وجل في كتابه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، فيَشْتَبهُ علىٰ مَنْ لم يَعْرف، ولم يَدْرِ ما عَنَى اللّهُ به ورسولُهُ ﷺ.

وليس كلُّ أصحابِ رسولِ اللّه ﷺ كان يسألُه عن الشيء فيَفْهَم، وكان منهم مَنْ يَسْأَلُه ولا يستفهمه، حتىٰ إنهم كانوا يُحبُّونَ أَن يَجيءَ الأَعرابيُّ والطاري، فيسأَلَ رسولَ اللّه ﷺ حتىٰ يَسْمَعوا...

الرسول يعلم علياً القرآن!!:

وقد كنتُ أَدخلُ علىٰ رسولِ اللّه ﷺ كُلَّ يوم دَخْلَة، وكُلَّ ليلةِ دَخْلَة، فيُخَلّيني فيها، أَدورُ معه حيثُ دار، وقد عَلِمَ أَصحابُ رسول اللّه ﷺ أَنَّه لم يَصْنَعْ ذلك بأَحَدٍ من

النّاسِ غيري، وربَّما كان ذلك في بيتي، يأتيني رسولُ اللّه ﷺ أكثرُ ذلك في بيتي.

وكنتُ إذا دَخَلْتُ عليه بعضَ منازِله أَخلاني، وأَقامَ عنّي نساءَه، فلا يبقىٰ عندَه غيري، وإذا أتاني للخلوة معي في منزلي لم تَقُمْ عني فاطمةٌ، ولا أَحَدٌ من بَنِيَّ..

وكنتُ إذا سألتُه أَجابني، وإذا سكَتُّ وَفَنِيَتْ مَسائِلي ابْتَدَأَني... فما نَزَلَتْ علىٰ رسول اللّه ﷺ آيةٌ من القرآنِ إلاّ أَقرَأَنيها وأَمْلاها عليَّ، فكتَبْتُها بخَطّي، وعَلَّمني تفسيرَها وتأويلَها، وناسِخَها ومنسوخَها، ومُحْكَمها ومُتَشابِهَها، وعامَّها وخاصَّها..

ودَعا اللّهَ أَنْ يُعْطيني فَهمها وحِفْظَها، فما نَسيتُ آيةً من كتابِ اللّه، ولا عِلْماً أَمْلاهُ عَلَيَّ وكَتَبْتُهُ، منذُ دَعا اللّهَ لي بما دَعا.. وما تركَ شيئاً عَلَّمَهُ اللّه، من حَلالٍ ولا حرام، ولا أَمْرٍ ولا نَهْيٍ، كان أَو يكون، ولا كتابٌ مُنَزَّلٌ علىٰ أَحَدٍ قبلَه، من طاعةٍ أَو معصية، إلاّ عَلَّمَنيهِ وحفظْتُه، فلم أَنسَ حرفاً واحداً، ثم وَضَعَ يَدَهُ علىٰ صَدْري، ودَعَا اللّهَ لي أَنْ يَمْلأَ قَلْبي عِلْماً وفَهْماً وحُكْماً ونوراً.. فقلْتُ: يا نبيَّ اللّه: بأَبي أَنتَ وأُمّي: منذُ أَنْ دَعَوتَ اللّه لي بما دَعَوْتَ، لم أَنْسَ شيئاً، ولم يَفُتْني شيءٌ لم أَكتُبْه، أَفتَتَخوفُ عَلَيَّ النسيانَ فيما بعد؟.. فقال: لا، لستُ أَتَخوَّفُ عليك النسيانَ والجهل..» [الكافي: ٦٢ ـ ٦٤].

نقض الرواية الباطلة:

ادَّعىٰ سليمُ بنُ قيس الهلاليُّ أَنَّ عليَّ بنَ أَبي طالبٍ رضي اللّه عنه أَخبره بهذا الكلام المطوَّل، الذي شَتَمَ فيه كثيراً من أَصحابِ رسول اللّه ﷺ. وهذا لم يَصِحَّ بسَنَدٍ صَحِيحٍ، ولذلك نعتبرُ هذا الكلامَ باطلاً مردوداً، ويمكنُ تسجيلُ المآخذِ التاليةِ عليه:

١ ـ نَجْزِمُ أَنَّ عليَّ بن أَبي طالبٍ رضي اللّه عنه لم يَقُلْ هذا الكلام، وإنَّما هو مُفترىٰ عليه، ومختلقٌ علىٰ لِسانِه، لأَنَّ هذا الكلامَ يتناقضُ مع موقفِ عليٍّ بنِ أَبي طالبٍ من الصحابة، ونظرتِه لهم، رضي اللّه عنهم جميعاً.

٢ ـ زَعَمت الروايةُ وُجودَ تعارُضٍ بينَ الصحابةِ في التفسير، وَصَلَ إلىٰ حَدِّ التناقضِ والتَّضادّ، وزعمتْ أَنَّ الذين يُقَدِّمُونَ التفسيرَ الصحيحَ من كلِّ الصحابةِ أربعةٌ فقط: عليٌّ، وسلمانُ، والمقدادُ، وأَبُو ذَرّ.. والباقونَ تفاسيرُهم خاطئة، لأَنَّهم إمّا كاذبون، أَو جاهلون، أَو ناسونَ غافِلون، ومنهم ابنُ مسعود وابنُ عباس... وهذا

افتراءٌ علىٰ الصَّحابة!!

٣ ـ زَعَمت الروايةُ أَنَّ المفَسِّرينَ الصادقينَ من الصحابةِ كانوا يَرْفُضونَ تفاسيرَ الآخرينَ ويَعتبرونَها باطلة: «ورأيتُ في أَيدي النّاسِ أشياءَ كثيرةً من التفسيرِ والحديث، أَنتم تُخالفونَهم فيها، وتَزعَمونَ أَنَّ ذلك كُلَّه باطل». وهذا باطلٌ مردود، لأَنَّ الاختلافَ بينَ الصَّحابـةِ الكـرامِ رضوانُ اللّه عليهم في التفسير قليل، وهو اختلافُ تَنَوُّع، وليسَ اختلافَ تضادٍّ وتناقُض، وتتكامَلُ أقوالُهم في تفسير الآية، بحيثُ تحتملُها الآية. وهذه قواعدُ مقررةٌ في علمِ التفسير، يَعرفُها كُلُّ دارسٍ في علمِ التفسير.

٤ ـ زَعَمت الروايةُ أَنَّ بعضَ الصحابةِ كانوا يَكْذِبونَ علىٰ رسولِ اللّه ﷺ في حياتِه، وأَنَّه شكا انتشارَ ذلك في قوله: «أَيُّها النّاسُ قد كَثُرَتْ عَلَيَّ الكِذابَة، فَمَن كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النار».

الحديثُ الصَّحيحُ ليسَ بهذا اللفظ، وقد رواهُ الإمامُ مُسلمٌ في مقدمةِ الصحيح بأَربعِ رواياتٍ، عن أَربعةٍ من الصَّحابة:

أ ـ عن عليِّ بنِ أَبي طالبٍ رضي اللّه عنه قال: قالَ رسولُ اللّه ﷺ: «لا تَكْذِبوا عليَّ، فإِنَّه مَنْ يَكْذِبْ عَلَيَّ يَلِجِ النّار».

ب ـ عن أَنَس بنِ مالك رضي اللّه عنه، عن رسول اللّهِ ﷺ قال: «مَنْ تَعَمَّدَ عَلَيَّ كَذِباً، فلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النّار».

ج ـ عن أَبي هريرة رضي اللّه عنه، عن رسول اللّه ﷺ قال: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فلْيَتَبَوَّأْ مقعَدَهُ مِنَ النّار».

د ـ قالَ عليُّ بنُ ربيعة: أَتيتُ المسجدَ والمغيرةُ أَميرُ الكوفة ـ هو المغيرةُ بنْ شُعْبَة رضي اللّه عنه ـ فقال المغيرةُ: سمعتُ رسول اللّه ﷺ يقول: «إِنَّ كَذِباً عَلَيَّ ليسَ كَكَذِبٍ علىٰ أَحَد، فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فلْيتبوأْ مقعدَه من النار».

وهكذا نرىٰ أَنَّ الجملةَ المدَّعاةَ: «أَيُّها النّاس: قد كثُرَتْ عَلَيَّ الكِذابَةُ» لم تَرِدْ في تلك الرواياتِ الصحيحة، فهي غيرُ صحيحة.. وعليُّ بن أَبي طالبٍ رضي اللّه عنه في

الروايةِ الصحيحةِ السابقةِ لم يوردْ هذه الجملةَ المدَّعاة، وإنَّما أَوردَ ما سمعَه من رسول الله ﷺ: «لا تَكْذِبُوا عَلَيَّ، فإنَّه مَنْ يَكْذِبْ عَليَّ يَلج النّار».

٥ ـ من أَسبابِ رفضِنا لهذه الجملةِ المفتراة: «قد كَثُرَتْ عَلَيَّ الكِذابة» أَنها تتهمُ الصحابةَ بالكذِبِ علىٰ رسولِ الله ﷺ، وبالإِكثارِ من هذا الكذب. وهذا باطل، فلم يَكذبْ علىٰ رسول الله ﷺ أَحَدٌ من الصَّحابة، إِنَّما انتشرَ الكذبُ عليه بعدَ عَصْرِ الصَّحابة.

٦ ـ زَعمت الروايةُ أَنَّ علياً رضي الله عنه قَسَّمَ الصَّحابةَ إِلىٰ أَربعةِ أَصناف: صحابةٌ كاذبون منافقون.. وصَحابةٌ ساهونَ لا يحفظون.. وصحابةٌ جاهلون لا يعلمون... وصحابةٌ صادقون عالمون..

الصَّحابةُ الصَّادقونَ العالمونَ في زعمِ الروايةِ أَربعة، هم: عليٌّ، وسلمانُ، والمقدادُ، وأَبو ذَرّ.. رضي الله عن كُلِّ أَصحابِ رسولِ الله ﷺ..

وهذا التقسيمُ للصَّحابة فيه ظلمٌ كبير، وافتراءٌ عريض.. وهو كذبٌ علىٰ عليٍّ رضي الله عنه، لأَنَّ علياً رضي الله عنه لم ينظُر للصَّحابةِ بهذا المنظارِ الكاذِبِ الظالم..

٧ ـ زَعمت الروايةُ أَنَّ بعضَ الصَّحابة كانوا منافقين كاذبين، يتعمَّدونَ الكذبَ علىٰ رسولِ الله ﷺ، وأَنَّ النّاسَ خُدِعوا بهم، بحجةِ أَنَّهم صَحابة!! إِقرأْ صفةَ الواحدِ من هؤلاء حسبَ تشخيصِ أَصحابِ الروايةِ المزعومة: «رَجُلٌ منافق، يُظْهِرُ الإِيمان، مُتَصَنِّعٌ بالإِسلام، لا يتأَثَّم، ولا يَتَحَرَّجُ أَنْ يَكْذِبَ علىٰ رسولِ الله ﷺ متعمِّداً، فلو عَلِمَ النّاسُ أَنَّه منافقٌ كَذَّابٌ لم يَقْبَلوا منه ولم يُصَدِّقوه، ولكنَّهم قالوا: هذا قد صحبَ رسولَ الله ﷺ، ورآهُ وسمعَ منه، وأَخذوا عنه وهم لا يعرفونَ حالَه..».

إِنَّ الذين قَبِلوا هذه الروايةَ المزعومةَ واعتمدوها ـ وفي مقدمتهم الكُلَيْنيُّ الذي أَثْبَتَها في «الكافي» ـ يَتَّهمونَ كثيراً من أَصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ بهذه الاتهامات، وإِذا كان كثيرٌ من الصَّحابةِ منافقين كاذبين مفترين، فمن هم الصادقون المخلصون الناجحون؟

الكُلَيْنيُّ وطائفتُه لا يُحبُّونَ أَصحابَ رسولِ اللّه ﷺ ـ إلاّ عدداً قليلاً جداً منهم ـ ويَتَّهمونَهم بالكذبِ والنفاق، وفي مقدمتهم كِبارُ الصحابة كأَبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ رضي اللّه عنهم.

٨ ـ الصَّحابيُّ في تعريفِ أَهلِ السُّنَّة هو كُلُّ مَنْ رأىٰ النبيَّ ﷺ مسلماً، وماتَ علىٰ ذلك، ولا يُشترطُ طولُ مصاحبتِه للرسولِ ﷺ. وتقسيمُهم في الروايةِ الباطلةِ إلىٰ خمسةِ أَصنافٍ باطلٌ مردود، فكلُّ الصَّحابةِ عُدول، وكلُّهم أَصحابُ وعيٍ وعلم، مع تفاوتِهم في المستوىٰ العلمي والمعرفي، ومع تفاوتِهم في الفروقِ الفردية، والمواهبِ والقدراتِ العقلية، ومع كونِهم عُرْضَةً للخطأ والنسيانِ والوهم، لكن هذا قليلٌ فيهم.

٩ ـ كلُّ الصحابة صادقونَ عُدولٌ ثقات، ليسوا كاذبين ولا مَجروحين، ولا مَردودي الشهادةِ والقولِ والروايةِ والخبر.

نسبت الرواية المفتراةُ لهم الكذبَ، مع أَنَّ الكذبَ تَجريحٌ لهم، وردٌّ لأَخبارِهم ورواياتهم، وهم بريئون من الكذب، ولم تُسجَّلْ علىٰ صحابيٍّ واحدٍ كذبةٌ واحدة، ولذلك لا يُبحثُ للصحابيِّ عن توثيقٍ وتَعديل، والبحثُ عن العدالةِ إنَّما هو للرواةِ من بعدِ الصَّحابة!!

١٠ ـ جَعَلَتْ الروايةُ المزعومةُ لعليٍّ بنِ أَبي طالبٍ رضي اللّه عنه عِلْماً شامِلاً كامِلاً، مُحيطاً بكلِّ ما يتعلَّقُ بالقرآن، وتبدو المبالغةُ واضحةً فيما نُسِبَ له.

صحيحٌ أَنَّ عليّاً رضي اللّه عنه كان من كبارِ علماءِ الصحابة، ومِن أَعْلَمِهم بالقرآنِ وما يتعلَّقُ به، لكنْ ليسَ علىٰ هذه الصورةِ الأُسطوريةِ التي ذَكَرَتْها الروايةُ المزعومةُ. ونجزمُ أَنَّ علياً رضي اللّه عنه لم ينطق بالكلمات التي نَسَبَتْها له الرواية، ومنها: «فما نزلَتْ علىٰ رسول اللّه ﷺ آيةٌ من القرآنِ إلاّ أَقْرَأَنيها، وأَمْلاها عَلَيَّ، فكتَبْتُها بخَطّي، وعَلَّمني تفسيرَها وتأْويلَها، وناسخَها ومنسوخَها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصَّها وعامَّها..».

١١ ـ زَعمت الروايةُ المزعومةُ أَنَّ الرسولَ ﷺ دَعَا لعليٍّ بنِ أَبي طالبٍ رضي اللّه عنه أَنْ يُعَلِّمَهُ اللّهُ القرآن! وهذا لم يثبُتْ عندنا في روايةٍ صحيحة، مع إقرارِنا بغزارةِ عِلْمِ

عليٍّ رضي اللّه عنه بالقرآنِ وتفسيرِه وأَحكامِه.

إنَّ الصَّحابيَّ الذي دَعا له رسولُ اللّه ﷺ هو عبدُ اللّه بنِ عباس رضي اللّه عنهما، حيث دَعا اللّهَ قائلاً: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ في الدِّين، وعَلِّمْهُ التأْويل..» واستجابَ اللّهُ دعاءَ الرسولِ ﷺ، فكانَ ابنُ عباسٍ أَعْلَمَ الصَّحابةِ بالتفسيرِ والتأويل، وهو الوحيدُ من بينِهم الذي حازَ لَقَبَ: «حَبْرُ الأُمَّةِ وترجمانُ القرآن..»!

هذه الملاحظاتُ والمآخذُ علىٰ الروايةِ سببٌ لرفضِها ورَدِّها وإِنكارها، والجزمُ بأَنَّ علياً رضي اللّه عنه لم يَنْطِق بما فيها من كلامٍ باطلٍ، وإِنَّما هي مكذوبةٌ عليه..

* * *

الأخطاء في كتاب «التوحيد»

الشيعةُ كالمعتزلة، يَنفونَ رُؤيةَ اللهِ في الدُّنيا والآخرة، والصوفيةُ يُثبِتُونَ رؤيةَ اللهِ في الدُّنيا والآخرة، وأهلُ السُّنَّةِ والجماعة يَنفونَ رؤيةَ اللهِ في الدُّنيا، ويُثبتونَها في الجَنَّة، ويقولون: اللهُ لا يُمكنُ أَنْ يُرىٰ في الدُّنيا، ولكنَّ المؤمنين يرونَ اللهَ في الجَنَّة، ويعتمدونَ في ذلك علىٰ نصوصٍ من القُرآن والسُّنَّة.

رواية الكليني في نفي رؤية الله:

٤ - نقَلَ الكلينيُّ رواياتٍ في نفيِ الرؤيةِ مطلقاً، في باب «في إبطال الرؤية». ويهمُّنا هنا النظرُ في دليلِهِ علىٰ نفيِ الرؤية، وهو ظاهرُ قوله تعالىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

روىٰ الكُلَيْنيُّ عن صفوانِ بن يحيىٰ، قال: سَأَلني أَبو قَرَّةَ المحدِّثُ أَنْ أُدخلَه علىٰ أَبي الحسنِ الرِّضا عليه السلامِ، فاستأْذَنْتُه في ذلك، فأَذِنَ لي.. فدخَلَ عليه، فسأَلَه عن الحلالِ والحرامِ والأَحكامِ، حتىٰ بَلَغَ في سؤالِه إلىٰ التوحيد. فقال أَبو قَرَّة: إنَّا رُوِّينا أَنَّ اللّهَ قَسَمَ الرؤيةَ والكلامَ بين نَبِيَّيْن، فقَسَمَ الكلامَ لموسى، ولمحمدٍ الرؤية...

فقال أَبو الحسن: فَمَن المُبَلِّغُ عن اللهِ إلى الثَّقلَيْن من الجنِّ والإِنس قولَه تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ و: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾، و: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾؟ أليس محمدٌ ـ ﷺ ـ؟.. قال: بلى..

قالَ أبو الحسن: كيفَ يجيءُ رجلٌ إلى الخلْق جميعاً، فيُخبرهم أَنه جاءَ من عندِ اللّه، وأنه يَدْعوهم إلى اللّه، بأَمْرِ اللّه، فيقول: لا تُدركُه الأَبصار، ولا يُحيطونَ به عِلْماً، وليس كمثله شيء.. ثم يقولِ: أَنا رأَيْتُه بعيني، وأَحطتُ به علماً، وهو على صورةِ البشر؟ أَما تستَحون؟ ما قَدَرَت الزنادقةُ أَنْ تَرميَه بهذا، أَنْ يكونَ يأتي من عندِ اللّه بشيء، ثم يأَتي بخلافِه من وجهٍ آخر..

إلى أنْ قالَ أَبو الحسن لأَبي قَرَّةَ: قال اللّه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، وإذا رَأَتْهُ الأَبْصارُ فقد أَحاطَتْ به علماً!!

قالَ أبو قَرَّة: هل نُكَذِّبُ الروايات؟.. فقالَ أبو الحسن: إذا كانت الرواياتُ مخالفةً للقرآن كَذَّبْتُها!! [الكافي ١: ٩٥ ـ ٩٦].

الله لا يرى في الدنيا:

صرَّحَ أَبو الحسنِ الرضا لأَبي قَرَّةَ المحدِّثِ أَنَّ اللّه لا يُمكنُ أَنْ تَراهُ العُيون، لا في الدنيا ولا في الآخرة، واستدلَّ على نفي الرؤيةِ مطلقاً بعمومِ بعضِ الآيات، كقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] وقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

وعندما ذَكَرَ أبو قَرَّةَ وُجودَ رواياتٍ حولَ رؤيةِ اللّه، طَلَبَ أَبو الحسن تكذيبَ تلك الرواياتِ ورَدَّها، لأَنها تُخالفُ القرآن!

وفي هذا الكلامِ صوابٌ وخطأ، والأَمرُ يحتاجُ إلى تفصيل:

الجانبُ الصوابُ هو نفيُ رؤيةِ اللّه في الدنيا، فالراجحُ عندَ أَهلِ السنةِ والجماعةِ هو أَنَّ اللّهَ لا يُرى في الدُّنيا. فلم يَرَهُ نبيٌّ أَو وليٌّ.

والدليلُ على ذلك إخبارُ اللّهِ لموسى عليه السلام أَنه لا يمكنُ أَنْ يَراه. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

والراجحُ أَنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ لم يَرَ رَبَّه ليلةَ المعراج: فقد سأَلَتْ عائشةُ رضي اللّه عنها رسولَ اللّه ﷺ: هل رأَيتَ ربَّك ليلةَ المعراج؟ فقالَ ﷺ: «نورٌ أَنّىٰ أَراهُ». وقال في روايةٍ أُخرى: «رأَيتُ نوراً».. ولذلك قالَتْ عائشةُ رضي اللّهُ عنها: مَن زَعَمَ أَنَّ محمداً رأى ربَّهُ ليلة المعراج فقد أَعْظَمَ على اللّهِ الفِرْيَة.

اللّه يرى في الجنة:

وأَما الجانب الخطأُ في الكلام المنسوب إلى أَبي الحسن الرِّضا فهو نفيهُ رؤية اللّه في الآخرة، وإذا كانَ الشيعةُ والمعتزلةُ يَنفونَ الرؤيةَ في الآخرة، فإنَّ أَهْلَ السنةِ يُثْبتونها، ويَعتمدون في ذلك على آياتٍ صريحة، وأَحاديث صحيحة.

من الآياتِ الصريحةِ في ذلك قولُه تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ . .﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣].

ومن الأَحاديثِ الصحيحةِ المثبتةِ للرؤيةِ قولُه ﷺ: «إنكم سترونَ ربّكم في الجنة يوم القيامة. كما ترونَ القمرَ ليلةَ البدر، لا تُضامّونَ في رؤيتِه . .».

والواجبُ علينا الإيمانُ بما تقررُه الآياتُ الصريحةُ والأحاديثُ الصحيحة، ولا يجوزُ مخالفَتُها وردُّها.

ونوقنُ أَنه لا تعارضَ بين الأَحاديثِ والآياتِ في موضوعِ الرؤية، ومن المعلوم أَنه إذا وُجِدَ بينَ الآياتِ والأَحاديثِ تعارضٌ، فلا بُدَّ أَنْ يُزالَ ذلك التعارض. وتكونُ إزالةُ التعارضِ وفقَ الخطواتِ التالية: تخريجُ الأَحاديثِ، فإذا لم يَصحّ الحديثُ طُرِحَ جانباً . . وإذا صَحَّ الحديثُ فلا بُدَّ من حُسْنِ فهم مَعْناه، لأَنه قد يكونُ سببُ التعارض سوءَ فهمِ الآيةِ أَو الحديث . . فإذا كان فهمُ النَّصَّيْنِ صَواباً، نحملُ كلَّ نصٍّ على حالةٍ أَو زمانٍ أَو مكان، وبذلك يزولُ ذلك التعارض . .

ومن المتفقِ عليه عندنا استحالةُ وُجودِ تعارضٍ حقيقيٍّ بين آيةٍ صريحةٍ وحديثٍ صحيح، لأَنَّ القرآنَ من عند اللّه، والحديثُ معناهُ من عند اللّه، فلا تعارضَ بين ما كان من عند اللّه وما كانَ من عند اللّه!!

وبهذا نَعرفُ خطأَ الدعوى المطلقةِ التي أَطْلَقَها أَبو الحسن الرضا: «إذا كانت الرواياتُ مخالفةً للقرآن كَذِّبْتُها»! إنَّ الرواياتِ إذا صَحّتْ عن رسولِ اللّه ﷺ فلا يمكنُ أَنْ تُخالفَ القرآن، أَو تعارضَه، ولذلك لا يمكنُ رَدُّ أَو تكذيبُ تلك الرواياتِ الصحيحة.

وفي موضوعِ رؤيةِ اللّه لم يصحّ حديثٌ صريحٌ عن رسولِ اللّه ﷺ في رؤيتِه سبحانه في الدنيا، لا في ليلة المعراج ولا في غيرها، ولذلك نحنُ نَرُدُّ أيَّ حديثٍ يُثبتُ رؤيةَ الرسول لربِّه ليلة المعراجَ لأنه لم يَصحّ أوّلاً، ولأنه يُخالفُ الآيةَ التي نفت الرؤية في الدنيا: ﴿قال لن تراني. .﴾.

الفرق بين الرؤية المثبتة والإدراك المنفي!:

أمّا في رؤيةِ اللّهِ في الجنة، فلا تعارُضَ بين النصوصِ التي تُثبتُ الرؤيةَ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۞ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ و«إنكم سترون ربكم في الجنة» وبين قولِه تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

ولذلك كانَ أبو الحسنِ الرّضا مُخطِئاً في استدلالِه بالآيةِ على نفيِ الرؤية، وذلك في قوله: «فإذا رأتْه الأبصارُ فقد أحاطَتْ به العلمَ ووقَعَت المعرفة»!!

الرؤيةُ ليستْ بمعنى الإدراك، وإثباتُ رؤيةِ اللّهِ في الجنةِ لا يَعْني إثْباتَ إدراكِ الأَبصارِ له، فلا تعارُضَ بينَ إثباتِ رؤيةِ الأَعين للّه ونفي إدراكِ الأَبْصار له.

الرؤيةُ تعني المشاهَدَةَ والنظر، وقد تكونُ الرؤيةُ عن قُرْب، وقد تكونُ عن بُعْد، وقد يَنتجُ عن الرؤيةِ الإدراكُ، وقد لا ينتجُ عنها الإدراك.

أمّا الإدراكُ فهو اللحاقُ والإحاطةُ. تقولُ: أدركتُه: أيْ: لحقتُه وأَخذتُه وأَحطتُ به.

من الرؤيةِ المرتبطةِ بالإدراكِ قولُك: رأَيتُ البيتَ: فأَنت تُشاهدُه بعينِك، وتُحيطُ به، وتَعرفُ تفاصيلَه.

ومن الرؤيةِ المنفصلةِ عن الإدراك قولُك: رأَيتُ الشمس. فأَنتَ تُشاهدُها عن بُعْد، ولكنك لم تُدركْها، ولم تُحِطْ علْماً بها، ولم تَعرفْ داخِلَها وجزئياتها.

والمؤمنونَ يرونَ اللّهَ في الجنةِ بعيونهم، ويُشاهدونَه بأَبصارِهم، ولكنَّ هذه الرؤيةَ مجردةٌ عن الإدراك. . أيْ: أنَّ أَبصارَهم ترى اللّهَ في الجنة، لكنها لا تُدركُه سبحانه، لأَنَّ الإدراكَ معناهُ الإحاطةُ وشمولُ المعرفة، والوقوفُ على التفاصيل

والجزئيات. وهذا مستحيلٌ على اللّه، لأنه لا يمكنُ للمخلوق أَنْ يُدركَ الخالق، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

وبهذا نَعرفُ خَطَأَ مَنْ جَعَلَ الرؤيةَ بمعنى الإِدراكِ والإِحاطة، وخَطَأَ مَنْ نفى الرؤيةَ بحجةِ نفي الإِدراك والإِحاطة! وبهذا يبقى معنى قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ قائماً في الدنيا والآخرة، وأَبصارُ المؤمنين التي ترى اللّهَ في الجنة لا تُدركُه ولا تُحيطُ به.

الفرق بين الأبصار والبصائر:

٥ - أَوردَ الكُلَيْنيُّ روايةً أُخرى في تقريرِ مذهبه في نفيِ رؤيةِ اللّهِ في الدنيا وفي الآخرة. قال: «قال أَبو عبد اللّه عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾: إحاطةُ الوَهْم. أَلا ترى إِلى قوله تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ [الأنعام: ١٠٤]. ليس يعني بَصَر العُيون ﴿ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ﴾: ليسَ يعني البصرَ بعينه. ﴿ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ﴾: ليس يعني عَمى العيون. إنما عنى إِحاطة الوَهْم، كما يُقال: فلانٌ بَصيرٌ بالشعر، وفُلانٌ بصيرٌ بالفقه، وفُلانٌ بَصيرٌ بالدراهم، وفلانٌ بصيرٌ بالثياب. اللّهُ أَعظمُ مِنْ أَنْ يُرى بالعين» [الكافي ١ : ٩٨].

استدلَّ أَبو عبد اللّه على عدمِ رؤيةِ اللّهِ في الدنيا والآخرة بقولِه تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ﴾ [الأنعام: ١٠٤].

وحجتُه على ذلك أَنَّ البصائرَ ليستْ بمعنى بَصَرِ العينِ ورؤيتِها، ولا يُرادُ بالإِبصارِ في الآيةِ رؤيةُ العين، كما أَنه لا يُرادُ بالعمى عَمى العُيون.

ونحنُ معه في أَنَّ الآية (١٠٤) تتحدثُ عن البصائر، وآية (١٠٣) قبلَها تتحدثُ عن الأَبصار، وأَنَّ البصائرَ ليستْ بمعنى الأَبصار.

الحديثُ في الآية (١٠٤) عن البصائرِ القرآنية، التي قَدَّمَها اللّهُ للناس. أَخبرَ اللّهُ الناسَ أَنه آتاهم القرآنَ بصائرَ لقلوبهم وأَرواحِهم، وإِذا أَحسنوا فهمَ هذه البصائر فإنهم يُميزونَ بينَ الحقِّ والباطل. . . وعلى كُلِّ واحدٍ أَنْ يَختار، فإما أَنْ يختارَ هذه البصائرَ، فيُبصرَ بروحِه وقلبه الحقائق، وإِمّا أَنْ يَرُدَّ هذه البصائر، فيعَمى قَلْبُه، وتختلطَ عليه

الأُمورُ، ولا يُفَرِّقَ بين الحقائقِ والأَباطيل، وبذلك يكونُ من الخاسرين. . فالبصرُ والعَمى في الآيةِ ليس على العيون، وإنما على القلوب.

لكنَّ هذه الآيةَ لا تَنفي رؤيةَ اللّهِ في الجنة، كما ظَنَّ أبو عبد اللّه جعفرُ الصادق. وقد وَهِمَ وأخطأَ في قولِه: «اللّهُ أَعظمُ من أَنْ يُرى بالعين».

وقد أَثْبَتْنا النصوصَ من القرآنِ والحديثِ على أَنَّ عيونَ المؤمنين ترى اللّهَ العظيمَ في الجنة، وأَنَّ هذه الرؤية بدون إِدراكٍ أَو إِحاطة، لأَنَّ اللّهَ يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾.

العقول لا تحيط بالله:

٦ - روى الكُلَيْنِيُّ عن أَبي هاشم الجعفري قال: قلتُ لأَبي جعفر ـ محمد الباقر ـ قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾؟ فقال: يا أَبا هاشم: أَوهامُ القلوب أَدَقُّ من أَبصارِ العُيون، وأَنتَ قد تدركُ بوهْمِكَ السِّنْدَ والهِنْدَ والبلدانَ التي لم تَدخلْها، ولا تدركُها ببصرِك، وأَوهامُ القلوب لا تدركُه، فكيفَ بأَبصارِ العيون»؟ [الكافي ١ : ٩٩].

الإدراكُ قد يكونُ بمعنى التوهُّم والتخيُّل والتفكُّر، فيكونُ أَمْراً معنوياً، كتخيُّلِ السندِ والهند. وذَكَر أبو جعفر أَنَّ أَوهامَ القلوبِ لا تدركُ اللّه، فإِذا عَجَزَتْ عن إِدراكه وتخيُّله وتوهُّمِه، فكيفَ للأَبصار أَن تَفعَل ذلك؟!

وما ذَكَرَه أَبو جعفر متفقٌ عليه، وليس موضعَ خلاف، إنما الخلافُ في رؤيةِ العيونِ للّه، هو يعتبرُ نظرها للّه إِدراكاً وإِحاطةً وعلماً وتكييفاً، ولذلك ينفي إِمكانيةَ حصوله. ونحنُ نُفَرِّقُ بينَ الرؤيةِ والإِدراك، فالرؤيةُ مجردُ نَظَرٍ من بَعيد، ولا ينتجُ عنها إِدراك، فالعقولُ والقلوبُ والعيونُ كلُّها عاجزةٌ عن إِدراكِ اللّه، وتوهُّمِ صفاتِه، وتخيُّلِ أَفعالِه، لكنَّ هذا لا يَنفي رؤية عيونِ المؤمنينَ له في الجنة».

والعقولُ لا يُمكنُ أَنْ تُحيطَ باللّه، لأَنَّ الإحاطةَ بالشيء ناتجةٌ عن رؤيتِه وتَحديدِه، أَو عن تخيُّلِه في صورةِ مجسَّمةٍ محدَّدَة، واللّهُ سبحانه مُنَزَّهٌ عن التَّجسيمِ والتحديد!!

هل كل المخلوقات عرش لله؟:

٧ ـ أوردَ الكُلَيْنيُّ عن أبي عبدِ اللّه أقوالاً في تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

قال: سُئِلَ أبو عبدِ اللّه ـ جعفر الصادق ـ عن معنى قولِ اللّهِ عز وجل: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾؟ فقال: استوى على كُلِّ شيء، فليس شيءٌ أقربَ إليه من شيء!

وقالَ عبدُ الرحمن بنُ الحجاج: سألْتُ أبا عبدِ اللّه عليه السلام عن قولِ اللّه تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾؟ فقال: استوى في كُلِّ شيء، فليسَ شيءٌ أقرَبَ إليه من شيء، لم يَبْعُدْ منه بَعيد، ولم يَقْرُبْ منه قريب!! [الكافي ١: ١٢٧ ـ ١٢٨].

اعتبرَ أبو عبدِ اللّه العرشَ شامِلاً لكلِّ المخلوقاتِ التي خَلَقَها اللّه، وليسَ عرشاً خاصّاً للّه سبحانه، وجعلَ استواءَه سبحانه على العرشِ استواءَه على كُلِّ شيء من المخلوقاتِ التي خَلَقها اللّه.

واستواؤُه سبحانه على كلِّ المخلوقات التي خَلَقَها معناهُ تَساوي تلك المخلوقاتِ في قُرْبِها منه، وفي بُعْدِها منه، فلم يَقربْ منه قريبٌ منها، ولم يَبعدْ منه بَعيدٌ منها، وليس شيءٌ منها أقربَ إلى اللّه من غيره، فكلُّها في القربِ من اللّهِ سواء.

وعلى هذا التفسيرِ يكونُ معنى قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ تَساوي كُلِّ المخلوقاتِ في قُرْبِها من اللّه، وجَعْلِها كُلِّها بمنزلةٍ واحدة، ليس بعضُها بأقربَ من غيرِه، ولا بأبعدَ من غيرِه.

وعلى هذا التفسير يكونُ الاستواءُ صفةً للمخلوقات، وليس صفةً للّه سبحانه، وينفي هذا التفسيرُ وُجودَ عرشٍ للّه، لأنَّ كُلَّ المخلوقاتِ عرشٌ للّه.

ولو صَحَّ هذا التفسيرُ لأُسندَ الاستواءُ إلى المخلوقات، وليس إلى اللّه، ولما قالت الآية: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾، ولَقالت: استوت المخلوقاتُ عندَ اللّه!!

وهذا التفسيرُ باطلٌ ومردود، وهو تحريفٌ لمعنى الاستواءِ على العَرش، وإبطالٌ لمعنى الآية، ومُخالفٌ لما فهمه منها السلفُ الصالحُ من الصحابةِ والتابعين.

لقد أَخبرَ اللّهُ في أَكثرَ من آيةِ أنه خَلَقَ السماواتِ والأَرضَ وما بينهما في ستةِ أَيام، ثم استوى على العرش، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

ولا يُرادُ بالعرش جميعُ المخلوقاتِ التي خَلَقَها اللّه، إذ لو أُريدَ به كُلُّ تلك المخلوقات، لما كان في ذِكْرِه بالمفردِ والنَّصِّ على استواءِ اللّه عليه فائدة.

العرشُ مخلوقٌ عظيمٌ خَلَقه اللّه، ولا يَعلمُ حَجْمَه وسَعَتَه إلاّ اللّهُ، وَوَصَفَ اللّهُ نفسَهُ بأنه ربُّه. قال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦]. وقال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩].

وإِذا كان هذا العرشُ الضخمُ موصوفاً بأنه عرشٌ عظيم، فهو خَلْقٌ خاصّ، وليس شاملاً لكلِّ المخلوقاتِ الكبيرة والصغيرة.

هل معنى «استوى» تساوى؟:

ليس معنى «استوى»: تَساوَت المخلوقاتُ في قُرْبِها من اللّه، لأَنَّ فعْلَ «استوى» تَعدَّى إلى ما بعدَه بحرفِ «على» فهو استواءٌ على عرشٍ عظيم.

إنَّ معنى قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ أَنَّ اللّهَ خَلَقَ ذلك العرشَ العظيمَ الكريمَ الضخم، واستوىٰ عليه، استواءً يليقُ بعظمتِه وجلالِه سبحانه وتعالى.

ونحنُ مأْمورونَ بالإيمان بكلِّ ما وَرَدَ في القرآنِ عن ذاتِ اللّه وأَسمائِه وصفاتِه وأَفعالِه، ولا يجوزُ أَنْ نَنفيَ بعضَه عن اللّه بحُجَّةِ تنزيهه سبحانه. لكنَّنا نُسجلُ عَجْزَنا عن إدراكِ كيفيةِ أَفعالِ اللّه سبحانه، لأَنَّ معرفةَ الكيفيةِ مبنيةٌ على معرفةِ الذاتِ والماهية، وبما أَننا لم نَرَ اللّهَ بعيونِنا في الدنيا، فإننا لا نعرفُ كيفياتِ صفاتِ اللّهِ وأَفعالِه.

وفي موضوع الاستواءِ نقول: نُؤمنُ أَنَّ اللّه خَلَقَ عرشَه العظيمَ، ثم استوىٰ عليه سبحانه، استواءً يَلِيقُ بعظمتِه، ونحنُ لا نعرفُ كيفيةَ استوائِه عليه، لكنَّ عدمَ معرفتِنا

بالكيفيةِ لا يَعني أَنْ نُنكرَ ذلك الاستواء!

وقد سُئِلَ الإمامُ مالِكُ بن أَنسٍ رضي اللّه عنه عن الاستواء. فقيل له: كيفَ الرحمنُ على العرشِ استَوى؟ فأَجابَ رحمه اللّه: الاستواءُ غيرُ مجهول، والكيفُ غيرُ مَعْقول، والإيمانُ به واجب، والسؤالُ عنه بدعة!!

هل الله في كل مكان؟:

ناقَشْنا رواياتِ الكُلَيْنيِّ في معنى استواءِ اللّهِ على العرش، ورَدَدْنا تلك الرواياتِ المنسوبة إلى أَبي عبدِ اللّه، وذَكَرنا الراجحَ في الموضوعِ والدليلَ عليه.

العرشُ عند الشيعةِ الإماميةِ ليس كما هو عند أَهْلِ السنةِ والجماعة، وفَهْمِ الصحابةِ والتابعين للآيات. قال المجلسيُّ نَقْلاً عن الصَّدوق في كتابِ «العقائد»: «اعتقادُنا في العرشِ أنه جملةُ جميعِ الخَلْق. وفي وجهٍ آخرَ هو العلم» [الكافي ١ : ١٢٨ حاشية].

كلُّ المخلوقاتِ عند الشيعة عَرْش. والعرشُ في قولٍ آخرَ عندهم هو العلمُ.

٨ - روى الكُلَيْنيُّ عن أَحمدَ بن محمدٍ البَرقيِّ حادثةَ اجتماعِ «الجاثليق» - كبيرِ قساوسةِ النصارى - بعليِّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه.

فكانَ من جملةِ ما قال له: أَخبِرْني عن اللّهِ عز وجل، أَينَ هو؟

فقال عليٌّ رضي اللّه عنه: هو ها هُنا، وها هُنا، وفوقَ وتحت، ومحيطٌ بنا، ومَعَنا. وهو قولُه تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ . . ﴾ [المجادلة: ٧] فالكرسيُّ مُحيطٌ بالسماواتِ والأَرض وما بينَهما وما تحت الثَّرى. وذلك قولُه تعالى: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] [الكافي ١ : ١٣٠].

تَزعمُ الروايةُ أَنَّ عليَّ بنَ أَبي طالبٍ رضي اللّه عنه يَرى أَنَّ اللّهَ موجودٌ في كلِّ مكان، فهو ها هُنا، وها هُنا، وفوقَنا وتحتَنا، ومعَنا ومحيطٌ بنا. وأَنَّ هذا الوجودَ وجودٌ حقيقيٌّ ماديٌّ مجسَّم!

ونحنُ نشكِّكُ في صحةِ هذه الرواية، وفي نسبتها إلى عليٍّ رضي الله عنه، فهذا الكلامُ لا يَصدرُ عن هذا الصحابيِّ الجليلِ العالم، لأنه لا يمكنُ أَنْ يُخالِفَ القرآنَ، وهو من أَعلمِ الصحابةِ بالقرآن!

الله في السماء سبحانه:

القرآن صريح في أَنَّ اللهَ ليس في كل مكان، وإنما هو في السماء. وعلى هذا قولُه تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [الملك: ١٦ ـ ١٧].

وليس معنى كونِ اللهِ في السماءِ ـ كما تُقررُ الآياتُ ـ أَنَّ السماءَ تحويهِ سبحانَه، أَو أَنه مَحصورٌ فيها، فاللّهُ سبحانه لا تَحصرُه جهة، ولا يحويه مكان، وإنما هو في السماءِ، على ما يَليقُ به من جمالٍ وكمالٍ وجَلال، ونحنُ لا يمكنُ أَنْ نُدركَ كيفيةَ كونِه في السماء، فنُثبتُ أَنه في السماءِ، بدونِ تكييفٍ أو تجسيمٍ أَو تحديد.

ويجبُ علينا أَنْ نُثبتَ للهِ العُلُوَّ، وقولُنا: إنه سبحانه في السماءِ ـ كما يَليقُ بجلالِه ـ يُحققُ هذا العُلُوّ.

وآياتُ القرآنِ تُثبتُ للّه العُلُوَّ. قال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وقال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]. فاللّه العليُّ الأَعلى، وهو في السماءِ سبحانه.

ويُخطىءُ من يقولُ: إنَّ اللهَ في كُلِّ مكانٍ، هنا وهناك. وفوْقَ وتَحْت. ولا يمكنُ لعليِّ بن أَبي طالب رضي الله عنه أَنْ يقول ذلك، وإنما يقولُ ذلك ويؤمنُ به الشيعةُ والمتصوفة، وهو مردودٌ لأَنه يُخالفُ صَريحَ القرآن.

الله مع الناس بعلمه وسمعه وبصره:

استشهدت الروايةُ المزعومةُ على أَنَّ الله هنا وهناك وفي كُلِّ مكانٍ بآيتين:

الأُولى: قولُـه تعـالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا

كَانُوٓاْ . . ﴾ [المجادلة : ٧].

أَخذت الروايةُ الآيةَ على ظاهِرها المجسَّم، فإذا وَقَفَ ثلاثةُ أَشخاصٍ يتَناجونَ سِراً كانَ اللّهُ رابعَهم واقِفاً معهم، وإذا وقَفَ خمسةُ أَشخاص، كان اللّهُ سادسَهم، واقِفاً معهم، وأَينما وُجدتْ مجموعةٌ من الناسِ كانَ اللّهُ واقِفاً معهم! ولا أَدري ماذا يقولُ أَصحابُ هذه الروايةِ عندما تتعددُ المجموعاتُ في الوقتِ الواحدِ على الأَرض، وكيفَ سيقفُ اللّهُ مع كل مجموعة؟؟

الآيةُ التي استشهدَ بها أَصحابُ الروايةِ لا تتحدثُ عن المعيةِ المادِّية المجسَّمة، فيستحيلُ أَنْ نُجَسِّمَ اللّهَ بصورةٍ مُجَسَّمةٍ محسوسة، وهذا كفرٌ باللّه، إنما تتحدثُ الآيةُ عن شمولِ علمِ اللّهِ لكلِّ شيء، وإِحاطتِه بالناس، فاللّهُ مع المتناجينَ الأَربعةِ بعلْمِه، ومع المتناجين الخمسةِ بعلمِه، ومع كُلِّ إنسانٍ بعلْمِه، ومع كلِّ مجموعةٍ من الناسِ بعلمه.

وكم كانَ الإمامُ أَحمدُ بنُ حنبل رحمه اللّه بَصيراً فَطِناً عندما قالَ عن معيةِ اللّهِ في الآية: افتُتحت الآيةُ بالعلْم: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ واختُتمت الآيةُ بالعلْم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ فمعيتُه سبحانه معيةُ علم. .

الثانية: قولُه تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة: ٢٥٤] وبما أَنَّ كرسيَّ اللّهِ وسعَ السماواتِ والأَرض، فهو سبحانه موجودٌ في كلِّ مكان!!

وهذا فهمٌ خاطىءٌ للآية، فهي تتحدَّثُ عن سَعَةِ كُرْسيّه سبحانه، لقد وسعَ السماواتِ والأَرض كلَّها، ولا يعلمُ مقدارَ حجْمِه إلاّ اللّه. ولا يلزمُ من كونِ كرسيِّه وسعَ السماواتِ والأَرضَ أَنَّ اللّه موجودٌ في كُلِّ مكانٍ في السماواتِ والأَرض. فاللّهُ في السماء بما يليقُ بجلالِه.

هل حملة العرش هم العلماء؟:

٩ ـ نَسَبَ الكُلَيْنيُّ لعليِّ بن أَبي طالب رضي اللّه عنه قولَه: إنَّ حملةَ عرشِ الرحمنِ هم العلماء، لأَنَّ المرادَ بالعرش العلمُ.

وزَعَم راوي الرواية أَنَّ علياً رضي اللّه عنه قال لجاثليق النصارى: «. . **الذينَ يَحملونَ العرشَ هم العُلماء، الذين حَمَّلَهم اللّهُ عِلْمَه. . وكيفَ يحملُ حملةُ العرشِ اللّهَ، وبحياتِه حَيِيتْ قُلوبُهم**»؟ [الكافي ١ : ١٣٠].

وجْهُ الخطأ في هذا الكلامِ تأويلُ العرشِ بالعلْم، فالمرادُ بعرشِ اللّهِ علمُه المحيطُ بكلِّ شيء. وسَبَقَ أَنْ أَبطلْنا هذا التأويل، وذكَرْنا أَنَّ أهلَ السنةِ والجماعةِ يؤمنونَ بأَنَّ للّهِ عرشاً كريماً عظيماً مادياً حقيقيّاً، لا يعلمُ حَجْمَه إلاّ اللّه. . .

وبما أَنَّ العرشَ ليس العلم، فإِنَّ حَملةَ العرش ليسوا العلماءَ الذين تَعَلَّموا العلمَ وتَحَمَّلوه، وإِنما هم ملائكةٌ خَلَقهم اللّه، وأَمَرَهُم بحمْلِ عرشِه سبحانه. قال اللّه عنهم: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [غافر: ٧]. وقال تعالى عنهم: ﴿ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴾ [الحاقة: ١٧].

وهم يَحملونَ العرشَ ولا يَحملونَ اللّهَ سبحانه، فاللّهُ هو الخالقُ القويُّ العظيم، ولا يمكنُ للمخلوقِ أَنْ يَحمِلَ الخالق، ولذلك كانَ كلامُ الروايةِ باطلاً، عندما قالتْ: «وكيف يحملُ حملةُ العرشِ اللّه»؟

ولا يمكنُ لعليٍّ رضي اللّه عنه أَنْ يَقولَ هذا الكلامَ المتعارضَ مع حقائقِ القرآن، فهو مفترى عليه.

هل حملة العرش أئمة آل البيت؟:

نسبَ الكلينيُّ لأَبي عبدِ اللّه ـ جعفرَ الصادق رحمه اللّه ـ كَلاماً خطيراً حولَ العرشِ وحَمَلَتِه. قالَ: «**قال أبو عبد اللّه عليه السلام: حَمَلَةُ العَرْش ـ والعرشُ العلمُ ـ أَربعةٌ مِنّا، وأَربعةٌ ممن شاءَ اللّه**»! [الكافي ١ : ١٣٢].

الخطأُ في هذه الروايةِ تأويلُ العرشِ بالعلم، وصَرْفُهُ عن معناهُ الصحيحِ المذكورِ في القرآن.

والخطأُ الأَكبرُ والأَفظعُ جعْلُ حملةِ العرش الثمانية مجموعتَيْن: المجموعةُ

الأُولى: أَربعةٌ من أَئمةِ الشيعة. والمجموعةُ الثانيةُ: أَربعةٌ من غيرهم.

وفي هامش الصفحة (١٣٢) المذكورةِ كلامٌ منقولٌ عن «الوافي» للكاشاني، حيثُ نَقَلَ عن الإِمامِ موسى الكاظم ـ أَحَدِ أئمتِهم الإِثْنَيْ عشر ـ قولَه: «إذا كان يومُ القيامة كانَ حملةُ العرش ثمانية: أَربعةٌ من الأَولين، وهم: نوحٌ وإبراهيمُ وموسى وعيسى. وأَربعةٌ من الآخرين، وهم: محمدٌ وعليٌّ والحسنَ والحسين» [الكافي ١: ١٣٢ حاشية رقم: ٤].

وهذا كلامٌ باطل، فكيفَ يكونُ هؤلاء البشرُ الثمانيةُ حملةَ عرشِ الرحمنِ العظيم؟ وكيف يكونُ عليٌّ وابناه الحسنُ والحسينُ رضي اللّه عنهم مشاركين لأُولي العزمِ من الرسل في حَمْلِ العرش؟

إِنَّ حملةَ عرشِ الرحمن ثمانيةٌ من الملائكة: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ والمعدودُ مُبْهَمٌ مسكوتٌ عنه. فقد يكونُ أَفراداً أَو آلافاً أَو ملايينَ: ثمانيةُ أَفرادٍ من الملائكة، أَو ثمانيةُ آلافٍ من الملائكة، أَو ثمانيةُ ملايين منهم. . ولا نملكُ دليلاً على تعيينِ المعدود، ولذلك نُبقيه على إبهامِهِ، ونَكِلُ العِلْمَ به إِلى اللّه.

هل حمل الماء علم الله؟:

أَخبرَ اللّهُ أَنه خَلَق السماواتِ والأَرضَ في ستةِ أَيام، وأَنَّ عرشَه كان على الماء. قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧].

الآيةُ صريحةٌ في أَنَّ اللهَ خَلَقَ ماءً، لا نَعرفُ تفاصيلَ خَلْقِه، ثم خَلَقَ عَرْشَه العظيمَ، ثم وضعَ عَرْشَه على ذلك الماء، ثم خَلَق السماواتِ والأَرضَ بعد ذلك، في ستةِ أَيام.

ولكن للشيعةِ فهمٌ آخر للآية، سَجَّلَه الكُلَيْنيُّ مَنْسوباً إِلى أَبي عبد اللّه ـ جعفر الصادق ـ رحمه اللّه.

١٠ ـ روى الكُلَيْنيُّ عن داود الرَّقِّيِّ قال: سأَلْتُ أَبا عبدِ اللّه عليه السلام عن قول اللّه

عز وجل: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ . . .﴾ [هود: ٧]. . فقالَ له: ما يقولون؟

قالَ داود: يقولون: إنَّ العرشَ كانَ على الماء، والربُّ فوقه!

قال أبو عبد اللّه: كذبوا. مَنْ زَعَمَ هذا فَقَدْ صَيَّرَ اللّه مَحْمولاً، ووصَفَه بصفةِ المخلوق، ولزمَهُ أَنَّ الشيءَ الذي يحملُه أقوى منه!

قالَ داود: بيِّنْ لي جُعِلْتُ فِداك!

قالَ أبو عبد اللّه: إنَّ اللّه حَمَّلَ دينَه وعِلْمَه الماء، قبلَ أَنْ يكونَ أَرضٌ أو سماء، أَو جنٌّ أَو إنسٌ، أو شمسٌ أو قمر. . .» [الكافي ١: ١٣٢ ـ ١٣٣].

بدايةً نُقررُ رفْضَنا قولَ مَنْ قال: «إنَّ العرشَ كانَ على الماءِ والرّبُّ فوقَه»!! لأَنَّ هذا تجسيمٌ للّه سبحانه، وجعْلُه «مَحْمولاً» على العرش، وجعْلُ العرشِ الحاملِ أقوى من الرَّبِّ المحمول!!

ونقول: إنَّ اللّهَ خَلَقَ ماءً خاصّاً، وخَلَقَ عَرْشاً عَظيماً. . . ثم خَلَقَ السماواتِ والأَرضَ في ستةِ أيام، ثم استوى على عرشِه استواءً يَليقُ بجَلالِه وعظمتِه، ولا نعرفُ كيفيتَه!!

وبعدَ ذلك نُقَرِّرُ رَفْضَنا للكلام الذي نَسَبَتْه الروايةُ لأَبي عبدِ اللّه، والذي فَسَّرَ فيه قولَه تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾.

إنَّ الرواية تُؤَوِّلُ العرشَ بالعلم: «إنَّ اللّهَ حَمَّلَ دينَه وعِلْمَه الماءَ، قبلَ أنْ يكونَ أَرضٌ أو سماء. . ».

وهذا تأويلٌ للآيةِ مرفوض، وصرفٌ للفْظِ العرشِ عن ظاهرِه، وتحويلُه أَلى معنى العلم. . وكيف يحملُ ذلك الماءُ العلْمَ؟

إنَّ العرشَ المذكورَ هنا: «وكان عرشه على الماء» هو العرشُ العظيمُ الضخمُ الذي خَلَقَه اللّه، والذي ذكَرَتْه عدةُ آياتٍ من القرآن، أوردْنا بعضَها قبلَ قليل.

ولاية الأئمة والميثاق على بني آدم:

قالَ اللّهُ عز وجل: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ * أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ .. ﴾ [الأعراف: ١٧٢ ـ ١٧٣].

للشيعةِ تفسيرٌ خاصٌ لهذه الآيات، نَسَبَهُ الكُلَيْنِيُّ لجعفر الصادق رحمه الله.

١١ ـ روى الكُلَيْنِيُّ عن داود الرَّقِّيِّ كلاماً وحواراً جرى بينَه وبينَ أَبي عبدِ الله. أَوردْنا القسم الأول منه في المبحثِ السابق، ونكملُ بقيتَه هنا.

قالَ أبو عبد الله لداود الرقي: «... لمّا أرادَ اللّهُ أنْ يَخلقَ الخَلْق، نَثَرَهم بينَ يَدَيه، وقال لهم: مَنْ رَبُّكم؟

فأَوَّلُ مَنْ نطقَ رسولُ اللّه ﷺ، وأَميرُ المؤمنين عليه السلام، والأَئمةُ عليهم السلام، فقالوا: أَنتَ رَبُّنا، فَحَمَّلَهم العلمَ والدّين. ثم قالَ للملائكة: هؤلاء حملَةُ عِلْمي وديني، وأُمَنائي في خَلْقي، وهم المسؤولون.

ثم قال لبني آدم: أَقِرُّوا للّه بالربوبية، ولهؤلاءِ النَّفَرِ بالولايةِ والطاعة... قالوا: نَعَمْ رَبَّنا، أَقْرَرْنا. فقالَ اللّهُ للملائكة: اشْهَدوا. فقالت الملائكة: شهدْنا، على أَن لا يقولوا غداً: «إِنا كنا عن هذا غافلين، أَو يقولوا: إِنما أُشرك آباؤنا من قبل، وكنا ذرية من بعدهم، أَفتهلكنا بما فعل المبطلون».

يا داودُ: ولايَتُنا مؤكَّدةٌ عليهم بالميثاق..» [الكافي ١ : ١٣٣].

هَدَفُ هذه الروايةِ المزعومةِ جعلُ أَئمةِ الشيعةِ مُعَيَّنين من عند الله، منذُ الأَزَل، قبلَ خلق الناس. وتَدَّعي الروايةُ المزعومةُ أَنَّ اللّهَ جَمَعَ كُلَّ مَنْ سيخلُقُهم قبل خَلقِهم، وقالَ لهم: مَنْ ربُّكم؟ فأَوَّلُ مَنْ أَجابوا رسولُ اللّه ﷺ وعليٌّ رضي الله عنه والأَئمة، وقالوا: أَنت ربُّنا. فأَثْنى اللّهُ على الأَئمةِ. وقال عنهم: هؤلاءِ حَمَلَةُ ديني وعِلْمي، وأُمنائي في خَلْقي، وهم المسؤولون.

وتزعمُ الروايةُ أَنَّ اللّهَ أَمَرَ كُلَّ أَبناءِ آدمِ أَنْ يُقِرّوا له بالربوبية، وللأئمةِ بالولايةِ والطاعة، فأَقَرّوا، وأَشْهَدَ الملائكةَ على إقرارِهم.

وعَلَّقَ أبو عبدِ اللّه ـ في الكلامِ المنسوبِ له ـ على الروايةِ بقولِه لداود الرَّقّي: يا داودُ: ولايَتُنا مؤكَّدةٌ عليهم في الميثاق.

وهذه الروايةُ مردودةٌ باطلة، لأنها لم تُنْقَلْ بسندٍ صحيحٍ إلى رسولِ اللّهِ ﷺ، وبما أنها تتحدَّثُ عن أمرٍ غيبي، فلا بُدَّ فيها من صحةِ النقلِ إلى الرسولِ ﷺ، ولا يجوزُ لأيِّ مسلمٍ أَنْ يَتَحَدَّث عنْ عالَمِ الغيبِ إلاّ أَنْ يكونَ مُعْتَمِداً على آيةٍ قرآنيةٍ صريحة، أو حديثٍ مرفوعٍ للرسولِ ﷺ.

وبما أَنَّ هذه الروايةَ لم تُنْقَلْ عن رسولِ اللّه ﷺ، فلا يَصِحُّ أَنْ تُفَسَّرَ بها الآياتُ التي أوردْناها.

ما الميثاق الذي أخِذ على بني ادم؟:

يُخبرُنا اللّهُ في الآياتِ أنه أرادَ أَخْذَ الميثاقِ على البشريةِ كُلِّها، قَبلَ أن يَخلقَ أَفرادَها. فجَمَعَ كُلَّ الأفرادِ الذينَ سيخلُقُهم، منذُ آدمَ وحتى قيامِ الساعةِ، جَمْعاً خاصّاً غيبياً، لا نعرفُ كيفيتَه ولا تفاصيلَه، وكنا نحنُ من بين المجموعين، وكان من بينِ المجموعين الأنبياءُ والأولياء، والمؤمنون والكافرون. وأَشهدَ كُلَّ هؤلاء المجموعينَ على أنفسهم وسألهم: أَلستُ بربِّكم؟ قالوا: بلى، شهدْنا أنك أَنتَ ربُّنا.

وذكرت الآيةُ حكمة ذلك الجمعِ الغيبيّ، وهو إقرارُهم، وأَخْذُ العهدِ عليهم، بتوحيدِ اللّهِ تعالى وعدمِ الشركِ به، وذلك لئلا يقولوا بعد ذلك، مُعْتَذِرين عن شركهم: إنا كنّا غافلين عن توحيدِ اللّه، وإنما تابَعْنا آباءَنا على الشرك، فقد أَشركوا قبلَنا، وكنا ذريةً من بعدهم!

وهذا العهدُ المذكورُ في الآياتِ يُسَمّى: «عهدَ الفطرة» أيْ: أَنَّ الفطرةَ الإنسانيةَ تُقِرُّ بتوحيدِ اللّه.

وهكذا نرى أنه لا حديثَ في الآيةِ عن الإمامةِ والولاية، ولا عن أئمةِ الشيعة، ولا

ذكْرَ ولا تَخصيصَ لهؤلاءِ الأَئمة، لأنهم داخلونَ ضمنَ «بني آدم».. ولم يَقُل اللّهُ للملائكةِ عن الأَئمة: هؤلاءِ حَمَلَةُ ديني وعلمي، وأُمنائي في خلقي، وهم المسؤولون.. ولم يَقُل اللّهُ لكلِّ بني آدم: أَقِرّوا للّه بالربوبية، ولهؤلاءِ النفرِ بالولاية!!

هل وجه الله طريق الوصول إليه؟:

قال اللّه عز وجل: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨].

١٢ - لهذه الآيةِ معنى خاصٌّ عندَ الكُلَيْنيّ وطائفتِه. فقد روى الكُليْنيُّ عن الحارثِ ابن المغيرة قال: سُئِلَ أَبو عبدِ اللّه - جعفرُ الصادق - عن قولِ اللّهِ عز وجل: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾؟ فقال: ما يقولونَ فيه؟ قلتُ: يقولون فيه: يَهلكُ كُلُّ شيءٍ إِلاّ وجهَ اللّه. فقال: سبحانَ اللّه، لقد قالوا قولاً عظيماً، إِنما عَنى بذلك وَجْهَ اللّهِ الذي يُؤتى منه!! [الكافي ١: ١٤٣].

لما سُئِلَ أَبو عبدِ اللّه عن معنى قولِ اللّه: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾؟ سأَلَ عن معناهُ عندَ أَهْلِ السُّنَّة: ما يقولون فيه؟ فقال له الحارثُ بنُ المغيرة: معناهُ عندهم: كلُّ شيء هالكٍ إلاّ وجهَ اللّه! أَيْ: حَملوا الوجْهَ على ظاهرِه، وجَعَلوا للّه وَجْهاً يَليقُ بعظمتِه سبحانه.

ولكنَّ أَبا عبد اللّهِ رفضَ هذا المعنى، وحَمَلَ الوجْه على الجِهة، أَي: العملُ الذي يَعملُه صاحبُه، ويَتوجَّهُ به إِلى اللّه. ويكونُ معنى الآيةِ على هذا التفسير: كُلُّ الأَعمالِ تهلكُ وتُلغىٰ، إِلاّ العملُ الذي يَتَّجهُ به صاحبُه إِلى اللّه!

ووضَّحَ الكُلَيْنيُّ المعنى السابقَ بروايةٍ أُخرى عن أَبي عبد اللّه قال: **«كل شيء هالك إلا وجهه»: مَنْ أَتى اللّهَ بما أَمَر به من طاعةِ محمدٍ ﷺ، فهو الوجْهُ الذي لا يَهْلك، لأَنَّ اللّهَ يقولُ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾** [النساء: ٨٠].

ومعنى الروايتين عن أَبي عبد اللّه: كُلُّ الأَعمالِ التي يعملُها الناسُ هالكةٌ ومردودةٌ، وغيرُ مقبولة عند اللّه، إِلاّ العملَ الصالحَ الذي يعملُه المؤمنُ من أَجلِ اللّه، ويَتقربُ به إِلى اللّه، ويُقدمُه إِلى اللّه. فذلك العملُ يأْتي إِلى اللّه من وَجْهِ

وطريقِ الإخلاص.

والمعنى صحيح، فلا يَقبلُ اللّهُ من الأَعمال إلاّ ما كان خالِصاً له، يُبْتَغىٰ به وجهُه سبحانه. وعلى هذا قولُه تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩].

لكن هل هذا هو معنى الآية؟ وهل الوجْهُ فيها بمعنى الجهةِ والطريق؟ الجواب: لا.

تتحدَّثُ الآيةُ عن توحيدِ اللّه، وتخبرُ أَنه لا إله إلا هو، وأَنه وحده الخالقُ المعبود. وبما أَنَّ كُلَّ ما سواهُ مخلوق، فهو عُرْضَةٌ للموتِ والهلاكِ والفناء، وإذا كان كلُّ ما سواه هالِكاً، فإنه سبحانه وحْدَه هو الباقي.

فالمرادُ بالوجهِ في الآية وجْهُ اللّه. والهاءُ في: «وجهه» تَعودُ على اللّه. ونُثبتُ للّه وَجْهاً كريماً، يَليقُ بعظمةِ اللّهِ وجلالِه، وليس كوجوهِ المخلوقين.

والمرادُ بالوجْهِ أَيضاً الذات، من بابِ إطلاقِ الجزءِ وإرادةِ الكُل، أَيْ: كُلُّ المخلوقاتِ هالكة، إلاّ اللّهَ الخالقَ الباقي سبحانه.

وكلمةُ «شيء» في الآيةِ تُطلقُ على الموجوداتِ المادية، وليس على الأَعمالِ والطاعاتِ، والمرادُ بالهلاك في الآيةِ الموتُ والفناء، وليس الرَّدَّ والإبطالَ، وعلى هذا لا يمكنُ أَنْ يُرادَ بالوجْهِ الجهةُ والطريق.

وبمعنى هذه الآية قولُه تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۞ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ..﴾ [الرحمن: ٢٦ ـ ٢٧]. وقد وُصِفَ وَجْهُ اللّهِ بأَنه ذو الجلالِ والإكرام.

هل السبع المثاني هي أئمة الشيعة؟:

قالَ اللّهُ عز وجل: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧].

يُخبرُ اللّهُ رسولَه ﷺ أنه آتاهُ سَبْعاً من المثاني، وآتاهُ القرآنَ العظيم. والمرادُ بالسبع المثاني سورةُ الفاتحة. ودليلُ هذا قولُ رسولِ اللّه ﷺ عن سورةِ الفاتحة: «هي السبعُ المثاني والقرآنُ العظيمُ الذي أُوتيتُه».

والفاتحةُ سبعٌ لأنها سبعُ آيات، وهي «مَثانٍ» لأنها تُثنى وتُكرَّرُ عدةَ مراتٍ يومياً، فيجبُ قراءَتُها في كلِّ ركعةٍ في الصلاة، كما أنها تُقرأُ عدةَ مراتٍ يومياً خارج الصلاة.

والعطفُ في الآية: ﴿ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ من بابِ عطفِ العام ﴿وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ على الخاصِّ: ﴿سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾ لأنَّ الفاتحة ـ السبعَ المثاني ـ سورةٌ من سور القرآنِ العظيم.

وَوَصَفَ اللّهُ كتابَه في آيةٍ أُخرى بأنه «مَثانٍ». قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الزمر: ٢٣]. والقرآنُ مثانٍ: لأنه يُثْنى ويُقْرأُ ويُتْلى ويُكَرَّرُ دائماً، فما أَنْ يَخْتِمه المسلمُ حتى يعودَ إلى قراءتِه من جديد.

١٣ ـ لكنَّ الكُلَيْنيَّ يُقدِّمُ للمثاني معنى آخر. فقد روى عن أَبي جعفر ـ محمد الباقر ـ أَنه قال: «نَحنُ المثاني، الذي أَعطاهُ اللّهُ محمداً ﷺ، ونحنُ وَجْهُ اللّهِ نتقلَّبُ في الأرضِ بينَ أظهركم، ونحنُ عينُ اللّهِ في خَلْقِه، ونحنُ يَدُه المبسوطةُ بالرحمةِ على عبادِه، عَرَفَنا مَنْ عَرَفَنا، وجَهِلَنا مَنْ جَهِلَنا» [الكافي ١: ١٤٣].

يتحدَّثُ أَبو جعفر عن أئمةِ الشيعةِ الإثني عشر المعروفين، ويَصِفُهم بصفاتٍ خاصة، ويُنَزِّلُ عليهم بعضَ الآيات، مع أَنها لم تنزلْ فيهم، ولم تتحدَّثْ عنهم، ولم تنطبقْ عليهم. ومنها «المثاني». فهو يرى أَنه لا يُرادُ بالمثاني في قوله: ﴿ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾ سورةُ الفاتحة. وإنما الأئمةُ من آلِ البيت. وهم «مثانٍ» لأَنَّ الرسولَ ﷺ ثناهم وقَرَنهم بالقرآن، فيما نَسَبوا له قولَه: «كتابُ اللّه وعِتْرَتي» مع أَنَّ الحديثَ يقولُ: «كتابُ اللّه وسُنَّتي..».

هل أئمة الشيعة هم وجه الله وعينه؟:

اللّهُ يقولُ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۞ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦ ـ ٢٧]. ويَنسبُ الكُلَيْنيُّ إلى أَبي جعفر أَنَّ أئمةَ آلِ البيتِ هم وجْهُ اللّه: «ونحنُ وَجْهُ اللّه، نتقلَّبُ في الأَرضِ بين أَظهرِكم».

ويُخبرُ اللّهُ أَن له عيناً ـ سبحانه ـ وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ

عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩]. فينسبُ الكلينيُّ إلى أَبي جعفر أَنَّ عينَ اللّهِ هم الأَئمة: «ونحنُ عينُ اللّهِ في خلْقِه».

ويُخبرُ اللّهُ أَنَّ يديه مبسوطتان، يرزقُ عبادَه، ويُفيضُ عليهم من رحمته، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُۚ . .﴾ [المائدة: ٦٤]. فينسبُ الكلينيُّ إلى أبي جعفر أَنَّ أئمةَ الشيعةِ هم يدُ اللّهُ المبسوطةُ بالرحمةِ على عباده، يَرحمُ بهم عبادَه. .

وهذا صرفٌ للآياتِ عن معناها الصحيح، وهو مرفوضٌ باطل، ولذلك لم يَقُلْ به علماءُ أَهلِ السنة. . المثاني هو القرآن. ولِلّهِ عينٌ ووجهٌ ويَدان، نُثبتُ هذه الصفاتِ للّه، كما يَليقُ بعظمةِ اللّه، بدونِ تجسيمٍ أَو تكييفٍ أَو تحريف.

هل الأئمة هم أسماء الله الحسنى؟:

قالَ اللّهُ عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦۚ . .﴾ [الأعراف: ١٨٠].

أَخْبَرَنا اللّهُ أَنَّ له سبحانه أَسماءَ حسنى، وطَلَبَ منّا أنْ نَدعوهُ بها، كأَنْ نقولَ في دعائِنا: يا أَللّه، يا رحيم، يا حليم، يا جبار. .

فالأَسماءُ الحُسْنى هي التي سَمّى اللّهُ بها نفسَه، وذَكَرَها في القرآن، وقد ذَكَر مجموعةً مباركةً منها في قولِه تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۞ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢ ـ ٢٤].

١٤ ـ لكنَّ أَسماءَ اللّهِ الحسنى في رواياتِ الكُلَيْنيِّ ليستْ هي المذكورةَ في القرآن، والمعروفةَ عند العلماء، وإنما هي أَئمةُ الشيعة!

روى عن أَبي عبدِ اللّه ـ جعفر الصادق ـ أَنه قالَ في معنى قولِه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَاۖ . .﴾: نحنُ واللّهِ الأَسماءُ الحسنى، التي لا يَقبلُ اللّهُ من العبادِ

عَمَلاً إلاّ بمعرفتِنا» [الكافي ١ : ١٤٣ - ١٤٤].

ووردَ في التعليقِ على هذا القولِ العجيب: «كما أَنَّ الاسمَ يدلُّ على المسَمّى، ويكونُ علامةً له، كذلك هم عليهم السلام أَدِلّاءُ على اللّه، يَدُلّون الناسَ عليه، وهم علامةٌ لمحاسنِ صفاتِه وأفعالِه وآثارِه» [الكافي ١ : ١٤٤ حاشية: ١].

إنَّ هذا القولَ مردودٌ مرفوض، لأَنه يصرفُ كلماتِ القرآنِ عن معناها الصحيح، إلى معنى باطلٍ لا تدلُّ عليه، فأَسماءُ اللّهِ مشتقةٌ من صفاتِه، وهي قائمةٌ بذاتِ اللّهِ سبحانه، لا تنفصلُ عنه، فاللّه رحيمٌ حليمٌ كريم، وأَسماءُ اللّهِ أَزليةٌ ليس لها بداية، وأَبديةٌ ليس لها نهاية، قائمةٌ بذاته سبحانه.

فكيفَ يكونُ الأَئمةُ المخلوقون أَسماءَ اللّهِ الحسنى المذكورةَ في القرآن؟!

وتزعمُ الروايةُ المنسوبةُ إلى أَبي عبدِ اللّه أَنَّ اللّهَ لا يَقبلُ عبادةً ولا عَملاً من أَيِّ مسلمٍ إلاّ بمعرفةِ هؤلاءِ الأَئمة، والإيمانِ بأَنهم أَئمة، وأَنَّ اللّهَ جعلَهم أئمة، وأَنهم معصومون، وعندهم علمُ الأَوّلين والآخِرين. . . ومَنْ لم يُؤمنْ بالأَئمةِ هذا الإيمانَ فإنَّ اللّهَ لا يقبلُ عملَه مهما كان صالحاً!!

ومِنْ أَينَ أَتت الروايةُ المزعومةُ بهذا الشرط؟ وما دليلُ أَصحابِها عليه؟ مع أَنه لم يَرِدْ عليه أَيُّ دَليلٍ من القرآنِ أَو حديثِ رسولِ اللّه ﷺ!!

هل إحسان الخلق والصورة خاص بالأئمة؟:

قالَ اللّهُ عز وجل: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [غافر: ٦٤].

يمتنُّ اللّهُ على الناسِ بالنِّعَمِ التي أنعمَ بها عليهم، حيث هَيّأَ لهم الأَرضَ، وجَعَلَها قَراراً، وجَعَلَ السماءَ بناء، وأَعطى كلَّ واحدٍ منهم صورتَه الحسنةَ الجميلة. والإنسانُ هو أَحسنُ المخلوقاتِ صورة، لما فيه من تناسُقِ جسمه، وتكامُلِ خَلْقِه. . .

ولم تَجعلْ رواياتُ الكُلَيْنيِّ الخطابَ في الآيةِ عامّاً لكلِّ الناس، على اختلافِ الزمانِ والمكان، كما هو المفهومُ من سياقِها وأَلفاظِها، إنما جَعَلَها خاصَّةً بأَئمةِ

الشيعة، فهم وحْدَهم الذين صَوَّرهم اللّهُ فأحسنَ صُوَرَهم.

١٥ ـ نَقَلَ الكُلَيْنيُّ عن أبي عَبدِ الله ـ جعفر الصادق ـ قوله: «إنَّ اللّهَ خَلَقنا فأَحْسَنَ خَلْقَنا، وصَوَّرَنا فأَحْسَنَ صُوَرَنا، وجَعَلَنا عَيْنَه في عبادِه، ولسانَه الناطقَ في خَلْقِه، ويَدَهُ المبسوطةَ على عبادِه، ولسانَه الناطقَ في خَلْقِه، ويَدَهُ المبسوطةَ على عبادِه بالرأفةِ والرحمة، ووَجْهَهُ الذي يُؤْتَى منه، وبابَهُ الذي يدلُّ عليه، وخُزَّانَه في سمائِه وأَرضِه، بنا أَثمرتِ الأَشجارُ، وأَينعت الثمار، وجَرت الأَنهار، وبنا يَنزلُ غيثُ السماء، ويَنبتُ عشبُ الأرض، وبعبادتنا عُبِدَ اللّهُ، ولولا نحنُ ما عُبِدَ اللّهُ...» [الكافي ١: ١٤٤].

في هذا الكلامِ المنسوبِ لأَبي عبدِ الله من المبالغةِ ما فيه، حيثُ يُعطي للأَئمةِ من المنزلةِ ما يكادُ يُقَرِّبُهم إلى مستوى الآلهة، وكأَنَّهم شركاء لله!! وكيفَ يجعلُهم اللّهُ عَيْنَه ولسانَه ويَدَه ووَجْهَه؟! وهل هم آلهةٌ يُؤَثِّرون في هذا العالم، فتثمرُ بهم الأشجارُ، وتَيْنَعُ بهم الثمارُ، وتجري بهم الأَنهار، وينزلُ بهم الغيث، ويَنبتُ بهم العشب؟! وما معنى العبارةِ العجيبة «بعبادَتِنا عُبِدَ الله»؟ وكيف لولاهم لما عُبِدَ الله؟!

ومن المبالغةِ المرفوضةِ جملةُ: «إنَّ اللّهَ خَلَقنا فأحسنَ خَلْقَنا، وصَوَّرَنا فأَحسنَ صُوَرَنا»، وكأَنَّ أئمةَ آلِ البيت وحدهم هم الذينَ أَحسنَ اللّهُ خَلْقَهم وأَحسنَ صورَهم، وجَعَلَهم جنساً خاصّاً من البَشَر، متميِّزاً عن باقي الناسِ بخلْقِه وصورتِه، وكأَنَّ الآخَرينَ من المسلمين دونَهم في الخَلْقِ والتصويرِ والبشرية!!

وهذا كلامٌ باطل، وفيه تحريفٌ لمعنى الآية. فالخطابُ في قولِه تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ لكلِّ الناس، على اختلافِ الزمانِ والمكان، وعلى اختلافِ الأَديان والأَلوان. كلُّ الناس خَلَقَهم اللّهُ، وصَوَّرهم وأَحسنَ صُوَرَهم، مسلمينَ أو كافرين، عَرَباً أَو عجماً، وأَئمةُ آلِ البيت من هؤلاء الذين خَلَقهم، وصَوَّرهم فأَحسنَ صُوَرَهم.

ويُخاطبُ اللّهُ الناسَ جميعاً، مُمْتَنّاً عليهم بحسنِ صُوَرِهم، فيقولُ لهم: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ..﴾ [التغابن: ٣].

ويُخاطبُ اللّهُ كلَّ إنسانٍ مُمْتَنّاً عليه بإحسانِ صورتِه، فيقولُ له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا

﴿ ... غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ * ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ * فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ. . . ﴾ [الانفطار: ٦ ـ ٨].

على ضوءِ هذه الآياتِ الصريحةِ نفهمُ خَطَأَ الروايةِ المنسوبةِ لأَبي عبدِ اللّه، في تخصيصِ الخلْقِ والتصويرِ بأَئمةِ آلِ البيت!

هل الأئمة هم جنب الله؟:

قالَ اللّهُ عز وجل: ﴿ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴾ [الزمر: ٥٥ ـ ٥٦].

يَدعو اللّهُ الناسَ إلى اتباعِ القرآن، لِينجوا ويَفُوزوا يومَ القيامة، فإنْ لم يَفْعَلوا ذلك فسوفَ يتحسَّرونَ ويَندمونَ يومَ القيامة، وسوفَ تقولُ كُلُّ نفسٍ: يا حَسْرَتا على ما فَرَّطْتُ في جَنْبِ اللّه. .

ومَعنى التَّفريط: التَّقصير. والمرادُ بجنْبِ اللّه: حَقُّ اللّه وطاعَتُه وذِكْرُه، وتَنفيذُ أَوامره، واجتنابُ نواهيه.

وأَساسُ معنى الجنْبِ هو القُرب، وقد يكونُ الجنبُ والقربُ مادّياً محسوساً، كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ ﴾ [النساء: ٣٦]. فالصاحبُ بالجنبِ هو الصاحبُ الملازمُ لصاحبه، القريبُ منه، بحيثُ لا يفارقُه. وسُمِّيَ ذِكْرُ اللّه وتنفيذُ أَوامرِه جَنْباً له، لأَنه يُؤَدّي إلى القربِ من اللّه، بالتقربِ إليه بصالحِ الأَعمال، لنيلِ مرضاته.

١٦ ـ لكنَّ جنبَ اللّهِ في رواياتِ الكُلَيْنيِّ ليس بهذا المعنى، وإنما هو مُوَظَّفٌ لصالحِ أئمةِ الشيعة. روى الكُلينيُّ عن أَبي الحسن ـ موسى بن جعفر ـ في قولِ اللّه: ﴿ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ قال: «جَنْبُ اللّهِ أَميرُ المؤمنين عليه السلام، وكذلك مَنْ بَعْدَه من الأوصياءِ بالمكانِ الرفيع، إلى أَن يَنْتهيَ الأَمْرُ إلى آخرِهم». [الكافي ١: ١٤٥].

أَميرُ المؤمنينَ عليٌّ رضي اللّه عنه هو جَنْبُ اللّه، لأَنه مصاحِبٌ للّه وملازمٌ له، وقريبٌ منه، وكلُّ واحدٍ من الأئمةِ من بعدِه جَنْبُ اللّهِ، لقُربِه من اللّه، قُرْباً يُشابهُ قُرْبَ الصاحبِ من صاحبِه، وقُرْبَ الصَّديقِ من صَديقِه!

وعَلَّقَ على الروايةِ السابقةِ المنسوبةِ إلى موسى بن جعفر بكلامٍ يُؤكِّدُ هذا المعنى: **«الجنبُ: القُرْبُ. و«في جنب اللّه»: في قُرْب اللّهِ وجوارِه.. والصاحبُ بالجَنْبِ هو الرفيقُ في السفر، الذي يَصحبُ الإنسانَ، وكُنِّيَ عنه بالجَنْب، لكونه قريباً منه، مُلاصِقاً له.. وأُوِّلَ الجنبُ بعليٍّ عليه السلام لشدَّةِ قُرْبه من اللّه، وكذا الأئمةُ الهادون من ولده..»** [الكافي ١: ١٤٥ حاشية].

إنَّ تفسيرَ جَنْبِ اللّهِ في الآيةِ بأَئمةِ الشيعة، لقُرْبهم من اللّه، مرفوضٌ مردود، لأَنه باطلٌ وخطأ، وهَدَفُ المفَسِّرين بهذا التفسير إدانَةُ وتجريمُ أهلِ السنةِ والجماعة، لأَنهم لم ينظروا إلى أئمةِ الشيعةِ تلك النظرةَ المغالية، وبذلك كانوا مُفَرِّطين مُقَصِّرين في حَقِّهم، وسوفَ يندمُ كلُّ مَنْ لم يكن شيعيّاً يومَ القيامة، وسيقولُ: يا حسرتا على ما فرطت في جنب اللّه! أَيْ: يا حسرتي، لأني قَصَّرْتُ في نصرةِ جنْبِ اللّه، وهو الإمامُ الفلانيُّ من أئمةِ الشيعة!

الآية تتحدَّثُ عن حسرةِ الكافرِ يومَ القيامة، لأَنه لم يؤمنْ باللّه، وبذلك قَصَّرَ وفَرَّطَ في حَقِّ اللّه، ولم يَقُمْ بطاعةِ اللّه وتنفيذِ أَوامره، وبذلك لم يتقرب إلى اللّه بالعملِ الصالحِ، الذي يُقَرِّبُه من اللّه!!

هل ظلم الله بظلم الأئمة؟:

١٧ ـ روى الكُلَيْنِيُّ عن زُرارةَ قال: سأَلْتُ أَبا جعفر ـ محمدَ الباقر ـ عن قولِ اللّهِ عز وجل: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ..﴾ [البقرة: ٥٧] فقال: إنَّ اللّهَ تعالى أعظمُ وأعزُّ وأَجَلُّ وأَمْنَعُ من أَنْ يُظْلَم، ولكنَّه خَلَطنا بنفسِه، فجَعَلَ ظُلْمَنا ظُلْمَه، وولايَتَنا ولايَتَه، حيثُ يقول: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [المائدة: ٥٥]. يعني الأئمة منا..» [الكافر ١: ١٤٦].

الآيةُ الأُولى في سياقِ الإخبارِ عن تمردِ وعصيانِ بني إسرائيل، وأَخبرَ اللّهُ فيها أنهم بذنوبهم ومعاصيهم لم يَظْلِموا اللّهَ، ولم يوصِلُوا إليه أذىً أو ضَرّاً، لأَنه أَعَزُّ وأَجَلُّ من أَنْ يُؤْذِيَه أَحَدٌ، وإنما ظلموا بذلك أَنفسَهم، حيثُ حَرَموها من التوفيق، وأَوقعوها في العذاب.

تنفي الآيةُ قُدرةَ أَيِّ مخلوقٍ على ظُلْمِ اللّه. ونحنُ مع الروايةِ المنسوبةِ إلى أَبي جعفر في القِسْمِ الأَوَّلِ منها: «إنَّ اللّهَ تعالى أَعظمُ وأَعَزُّ وأَجَلُّ وأَمْنَعُ من أَنْ يُظْلَمَ» لأَنَّ هذا متفقٌ عليه.

ولكننا لَسْنا مع بقيةِ تلك الرواية، في قولِها: «ولكنه خَلَطَنا بنفسِه، فجَعَلَ ظُلْمَنا ظُلْمَه»! إنَّ الروايةَ تُخصصُ الآيةَ بأَئمةِ الشيعة، وتجعلُها إدانةً وتجريماً للذين لا يَنْظرون إليهم بمنظارِ الشيعةِ المغالي، وتُقَرِّرُ أنهم بذلك ظالِمون للأَئمةِ، هاضِمونَ لحقوقِهم، وهم بذلك ظالمونَ للّه، لأنَّ مَنْ ظَلَمَ الأئمةَ فقد ظلمَ اللّه!!

الآيةُ تُقررُ عودةَ نتيجةِ الظلمِ على الظالمِ نفسِه، والظالمُ هنا هو الذي قَصَّرَ في أَوامِرِ اللّه، أَو ارتكبَ ما حَرَّمَ اللّه، وهو الخاسِرُ بذلك، الظالِمُ لنفسِه، وما دَخْلُ الأَئمةِ في هذا؟ ولماذا نحملُ الآيةَ عليهم؟

وَهَبْ أَنَّ الآيةَ تَذُمُّ الذينَ يَظلمونَ الصالحين ويأْكُلونَ حُقوقَهم، فإنَّ هذا ليس خاصّاً بأَئمةِ الشيعة، وإنما هو عامٌّ في كلِّ الصالحينَ من المؤمنين، كالصحابةِ والتابعين، والعلماءِ والفقهاء، والدعاةِ والمصلحين والمجاهدين، على اختلافِ الزمانِ والمكانِ، فالذين يَظلمونَ هؤلاء الصالحين المصلحين يَظلمونَ أَنفسَهم بذلك، ويُعَرِّضونَها للعذاب.. ويَدخلُ في هؤلاء الصالحين أئمةُ آلِ البيتِ، الذين نُحبُّهم ونُثني عليهم، كمحمد الباقر وجعفر الصادق وموسى الكاظم..

وجملةُ: «ولكنَّه خَلَطَنا بنَفْسِهِ» كبيرةٌ منكرة، لأَنها لا تتفقُ مع تعظيمِ اللّهِ وإجلالِه، ولا تُقَدِّرُهُ حَقَّ قَدْرِه. فكيف يخلطُ اللّهُ أَئمةَ الشيعةِ بنفسِه؟ وما معنى هذا الخَلْط؟ اللهمَّ إنّا نبرأُ إليكَ من هذا الكلام!!

هل الولاية محصورة بالأئمة؟:

١٨ ـ نَسَبَت الروايةُ السابقةُ لأَبي جعفر قولَه: «. . **فجعَلَ ظُلْمَنا ظُلْمَه، وولايَتَنا ولايَتَه، حيثُ يقول:** ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ . .﴾ [المائدة: ٥٥]: **يَعني الأئمة مِنَّا. .**» [الكافي ١: ١٤٦].

تقصرُ الروايةُ ولايةَ الله على ولايةِ الأئمةِ، فَمَنْ لم يُوالِ هؤلاء الأَئمةَ لم يَتخذ اللّهَ ولياً. . كما تقصرُ الروايةُ «الذين آمنوا» على الأَئمة. فمعنى الآية: وليُّكم اللّهُ ورسولُه، وأَولياؤُكم الأَئمة، هم وَحْدَهم الأَولياءُ من البشر.

ونحنُ لا نُخرِجُ الأَئمةَ من الأولياءِ الصالحين، ونعتبرهم من أَولياءِ اللّه، ومطلوبٌ من المؤمنين موالاتُهم ومحبَّتُهم لصلاحِهم وتقواهم.

لكنَّنا لا نرى قصْرَ الولايةِ عليهم، كما فعلت الرواية، لأَنَّ «الذينَ» في قوله: «والذين آمنوا» اسْمٌ موصول، واسْمُ الموصولِ في القرآنِ من صِيَغِ العُموم، فهي ليستْ خاصَّةً بالأَئمةِ أَو غيرِهم. والجملةُ الفعليةُ «آمَنوا» صلةُ الموصول. والتقديرُ: إنما وليُّكم اللّهُ ورسولُه والمؤمنون.

ثم إِنَّ الآيةَ لم تُبْقِ «الذين آمنوا» على إبْهامِها، وإنما بَيَّنَتْها وفَسَّرَتْها بقولِها: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ هؤلاءِ هم الأَولياء، إِنهم المؤمنون الصالحون، الذين يَحرصونَ على إِقامةِ الصلاةِ وإِيتاءِ الزكاة، ويُكثرونَ من الركوع.

وأَئمةُ آلِ البيتِ الصالحون يَدخلونَ ضمنَ عُمومِ هؤلاءِ الأَولياء، لأَنهم مؤمنون ومُصَلّونَ ومُزَكّون، لكنَّ الآية ليستْ محصورةً فيهم، مَنفيةً عن مَنْ سِواهم.

والذينَ يَتَوَلَّوْن اللّهَ ورسولَه والمؤمنين الصالحين من الصحابة والتابعين، ومَنْ بَعدهم من العلماء والدعاةِ والأَولياء ـ ومنهم أئمةُ آلِ البيت كالباقرِ والصادقِ والكاظم ـ يكونون فائزين غالبين، لأَنَّ حزبَ اللّه هم الغالبون.

* * *

الأخطاء في كتاب الحجة

هل عليّ قيّم على القرآن؟:

من كُتُبِ الجزءِ الأَوَّل من «الكافي» كتابُ «الحُجَّة»، وقد خَصَّصَهُ الكُلَيْنِيُّ لذِكْرِ الرواياتِ في الاحتجاجِ لأَئمةِ الشيعة، وأَنَّ اللّهَ هو الذي عَيَّنَهم بأَسمائِهم أَئمةً معصومين مُلْهَمين، وجَعَلَهم حجةً له على المسلمين.

وذَكَرَ في بابِ «الاضطرارِ إِلى الحُجَّةِ» أَنَّ عليَّ بنَ أَبي طالبٍ رضي اللّه عنه هو حُجَّةُ اللّه على الصحابة، وهو «قَيِّمُ القرآن».

١٩ ـ سَجَّلَ الكُلَيْنيُّ حِواراً جرى بين منصورِ بن حازمٍ وأَبي عبد اللّه ـ جعفر الصادق رحمه اللّه ـ حولَ الحُجَّةِ والقَيِّم والقرآن..

قال أَبو عبدِ اللّه: **«قلتُ للنّاس: أَليسَ تَزعمونَ أَنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ كان هو الحُجَّةَ من اللّهِ على خَلْقِه؟ قالوا: بلى.. قلتُ: فحينَ مضى رسولُ اللّهِ ﷺ مَنْ كانَ الحُجَّةَ على خَلْقِه؟.. فقالوا: القرآنُ.. فنظرتُ في القرآن، فإِذا هو يُخاصِمُ به المُرْجِيُّ والقَدْرِيُّ والزنديق، والذي لا يُؤمِنُ به، حتى يَغلبَ الرجالَ بخصومتِه.. فعرفتُ أَنَّ القرآنَ لا يكونُ حُجَّةً إِلاّ بِقَيِّم، فما قالَ فيه من شيء كان حَقاً.. فقلتُ لهم: مَنْ قَيِّمُ القرآنِ؟.. قالوا: ابنُ مسعود كانَ يَعْلَم، وعمرُ يَعْلَم، وحذيفةُ يَعْلَم.. قلتُ: كلَّه؟.. قالوا: لا. فلم أَجِدْ أحداً يُقالُ إِنه يَعرِفُ ذلك كلَّه إِلاّ علياً عليه السلام... وإِذا كان الشيءُ بين القوم، فقال هذا: لا أَدري، وقال هذا: لا أدري، وقال هذا: لا أَدري، وقال هذا: أَنا أَدري... فأَشهدُ أَنَّ علياً كان قَيِّمَ القُرآنِ، وكانتْ طاعَتُه مفتَرَضَة، وكان الحُجَّةَ على الناسِ بعدَ رسولِ اللّه ﷺ، وأَنَّ ما قالَ في القرآنِ فهو حق..»** [الكافي ١ : ١٦٩].

هذا الكلامُ المنسوبُ إِلى أَبي عبدِ اللّه خطير، وتَبدو خطورَتُه فيما يلي:

ـ زعْمُه أَنَّ القرآنَ لا يَصلحُ أَنْ يكون حُجَّةً بنفسِه، لأَنه يَحتملُ عِدَّةَ مَعانٍ، فهو

حَمّالُ أَوْجُه، يَحْتَجُّ به المُرْجِيُّ والقدريُّ والزنديق! وهذا كلامٌ مردود. فالقرآنُ حُجَّة، وقد جعلَه اللهُ حُجَّةً وبياناً وتبياناً، ودَليلاً قاطعاً، وبُرهاناً ساطعاً، رغمَ أنه حَمَّالُ أَوْجُه، ورغمَ أَنَّ كُلَّ واحد يحتجُّ به، إلاّ أَنَّه لا يَشهدُ إلاّ لمن كان كلامُه صحيحاً، وهو يُسْقِطُ ويَدحضُ الآراءَ الباطلة.

ـ زعْمُه اشتراطَ القَيِّمِ على القرآن، فالقرآنُ لا يكونُ حُجَّةً إلاّ بقيِّم! وهذا اشتراطٌ مردود، لم يَرِدْ عن الصحابةِ والتابعين.

ـ زعْمُه أَنَّ الصحابةَ لا يَعْلمونَ مُعظَمَ معاني القرآن، ولذلك لا يصلحُ أَحَدُهم أَنْ يكونَ حُجَّةً للقرآن، وقَيِّماً على القرآن، ونَصَّ على أَنَّ ابنَ مسعودٍ وعمرَ وحذيفةَ رضي اللّه عنهم لا يعلمون كُلَّ معاني القرآنِ. . . وهذا صحيح، وما ادَّعى أَحدُهم أَنه يُحيطُ علماً بكلِّ معاني القرآن، لأنَّ هذا لا يمكنُ أَنْ يحصلَ لأَحَدٍ من المسلمين.

لقد كانَ الصحابةُ متفاوتين في فهمِ معاني القرآن، وكان المُقدَّمون منهم يَعلمونَ الكثيرَ منها، مثلُ ابنِ مسعود وابنِ عباس وحذيفةَ وأُبَيِّ بنِ كعب ومعاذِ بن جبل رضي اللّه عنهم.

ـ زَعْمُه أَنَّ عليَّ بنَ أَبي طالب رضي اللّه عنه كان الصحابيَّ الوحيدَ الذي يَعْلَمُ كُلَّ معاني القرآن، وأَنه أَحاطَ عِلْماً بكلِّ ما في القرآن، وأَنه يَدري ذلك كلَّه، ولهذا كان هو قَيِّمَ القرآن وَحْدَه. . وهو يَعلمُ كلَّ معاني القرآن، لأَنَّ اللّهَ خَصَّه بذلك من بين كُلِّ الصحابة، وعَلَّمَه إِياهُ تعليماً لدنيّاً خاصّاً، وخَصَّه رسولُ اللّه ﷺ وَحْدَه بذلك في جلساتٍ خلويةٍ خاصة، لم يشارِكْهما فيها أَحدٌ من الصحابة!!

وهذا زعْمٌ باطل، وكلامٌ مردود، عليٌّ نفسُه رضي اللّه عنه يَتبرأُ منه، ولم يصحَّ عنه كلامٌ يَدَّعي فيه هذا الادِّعاء! وقد سبقَ أَنْ قَرَّرْنا أَنه يَستحيلُ على أَيِّ مخلوقٍ أَنْ يُحيط عِلْماً بكلِّ معاني وعلومِ القرآن.

ونحنُ لا ننفي كونَ عليٍّ رضي اللّه عنه من أَعلمِ الصحابةِ بالقرآن، مِثْلُه في ذلك مِثْلُ ابنِ مسعودٍ وابنِ عباس وعُمَرَ وحذيفةَ رضيَ اللّهُ عنهم.

ولقد كان ابنُ عباسٍ رضي اللّه عنهما أَعلمَ الصحابةِ بالقرآن، لأَنه طالَ عُمُرُه بعدَ

موتِ كثيرٍ من الصحابةِ كعمر وعليّ. وهو الذي حازَ لَقَب «حَبْرُ الأُمَّة وترجمانُ القرآن». ومع ذلك لم يَدَّعِ أنه أحاط عِلْماً بكلِّ معاني القرآن!!

إننا نرفضُ الوصايةَ على القرآن، بتعيينِ «قَيِّم» عليه، يُقَدِّمُ معانيه للناس، ويكونُ كلامُه مُلْزِماً لمنْ بَعْدَه، لأنه حُجَّةٌ على الآخرين.. إنَّ القرآن كتابٌ مفتوحٌ معجز، وهو مُيَسَّرٌ للذكر، ويوجِّهُ الدعوةَ إلى كلِّ إنسانٍ لتعَلُّمه وفهمِه.

ونَرفضُ ادِّعاءَ العصمةِ لأيِّ مسلمٍ غيرِ رسولِ الله ﷺ. وأفهامُ الصحابةِ للقرآنِ عُرْضَةٌ للخطأ رغمَ صحَّتِها، لأنَّ أَصحابَها ليسوا معصومين، بمَنْ فيهم أَميرُ المؤمنين عليُّ بنُ أَبي طالبٍ رضي الله عنه.

الفرق بين الرسول والنبي والمحدِّث!:

النبيُّ والرسولُ كلمتانِ مُتَقاربتانِ في المعنى، لكنَّهما ليستا مترادفتَيْن، ومن المعلومِ أنَّه لا ترادُفَ في القرآن، فلا بُدَّ من الوقوفِ على الفرقِ بينهما..

والراجحُ في الفرقِ بينهما أنَّ النبيَّ أَعَمُّ من الرسول، فالرسولُ هو الذي أَنزلَ اللّهُ عليه رسالةً وشريعةً جديدة، وأَمَرَه بتبليغِها وتنفيذِ ما فيها، أمّا النبيُّ فهو الذي أَمَرَهُ اللّهُ بالالتزام برسالةِ وشريعةِ الرسولِ السابق، وأَمَرَه بتبليغها. فإبراهيمُ عليه السلام نبيٌّ ورسول، أَمَّا إسحاقُ عليه السلام فهو نبيّ.. وموسى عليه السلام نبيٌّ ورسول، أَمّا هارون عليه السلام فهو نبيّ. ولذلك نقول: كلُّ رسولٍ نبي، وليس كلُّ نبيٍّ رسولاً.

أَمّا الكُلَيْنِيُّ وجماعتُه فلهم تفريقٌ آخر بين النبيِّ والرسول. وقد عَقَدَ باباً في كتابِ الحُجَّةِ من «الكافي» للتفريقِ بين النبيِّ والرسولِ والمحدَّثِ والإمام.

٢٠ ـ رَوى عن زُرارةَ قال: سأَلتُ أبا جعفر عن قولِ الله عز وجل: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥١] ما الرسولُ؟ وما النبيُّ؟

قالَ: النبيُّ: الذي يَرى في منامِه، ويَسمعُ الصوت، ولا يُعايِنُ المَلَكَ.. والرسولُ: الذي يَسمعُ الصَّوْتَ، ويَرى في المنام، ويُعايِنُ المَلَك.

قلت: الإمامُ: ما منزلتُه؟

قال: يَسمعُ الصوتَ، ولا يَرى، ولا يُعاينُ المَلَك.. ثم تلا هذه الآية: «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا مُحَدَّث[1]..» [الكافي ١ : ١٧٦].

فَرَّقَ أبو جعفر في هذه الروايةِ بين مصطلحاتٍ ثلاثة: النبيِّ والرسولِ والإمام، ويقومُ الفرقُ بينها على الرؤيا المناميةِ والمشاهدةِ العينيةِ وسماعِ الصوت..

كلٌّ من النبيِّ والرسولِ يَرى في منامِه الرؤيا الصادقة، ويَسمعُ صوتَ المَلَكِ عندما يكلِّمُه، لكنَّ الفرقَ بينهما في مشاهدةِ المَلَك بعينَيْه، فالرسولُ يرى المَلَكَ أمامَه، لكنَّ النبيَّ لا يرى المَلَكَ بعينيه.

ولا أَدري من أَينَ جاءَ بهذا الفرقِ بينهما، وما دليلُه عليه، وهل اعتمَدَ في هذا على آياتِ القرآن؟ لأَنَّ القضيةَ غيبية، فلا بُدَّ من النصوصِ في بحثِها.

لا يوجَدُ هذا التفريقُ بين النبيِّ والرسولِ في القرآن، ومن المعلومِ أَنَّ النبيَّ والرسولَ يَرَيانِ المَلَكَ، الذي يُرسلُه اللّهُ إليهما، ويُخاطبُ كُلاًّ منهما، ويُوحي إليه بما كلَّفَه اللّهُ به، وهذا معناهُ أَنَّ كُلاًّ منهما يَرى المَلَكَ بعينَيْه، ويَسمعُ صوتَه وكلامَه بأُذُنيه، خِلافاً للكلامِ السابقِ المنسوبِ إلى أَبي جعفر.

أَما الرؤيا المناميةُ فإنها مشتركةٌ بين النبيِّ والرسولِ وغيرِهما من البشر، فكلُّ إنسان يَرى في منامه ما يَرى، والفرقُ في هذه الرؤيا.. إنْ رُؤْيا الأَنبياءِ والمرسلين حَقٌّ لا شَكَّ فيها، لأَنه لا سلطانَ للشيطانِ عليهم.

ولماذا لا يَرى النبيُّ المَلَكَ بعينَيْه؟ وما المانعُ من ذلك؟ وقد يَرى المَلَكَ غيرُ النبيِّ، كما حَصَلَ مع مريمَ رضي اللّه عنها، حين رأَتْ جبريلَ عليه السلام بعينيها..

وأَضافت الروايةُ المنسوبةُ إلى أَبي جعفرَ الكلامَ على الإمام، حيثُ ذكرت الفرقَ بين الإمامِ والرسول. والمقصودُ بالإمام هنا المعصومُ من أَئمةِ الشيعة، الذين يَنظرونَ له نظرةً خاصَّة، فيها ما فيها من التقديس والغُلُوِّ والمبالغة!!

---

(١) كلمة «ولا مُحَدَّث» مقحمة على الآية وليست في القرآن الكريم!

الإمامُ المعصومُ عند الشيعةِ يَسمعُ صوتَ المَلَكِ عندما يكلِّمه، لكنَّه لا يَراهُ، لا في المنامِ ولا في اليقظة. وهذا كلامٌ لا دَليلَ عليه فلا نأخذُ به؟ وكيف يَسمعُ الإمامُ صوتَ المَلَك عندما تُكَلِّمُه؟ وبماذا يكلِّمُه المَلَك؟ وماذا يقولُ له؟!

إضافة «ولا محدث» على الآية:

استشهد أبو جعفر على رأْيه في التفريقِ بين النبيِّ والرسولِ والإمامِ بآيةٍ من القرآن، أضافَ لها كلمةً من عنده. الآيةُ هي قولُه تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢].

هذه الآيةُ أُضيفَتْ لها كلمة «مُحَدَّث». فصارت: «وما أَرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا مُحَدَّث» فمن أَين جاءت كلمةُ: «ولا مُحَدَّث».

ونقلَ المعلقُ في الحاشيةِ توضيحاً عن «الوافي» للكاشاني. قال: «قولُه: «ولا مُحَدَّث» إنما هو في قراءةِ أَهْلِ البيت، عليهم السلام! هو بفَتْحِ الدّالِ المشَدَّدَة» [الكافي ١: ١٧٦ حاشية].

والمحَدَّثُ اسْمُ مفعول، وهو الذي يُلقىٰ إليه الحديثُ، وهو الإمامُ المعصومُ عند الشيعة، الذي قال عنه أَبو جعفر: «الإمامُ: يَسمعُ الصوتَ، ولا يَرى ولا يُعايِنُ المَلَك».

وهل الصوتُ الذي يسمعُه المحَدَّثُ الإمامُ المعصومُ صوتُ مَلَكٍ يَرسلُه اللّهُ إليه؟ وهل هذا الصوتُ يتضمَّنُ وَحْياً من اللّهِ إلى هذا المحَدَّثِ؟ وهل يوحي اللّهُ عن طريقِ المَلَكِ لغيرِ الرسولِ أَو النبي؟!

إنَّ هذا الكلامَ عن المحَدَّثِ مرفوض، لأَنه يتعارضُ مع مُقَرَّراتِنا، التي تَقْصُرُ نُزولَ المَلكِ بالوَحْيِ من اللّه على النبيِّ أو الرسول! ومهما ارتقىٰ المؤمنُ الصالحُ في الفضلِ والإمامةِ والولايةِ، فلنْ يُرسلَ اللّهُ إليه مَلَكاً، ولن يُنزلَ عليه وحياً!!

أَمّا إضافةُ كلمةِ «ولا مُحَدَّثٍ» على الآية فإنَّ هذا باطلٌ ومردود، لأَنها ليستْ من القرآن، ولا أَدري كيفَ اعتبرَها الكاشاني من قراءةِ أَهْلِ البيت؟ إنَّ القرآنَ محفوظٌ

مجموع، والذي مع المسلمين هو الذي أَنزلَه اللّهُ على رسولِه ﷺ، لم تُزَدْ عليه كلمة، ولم تُنْقَصْ منه كلمة!!

هل تجوز إضافة كلمة على الآية؟:

وقد أَوردَ الكلينيُّ روايةً أُخرى تؤكِّدُ الرواية السابقةَ في الفرقِ بين النبيِّ والرسولِ والمحَدَّث.. قال: «قالَ الرضا: الفرقُ بين الرسولِ والنبيِّ والإمام: الرسولُ هو الذي ينَزلُ عليه جبريل، فَيراهُ ويَسمعُ كلامَه، ويَنزلُ عليه الوحي، وربما رأى في منامه رُؤْيا، نحوُ رؤيا إِبراهيمَ عليه السلام.. والنبيُّ ربما سمعَ الكلامَ، وربما رأى الشخصَ ولم يَسمعْ.. والإِمامُ: هو الذي يَسمعُ الكلامَ ولا يَرى الشخص..».

وعَرَّفَ أَبو جعفر في روايةٍ ثالثةٍ المحَدَّث، فقال: «وأَمّا المُحَدَّثُ فهو الذي يُحَدَّثُ فيسْمَعُ، ولا يُعاينُ ولا يَرى في منامه».

وذَكَرَ الكُلَيْنِيُّ روايةً رابعةً عن أَبي جعفر وأَبي عبدِ اللّه في قولِ اللّهِ عز وجل: «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا مُحَدَّث» أَنه قرأَ الآيةَ هكذا. فقال له بريد: جُعِلْتُ فداك، ليستْ هذه قراءَتَنا، فما الرسولُ والنبيُّ والمُحَدَّث؟

قالَ: الرسولُ هو الذي يَظهَرُ له المَلَكُ فيُكَلِّمُه، والنبيُّ هو الذي يَرى في منامِه، وربَّما اجتمعت النبوةُ والرسالةُ لواحِدٍ، والمُحَدَّثُ هو الذي يَسمعُ الصوتَ ولا يَرى الصورة.

قال بريد: أَصْلَحَك اللّه: كيف يَعلمُ أَنَّ الذي رأى في النوم حَقّ، وأَنه من المَلَك؟ قال: يُوَفِّقُه اللّهُ لذلك حتى يعرفَه..» [الكافي ١ : ١٧٦ ـ ١٧٧].

يُصِرّونَ في هذه الروايةِ على ما ذكروهُ في الرواياتِ السابقة، من إضافَةِ المُحَدَّثِ أَو الإِمامِ المعصومِ إِلى النبيِّ والرسول، في أَنه يتلقّى نوعاً من الوحي، وهو سَماعُه صوتَ المَلَك وهو يكلمُه، دونَ أَنْ يراه، ولذلك جَعَلوهُ إِماماً معصوماً ورَجُلاً مُحَدَّثاً. وسبقَ أَنْ سَجَّلْنا رفضَنا لهذا القول، لأَنه لا وحيَ إِلاّ لنبيٍّ أَو رسول. وبابُ الوحيِ أُغلقَ بعد وفاةِ رسولِ اللّه ﷺ، ولا وَحْيَ بَعْدَه لإِمامٍ معصوم أَو مُحَدَّثٍ أَو أَيِّ وليٍّ صالح..

كما أنهم في هذه الروايةِ يُصِرّونَ على إضافةِ كلمةِ «ولا مُحَدَّثٍ» إلى الآيةِ القرآنية، وقراءتِها معها.

وماذا يُسَمّونَ إضافةَ كلمةٍ بشريةٍ إلى الآيةِ القرآنيةِ وقراءتها معها؟ وهل يَجوزُ لأيِّ مسلمٍ أنْ يَزيدَ على القرآنِ كلمةً واحدة، أو يشطبَ منه كلمةً واحدة؟!

هل الأئمة هم الأعراف؟:

٢١ ـ ذَكَرَ الكُلَيْنِيُّ أنَّ ابنَ الكَوّاءِ جاءَ إلى أميرِ المؤمنين عليٍّ رضي الله عنه يسألُه عن معنى قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَىٰهُمْ﴾ [الأعراف: ٤٦]. فقال له عليٌّ: «نحنُ على الأعراف، نعرفُ أنصارَنا بسيماهُم، ونحنُ الأعراف، الذينَ لا يُعْرَفُ اللّهُ عز وجل إلاّ بسبيلِ معرفتِنا، ونحنُ الأعرافُ يُعرِّفُنا اللّهُ عز وجل على الصراط، فلا يَدخلُ الجنةَ إلاّ مَنْ عَرَفَنا وعَرَفْناه، ولا يَدخلُ النارَ إلاّ مَنْ أنْكَرَنا وأنكرْناه.. إنَّ اللّه تبارك وتعالى لو شاءَ لَعَرَّفَ العبادَ نفْسَه، ولكنْ جَعَلَنا أبوابَه وصِراطَه وسَبيلَه، والوَجْهَ الذي يُؤْتىٰ منه، فمن عَدَلَ عن ولايتِنا أو فَضَّلَ علينا غَيْرَنا فإنَّهم عن الصراطِ لناكبون..» [الكافي ١: ١٨٤].

هذا كلامٌ منسوبٌ لعليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه، ولا تَصِحُّ نسبتُه إليه، ولا يَتفقُ مع فهْمِ عليٍّ للقرآن، والتزامِه به.. وفي هذا الكلامِ ما فيه من الغُلُوِّ والمبالغة، ومن التأويلِ والتحريف، وصَرْفِ الآيةِ عن معناها الظاهرِ الواضحِ إلى معنى آخر لا تنطبقُ عليه ولا تشملُه.

الآيةُ المذكورةُ في هذه الروايةِ ضمنَ آياتٍ من سورةِ الأعراف، تتحدَّثُ عن الناسِ يومَ القيامة: أصحابِ الجنة، وأصحابِ النار، وأصحابِ الأعراف، وما بينَ الطوائفِ الثلاثةِ من حوارٍ ونداءٍ وكلام.

ويهُمنا هنا حديثُ الآياتِ عن أصحابِ الأعراف. قال تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَىٰهُمْ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ۞ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ

﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٤٦ ـ ٤٩].

يُلاحَظُ أَنَّ الآياتِ لا تتحدَثُ عن السُّنَّةِ والشيعةِ والأَئمةِ، إنما تتحدَّثُ عن يومِ القيامة، وتُخبرُ عن مكانٍ بين الجنةِ والنار، اسْمُه الأَعراف، وتُخبرُ عن وجودِ رجالٍ على الأَعراف، موجودين في هذا المكان، وهم يَطَّلِعونَ على أَهْلِ الجنةِ وأَهْلِ النار، ويَعرفونَ أَهلَ الجنةِ بسيماهم المشرقة، وأَهْلَ النارِ بسيماهم العابسة: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ﴾ وعندما يَنظرُ أَصحابُ الأَعرافِ إِلى أَصحابِ الجنة يَفْرَحونَ ويُسَلِّمون عليهم، وهم يَعلمون أَنهم لم يَدخُلوا الجنة، لكنَّهم يَطْمَعون في دخولها: ﴿وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾.

وعندما يَنظرونَ إِلى أَهْلِ النار يَدْعونَ اللّهَ أَنْ لا يَجعلَهم معهم: ﴿۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

ويُنادي أَصحابُ الأَعرافِ أَصحابَ النار، يَسْخَرونَ منهم ويتهكَّمون عليهم، يقولونَ لهم: لم يَنفعْكم ما جَمعتموه في الدنيا، والذين كنتم تسخرون منهم في الدنيا ها هم مُنَعَّمون في الجنة: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ۞ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾.

بهذا نَعرفُ خطأَ الكلامِ المنسوبِ إِلى عليٍّ رضي اللّه عنه ـ والذي نُرجحُ أَنه لم يَقُله ـ. ولا يُمكنُ أَنْ يكونَ أَئمةُ الشيعةِ هم الأَعرافَ.

ومعنى قوله: «نَعْرِفُ أَنصارَنا بسيماهم»: نعرفُ شيعَتَنا بأَشكالِهم وملابِسهم.

هل الإيمان بالأئمة الأعراف شرط في الدين؟:

ومن الغلوِّ والمبالغةِ في الكلامِ السابقِ زَعْمُه أَنَّ اللّهَ لم يُعْرَفْ إِلاّ عن طريقِ معرفةِ الأَئمة، ولو لم يوجَدْ هؤلاء الأَئمةُ لما عَرَفَ اللّهُ أَحَدٌ!!

ومن الغُلُوِّ والشططِ أَيضاً زَعْمُهُ أنه لا يَدخلُ الجنة إِلاّ مَنْ عَرَفَ هؤلاءِ الأَئمةَ في الدنيا، وأَطاعَهم وتبعَهم، وهم يومَ القيامة يَعْرفونَ مَن اتَّبعهم، ويَعترفونَ به، ويُدخلونَه

الجنة، ومَنْ لم يكنْ كذلك فإنهم يُنكرونَه، وبذلك يَدْخُلُ النّار!!

وهذا افتراءٌ على الدين، وزيادةٌ عليه ما ليس فيه، ولا دَليلَ على هذه الزيادةِ الباطلة، لا من كتابٍ ولا من سُنَّة.

والعَجيبُ أَنَّ الكُلَيْنِيَّ وطائفتَه يَزيدونَ على الدينِ ما ليس منه، ومن ذلك جعلُهم الإيمانَ بالأَئمةِ المعصومين من أَركانِ الإيمان، ومَنْ لم يُؤْمِن بهم هذا الإيمانَ فهو كافرٌ مخلَّدٌ في النار.

روى الكُلَيْنِيُّ عن أَبي عبدِ اللّه قولَه: **إنَّ الحُجَّةَ لا تَقومُ للّه على خَلْقِه إلاّ بإمام.** [الكافي ١: ١٧٧].

وروى عن أَبي جعفر قولَه: **لو أَنَّ الإمامَ يُرفعُ من الأَرض ساعةً لماجَتْ بأَهْلها، كما يَموجُ البحرُ بأَهْلِه.** [الكافي ١: ١٧٩].

وروى عن عليٍّ قولَه: **لا يكونُ العبدُ مؤمناً حتى يعرفَ اللّهَ ورسولَه، والأَئمةَ كُلَّهم، وإِمامَ زمانِه، ويَرُدَّ إِليه، ويُسَلِّمَ له..** [الكافي ١: ١٨٠].

وروى عن أَبي جعفر قولَه: **إنما يَعرفُ اللّهَ عز وجل ويَعبدَه مَنْ عَرَفَ اللّهَ وعَرَفَ إمامَه منّا أَهْلَ البيت، ومَنْ لا يَعرفُ اللّهَ ولا يَعرفُ الإمام منّا أَهْلَ البيت، فإنما يَعرفُ ويَعبدُ غَيْرَ اللّه.** [الكافي ١: ١٨١].

تدلُّ هذه الرواياتُ على أَنَّ الشيعةَ يَزيدونَ على أَركان الإِيمان الستةِ التي عندنا الإيمانَ بالأَئمةِ المعيَّنين المعصومين، وليس لهم على هذه الزيادة دليلٌ من القرآنِ أَو السنة!!

هل الحكمة معرفة الإمام فقط؟:

قالَ اللّهُ عز وجل: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

٣٢ـ روى الكُلَيْنِيُّ عن أَبي عبدِ اللّه قولَه في معنى الآية: «الحكمةُ هي: طاعةُ اللّه، ومعرفةُ الإمام» [الكافي ١: ١٨٥].

والحكمةُ في الآيةِ عامَّة، وتَعني حُسْنَ الفهم والعلم والوَعْي والبصيرة، والفقهَ في الدينِ والحياة، ودقَّةَ النظرِ والتصرف. . . وينتجُ عن ذلك طاعةُ اللّهِ، بتنفيذِ أوامرِه وتَرْك محرَّماته. .

خَصَّصَت الروايةُ الحكمةَ بمعرفةِ الإمام، والإيمانِ بأَنَّ الإمامَ المعصومَ المعيَّنَ من عند اللّه جزءٌ من الإيمانَ، فإنْ لم يَعرف الإمامَ هذه المعرفة، ولم يُؤْمِنْ به هذا الإيمانَ، لم يُؤْتَ الحكْمَة، وحُرِمَ من الخيرِ الكثير.

وهذا تحكُّمٌ في الآية، وتقييدُها بما ليس عليه دليل.

هل الحياة والنور بالإمام فقط؟:

قالَ اللّهُ عز وجل: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

٢٣ - روى الكُلَيْنِيُّ عن بريد، قال: سمعْتُ أَبا جعفر يقولُ في قولِ اللّه: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾: «مَيْتٌ»: لا يَعْرِفُ شيئاً. و«نوراً يمشي به في الناس»: إماماً يُؤتَمُّ به. «كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها» هو الذي لا يَعرفُ الإمام! [الكافي ١: ١٨٥].

خَصَّصَت الروايةُ المَيْت بغيرِ الشيعي، واعتبَرَتْه مَيْتاً لأَنه ليس له إمامٌ معصومٌ، مُعَيَّنٌ من عند اللّه. وخَصَّصَت النورَ بالإمامِ المعصومِ، الذي يأتَمُّ به الناس. . وخَصَّصت الذي في الظلماتِ بالذي ليس له إمام، ولا يَعرفُ الإمام.

وهذا من الغُلُوّ والمبالغة في الإيمانِ بالإمامة، التي هي جزءٌ من الإيمانِ عند الشيعة. لقد تحكمت الروايةُ بالآية، وقَيَّدَتْها بما لَمْ تَتَحَّدثْ عنه، وصَرَفَتْها عن عُمومِها في الثناءِ على المؤمن المستقيم، وتهديد الكافرِ المنحرف.

ليس الميتُ الذي لم يؤمنْ بإمام، ولكنه الكافر، والكافرُ ميتٌ لأَنَّ قَلْبَه مَيِّت، وروحَه ميتة، فلم يَعْرفْ مهمتَه، ولم يُحققْ غايَتَه، والحَيُّ هو المؤمنُ المستقيم، أَحيا اللّهُ قَلْبَه وروحَه، والنورُ الذي وهبه اللّه له هو نورُ القرآنِ والسنة، ونورُ حُسْنِ الفهم

للإسلام، ونورُ الطاعةِ والعبادةِ والالتزام، ونورُ الدعوةِ والسلوك. يَعيشُ هذا المؤمنُ السعيدُ بنورِه، ويمشي به في الناس.

والذي يَتَخَبَّطُ في الظلماتِ هو الكافرُ الميِّت، إنه ضائعٌ حائرٌ وسطَ ظلماتِ الكفرِ والضلال، ولا يمكنُ أَنْ يَخرجَ من هذه الظلماتِ إلا بالدخول في الإسلام.

تُقررُ لنا الآيةُ هذه الحقائقَ القاطعة: الكفْرُ موتٌ وظلام، والإيمانُ حياةٌ ونور، وكلُّ كافرٍ ميتٌ، يعيشُ في ظلماتِ الكفر، وكلُّ مؤمنٍ حيٌّ، يَعيشُ في نورِ الإسلام.

وكم حَرَّفت الروايةُ السابقةُ معنى هذه الآية، وفَرَّغَتْها من هذهِ الحقائقِ الإيمانية، عندما خَصَّصَتْها بالإيمانِ بالأئمةِ المعصومين!!

هل الحسنة والسيئة محصورتان بالأئمة؟:

قالَ اللّهُ عز وجل: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ۝ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٨٩ ـ ٩٠].

٢٤ ـ روى الكُلَيْنِيُّ عن أَبي جعفر قال: دَخَلَ أَبو عبد اللّه الجَدَليُّ على أَميرِ المؤمنين، فقال له أميرُ المؤمنين: يا أبا عبد اللّه: أَلا أُخبرُكَ بقول اللّه عز وجل: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ۝ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾؟ قال: بلى يا أَميرَ المؤمنين، جُعِلْتُ فداك.

فقالَ أَميرُ المؤمنين: الحسنةُ معرفةُ الولاية، وحُبُّ أَهْلِ البيت، والسيئةُ إنكارُ الولاية، وبُغْضُ أَهل البيت» [الكافي ١: ١٨٥].

بدايةً نُشَكِّكُ في صحةِ هذه الرواية، ونستبعدُ أَنْ يقولَ أَميرُ المؤمنين عليُّ بنُ أَبي طالبٍ رضي اللّه عنه هذا الكلام، وأَنْ يَقْصِرَ الحَسَنَةَ على معرفةِ الولاية وحُبِّ آلِ البيت، والسيئةَ على عكسِ ذلك، لأَنه رضي اللّه عنه كانَ من أَعْلَمِ الصحابةِ بالقرآن.

الحسنةُ في الآيةِ عامة، وهي «اسْمُ جِنْس» ينطبقُ على جَميعِ الحسناتِ والطاعاتِ، والعباداتِ والأَعمالِ الصالحة، التي تصدرُ عن المسلم. ومن هذه الحسناتِ محبةُ الصالحين، من أَهلِ البيتِ والأَئمةِ والأَولياءِ. والسيئةُ في الآيةِ «اسْمُ

جنس» أيضاً، ينطبقُ على جميعِ السيئاتِ والمعاصي والذنوبِ والمخالفاتِ والمنكرات، ومنها بُغْضُ الصالحين من الأنبياءِ والأولياءِ والعلماءِ وآلِ البيت والأئمة. . .

أمّا تخصيصُ الحسنةِ بحبّ الأئمةِ والسيئة ببغضِهم، فهذا مرفوضٌ ومردود.

ولا ننكرُ أنَّ محبة الصالحين من المسلمين واجبة، وأنَّ بُغْضَهم حَرام، سواء كانوا من أهل البيت، أو من العلماءِ والدعاةِ والمجاهدين والشهداء، فلماذا يَقْصِرونَ ذلك على الأئمةِ وأهْلِ البيت؟!

هل طاعة الإمام بمستوى طاعة الله ورسوله؟:

٢٥ـ روى الكُلَيْني عن أبي جعفر ـ محمد الباقر ـ قال: ذِرْوَةُ الأَمْرِ وَسَنامُه ومِفتاحُه وبابُ الأشياءِ ورضا الرحمن هو: الطاعةُ للإمام بعدَ معرفتِه، لأنَّ الله يقول: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠] [الكافي ١: ١٨٦].

تُبالغُ الروايةُ في معرفةِ الإمامِ وطاعتِه، وتجعلُها أَهَمَّ شيء في الدين، وتَنُصُّ على أنها ذروة الأمرِ وَسَنامُه ومفتاحُه، والبابُ إلى الله، والطريقُ إلى رضوانِه!!

وتجعلُ طاعةَ الإمام طاعةً لله ورسولِه، وتستدلُّ على ذلك بالآية: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾. والمعنى الذي تُريدُ الروايةُ تقريرَه: مَنْ يُطع الإمامَ فقد أطاعَ الله، ومَنْ يَعْصِ الإمامَ فقد عصى الله!!

وهذا كلامٌ مردود، وليس عليه دليل.

جعلت الآيةُ طاعةَ الرسولِ طاعةً لله، لأنَّ الرسولَ ﷺ هو المبلِّغُ لهذا الدين، ولأنَّ سُنَّتَه ملزمةٌ لنا بأمرِ الله، فنحنُ مأمورونَ بأَخْذِ كُلِّ ما جاءَنا عنه ﷺ، واجتنابِ كُلِّ ما نَهانا عنه. قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

وأكّدَ رسولُ اللهِ ﷺ على هذا المعنى، حيث قال: «مَنْ أطاعَ الأَميرَ فقد أَطاعَني،

ومَنْ أطاعَني فقد أَطاعَ اللّهَ، ومَنْ عصى الأَمير فقد عَصاني، ومَنْ عصاني فقد عصى اللّه».

أَمّا جعْلُ طاعةِ الإمام مِن طاعةِ اللّه فإنه مبالغةٌ مردودة، ولا دليلَ عليه من كتابٍ أَو سُنَّة.

ولا نَنْفي وجوبَ طاعةِ الأَئمةِ والعلماءِ والأُمراءِ الصالحين، وحرمةَ عصيانِهم ومخالفتِهم، لكننا نرفضُ جَعْلَ الطاعةِ خاصَّةً بأَئمةِ أَهلِ البيت، وجعْلَها رأْسَ الأَمْرِ وعمودَه، ونرفضُ تخصيص آيةٍ محكمةٍ بها، تتحدَّثُ عن طاعةِ الرسول ﷺ.

هل الإمامة هي الملك العظيم؟:

استمرَّ الكُلَيْنِيُّ في ذكْرِ رواياتِه على وجوبِ طاعةِ أَئمةِ الشيعة، وأَنها من طاعةِ اللّهِ ورسولِه ﷺ، وفي ذِكْرِ آياتٍ حكيمةٍ قَصَرَها على تلك الطاعة، وخَصَّها بها!!

٢٦ ـ روى عن أَبي عبدِ اللّه ـ جعفر الصادق ـ قوله: نحن قومٌ فرضَ اللّهُ طاعتَنا، وأَنتم تأْتَمُّونَ بمن لا يُعْذَرُ الناسُ بجهالتِه..

وذَكَرَ روايةً عن أَبي جعفر ـ محمد الباقر ـ قال: معنى قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤]: الطاعةُ المفروضة. [الكافي ١: ١٨٦].

وهذا التفسيرُ مردود، لأَنَّ سياق الآيةِ لا يتفقُ معه. فالحديثُ في الآيةِ عن بني إسرائيل، وعن الملْكِ العظيمِ الذي آتاهم اللّهُ إيّاه، زمنَ ملوكِهم داودَ وسليمان عليهما السلام وغيرهما. قال تعالى: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا * فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ٥٤ ـ ٥٥].

آتى اللّهُ بني إسرائيلَ نعمةً كبيرةً ومُلْكاً عظيماً، وانْقَسموا أَمامَ ذلك إلى قسْمَين:

قسمٌ آمَنوا باللّه وشَكَروهُ على نِعَمِه.. وقسمٌ كفروا باللّه وجَحَدوا نِعَمَه، وصَدُّوا عن الحَقِّ وحارَبوه.

فكيفَ يَنزعونَ معنى الآيةِ عنِ الذي أُنزلَتْ فيه، ويُنزلونَها على ما لا تنطبقُ عليه، ويُقَيِّدونها به؟ إنَّ هذا العملَ مردود.

فالمُلْكُ العظيمُ المذكورُ في الآيةِ هو ما آتاهُ اللّه لبني إسرائيل في فترةِ حكمِهم الذهبية، وليس هو طاعةَ الأئمةِ التي فرضها اللّهُ على الأتْباع!

إنَّ طاعةَ الأَئمةِ الصالحين مطلوبة، والذينَ يُطيعونَهم مأجورونَ على الطاعة، بشرطِ عدمِ المبالغةِ فيها، وعدمِ الغُلُوِّ في النظرِ إلى الأَئمة. لكنَّ تفسيرَ الآيةِ بها، وجعلَها هي الملكَ العظيم مردود.

المفعولُ الأَولُ في «آتيناهم ملكاً عظيماً» يَعودُ على بني إسرائيلَ وليس على الأَئمة.

هل الأئمة هم المحسودون؟:

٢٧ - روى الكُلَيْنِيُّ عن أَبي عبدِ اللّه، قال: نحنُ قومٌ فرضَ اللّهُ طاعَتَنا، لنا الأَنْفالُ، ولنا صَفْوُ المال، ونحنُ الراسخونَ في العلم، ونحنُ المحسودون الذينَ قالَ اللّهُ عنهم: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [الكافي ١: ١٨٦].

تزعمُ الروايةُ أَنَّ طاعةَ الأَئمةِ فرضٌ من اللّه. والراجحُ أَنها ليستْ خاصةً بهم، وإنما هي عامةٌ في وجوب طاعةِ أُولي الأَمْر، من الأُمراءِ والعلماءِ والأَولياء. لقولِه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

وتزعُمُ الروايةُ أَنَّ الأَنفالَ وصَفْوَ المال لهؤلاءِ الأَئمة. وهذا ليس دقيقاً، فالأَنفالُ ليستْ لهم وحْدَهم، والفيءُ ليسَ لهم وحْدَهم.

تحدَّثَ القرآنُ عن الأَنفالِ والغنائمِ والفَيْء.

الأَنفالُ عامة، تُطْلَقُ على ما أُخِذَ من الكفار، سواء كانَ بعدَ هزيمتِهم في القتال، أَو بعدَ استسلامِهم بعد الحصار.

والغنائمُ هي ما أُخِذَ من الكفار، بعد هزيمتِهم في المعركة، وقد بَيَّنَ القرآنُ كيفيةَ تقسيم هذه الغنائم. قال تعالى: ﴿۞ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١].

والراجحُ في تقسيمِ الغنائمِ أَنَّها تُوَزَّعُ أَربعةُ أَخماسِها على المجاهدين، والخمسُ

الخامسُ يُخَمَّسُ، أيْ يُوَزَّعُ على خمسةِ أَصناف، ذَكَرَتْها الآيةُ: للّهِ والرسول، ثم لذي القربى، ثم لليتامى، ثم للمساكين، ثم لابن السبيل.

وخمسُ ذوي القُربى يُعطى لمجموعتَيْن من آلِ البيت: آلِ هاشم، وآلِ المطلب. أي: يُعطى لآلِ البيتِ من نَسْلِ عليٍّ رضي الله عنه، ومن نَسْلِ العبّاس رضي الله عنه، وغيرِهما. فالأئمةُ يأخذونَ جُزْءاً من خُمْسِ خُمُسِ الغنائم!

أمّا الفَيْءُ فهو ما أُخِذَ من الكفارِ بعدَ خوفِهم واستسلامِهم، بدونِ قتالٍ وإطلاقِ نار، وهذا الفيءُ لا يُعطىٰ منه شيءٌ للمجاهدين، لأنهم لما يُباشِروا القتال. ويُقَسَّمُ هذا الفيءُ على خمسةِ أَصناف. ذكرَها قولُه تعالى: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ﴾ [الحشر: ٧].

الأئمةُ يأخذونَ جزءاً من خُمسِ الفيء. فكيفَ تقولُ الرواية: لنا الأنفالُ ولنا صَفْوُ المال؟!

اليهود حسدوا المسلمين على الهداية:

تزعمُ الروايةُ أنَّ الأئمةَ هم الذين يَحسدُهم الآخرون، وهم المقصودونَ المعنيّون بقولِه تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [النساء: ٥٤]. أَي: الأئمةُ هم المفعولُ به: «الناسَ»، يَحسدُهم الآخرون على ما آتاهم اللّهُ من فضْلِه، والمرادُ بهذا الفضلِ المنزلةُ التي خَصَّهم اللّهُ بها، وهي منزلةُ الإمامةِ والعصمة!!

وهذا تفسيرٌ للآية مردود، ولا يَتفقُ مع سياقِها، ولا معَ فهم الصحابة والتابعين!

الكلام في الآياتِ على بني إسرائيل، وعداوتِهم للمسلمين. قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا * أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا * أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا * أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٥١ ـ ٥٤].

اليهودُ كفارٌ مَلْعونون، ومُفْتَرونَ كاذبون، هم الذين كانوا يُؤْمِنونَ بالجبتِ والطاغوت، وهم الذين كانوا يقولون لمشركي قريش: أَنتم أَهْدى وأَقربُ إلى اللّه من محمدٍ - ﷺ - وأَصحابِه.. والذي دَفعهم إلى هذا الحقدِ والافتراءِ هو حَسَدُهم للمسلمين على ما آتاهم اللّهُ من نعمةِ الهداية.

الفاعلُ في «يحسدون» يَعودُ على اليهود، وليس على المسلمين من غير الشيعة.. والمفعولُ به «الناسَ» يَعودُ على المسلمين، وليس على أئمةِ الشيعة... والذي آتاهُ اللّهُ للمسلمين هو نعمةُ الهدايةِ والاستقامة، والتوفيقُ للطاعة، وليس العصمةَ والولاية، التي زَعَموا أَنَّ اللّهَ خَصَّ بها الأئمةَ المعصومين!

وبمعنى هذه الآيةِ قولُه تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

وبهذا نعرفُ خَطَأَ الروايةِ السابقةِ، التي جعلت الأَئمةَ هم المحسودين، وأَنَّ الذينَ حَسَدوهم هم المسلمون من غيرِ الشيعة، وأَنَّ الذي حَسَدوهم عليه هو الولايةُ والعصمة. فأَينَ هذا من موضوعِ الآيةِ وسياقِها الذي بَيَّنّاهُ؟!

هل الإمامة جزء من الإيمان؟:

تُبالغُ وتُغالي رواياتُ الكُلَيْنِيِّ في «الكافي»، في تأكيدِ أَنَّ الإيمانَ بالإمامةِ أَساسيٌّ بالنسبة للإيمان والإسلام، فمن آمن بالأَئمةِ المعصومين المعيَّنين فهو مؤمن، ومَنْ لم يؤمنْ بذلك فهو كافر. نَقَلَ الكُلينيُّ قولَهم: **«لا يكونُ العبدُ مؤمناً حتى يعرفَ اللّهَ ورسولَه، والأَئمةَ كُلَّهم، وإمامَ زمانِه»** [الكافي ١: ١٨٠].

ونَقَلَ قولَ أَبي جعفر: **«مَنْ أَصبحَ من هذه الأُمةِ لا إمامَ له من اللّهِ ظاهِرٌ عادل، أَصبحَ ضالاًّ تائِهاً، وإنْ ماتَ على هذه الحالةِ ماتَ ميتةَ كُفْرٍ ونفاق»** [الكافي ١: ١٨٤].

وَوَصلت المبالغةُ والمغالاةُ ذروتها عند ما أَشركَ أَصحابُها بين الأَئمةِ والرسلِ في الطاعة، وجَعلوا طاعةَ الأَئمةِ في نفسِ درجةِ طاعةِ الرسل. روى الكلينيُّ عن **أبي الحسن العطار قال: «سمعتُ أَبا عبدِ اللّه - جعفرَ الصادق - يقول: أَشْرِكْ بين الأَوصياءِ والرسلِ في الطاعة»** [الكافي: ١: ١٨٦].

ولا أَدري كيفَ سيُشْرِكُ في الطاعةِ بين النبيِّ والوصِيّ، وكيفَ سيَجْعَلُ طاعةَ الوصِيِّ طاعةً للّهِ ورسوله!

ويَرى الكُلينيُّ وجماعتُه أَنَّ الأَئمةَ الأَوصياءَ هم أُولو الأَمْر، والأَولياءُ الذين أَثْنى اللّهُ عليهم وأَمَرَ بطاعتهم.

هل الطاعة محصورة في الأئمة؟:

٢٨ - رَوى عن الحسينِ بن أَبي العلاء قال: «ذَكَرْتُ لأَبي عبدِ اللّه قولَنا في الأَوصياء أَنَّ طاعَتَهم مفترضَة. قال: نعم، هم الذينَ قالَ اللّهُ تعالى عنهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ وهم الذين قالَ اللّهُ عنهم: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الكافي ١ : ١٨٧].

نسبت الروايةُ لجعفر الصادق أنه نَزَلَ في الأَئمةِ آيتان من كتابِ اللّه.

الأُولى: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩].

ترى الروايةُ أَنَّ طاعةَ الأَئمةِ فرضٌ أَوجبَه اللّهُ على المسلمين بنصِّ الآية، على أَنهم أُولو أَمْرِ المسلمين.

ونرى أَنَّ الآيةَ عامةٌ، تُقَرِّرُ وُجوبَ طاعةِ أُولي الأَمْرِ من المسلمين، على اختلافِ مستوياتِهم ومسؤولياتِهم، سواءٌ كانوا أُمراءَ أَو خُلفاءَ أَو عُلَماءَ أَو وُزراء.. ويَدخلُ فيهم الأَئمة. والمرفوضُ هو تخصيصُ الآيةِ فيهم.

هل الولاية خاصة بالأئمة؟:

الثانية: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥ _ ٥٦].

تَجعلُ الروايةُ الآيةَ نَصّاً في كونِ الأَئمةِ أَولياءَ للمؤمنين، لأَنها قالَتْ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾. حيثُ خَصَّصت الأَولياءَ بالمؤمنين، الذينَ يُؤْتونَ الزكاة أَثْناءَ ركوعِهم.

وتزعمُ الروايةُ أَنَّ الذين يُؤتونَ الزكاةَ أَثناءَ ركوعِهم هم الأَئمةُ فقط، لأَنَّ الآيةَ نازلةٌ في عليٍّ بنِ أَبي طالبٍ رضي اللّه عنه، عندما أَدّى الزكاة وهو راكع.

قالوا: كانَ عليُّ بنُ أَبي طالبٍ رضيَ اللّهُ عنه راكعاً في الصلاة، واضِعاً يَدَيه على رُكبَتَيْه، وفي أُصبعِه خاتم، فأَتاهُ أَحَدُ الفقراء، وطلبَ منه الصَّدَقة، فأَومأَ إِليه بطرْفِ عينِه، أَنْ يَسحبَ الخاتمَ من أُصبعه، دون أَنْ يكَلِّمَه لأَنه في صلاة، فسحبَ الفقيرُ الخاتمَ من أُصبعه، فأَثْنَى اللّهُ عليه لحسْنِ تَصَرُّفِه، وقال فيه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ . .﴾. ولذلك اعتبرَ الشيعةُ الآيةَ نَصّاً في ولايةِ عليٍّ رضي اللّه عنه.

ونقولُ لهم: هذه الروايةُ في سببِ النزولِ مردودة، لأَنَّ الحادثةَ لم تَصِحّ، ولم يصحَ حديثٌ واحدٌ في نزولِ هذه الآيةِ في واحدٍ من الصحابة، لا عليُّ بنُ أَبي طالبٍ رضي اللّه عنه ولا غيرُه.

وتصفُ الآيةُ المؤمنين الذينَ يَصْلُحونَ أَن يكونوا أَولياءَ لعموم المسلمين، بأَنهم ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ أَي: الذين يُكْثِرونَ من إِقامةِ الصلاةِ ومن إِيتاءِ الزكاة، ويُكثرون من الركوع. وجملةُ «وهم راكعون» في محلِّ نصبِ حال، أَي الحالُ الدائمُ للمؤمنين هو استمرارُ الركوع.

والأَئمةُ يدخلونَ ضمنَ عمومِ هذه الآية، فهم أَولياءُ للمسلمين، مثلُ باقي الأَولياءِ الآخَرين، ولا يجوزُ جعْلُ الآيةِ خاصَّةً بهم، أَو اعتبارَها نصّاً على تعيينهم أَئِمَّةَ وأَوصياء!!

هل يدعى الناس بالإمام المعصوم؟:

قال اللّه عز وجل: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَـٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَـٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۞ وَمَن كَانَ فِى هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧١ ـ ٧٢].

مَنْ هو الإِمامُ الذي يُدْعى النّاسُ به؟

إنه الإمامُ المعَيَّنُ والوصيُّ المعصوم، الذي يَجعلُ الكُلينيُّ وجماعتُه الإيمانَ به ضَرورياً لَقبولِ الإيمان!

٢٩ - روى الكُلينيُّ عن عبد الأَعلى قال: سمعْتُ أَبا عبدِ اللّه يقول: السمعُ والطاعةُ أَبوابُ الخير، السامعُ المطيعُ لا حُجَّةَ عليه، والسامعُ العاصي لا حُجَّةَ له، وإمامُ المسلمين تَمَتْ حُجَّتُه واحتجاجُه يومَ يلقى اللّه عز وجل، لأَنَّ اللّه يقول: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الكافي ١ : ١٩٠].

كيفَ يُدْعى كُلُّ فريقٍ من الناس بإمامِهم؟ فإذا كانَ للشيعةِ إمامٌ معيَّنٌ معصومٌ يُدْعَوْنَ به يومَ القيامة - ولا أَدري كيفَ يُدْعَوْنَ به - فبأيِّ إمامٍ يُدْعَوْنَ بعدَ إمامهم الثاني عشر!!

قَصْرُ الإمام المذكورِ في الآية على الإمامِ المعَيَّنِ المعصومِ باطلٌ ومردود، وتَحَكُّمٌ في معنى الآية، لا يتفقُ مع سياقها.

الراجِحُ أَنَّ المرادَ بالإمام في الآيةِ «كتابُ» الإنسان، ولكلِّ إنسانٍ إمامٌ، تُسَجَّلُ فيه كلُّ أَعمالِه من خيرٍ أَو شرّ، ويُدْعى كُلُّ إنسانٍ إلى «إمامِه»، ويُطلبُ منه قراءةُ كتابِه، ومعرفةُ ما فيه.

هذا هو الراجحُ، لأَنَّ بقيةَ الآيةِ تُصَرِّحُ بذلك، فالإمامُ هو الكتاب، لأَنَّ اللّهَ قالَ بعد ذلك: ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۞ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾.

وقد سَمّى القرآنُ الكتابَ إماماً، وذلك في قولِه تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

وأَخبرَ اللّهُ في سورةِ الإسراءِ نفسِها أَنَّ اللّهَ يُخرجُ لكلِّ إنسانٍ كتاباً، ويَدْعوهُ لقراءةِ سجلِّ أَعمالِه. قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ۞ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣ - ١٤].

وأَكَّدَ على هذا المعنى في سورةِ الكهف، قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى

﴿ ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

حتى الأُممُ المختلفة، لكلِّ أُمةٍ كتابُها، الذي تُدْعى إلى قراءةِ ما فيه، للوقوفِ على أَعمالِها السيئة، قال تعالى: ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةًۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٨ ـ ٢٩].

وإذا كان القرآنُ وَصَفَ الكتابَ بأنه إمام، وأَنَّ كُلَّ إنسانٍ يُدْعىٰ إلى كتابِه، ويُدعىٰ بإمامه الذي فيه سجلُّ عملِه، كان قَصْرُ روايةِ الكلينيِّ الإمامَ في الآيةِ على إمامِ الشيعةِ مَرْدوداً!!

هل الأئمة هم الشهداء؟:

٣٠ ـ عَقَدَ الكُلينيُّ في كتابِ «الحُجَّة» من «الكافي» باباً، سَمَّاهُ «بابٌ في أَنَّ الأَئمةَ شُهداءُ اللّهِ على خَلْقِه».

وروى في هذا البابِ عن أَبي عبدِ اللّه ـ جعفر الصادق ـ قولَه: «قال اللّه عز وجل: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] نزلَتْ هذه الآيةُ في أُمَّةِ محمدٍ ﷺ خاصة، في كُلِّ قرنٍ منهم إمامٌ مِنّا شاهِدٌ عليهم، ومحمدٌ ﷺ شاهِدٌ علينا» [الكافي ١: ١٩٠].

تُخصصُ الروايةُ الآيةَ بأُمةِ محمدٍ ﷺ، وتُخصصُ الشهيدَ بالإمامِ المعصوم، فمعنى قولِه: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ﴾: سنجعلُ في كلِّ قرنٍ من قُرونِ الأُمةِ إماماً من أئمةِ آلِ البيت، وسيكونُ هذا الإمامُ شهيداً على أَهْلِ قَرْنه، لأَنهم مأمورونَ باتِّباعِه وطاعتِه.

ومَعْنى قوله: ﴿ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾: جئْنا بالرسولِ ﷺ على هؤلاءِ الأَئمةِ الشهداءِ شهيداً!!

وهذا التخصيصُ بالمسلمينَ وبأئمةِ آلِ البيت فيهم مردود، لأَنه لا يتفقُ مع صياغةِ الآية، فهي عامَّةٌ في كُلِّ الأُمم، وفي شهدائها.

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾: المرادُ بكلِّ أُمَّةٍ جَميعُ الأُممِ والأَقوامِ والشعوب، من آدمَ حتى قيام الساعة، وقد بَعَثَ اللّهُ في كلِّ أُمةٍ رسولاً نذيراً. قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٤].

الكلامُ في الآيةِ عن يومِ القيامة، حيثُ سيوقفُ اللّهُ الأُمَمَ للحساب، ويُقيمُ رُسُلَها وأَنبياءَها شهداءَ عليها، فيقفُ النبيُّ يشهدُ على أُمته، أَنه بَلَّغهم الدعوة، وأَقامَ عليهم الحجة: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾.

وخَصَّت الآيةُ شهادةَ الرسولِ ﷺ على أُمته: ﴿ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾، وهذه الجملةُ معطوفةٌ على الجملةِ السابقة، من بابِ عطفِ الخاصِّ على العامِّ، لفضْلِ أَشرفِ الخلقِ ﷺ.

فما قالَته الروايةُ خَطَأٌ، لأَنَّ معنى «كل أُمة»: كلُّ الشعوبِ والأَقوامِ من آدمَ إِلى محمدٍ ﷺ. ومعنى: «شهيد»: النبيُّ والرسولُ الذي بَعَثَهُ اللّهُ إِلى قومِه، وليس الإِمامَ من آلِ البيت. . واسْمُ الإِشارةِ «هؤلاء» يَعودُ على كلِّ الناس بعدَ بعثةِ محمدٍ ﷺ، حتى قيامِ الساعة، لأَنَّ اللّهَ بَعَثَهُ للناسِ جميعاً، ولا يَعودُ على أَئمةِ آلِ البيتِ فقط، كما زَعمت الروايةُ السابقة!

وقد فهمَ رسولُ اللّهِ ﷺ من الآيةِ العُموم، وأَنها تتحدَّثُ عن موقفِ المحاسبةِ والشهادةِ يومَ القيامة.

طلبَ ﷺ من عبدِ اللّه بن مسعود رضيَ اللّهُ عنه أَنْ يَتلوَ عليه القرآنَ، فقالَ ابنُ مسعود: أَقرأُ عَليكَ وعَليكَ أُنزلَ يا رسولَ اللّه؟ قال: اقرأْ، فإِنّي أُحِبُّ أَنْ أَسمعَه من غيري!

قالَ ابنُ مسعود: فقرأْتُ عليه صَدْرَ سورةِ النساء، حتى وصلْتُ إِلى قولِه تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ قال: حَسْبُكَ. فنظرتُ إِليه فإِذا عيناهُ تَذْرِفان»!!

هل الأئمة هم الأمة الوسط؟:

قالَ اللّهُ عز وجل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

خصَّصَ الكُلَيْنيُّ في رواياتِه هذه الآيةَ بالأئمة، فهم الأُمَّةُ الوَسَطُ، وهم الشهداءُ علىٰ الآخرين.

٣١ ـ روىٰ عن بَريد العجلي، قال: سأَلْتُ أَبا عبدِ اللّه ـ جعفر الصادق ـ عن قولِ اللّه عز وجل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾؟. فقال: نَحْنُ الأُمَّةُ الوسَط، ونحنُ شُهداءُ اللّهِ علىٰ خَلْقِه، وحُجَجُهُ في أَرضه..

قلتُ: قولُ اللّه عز وجل: ﴿ملَّة أبيكم إبراهيم﴾؟.. قال: إيّانا عَنى خاصّة. وقوله: «هو سماكم المسلمين من قبل»: في الكتب التي مَضَتْ. وقوله: «وفي هذا»: في القرآن. وقوله: «ليكونَ الرسولُ شهيداً عليكم»، الرسولُ ﷺ الشهيدُ علينا، بما بَلَّغَنا عن اللّه عز وجل، ونحن الشهداءُ علىٰ الناس، فمَنْ صَدَّقَ صَدَّقْناهُ يومَ القيامة، ومَنْ كَذَّبَ كَذَّبناهُ يوم القيامة» [الكافي ١: ١٩٠].

الخِطابُ في قوله تعالىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ للأُمَّةِ المسلمة، بمجموعِ أَفرادِها ومذاهِبِها وطوائفِها، وهي الأُمَّةُ الوَسَطُ في الزمانِ والمكان، والأَفكارِ والتشريعات، والموقعِ الجغرافيِّ والمهمةِ الحضاريةِ.. وجعَلَها اللّهُ الأُمَّةَ الوَسَطَ لأَنَّها هي الشاهدةُ علىٰ باقي الأُمم، في الدُّنيا والآخرة، هي شاهدةٌ علىٰ الأُمم في الدُّنيا، لأَنَّ الحَقَّ معها، وهي الوصيةُ علىٰ الآخرين، والموجِّهَةُ لهم. وهي شاهدةٌ عليهم يومَ القِيامة، تشهدُ للرسلِ السابقين أَنَّهم بَلَّغوا أَقوامَهم دينَ اللّه.

وقد أَلْغَت الروايةُ السابقةُ هذا العُمومَ المقصودَ الجميلَ للآية، وخَصَّصَتْها بدونِ دليل، وقَصَرَتْها علىٰ عَدَدٍ قليلٍ من مَلايين المسلمين، وهم الأَئمةُ الإثنا عشر عندَ الشيعةِ الإماميّة، فهؤلاءِ الأَئِمَّةُ القلائلُ هم الأُمَّةُ الوَسَطُ وَحْدَهم، وهم وَحْدَهم شهداءُ اللّهِ علىٰ خَلْقِه، وهم وَحْدَهم حُجَجُ اللّهِ في أَرضه!

إنَّ هذا التحديدَ تضييقٌ لمعنىٰ الآية، وتفريغٌ لها من مضمونِها، وتَحويلُها إلىٰ

شاهدٍ لموضوعٍ خاصٍّ ليس عليه دليل.

وتنسبُ الروايةُ إلىٰ أبي عبدِ الله ـ جعفر الصادق ـ الاستشهادَ بآيةٍ أُخرىٰ علىٰ هذا التحديدِ والقَصْرِ والتقييد. وهي قولُه تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨].

الأَئمةُ هم ملةُ إبراهيمَ عليه السلام، وهم مذكورونَ في الكتبِ السابقة، ومذكورونَ في هذا القرآن، أي نَصَّت الكتبُ السابقةُ والقرآنُ علىٰ ذِكْرِ الأَئمة، وعلىٰ وُجوبِ الإيمانِ بهم وطاعتِهم. والرسولُ ﷺ هو الشهيدُ علىٰ هؤلاءِ الأَئمةِ، لأَنَّهُ نصَّ علىٰ إمامَتِهم، وعَيَّنَ أَسماءَهم، ودَعا الأُمَّةَ إلىٰ اتِّباعهم. وهم الشهداءُ علىٰ النّاسِ يومَ القيامة، فالإيمانُ بهم وتصديقُهم واتِّباعُهم ـ كما يفعلُ الشيعةُ ـ شرطٌ لدخولِ الجَنّةِ، لأَنَه لَنْ يَدْخلَ أَحَدٌ الجَنَّةَ إلا بشهادةِ الأَئمة. ولذلك نَسبت الروايةُ إلىٰ أَبي عبدِ الله قولَه: «ونحنُ الشهداءُ علىٰ النّاسِ، فَمَنْ صَدَّقَ صَدَّقناه، ومَنْ كَذَّبَ كَذَّبناه»..

إنَّ الخطأَ الكبيرَ في هذا الكلام أَنَّه يَصرفُ الآيةَ القرآنيةَ عن عمومِها، ويُحوِّلُها إلىٰ معنىٰ خاصٍّ، لم تَنْزِلْ فيه، ولا تنطبقُ عليه..

تخصيص العموم بدون دليل!!:

الكلامُ في الآيةِ لعمومِ المسلمين من أُمَّةِ محمدٍ ﷺ وهي تُقَدِّمُ لهم التوجيهاتِ علىٰ أَساس هذا العموم. قالَ اللهُ عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ * وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ..﴾ [الحج: ٧٧ ـ ٧٨].

أَمَرَ اللّهُ المسلمينَ بأَربعةِ أَوامر في الآيةِ الأُولىٰ، وذلك في قوله: ﴿ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ * وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ وأَمَرَهم بثلاثةِ أَوامر في الآيةِ الثانية: ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ

﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ . . ﴾.

وأَخبرهم اللّهُ أَنَّهم يَسيرونَ علىٰ طريقِ أَبيهم إبراهيمَ عليه السلام، وهو الذي سَمَّاهم المسلمين، من اهتمامه بهم وحِرْصه عليهم: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ . . ﴾.

واللّهُ سَمَّاهم المسلمينَ في القرآن، ليتوافَقَ اسمُهم في القرآنِ مع الاسم الذي سَمَّاهم به أَبوهم إبراهيمُ عليه السلام، قالَ تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: ١٩]. وقالَ تعالىٰ: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

وبهذا الاسمِ الذي سمَّاهم اللّهُ به تَمَيَّزوا عن باقي الأُمم، وجَعَلَهُم اللّهُ شهداءَ علىٰ تلك الأُمم، كما جعلَ الرسولَ ﷺ شهيداً عليهم: ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ . . ﴾.

وتَلْتَقي الآيتانِ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا﴾ علىٰ تقريرِ حقيقةِ فَضْلِ هذه الأُمَّةِ المسلمة، ومنزلتِها عند اللّه، وتنطبقانِ علىٰ الأُمَّةِ بمجموعِ علمائِها ودعاتِها وقادتِها وصالحيها، ويَدخلُ في هذا العموم الأَئمةُ من آلِ البيت، لفضلِهم وصَلاحِهم وعِلْمِهم. والمرفوضُ هو تخصيصُ الآيتين بهؤلاءِ الأَئمةِ وَحْدَهم!

هل عليٌ هو الشاهد لرسول الله؟:

قالَ اللّهُ عز وجل: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةًۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [هود: ١٧].

تتحدَّثُ الآيةُ عن رجلٍ معيَّنٍ، وتُخبرُ أَنَّه كانَ علىٰ بَيِّنَةٍ من ربِّه، وتُخبرُ أَنَّه يتلو هذا الرجلَ شاهدٌ منه. . فَمَنْ هُوَ الذي علىٰ بيِّنَة؟ ومَنْ هو الشاهدُ الذي يَتْلوه؟

عندَ الكُلَيْنيِّ وجماعتِه تحديدٌ خاصٌ للأَمرَيْن، يَتفقُ مع عقيدتِهم في الإمامة.

٣٢ - رویٰ عن أَحمد بن عمر الحَلاّل قال: سأَلْتُ أَبا الحسنِ عن قولِ اللّهِ عز وجل: «أفمن كان علىٰ بينةٍ من ربه ويتلوه شاهد منه». فقالَ: أَميرُ المؤمنين صلواتُ اللّه عليه هو الشاهدُ علىٰ رسولِ اللّه ﷺ، ورسولُ اللّه ﷺ علىٰ بينةٍ من ربِّه. . [الكافي ١ : ١٩٠].

تَنسبُ الروايةُ إلىٰ أَميرِ المؤمنين عليٍّ بنِ أَبي طالبٍ رضي اللّه عنه أَنَّ الذي «علىٰ بينة من ربه» هو رسولُ اللّه ﷺ، وأَنَّ الذي «يتلوه شاهد منه» هو الشاهدُ علىٰ رسولِ اللّه ﷺ.

وهذا القولُ لم يصحّ عن عليٍّ بنِ أَبي طالبٍ رضي اللّه عنه، فلا نَقولُ به.

وقد اختلفَ المفَسِّرونَ كثيراً في تفسيرِ هذه الآية، وتحديدِ المقصودين بها، وما عادَتْ عليه الضمائرُ فيها. .

والراجحُ أَنَّ المقصودَ بقوله: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ هو رسولُ اللّه ﷺ. والبينةُ هي الدليلُ القاطعُ الذي كان يوقنُ به رسولُ اللّه ﷺ، ويَجزمُ أَنَّ اللّهَ جعلَه نبياً ورسولاً.

والراجحُ أَنَّ معنىٰ قولِه: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾: عند الرسولِ ﷺ شاهد، وهذا أَتاهُ من عندِ ربِّه، والمرادُ بهذا الشاهدِ هو القرآن. فالهاءُ في «يَتْلوهُ» في محلِّ نصْبِ مفعولٍ به، وتعودُ علىٰ الرسولِ ﷺ، الذي هو علىٰ بينةٍ من ربِّه. . والهاءُ في «منه» تعودُ علىٰ «ربِّه». والمعنىٰ: يَتلو ويَتبعُ الرسولَ شاهدٌ من عندِ اللّه، يَشهدُ له أَنَّه رسولُ اللّه. . وشهادةُ القرآنِ للرسولِ ﷺ تتحققُ بأُسلوبه وتعبيره، وفَصاحَتِه وبلاغتِه، وتَحَدّيه وإِعجازِه، كما تتحقَّقُ بمعانيه ومضامينه، وأَحكامِه وحقائِقه.

ومعنىٰ قوله: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾: الكتابُ الذي أَنزلَه اللّهُ علىٰ موسىٰ عليه السلام، وهو التوراة، وقد جَعَلَها اللّهُ إِماماً ورحمة. والهاءُ في «قبلِه» تعودُ علىٰ القرآنِ الشاهد.

وبهذا نعرفُ خَطَأَ الروايةِ التي أَوردَها الكُلَيْنيُّ في معنىٰ الآية.

هل الهادي هو الإمام فقط؟:

قالَ اللّهُ عز وجل: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ . . ﴾ [الرعد: ٧].

الرسوُل ﷺ هو المنذرُ بالإجماع، لم يُخالفْ ذلك أَحَدٌ، لأَنَّ اللّهَ خاطَبَه بقوله: ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ﴾.

لكنْ مَنْ هو الهادي: ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾؟

يَرىٰ الكُلَيْنيُّ وجماعتُهُ أَنَّ الهاديَ هو الإمامُ الذي يُؤمنونَ به.

٣٣ ـ روىٰ الكُلَيْنيُّ عن بَريد العجلي، عن أَبي جعفر، في معنىٰ قولِه تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾، قال: رسولُ اللّهِ ﷺ هو المنذر، ولكلِّ زمانٍ مِنّا هادٍ، يَهْديهم إِلىٰ ما جاءَ به النبيُّ ﷺ، ثم الهُداةُ من بعْدِه، عَلِيٌّ، ثم الأَوصياءُ واحِدٌ بعدَ واحد. .

وذكرَ الكُلَيْنيُّ حواراً جرىٰ بين أَبي عبدِ اللّه وأَحَدِ تَلاميذِه «أَبي بصير». . قالَ أَبو بصير: قلتُ لأَبي عبدِ اللّه: ما معنىٰ قوله: ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾؟ قالَ: رسولُ اللّه ﷺ هو المنذر، وعَلِيٌّ هو الهادي. يا أَبا محمد: هل من هادٍ اليوم؟

قلْتُ ـ القائلُ أَبو بصير، ولعلَّ له كنيةً ثانيةً هي أَبو محمد ـ: بلىٰ، جُعِلْتُ فِداك، ما زالَ منكم هادٍ، بعدَ هادٍ، حتىٰ دُفِعَتْ إِليك.

فقالَ أَبو عبد اللّه: رَحِمَكَ اللّهُ يا أَبا محمد، لو كانَتْ إِذا نَزَلَتْ آيةٌ علىٰ رجل، ثم ماتَ ذلك الرجل ماتَت الآية، ماتَ الكتاب! ولكنه حَيٌّ يَجْري فيمنْ بَقِيَ كما جَرىٰ فيمن مَضىٰ. .

وروىٰ الكُلَيْنِيُّ قَولاً آخرَ عن أَبي جعفر في معنىٰ الآيةِ، قالَ: «**رسولُ اللّهِ ﷺ هو المنذر، وعليٌّ الهادي، أَما واللّهِ ما ذَهَبَتْ مِنّا، وما زالَتْ فينا إِلىٰ الساعة**». [الكافي ١: ١٩١ ـ ١٩٢].

تَقْصُرُ هذه الرواياتُ الهادي علىٰ الإمامِ من أَئمةِ الشيعة، والأَئمةُ عندهم اثْنا عَشَرَ إماماً، والهادي الأَوَّلُ عندهم هو عليُّ بنُ أَبي طالبٍ رضي اللّه عنه، ثم تَنتقلُ الوظيفةُ

إلىٰ الأئمةِ من بعدِه، كلٌّ منهم هادٍ في عصره.

وتدلُّ الروايةُ الأخيرةُ علىٰ استمرارِ «الهادويةِ» في الأَئِمَّةِ: «أَمَا واللّهِ ما ذَهَبَتْ مِنّا، وما زَالَتْ فينا إلىٰ الساعة». وكأنه مَنصوصٌ عليهم في أُمورٍ ثلاثة: أنَّهم أئمة، وأنَّهم أَوصياء، وأنَّهم هُداة...

وهذا القَصْرُ علىٰ الأَئمةِ لا يتَفقُ مع العمومِ في الآية: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، فهي شاملةٌ لكلِّ قومٍ أَو مجموعةٍ من الناس، في أَيِّ زمانٍ ومكان، حتىٰ قيامِ الساعة، والهادي كلمةٌ عامَّةٌ أَيضاً، تَشملُ كُلَّ عالمٍ يُعَلِّمُ الناس، وكلَّ داعيةٍ مصلح.

كلُّ لفظٍ في الجملةِ يدلُّ علىٰ العموم: لَفْظُ «الكلّ»: دالٌّ علىٰ العموم، و«قوم» نَكِرَةٌ مُنَوَّنَةٌ: وهذا التَّنكيرُ والتنوينُ يدلُّ علىٰ العموم. و«هادٍ»: نَكِرَةٌ مُنَوَّنَةٌ، تدلُّ علىٰ العمومِ والشمولِ أَيضاً.

فكيف نتركُ دلالةَ أَلْفاظِ الجملةِ، الدالَّةِ علىٰ العمومِ والشُّمول، ونَقْصُرُها علىٰ الأَئمةِ وَحْدَهم. ثم إنَّ الإمامَةَ عندَ الشيعة توقَّفَتْ عندَ الإمامِ الثاني عشر «محمد المهدي» الذي يَنتظرونَه. ولا يوجَدُ إمامٌ بعدَه عندهم. فهل توقَّفت الهداةُ بتوقُّفِ الأَئِمَّةِ عند الإمامِ الثاني عشر؟

وباعتبارِ هؤلاءِ الأَئمةِ من العلماءِ والدعاةِ والمصلحين، فإنَّهم يَدْخلونَ ضمنَ عمومِ كلمةِ «هاد»، والجملةُ تشملُهم وتنطبقُ عليهم، وهم ضمنَ الهُداةِ الذينَ تُثني عليهم الآية. وفَرْقٌ بين الإشارةِ إلىٰ شمولِ الآيةِ لهم وانطباقِها عليهم، وبين تَخْصيصِها بهم...

هل الأئمة هم المستخلفون؟:

قالَ اللّهُ عز وجل: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ ..﴾ [النور: ٥٥].

مَنْ هم الذين وَعَدَهم اللّهُ بالاستخلافِ في الأَرض؟ إنهم عند الكُلَيْنيِّ وجماعتِه

أئمةُ الشيعة.

٣٤ - روىٰ الكُلَيْنيُّ عن عبدِ اللهِ بن سِنان قال: سَأَلْتُ أَبا عبدِ الله عن قولِ اللهِ عز وجل: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾. **فقال: «هم الأئمة»**. [الكافي ١: ١٩٤].

معنىٰ الروايةِ أَنَّ اللهَ وَعَدَ أئمةَ الشيعةِ أَنْ يَستخلفَهم في الأَرض، وأَنْ يَجعلَهم أَئمةً لأَتْباعِهم..

وهذا القَصْرُ علىٰ الأَئمةِ مردود، لأَنَّه لا يتَفقُ مع صياغةِ الآيةِ، الدالَّةِ علىٰ العُموم. الموعودون بالاستخلافِ في الأَرضِ هم المؤمنون: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾.. «الذين»: اسْم موصولٍ في محلِّ نصْبِ مفعولٍ به. ومن المعلومِ أَنَّ اسْم الموصولِ يَدُلُّ علىٰ العموم، وهذا العمومُ يَتَّضِحُ من خلالِ صلةِ الموصول: ﴿ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾. الموعودون هم مَن اتَّصفوا بصفتَين: الإِيمان والعمل الصالح. والتقدير: وَعَدَ اللهُ المؤمنين العاملين للصالحات.

الوعْدُ بالاستخلافِ في الأَرضِ للمؤمنينَ الصالحينَ من هذِه الأُمَّةِ المسلمة، وهذا يَشملُ كُلَّ فئاتِ هؤلاء، من العلماءِ والحكماءِ والدعاةِ والأَولياء، ويَدخلُ فيهم الأَئمةُ. والمرفوضُ هو تخصيصُ الآيةِ بهم.

والمشكلةُ عند الكُلَينيِّ ورواياتِه التفسيرية أَنَّه يُفَرِّغُ الآيةَ من دلالتِها العامة، كما تبدو في صياغتِها وأَلفاظِها وسياقِها، ويُخَصِّصُها بما لم تُخَصَّصْ به، لتشهدَ لمذهبِه في الأَئمة!!

هل الأئمة هم نور الله؟

قال الله عز وجل: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [التغابن: ٨].

ما المرادُ بالنور الذي أَنزله اللهُ، في هذه الآية؟

المرادُ به في رواياتِ الكُلَينيِّ الأَئمة.

٣٥ - روىٰ عن أبي خالدِ الكابليّ، قالَ: سألْتُ أبا جعفر عن قولِ اللّهِ عز وجل: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾؟.

فقال: يا أبا خالد: النورُ - واللّهِ - نورُ الأئمةِ من آلِ محمدٍ ﷺ إلىٰ يومِ القيامة، وهم واللّهِ نورُ اللّهِ الذي أَنزل، وهم واللّهِ نورُ اللّه في السمواتِ وفي الأرضِ، واللّهِ يا أبا خالد لَنورُ الإمامِ في قلوبِ المؤمنين أنورُ من الشمسِ المضيئةِ بالنهار، وهم واللّهِ يُنَوِّرونَ قلوبَ المؤمنين، ويحجُبُ اللّهُ نورَهم عمن يشاء، فتُظلمُ قلوبُهُم، واللّهِ يا أبا خالد لا يُحبُّنا عَبْدٌ ويتولاّنا حتّىٰ يُطهرَ اللّهُ قَلْبَه، ولا يُطهرُ اللّهُ قَلْبَ عبدٍ حتّىٰ يُسَلِّمَ لنا، ويكونَ سِلْماً لنا، فإذا كان سِلْماً لنا سَلَّمه اللّهُ من شديدِ الحساب، وآمَنَه من فَزَعِ يومِ القيامةِ الأكبر. . [الكافي ١ : ١٩٤].

في هذه الروايةِ من الغُلُوِّ والمبالغةِ ما فيها، فهي تجعلُ الأئمةَ كُلَّ شيءٍ في هذه الدنيا، هم النورُ الذي أنزله اللّه، وهم نورُ اللّه في السمواتِ والأرض، وبهم يُنَوِّرُ اللّهُ قلوبَ المؤمنين، ومَنْ لا يُحبُّهم ولا يَتَوَلاَّهم ولا يَنظُرُ لهم هذه النظرةَ المغاليةَ فهو محرومٌ من هذا النور.

ومن المعلومِ عندنا أَنَّ أَصحابَ رسول اللّه ﷺ هم أفضلُ أجيالِ الأُمّةِ، بشهادةِ رسولِ اللّه ﷺ: «خَيْرُ القرونِ قَرْني، ثم الذين يَلونَهم، ثم الذين يَلونَهم». وهم أفضلُ من الأئمةِ الإثني عَشَرَ عند الشيعة، ومن غيرهم من العلماءِ والأولياء، ومع ذلك لم يَرْفَعْهم المسلمونَ إلىٰ هذه المنزلة، ولم يَجعلوهُم النورَ الساريَ في كلِّ شيء. ولذلك نَرفضُ ما وَرَدَ في الروايةِ من مُبالغةٍ ومُغالاة. .

ثم استشهادُ الروايةِ بالآيةِ علىٰ هذه المغالاةِ مردود، لأَنَّ الآيةَ لا تتحدَّثُ عن ذلك، وصياغتُها لا تدلُّ علىٰ ذلك.

يأمُرُ اللّهُ المؤمنين بالإيمانِ به وبرسولِه، وبالنور الذي أنزلَه: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾.

وَوَصَفت الآيةُ النورَ بأَنَّهُ مُنَزَّل: ﴿وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾، والمرادُ به القرآنُ، الذي أَنزلَه علىٰ رسولِه ﷺ. والمعنىٰ: آمِنوا باللّه، وآمِنوا برسولِه، وآمِنوا بالنورِ الذي أَنزلَه.

وبما أَنَّ النورَ في الآيةِ موصوفٌ بأَنّه مُنَزَّلٌ، فإِنَّ هذا الوصْفَ تَقييدٌ له، وتَخصيصٌ له بالقرآن، وهذا الوصْفُ دَليلٌ علىٰ رَدِّ الروايةِ السابقة، التي تُخصصُه بالأَئمة، وتَنسبُ إِلىٰ أَبي جعفر القَسَمَ بالأَيْمانِ المغَلَّظة علىٰ هذا التَّخْصيص. فالنورُ في الآيةِ موصوفٌ بأَنَّه مُنَزَّل، والأَئمةُ لم يُنزلْهم اللّهُ من السماءِ إِلىٰ الأَرض، فكيفَ يكونونَ هم المقصودين في الآية؟

وَوُصِفَ القرآنُ بأَنَّه نورٌ، في أَكثرَ من آية:

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤].

وقال تعالىٰ: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ * يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ..﴾ [المائدة: ١٥ ـ ١٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ﴾ [الشورىٰ: ٥٢].

ومن بابِ تفسيرِ القرآنِ بالقرآن، فإِنَّ الواجبَ علينا تفسيرُ النورِ في آية: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ﴾ بالنورِ المذكورِ في هذه الآيات، فالحديثُ في الآياتُ كُلِّها عن نورِ القرآن، وليسَ نورَ الأَئمة!.

هل علي نور مع رسول الله؟.

قال الله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

تتحدَّثُ الآيةُ عن صفاتِ النبيِّ الأُمِّيِّ محمدٍ ﷺ، وتُطالبُ أَهلَ الكتابِ بالإِيمانِ

به، وتُثني علىٰ المؤمنين من أُمَّتِه، الذين آمَنوا به وعَزَّروهُ ونصَروهُ، واتَّبعوا النورَ الذي أُنزِلَ معه.

وقد خَصَّصتْ رواياتُ الكُلَيْنيِّ هذا النورَ بعليٍّ وذريته.

٣٦ - روىٰ عن أَبي عبدِ اللّه أَنه قالَ في معنىٰ قوله: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾: المرادُ بالنورِ في هذا الموضع عليٌّ أَميرُ المؤمنين، والأئمةُ عليهم السلام». [الكافي ١ : ١٩٤].

النورُ الذي أُنزِلَ مع الرسولِ النبيِّ الأُمِّيِّ ﷺ هو عليُّ بنُ أَبي طالبٍ رضي اللّه عنه، كما تُحددُ الرواية.. ولا أَدري كيفَ صارَ عليٌّ نوراً مع أَنه بَشَر؟ ولا أَدري كيفَ ومتىٰ أُنزِلَ عليٌّ من السماء؟ ولا كيفَ يكونُ الأَئمةُ الإثنا عشرَ من بعدِه نوراً أُنزلَ مع رسولِ اللّه ﷺ؟

المهمُّ في رواياتِ الكُلَيْنيِّ الاستشهادُ بآياتِ القرآنِ، علىٰ إيمانِ الشيعةِ بالأَئمةِ، وتَعيينهم ووجوبِ اتِّباعِهم، مع أنَّ الآياتِ لا تدلُّ علىٰ ذلك.

المرادُ بالنورِ هنا القرآن، لأَنَّه موصوفٌ في الجملةِ بأَنَّه مُنَزَّلٌ: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾. أَي: اتَّبِعوا النورَ المنزلَ مع النبيِّ الأُمِّيِّ ﷺ!!.

هل الإمام هو النور الذي نمشي به؟:

٣٧ - روىٰ الكُلَيْنيُّ حِواراً بينَ أَبي الجارود وأَبي جعفر - محمد الباقر - قال: قال أَبو الجارودِ: قلتُ لأَبي جعفر: لقد آتىٰ اللّهُ أَهلَ الكتابِ خَيراً كثيراً. قال: وما ذاك؟ قلتُ: قولُ اللّه تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ❁ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ❁ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ..﴾ [القصص: ٥٢ - ٥٤].

قال: لَقَدْ آتاكُم اللّهُ خيراً مما آتاهم، ثم تلا قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ [الحديد: ٢٨]. **ثم قال: «يعني إِماماً تأتَمّون به»** [الكافي ١ : ١٩٤ - ١٩٥].

ظنَّ أبوَ الجارود أَنَّ اللّه آتىٰ أَهلَ الكتابِ من الخيرِ أكثر مما آتىٰ هذه الأُمة، وهذا ظنٌّ غيرُ صحيح، والآياتُ التي استشهدَ بها لا تشهدُ لظَنّه، لأَنّها تتحدَّثُ عن أَهلِ الكتابِ، الذين دَخلوا في الإسلام، وصاروا من هذه الأُمة.

وصَحَّحَ له أبو جعفر فَهْمَه. ونحنُ معه في هذا التصحيح، وفي الآيةِ التي استَشْهَدَ بها. فاللّهُ يَدْعو المؤمنين إِلىٰ تقواهُ والإيمانِ برسوله: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ ﴾. ويَجْزيهم علىٰ ذلك بجزاءَيْن: ﴿ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ ﴾.

لكنَّنا لَسْنا مع أَبي جعفر في تفسيرِ النورِ بالإِمام، حيثُ قال: معنىٰ ﴿ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ ﴾: يجعلْ لكم إِماماً تأتَمّونَ به.

الكلامُ في الآيةِ عن الإيمانِ والعبادةِ والعملِ والتقوىٰ، وعن جزاءِ وثمرةِ ومكافأةِ ذلك عند اللّه، ولا كلامَ في الآيةِ عن الأَئمةِ والعلماءِ والأَولياء، فكيف نجعلُ النورَ الذي يُؤْتيه اللّهُ للمؤمنِ المتَّقي هو الإِمامَ الذي يأْتمُّ به؟ وهل يَصلحُ أَنْ يكونَ الإِمامُ أَو الوَليُّ المُتَّبَعُ نوراً يمشي به الإنسان؟ إِنَّ معنىٰ الآيةِ وصياغتَها وبلاغَتَها وإِعجازَها لا تَقبلُ هذا التفسير!

المرادُ بالنورِ في الآيةِ الهُدىٰ، باعتبارِه ثمرةَ الإِيمانِ والتقوىٰ والالتزام، فاللّهُ يَهدي المتقين، ويُبَصِّرُهُم الحقَّ، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ [محمد: ١٧].

كلُّ مَنْ أَطاعَ اللّهَ واتَّقاه، يَجعلُ اللّهُ له نوراً وهُدىٰ وضياءً، وبصيرةً ووعياً، وفهماً وفرقاناً، فيكونُ علىٰ بينةٍ من أَمره. وعلىٰ هذا قولُه تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٩].

وبمعنى آيةِ سورةِ الحديدِ السابقةِ قولُه تعالىٰ: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

تحريف عجيب لمعاني الآيات:

من أَعجبِ رواياتِ الكُلَيْنيِّ التحريفية، التي حرَّفَ فيها معاني الآياتِ، هذه الروايةُ التي حرَّفَ فيها معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ ۞ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ * أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ . . ﴾ [النور: ٣٥ ـ ٤٠].

تتحدَّثُ هذه الآياتُ عن نورِ اللّه، وتُقدِّمُ مَثَلاً مُصوَّراً لهذا النورِ الإلٰهي، وتذكُرُ صفاتِ المؤمنين المتأثِّرين المستنيرينَ بنورِ اللّه، وبيوتَ اللّه التي تَشِعُّ بهذا النور، وتذكُرُ في مقابلِ ذلك الظلامَ الذي عليه الكفارُ، وتَضْرِبُ لهم مَثَلَيْن: مَثَلَ السرابِ بقِيعة، ومَثَلَ الظلماتِ في البحرِ اللُّجِّيِّ . .

ولكنَّ رواية الكُلَيْنيِّ لا تَفهمُ الآياتِ كما يَجبُ أَنْ تُفْهَمَ، وتُقَدِّمُ لها معنىً عجيباً، كُلُّه تحريفٌ وسوءُ تأْويل.

٣٨ ـ روىٰ عن صالح بن سهلِ الهمداني قال: قالَ أبو عبدِ اللّه ـ جعفر الصادق ـ في قولِ اللّه تعالىٰ: ﴿ ۞ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ ﴾: هي فاطمةُ عليها السلام. ﴿ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾: هو الحسَن. ﴿ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ﴾: هو الحُسَيْنُ. ﴿ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾: هي فاطمة، كوكَبٌ دُرِّيٌّ بينَ نساءِ أَهلِ الدنيا. ﴿ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ ﴾: هي إبراهيمُ عليه السلام. ﴿ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾: لا يهوديةٍ ولا نصرانية. ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ ﴾: يكاد العلمُ يتفجَّرُ منها. ﴿ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ ﴾:

إمامٌ منها بعدَ إمام. ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾: يهدي اللّه للأئمةِ مَنْ يشاء.. ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ﴾: الأوّلُ وصاحبُه. ﴿يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ﴾: هو الثالث. ﴿مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ﴾: الثاني. ﴿ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾: معاويةُ لعنه اللّه، وفِتَنُ بني أُميّة. ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ﴾: المؤمنُ في ظلمةِ فتنتهم، ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا﴾: إماماً من وَلَدِ فاطمةَ عليها السلام. ﴿فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾: إمامٌ يومَ القيامة. [الكافي ١: ١٩٥].

المِشْكاةُ: الكُوَّةُ أَو الطاقَةُ في الجدار، وفي هذه المشكاةِ زُجاجةٌ، كأَنها كوكبٌ دُرِّيٌّ مُضيءٌ متلألِيء، لأَنَّه في داخلها مِصباح، يوقَدُ من زيتِ زيتونةٍ مباركة.

وقد ضُرِبَ هذا المَثَلُ لنورِ اللّهِ في قَلْبِ المؤمن، فالمشكاةُ مَثَلٌ لقَلْبِ المؤمن، والمصباحُ الموقَدُ بالزيتِ مَثَلٌ لقوةِ الإِيمانِ في هذا القلب، وضوءُ المصباحِ في الزجاجةِ المضيئةِ مَثَلٌ لعبادَةِ اللّهِ، وأَثَرِها في إشراقِ القلبِ وضيائه..

وقد تجاهلت الروايةُ كُلَّ هذه المعاني الحية، وذَهَبَتْ إِلىٰ تأْويلِ مُحَرَّفٍ للآيات: المشكاةُ هي فاطمةُ رضي اللّه عنها! والمصباحُ الذي في الزجاجةِ هو الحسينُ، ابنُ فاطمةَ الثاني رضيَ اللّه عنهما والمصباحُ الذي في الزجاجةِ هو الحسينُ، ابنُ فاطمةَ الثاني رضي اللّهُ عنهما! والزجاجةُ كأَنَّها كوكبٌ دُرِّيٌّ هي فاطمةُ رضي اللّهُ عنها. وقد كانت قبلَ قليلٍ مشكاة، فصارت الآن كوكباً دُرِّيّاً!! وفاطمةُ المشكاةُ الكوكبُ الدُرِّيُّ، توقَدُ من شجرةٍ مباركةٍ زيتونةٍ، هي إبراهيمُ عليه السلام، وهذه الزيتونةُ لا شرقيةٌ ولا غربية، أَيْ: هي ليست يهوديةً أَو نصرانية!! ويكادُ زيتُ الزيتونةِ يُضيءُ ولو لم تَمْسَسْهُ نارٌ، أَيْ: يكادُ العلْمُ يَتَفجَّرُ من فاطمةَ الزيتونةِ المشكاةِ الزجاجة!! ويَخرجُ من نورِ هذا الزيتِ نورٌ آخر، فيكونُ نوراً علىٰ نور. أَيْ: يَخرجُ من نَسْلِ فاطمةَ إِمامٌ بعدَ إمام، لأَنَّ الأَئمةَ كُلَّهم من نسْلِها، ويَهدي اللّهُ لنورِه مَنْ يشاء، بأَنْ يَهديَ للإيمانِ بالأَئمةِ مَنْ يشاءُ هدايتَهم من عباده!!.

والقسْمُ الثاني من الآياتِ الذي يتحدَّثُ عن الكفار، نَزَّلَتْه الروايةُ علىٰ الخلفاءِ الراشدينَ وأَصحاب رسولِ اللّه ﷺ.

المرادُ بالظلماتِ في البَحْرِ اللُّجِّيِّ «الأَوّلُ وصاحبُه». أَي: الخليفةُ الأَوّلْ أَبو بكرٍ

الصِّدِّيق، وصاحبُه الخليفةُ الثاني عمرُ بنُ الخطاب رضي اللّه عنهما. والمرادُ بقوله: ﴿يَغْشَـٰهُ مَوْجٌ﴾: الخليفةُ الثالثُ عثمانُ بنُ عفان رضي اللّه عنه.. والمرادُ بقوله ﴿ظُلُمَـٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ معاويةُ بنُ أَبي سفيان أَميرُ المؤمنين رضي اللّه عنه، الذي تلعَنُه الروايةُ بقولها: «معاويةُ لَعَنَهُ اللّهُ»!!

وكيفَ يَجُوزُ أَنْ يُلْعَنَ واحدٌ من أَصحابِ رسولِ اللّه ﷺ؟ أَلا لَعْنَةُ اللّهِ علىٰ مَنْ لَعَنَ وشَتَمَ وعادىٰ أَصحابِ رسولِ اللّهِ ﷺ!.

والمرادُ بالظلماتِ التي بعضُها فوقَ بعض فِتَنُ بني أُمَيَّة. والمرادُ بجملةِ: ﴿إذا أَخرجَ يده يكد يراها﴾: المؤمنُ لا يكادُ يرىٰ الحَقَّ في ظُلماتِ فتنةِ بني أُمَيَّة. والمرادُ بجملة: ﴿ومن لم يجعل اللّه له نوراً﴾: الذي لم يجعل اللّهُ له إِماماً من ذريةِ فاطمةَ رضي اللّه عنها في الدُّنيا.. والمرادُ بجملةِ: ﴿فما له من نور﴾: ليسَ لهُ إِمامٌ يومَ القيامة..

أَهذا تفسيرٌ لكلام اللّه؟ وهل يمكنُ أَنْ يَقولَ جعفرُ الصادقُ رحمه اللّهُ هذا الهراءَ المتهافت؟ لا يمكنُ أَنْ يكونَ قالَه، وإِنما افتراهُ عليه المفترون!!

وعلىٰ هذا الكلام المتهافتِ بَنَىٰ القومُ أُصولَ مَذهبهم وفِكْرِهم، وسَجَّلَه الكُلَيْنِيُّ في «الكافي»، ليتعَلَّمه طُلاَّبُهم، وتنشأَ عليهم ناشئَتُهم!

وإِننا نبرأُ إِلىٰ اللّهِ من هذا الهراء، ونَستنكرُ أَنْ يُفَسَّرَ به كلامُ اللّهِ المعجز!!

هل الإمامة هي نور الله؟:

قالَ اللّهُ عز وجل: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [الصف: ٨].

تَتحدَّثُ الآيةُ عن الكافرين، الذين يُحاربونَ هذا الدّين، ويَحرصونَ علىٰ القضاءِ عليه، وتُبَيِّنُ فَشَلَهم في هذه الحرب، وعَجْزَهم عن تحقيقِ هَدَفِهم.

ونورُ اللّهِ هو الإِسلام، لأَنه هُدىً يَعُمُّ الكونَ كُلَّه، يَهتدي به الناسُ إِلىٰ الحق، وهو مشرقٌ في هذه الحياة كإِشراقِ الشمس!!

لكن للنورِ المذكورِ في الآيةِ معنىً آخرُ عند الكُلَيْنيِّ، غيرُ هذا المعنىٰ الصحيحِ الذي تُقَرِّرُه.

٣٩ - روىٰ الكُلَيْنيُّ عن أَبي الحَسَنِ قال: معنىٰ قوله: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾: يُريدونَ ليُطفئوا ولايةَ أَميرِ المؤمنين بأَفواههم.. ومعنىٰ ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾: اللّهُ مُتِمُّ الإمارة. والإِمامةُ هي النورُ، لقولِ اللّه: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾ [التغابن: ٨]، «والنّورُ هو الإمام..» [الكافي ١: ١٩٦].

لا يُمكنُ أَنْ تكونَ الإمامةُ هي النورَ، لأَنَّ نورَ اللّهِ عامٌّ شامل، يشملُ الإِسلامَ والقرآنَ والسنَّةَ والطاعةَ والعبادة، والإِمامةُ عندَ أَهلِ السنَّةِ ليستْ كما هي عندَ الشيعة، فليستْ جُزءاً من الدين، فَضْلاً عن أَنْ تكونَ من أَركانِ الإِيمان!.

والذينَ يُريدونَ أَنْ يُطفئوا نورَ اللّهِ بأَفواهِهم، هم الكفارُ من اليهودِ والنصارىٰ، وليسوا أَبا بكرٍ وعمر وعثمان رضي اللّه عنهم، الذين اعْتَدَوا علىٰ إِمامةِ عليٍّ رضي اللّه عنه، وهَضموهُ حَقَّه، كما يَزعمُ الكلينيُّ وجماعتُه.

والنورُ الذي سيُتِمُّهُ اللّه، هو الإسلامُ الذي سينصُرُه اللّه، ويُظهرُه علىٰ الدينِ كُلِّه، وليس هو الإِمامةَ كما تقولُ الروايةُ، لأَنَّ اللّه يقولُ بعد تلك الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩].

هل علي هو صاحب العصا والدابة؟:

أَخبرَنا اللّهُ أَنّه آتىٰ موسىٰ عليه السلامُ العصا آيةً، يُلقيها علىٰ الأَرضِ فيجعلُها اللّهُ حَيَّةً تَسعىٰ، كما آتاهُ اليَدَ آيةَ أُخرىٰ، يُدخلُها في جيبه، فتخرجُ بيضاءَ من غيرِ سوء، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ * قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ * قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ * فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ * قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ * وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ * لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا ٱلْكُبْرَى..﴾ [طه: ١٧ ـ ٢٣].

وهل يُمكنُ أَنْ يُعطيَ اللّهُ آيةَ العصا لغيرِ النبيِّ موسىٰ عليه السلام؟ عند الكُلَيْنيِّ

في رواياتِه نَعَم!! لأنَّ علياً رضي الله عنه أُوتي هذه الآية، فكانَ صاحبَ العصا!!

وأَخبَرَنا اللّهُ أنّه سيُخرجُ الدابّةَ علىٰ النّاس قُبيلَ قيام الساعة، تَشهدُ عليهم بأنّهم لا يؤمنون.. قال تعالى: ﴿ ۞وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢].

وزَعَمَ الكُلَيْنيُّ أَنَّ علياً رضي اللّهُ عنه هو صاحبُ هذه الدّابّة، كما كان صاحبَ العصا! ولا أدري كيفَ ومتىٰ وأينَ أُتِيَ عليٌّ آيةَ العصا، وكيفَ كانَ صاحبَ الدّابّة؟

ولْنقرأْ هذا الكلامَ العجيبَ الغريبَ، الذي نَسَبهُ الكُلَينيُّ إلىٰ عليٍّ رضي اللّهُ عنه، وزَعَمَ أَنَّ جعفرَ الصادق ـ أَبا عبدِ اللّه ـ رواهُ عنه!.

٤٠ ـ قالَ أَبو عبدِ اللّهِ: «ما جاءَ به عليٌّ آخُذُ به، وما نَهىٰ عنه أَنتهي عنه. وقد جَرىٰ له من الفضْلِ مثلُ ما جَرىٰ لمحمدٍ ﷺ، ولمحمدٍ فضْلٌ علىٰ جميعِ خَلْقِ اللّه!.. والمُتَعَقِّبُ علىٰ عليٍّ في شيءٍ من أَحكامِه كالمُتَعَقِّبِ علىٰ اللّه ورسولِه، والرّادُّ عليه في صغيرةٍ أَو كبيرةٍ علىٰ حَدِّ الشركِ باللّه! ولقد كان أَمير المؤمنين عليٌّ بابَ اللّه، الذي لا يُؤتىٰ إلا منه، وسبيلَه الذي من سَلَكَ بغيرِه هَلَكَ.. وهذا يَجري لأئمةِ الهُدىٰ بعدَه، واحداً واحداً، جعلَهم اللّهُ أَركانَ الأَرض، لئلا تَحيدَ بأَهلها، وحُجَّتَهُ البالغةَ علىٰ مَنْ فوقَ الأَرضِ ومَنْ تحتَ الثَّرىٰ!!

وكانَ أَميرُ المؤمنين صلواتُ اللّه عليه كثيراً ما يقول: أَنا قَسيمُ اللّهِ بينَ الجنّةِ والنّار، وأَنا الفاروقُ الأَكبر، وأَنا صاحبُ العصا والدّابّةِ والمَيْسَم، ولقد أَقَرَّتْ لي جميعُ الملائكةِ والروحُ والرسلُ، بمثْلِ ما أَقَرّوا به لمحمّدٍ ﷺ، ولقد حُمِلْتُ علىٰ مِثْل حمولتِه، وهي حمولةُ الرب.. وإنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ يُدْعىٰ فيُكسىٰ، وأَنا أُدعىٰ فأُكسىٰ، وإِنَّه يُسْتَنْطَقُ، وأَنا أُسْتَنْطَقُ، فأَنْطُقُ علىٰ حَدِّ نُطْقِه.. ولقد أُعطيتُ خِصالاً ما سبقَني إِليها أَحَدٌ قبلي: عَلمتُ المنايا، والبلايا، والأَنساب، وفصلَ الخطاب.. لم يَفُتْني ما سَبَقني، ولم يَعْزُبْ عنّي ما غابَ عنّي..» [الكافي ١٩٦ ـ ١٩٧].

وقد أَعادَ الكلينيُّ الكَلامَ السابقَ في روايتين أُخريين، فيهما بعضُ الزيادة، ولكنَّ مضمونَ الرواياتِ الثلاثِ واحد، وهو المغالاةُ والمبالغةُ، ونسبةُ أَشياءَ لعليٍّ رضي اللّه

عنه، لم يُؤتِه اللّهُ إيّاها، وَوَصْفُه بصفاتٍ لم يَتَّصِفْ بها حقيقة، ورَفْعُه إلىٰ درجةٍ عاليةٍ، لم يَرفعْهُ اللّهُ إليها، بحيثُ يكونُ مُساوياً لرسولِ اللّه ﷺ في كلِّ شيء، في الدنيا والآخرة، ويكادُ يكونُ شريكَه في كلِّ شيء. .

ونحنُ نُقَدِّرُ ونحترمُ عليَّ بنَ أَبي طالبٍ رضي اللّه عنه، ونجعلُ له من الفضْلِ ما يستحقُّه، وقد وَرَدَتْ أَحاديثُ صحيحةٌ كثيرةٌ في فضْلِه وعُلُوِّ منزلَتِه رضي اللّهُ عنه. . لكنَّه في الفضلِ والمنزلةِ في المرتبةِ التي جعلها اللّهُ له في الخِلافة، فهو رابعُ الخلفاء الراشدين، وهو الرابعُ في الفضلِ عندَ اللّه، بعد الخلفاءِ الثلاثةِ الذين سَبَقوه. . رضي اللّه عنهم أجمعين. .

وهذا الكلامُ الذي نَسَبَتْهُ الرواياتُ الثلاثُ إليه نجزمُ أَنَّه لم يَقُلْه، وإنما هو مفترىٰ عليه، قالَه بعضُ الغلاةِ من أَصحابِ الكُلَيْنيِّ، ثم نَسَبَهُ له زوراً وبهتاناً!!

خطبة الرضا في مرو حول الأئمة:

سَجَّلَ الكُلَيْنيُّ خطبةً مطوَّلَةً لعليِّ الرضا ـ الإمام الثامنِ عندهم ـ أَلْقاها في «مَرْو»، وتحدَّثَ فيها عن الإمامةِ عندهم، وأَنَّها جزءٌ من الدِّين، واستشهدَ بآياتٍ عديدة زَعَمَ أَنَّها تتحدَّث عن الإمامِ وصفاتِه، وَوَظَّفَها دليلاً علىٰ ما يُؤمنونَ به من الإمامةِ والأَئمة، وهاجم أَهلَ السُّنَّةِ، الذين لا يُوافقون الشيعةَ علىٰ هذا الإيمان. .

ويهمُّنا هنا مُناقشتُهُ في الآياتِ التي أَورَدَها واستشهَدَ بها، وبيانُ المعنىٰ الصحيحِ للآيات، والكشفُ عن تحريفِهم لمعناها، وخطأُ استدلالِهم بها. .

روىٰ الكِلَيْنيُّ في «بابِ نادرٍ جامعٍ في فضْلِ الإمامِ وصفاته» عن عبدِ العزيزِ بن مسلم قال: كُنَّا مَعَ الرِّضا عليه السلام بمَرْو، فاجتَمَعنا في الجامعِ يومَ الجمعة، في بَدْءِ مَقْدَمِنا، فأَداروا أَمْرَ الإمامة، وذَكروا وأَكثروا اختلافَ النّاسِ فيها. فدَخَلْتُ علىٰ سَيِّدي عليه السلام، فأَعلَمتُه خوضَ النّاسِ فيه. . . فتبسَّمَ عليه السلام، ثم قال: يا عبدَ العزيز: جَهِلَ القومُ وخُدِعوا عن آرائِهم. إنَّ اللّه لم يَقْبِضْ نبيَّه ﷺ حتىٰ أَكمَلَ له الدين، وأَنزلَ عليه القرآنَ، فيه تبيانُ كُلِّ شيء. . . بيَّنَ فيه الحلالَ والحرام، والحدودَ والأَحكام، وجميعَ ما يحتاجُه النّاس. . قالَ عز وجل: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وأنزلَ عليه في حَجَّةِ الوَداع، وهي آخر عمره قولَه تعالىٰ: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣] [الكافي ١ : ١٩٩].

وهذه المقدمةُ في خطبةِ عليِّ الرضا صحيحة، ونوافقُه علىٰ ما قالَهُ فيها، لأنَّها تركِّزُ علىٰ أنَّ القرآنَ فيه تبيانُ كُلِّ شيء، وأنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ بيَّنَ لأُمَّته كلَّ ما تحتاجُ إليه، وأنَّ اللّه أكملَ به الدين، وأتَمَّ به النعمة، وجعَلَ الإسلامَ عنوانَ هويةِ الأُمّة..

والذي لا نوافقُه عليه الأفكارُ التي طَرَحَها بعد ذلك، والادعاءاتُ التي ذَكَرَها والتي استشهدَ عليها بآيات القرآن.

الرسول لم يعين علياً من بعده:

زَعَمَ أَنَّ النبيَّ ﷺ أَقامَ للمسلمين علياً رضي اللّه عنه «عَلَماً وإماماً..» [الكافي ١ : ١٩٩].

وهذا زَعمٌ مردود، فلم ينُصَّ رسولُ اللّهِ ﷺ علىٰ إمامة عليٍّ رضي اللّه عنه أَو إمامةِ غيرِه، وإنما كانَ يستخلفُ أَبا بكرٍ الصّدّيقَ رضي اللّهُ عنه ليُصلّي بالنّاس إماماً، دونَ أَنْ يُصرِّحَ بأنَّه خليفتُه من بعدِه، وقد فَهِمَ المسلمون من ذلك أَنَّه ﷺ «يُرَشِّحُ» أَبا بكر ليكونَ إماماً، مع ورودِ أَحاديثَ صحيحةٍ عن رسولِ اللّه ﷺ، تشيرُ إلىٰ رضاهُ عن أَبي بكر، وترشيحِه له للإمامة، فَرَضِيَهُ المسلمون وبايَعوهُ خليفة... ولو عَيَّنَ الرسول ﷺ عليّاً إماماً وخليفةً من بعده، لسارَعَ الصَّحابةُ إلىٰ تَنفيذِ أَمرِه، لأَنَّهم لا يَعْصونَ رسولَهم ﷺ!!.

إبراهيم عليه السلام وأئمة آل البيت:

٤١ ـ استدلَّ علىٰ أَنَّ اللّهَ اختارَ للمسلمينَ إمامَهم، وعَيَّنَه لهم تَعييناً بقوله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٢٤] [الكافي ١ : ١٩٩].

وجْهُ استدلالِه بالآيةِ أَنَّ اللّه جعلَ الإمامةَ في الصالحينَ المرضيّين في ذريةِ إبراهيمَ عليه السلام، وحَجَبَها عن الظالمينَ منهم. وهذا كلامٌ صحيحٌ مقبول.

لكنَّ حَصْرَ الإمامةِ بأئمةِ آلِ البيتِ، لأنهم هم الصالحون من ذرية إبراهيمَ عليه السلام، مرفوض، لأنَّ كلَّ الصالحينَ من المسلمين هم من ذرِّيَّته عليه السلام، وفي مقدمتِهم أصحابُ رسولِ اللّه ﷺ، وإمامةُ أبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ مقدَّمةٌ علىٰ إمامةِ الأئمةِ المتأخِّرين.

أولاد إبراهيم وأئمة آل البيت:

٤٢ ـ استدلَّ علىٰ فضلِ وتعيينِ أئمةِ آلِ البيت، بأنَّ اللّه جعلَ الأئمةَ في ذريةِ إبراهيمَ عليه السلام، وأوردَ علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ * وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا . . . ﴾ [الأنبياء: ٧٢ ـ ٧٣].

وكأَنَّ أيَّ كلمةِ «إمام» و«أئمة» في القرآنِ يُرادُ بها أئمةُ الشيعة، الذين عَيَّنَهم اللّهُ تعييناً!! وأينَ نَصُّ القرآنِ علىٰ أنَّ اللّهَ جعلَ الأنبياءَ من ذريةِ إبراهيمَ عليه السلام أئمَّةَ ـ كإسحاقَ ويَعقوبَ ويوسفَ عليهم السلام ـ من أئمةِ آلِ البيتِ عند الشيعة؟ وكيف يُسْتَشْهَدُ بآيةٍ تتحدَّثُ عن الأئمةِ الأنبياءِ علىٰ أُولئك الأئمة؟.

ذرية إبراهيم وأئمة آل البيت:

٤٣ ـ زَعَمَ أَنَّ الإمامة لم تَزَلْ في ذريةِ إبراهيمَ عليه السلام، حتىٰ وَصَلَتْ عليَّ بنَ أبي طالب والأئمةَ من ذريته. قال: «فلم تزل في ذريته، يَرِثُها بعضٌ عن بعض، قَرْناً فَقَرْناً، حتىٰ ورثها النبيُّ ﷺ، فقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٨]. «فكانت لمحمدٍ ﷺ خاصّة، فقلَّدَها علياً عليه السلام، بأمْرِ اللّه، علىٰ ما فَرَضَ اللّه» [الكافي ١: ١٩٩].

أمَّا أنَّ هذه الأُمَّةَ هي وارثةُ إبراهيمَ عليه السلام ودعوتِه، فهذا صحيح، وأمَّا أنَّ الرسولَ ﷺ وارثُ دعوةِ إبراهيمَ عليه السلام، فهذا صحيح، فقد قال ﷺ: «أنا دعوةُ أبي إبراهيمَ»!.

لكنَّ غيرَ الصحيح الزعمُ بأنَّ أئمةَ الشيعةِ هم ورثَةُ إبراهيمَ عليه السلام وإمامَتِه، وأنَّ إمامته بقيَتْ تَنْتَقِلُ في ذريَّتِه حتىٰ وَصَلَتْ أُولئك الأئمة! فهذا التقييدُ لا دليلَ عليه، لأنَّ كُلَّ الأولياءِ الصالحين من هذه الأُمَّة ـ وفي مقدمَتهم الصحابةُ الكرام ـ هم الورثةُ

الصادقون لإمامتِه، وهم الذين تنطبقُ عليهم جُملةُ: ﴿والذين آمنوا﴾ في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.

هل لبثوا أئمة إلى يوم البعث؟:

زَعَمَ الكليني أَنَّ أَئمةَ الشيعةِ هم وحدهم الذين ينطبقُ عليهم قولُ اللّه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٦].

٤٤ ـ قال: فصارَتْ في ذريّةِ عليٍّ الأَصفياءِ، الذين آتاهمُ اللّهُ العلمَ والإِيمان، بقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ..﴾ «فهي في وَلَدِ عليٍّ عليه السلام خاصَّةً إِلىٰ يومِ القيامة!..» [الكافي ١: ٢٠٠].

يَزعمُ أَنَّ الأَئمةَ هم الذينَ أُوتوا العلمَ والإيمان، وأَنَّ الإمامةَ في الأَصفياءِ من ذريةِ عليٍّ رضي اللّهُ عنه إلىٰ يوم القيامة، لأَنَّ هؤلاء الأَئمةَ الأَوصياءَ الأَصفياءَ قالوا: ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ﴾. أَيْ: لَقَد لَبِثْتُم أَئمةً إِلىٰ يومِ البعث، ولَبِثت الإِمامةُ فيكم إلىٰ يومِ البعث!!

وهذا تحكمٌ بالآية، وتحريفٌ لمعناها، وصرفُها لتشهدَ علىٰ ما لا تَدُلُّ عليه! الآيةُ في سياقِ الحديثِ عن يومِ القيامةِ، وخسارةِ الكفارِ في ذلك اليوم، وتوبيخِ المؤمنين لهم فيه. قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۞ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الروم: ٥٥ ـ ٥٧].

الذينَ أُوتوا العلمَ والإيمانَ هم: العلماءُ من هذه الأُمّة، وليسوا أَئمةَ الشيعةِ وَحْدَهم، وهؤلاء كانوا يَدْعونَ الكفارَ في الدنيا للإيمانِ بيومِ البعث، ولكنَّ الكفارَ كانوا يَرفضونَ دعوتَهم..

ويومَ القيامةِ يلتقي الذين أُوتوا العلمَ والإيمانَ بالكفارِ النّادمين المتحسِّرين،

فيقولون لهم: ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾. أيْ: لبثتُم في الدنيا إلىٰ يومِ البعث، وها أنتم مبعوثونَ في هذا اليوم الذي كنتم تُنكرونَه، فما موقفُكم الآن؟

فالخطابُ في الآيةِ من علماءِ المسلمينَ للكافرينَ المُنكرينَ ليومِ القيامة، وليس من أَئمةِ الشيعةِ عن استمرارِ الإمامةِ فيهم إلىٰ يومِ البعث! ولو صَحَّ هذا الزعمُ فأَيْنَ يَضَعُ قائِلوه قولَه تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾»

وهل يُعقَلُ أَنْ يقولَ بعضُ أَئمةِ الشيعةِ لبعض: ولكنكم كنتم لا تعلمون؟!.. لا بُدَّ من النظرِ في الآيةِ مجتمعةً متكاملة، ولا يجوزُ قَطعُ بعض جُمَلِها عن ما قبلَها وبعدَها، لتحقيقِ هوىٰ في بعضِ النفوس!!

هل عين الله الأئمة بأسمائهم؟

٤٥ ـ زَعَمَ أَنَّ اللّهَ هو الذي اختارَ للمسلمين أَئمتَهم، وعَيَّنهم لهم بأَسمائِهم، وحَصَرَهم في ذريّةِ عليٍّ رضي اللّه عنه، واستشهدَ علىٰ ذلك بالقرآن.

قالَ عن أَهلِ السُّنَّة: «رَغبوا عن اختيارِ اللّهِ واختيارِ رسولِ اللّه ﷺ وأَهلِ بيتِه، إلىٰ اختيارِهم، والقرآنُ يُناديهم: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨] [الكافي ١: ٢٠١].

ومعنىٰ الآيةِ علىٰ هذا الزعم: اللّهُ هو الذي يَخلقُ المؤمنين، وهو الذي يختارُ لهم أَئمتَهم، ويُعَيِّنُهم لهم بأَسمائِهم، ولا يَجوزُ لهم أَنْ يَختاروا خلافَ ذلك، لأَنَّه ما كانَ لهم الخيرة، فإنْ فَعَلوا ذلك كانوا مُشْركين، واللّهُ تعالىٰ عَنْ ما يُشركون!!

الآيةُ لا تتكلمُ عن أَنَّ اللّهَ هو الذي يَختارُ الأَئمةَ للمسلمين، ويُسَمّيهم بأَسمائِهم، إنَّما تتحدَّثُ عن اختيارِه العامِّ الشاملِ لكلِّ ما يتعلَّقُ بالناس، وهذا هو الإيمانُ بقدَرِ اللّه، ومعلومٌ أَنه لا يقعُ شيءٌ في هذا الكونِ إلاّ بعِلْمِ اللّهِ ومشيئتِه، وإرادتِه وقَدَرِه. وقد رَبَطت الآيةُ بين الخَلْقِ والاختيار، وعَطَفَت الاختيارَ على الخَلْق: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ أَي: اللّهُ يخلقُ ما يشاءُ من المخلوقات، ويختارُ ما يَشاءُ من

الاختيارات، بهذا العمومِ والشُّمول. وكم نُحَرِّفُ معنى الآيةِ عندما نَحْصُرُها باختيارِ أسماءِ الأَئمةِ وحدَهم!

والكلامُ في قوله: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ عن المشركينَ باللّه، الذين يختارونَ خلافَ ما اختارَه اللّهُ لهم، وتنفي أَنْ يكونَ لهم الحَقُّ في اختيارٍ يُغايرُ ويُناقضُ ما اختارَه اللّهُ لهم. بدليلِ قولِه بعدَ ذلك: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

فاللّهُ اختارَ لهم الإيمانَ به وتوحيدَهُ وإفرادَهُ بالعبادةِ والطاعة، ولكنهم اختاروا خِلافَ ذلك، فأشركوا باللّه، وهو مُنَزَّهٌ عما يشركون!

وكم يُخطئونَ عندما يَجعلونَ معنى الآية: اللّهُ يختارُ للمسلمين أَسماءَ قادتِهم وزعمائِهم، ولا يَجوزُ لهم أَنْ يختاروا غيرَ أُولئك الأَئمةِ المعَيَّنينَ من عند اللّه!

ألا يجوز اختيار الأئمة؟:

٤٦ - استشهدَ بآياتٍ نازلةٍ في الكفارِ، على أَنه لا يَجوزُ للمسلمينَ أَنْ يَختاروا أئمتَهم، لأَنَّ اللّهَ اختارَهم لهم، وهي قولُ اللّهِ عز وجل في خطابِ الكفار: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۞ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ۞ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ۞ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ۞ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ۞ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ [القلم: ٣٦ - ٤١] [الكافي ١: ٢٠١].

ولو قرأَ الآيةَ السابقةَ على هذه الآياتِ لَعَرَف خَطَأَ فَهْمِه واستشهادِه، وهي قولُه تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم: ٣٥]. فالآياتُ في سياقِ عَدَمِ مساواةِ المسلمينَ الصالحينَ بالمجرمينَ الكافرين، والآياتُ التي استشهد بها خطابٌ من اللّهِ للكافرين الذينَ ساووا بينَ المسلمينَ والكافرين، يُوَبِّخُهم ويَ مُهم، ويُبينُ أنهم لا يعتمدونَ في ذلك على علمٍ أو دليل.

فكيفَ حَوَّلَها عن موضوعِها وسياقِها، وجَعَلَها خطاباً توبيخياً وذَمّاً إلهياً لأَهْلِ السُّنَّة، لأنهم لم يقولوا بقوله في الأَئمة؟؟

الأئمة والطبع على القلوب:

٤٧ ـ اعتبرَ الذينَ لا يرونَ رأْيَه هو وجماعتِه في الأَئمةِ المعَيَّنين ممنْ طَبَعَ اللّهُ على قلوبهم، وَوَضَعَ الأَقْفالَ عليها.

ونَزَّلَ عليهم قولَه تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤]. مع أَنَّ الآيةَ تَدْعو المسلمين جميعاً إلى تَدَبُّرِ القرآنِ وفَهْمِه، وتَذُمُّ الذين لا يفعلونَ ذلك، وتصفُ قلوبَهم بالقلوبِ المُقْفَلة، وأَينَ هذا من موضوعِ أئمتِه؟!

ونَزَّلَ عليهم قولَه تعالى: ﴿ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة: ٨٧] [الكافي ١: ٢٠٢].

مع أَنَّ الآيةَ نازلةٌ في ذَمِّ المنافقينَ الذين تخلَّفوا عن رسولِ اللّه ﷺ، ولم يَخرجوا معه إلى غزوة تَبوك. قال اللّه عنهم: ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة: ٨٧]، لأَنَّ المنافقين لما ارتكبوا جريمةَ التخلُّفِ عن الجهاد، عاقبهم اللّهُ بالطبعِ على قلوبهم.

فكيفَ يُحَوِّلُ آيةً من الحديثِ عن المنافقينَ الكافرين إلى الحديثِ عن أَهْلِ السنة، لأَنهم لم يقولوا برأْيه في الأئمة؟!

من هم شر الدواب الصم البكم؟:

٤٨ ـ نَزَّلَ على المسلمينَ المخالفين له في رأْيه في الأَئمةِ قولَه تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ۞ وَلَا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۞ ۞إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۞ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٠ ـ ٢٣] [الكافي ١: ٢٠٢].

اعتبرَ المسلمينَ المخالفين له هم الذين قالوا: سمعْنا، مع أنهم لا يَسمعون، وهم الذين وَصَفَتهم الآيةُ بأَنهم شرُّ الدواب، وأنهم الصمُّ البكمُ الذين لا يعقلون!

مع أَنَّ الآياتِ تصفُ الكفارَ الذين كذَّبوا رسولَ اللّه ﷺ وكفروا به. إنهم هم الذين

تَوَلَّوا عن الرسولِ ﷺ، وزعَموا أنهم سمعوا كلامَه وفَهِموه، مع أَنهم لم يَسمعوه سماعَ فَهْمٍ وتَدَبُّرٍ، وهم شَرُّ الدوابِّ الصمُّ البكمُ.

فكيف يُنَزِّلُ هذه الآياتِ على المسلمينَ المخالفين له؟

هل علم الأئمة كعلم الأنبياء؟:

قَرَنَ عِلْمَ الأئمةِ بعلْمِ الأَنبياءِ، وجَعَلَ عِلْمَ الفريقَيْنِ بدرجةٍ واحدة، وفوقَ علومِ أَهْلِ الزمان. وفي هذا من الغُلُوِّ والمبالغةِ ما فيه، إذ كيفَ يكونُ علْمُ الأئمةِ كعلمِ الأنبياء، الذين اصْطَفاهم اللّه، وجعلَهم أَنبياء، وعَلَّمَهم علْماً خاصّاً.. وأين علْمُ أئمةِ الشيعةِ من علْمِ الأَنبياء؟!

٤٩ ـ قال: «إِنَّ الأَنبياءَ والأئمةَ صلَواتُ اللّهِ عليهم يُوَفِّقُهم اللّهُ، ويُؤْتيهم من مخزونِ علْمِه وحُكْمِه ما لا يُؤتيه غَيرَهم، فيكونُ عِلْمُهم فوقَ علْم أَهلِ الزمان، في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: ٣٥] [الكافي ١: ٢٠٢].

استشهدَ بهذه الآيةِ لمصلحةِ الأئمة، في مقابلِ ذَمِّ الفريقِ الآخَر. الأئمةُ هم الذين يَهْدونَ إلى الحَقّ، وهم الذين أَحقُّ أَنْ يُتَّبَعُوا من قِبَلِ عامَّةِ المسلمين، أَمّا الآخَرونَ من غيرِ الشيعة فهم عاجزون، لا يَهْتدون إلى الحق، إلاّ أَنْ يهديهم الأَئمةُ إليه!!

مع أَنَّ الآيةَ تُقدِّمُ الدليلَ على وحدانيةِ اللّهِ وعَدَمِ وجودِ شريكٍ له. فاللّهُ هو الذي يَهدي إلى الحق، والشركاءُ لا يَهْدون ولا يَهْتَدون، فكيفَ يكونونَ آلِهة. قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

حديث عن طالوت وليس عن الأئمة:

٥٠ ـ أخذ آيةً تتحدثُ عن الملِك الإسرائيليِّ طالوتَ، وقَدَّمها شاهدةً على فضْلِ الأئمة، وهي قولُ اللّهِ في طالوت: ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

لما اعترضَ بنو إسرائيلَ على تملُّكِ طالوتَ عليهم، أَخبرَهم نبيُّهم أَنَّ اللّهَ هو الذي اصْطَفاهُ عليهم، ومَلَّكهُ عليهم، وزادَهُ بَسْطَةً وزيادةً وقوةً في العلمِ والجسم.

وقد أسقط صاحبُ الروايةِ على الإمامِ ومخالفيهِ من عمومِ المسلمين هذهِ الآيةَ، واعتبَر الخطابَ الذي فيها للمسلمين، فاللّهُ هو الذي اصْطَفى الإمامَ على المسلمين، وعَيَّنَهُ وسَمَّاهُ إماماً، وزادَه علماً وقوةً، فلماذا يُعارضونَه؟

ولا أدري ما هي الصلةُ بين بني إسرائيلَ وبين عُمومِ المسلمين، ولا بينَ الملكِ الإسرائيليِّ طالوتَ وبينَ الإمامِ من أئمةِ الشيعة! إِنَّ الاستشهادَ بهذه الآيةِ باطل، وتحريفٌ لمعناها ودلالتها!

هل خطاب الرسول خطاب للإمام؟:

٥١ ـ أخذ آيةَ خاطبَ اللّهُ فيها نبيَّه محمداً ﷺ، وأَسقطَها على الإمامِ الوَصِيِّ المعَيَّنِ المعصوم، وهي قولُ اللّه عز وجل: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

يمتنُّ اللّهُ على رسولِه محمدٍ ﷺ ببعضِ نِعَمِه عليه، ومنها إنزالُ القرآنِ عليه، وتعليمُه العلومَ الكثيرةَ التي لم يكنْ يعلَمُها من قبل، وفضْلُه العظيمُ الذي تفضَّلَ به عليه.

وما دَخلُ الإمامِ في هذا الخطاب؟ وما وَجْهُ الاشتراكِ بينَه وبينَ الرسولِ ﷺ، حتى نجعلَ من الآيةِ خطاباً مباشراً يخاطبُ اللّهُ به هذا الإمام!!

من الذين يحسدون الناس؟:

٥٢ ـ أَخَذَ آياتٍ تَذُمُّ بني إسرائيل لحَسَدِهم المؤمنين، وتُهدِّدُهم بعذاب اللّه، وأَسقطَها على مخالفي الأَئمةِ من أَهْلِ السنة، واعتبَر مخالفَتَهم للأئمةِ حَسَداً وتمرَّداً وعِصْياناً، يُعَرِّضونَ به أَنفسَهم لعقابِ اللّه. قالَ في الاستشهاد بهذه الآيات: «وقالَ اللّهُ في الأَئمةِ من أَهْلِ بيتِ النبيِّ وعشيرته وذريتِه صلواتُ اللّهِ عليهم: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا * فَمِنْهُم

﴿مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ٥٤ ـ ٥٥].

وسبقَ أَنْ رَدَدْنا استشهادَ الكُلَيْنيِّ وجماعتِه بهذه الآياتِ في موضعٍ سابق، وبيّنا عَدَمَ وجودَ دلالةٍ فيها على الأئمةِ ومُخالفيهم، لأَنَّ الحديث فيها عن عداوةِ وحَسَدِ اليهودِ للمسلمين، وإنزالُها على الأَئمةِ تحريفٌ لمعناها.

ونَلفتُ النظرَ إلى الجملةِ الخادعةِ المموِّهة، التي قالها ذلك الرجل: «وقالَ في الأَئمةِ من أَهلِ بيتِ النبيِّ وعشيرتِه وذريتِه، صلواتُ الله عليهم» إنَّ قارىء هذا الكلام من غير أَهْلِ العلم يعتقدُ أَنَّ الآياتِ نازلةٌ فعلاً في الأَئمةِ والعترةِ والذرية، مع أَنها نازلةٌ في اليهود، فهذا تزويرٌ وخداعٌ، وتشبيهٌ لأَهْلِ السنةِ باليَهود!!

تنزيل ايات في اليهود على المسلمين:

من أَبوابِ كتابِ «الحُجَّة» في «الكافي» باب «أَنَّ الأَئمةَ عليهم السلام وولاةَ الأَمْرِ هم الناسُ المحسودون الذين ذَكرهم الله».

وذكَرَ الكُلَيْنيُّ في هذا البابِ جَواباً لأَبي جعفر ـ محمدِ الباقر ـ بَيَّنَ فيه المقْصودين ببعضِ الآيات.

٥٣ ـ روى الكُلَيْنيُّ عن بريدِ العجلي قال: سأَلْتُ أَبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز جل: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾ [النساء: ٥٩] فكانَ جوابُه بتلاوةِ قولِه تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٥١] يقولون لأَئمةِ الضلالةِ والدُّعاةِ إلى النار: هؤلاء أَهدى من آلِ محمدٍ سبيلاً: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ﴾: يعني الإمامةَ والخِلافة.. ﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾: نحنُ الناسُ الذين عنى اللهُ.. ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۖ﴾: نحنُ الناسُ المحسودونَ على ما آتانا اللهُ من الإمامة، دونَ خَلْقِ اللهِ أَجمعين: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾: جَعَلْنا منهم الرسلَ والأَنبياءَ والأَئمة، فكيفَ يُقِرّونَ به في آلِ إِبراهيم عليه السلام، ويُنكرونَه في آلِ محمدٍ ﷺ»؟ [الكافي ١: ٢٠٥].

سأل بريدُ العجليُّ محمدَ الباقر عن معنى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾؟ وقَصْدُه من السؤالِ أَنْ يأخذَ الجوابَ المتفقَ مع مذهبِه في وجوبِ طاعةِ الأَئمة.. فأَجابَه أبو جعفر بذكْرِ آياتٍ أُخرى، ليؤكِّدَ ما عنده حولَ الأَئمة.

العجيبُ أَنَّ أبا جعفر في جوابِه أَخَذَ آياتٍ نازلةً في اليهودِ وجرائِمِهم، ضدَّ رسولِ اللّه ﷺ وأصْحابِه، [سورة النساء: ٥١ ـ ٥٥]، وأَسْقَطَها على أَئمةِ آلِ البيتِ، وفَسَّرَها على هذا الأَساسِ، فالذين تذمُّهم الآياتُ ـ في رأيه ـ ليسوا اليهودَ، ولكنَّهم أَهلُ السنةِ الذين يُخالفونَ الشيعةَ في النظرِ إلى الأئمة، والذين تمدَحُهم الآياتُ ـ في رأيه ـ ليسوا أَصحابَ رسول اللّه ﷺ، وإنما هم الأَئمة!

يَذمُّ اللّهُ اليهودَ الذينَ أُوتوا نصيباً من الكتاب، لأَنَّهم يؤمنونَ بالجبتِ والطاغوت، ولأنَّهم كانوا ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا﴾.

الآيةُ نازلةٌ في اليهوديِّ حُيَيِّ بن أَخْطَب ومَنْ معه، فبعدَ غزوة أُحُدٍ ذَهَبَ إلى كفارِ قريشٍ في مكة، يُحَرِّضُهم على قتالِ الرسولِ ﷺ وأصحابِه. فسأَلَه زعماءُ قريش: أنتم اليهودُ أَهلُ كتاب، وأَكثرُ عِلْماً مِنّا، فأَخبِرْنا: مَنْ أَقربُ إلى اللّه، أنحنُ أَمْ محمد، إنه يَزعمُ أَنّنا مُشركون وأنَّه رسولٌ؟ فأَجابَهم الملعونُ قائلاً: أُقسمُ باللّه أَنكم أَقربُ إلى اللّهِ من محمد، وأَنكم أَهدى إلى اللّه من محمد!! فأَنزلَ اللّهُ الآيةَ يذمُّه على هذا الكلامِ.

فالمرادُ بالفعل ﴿يقولون﴾ قولُ حُيَيِّ بنِ أَخْطَب ومَنْ مَعَه، والمرادُ بكلمةِ: ﴿للذين كفروا﴾ كفارُ قريش. والمرادُ باسمِ الإشارة ﴿هؤلاء﴾: أَهلُ مكة من المشركين. والمرادُ بجملةِ ﴿أَهدى من الذين آمنوا سبيلاً﴾: أَهدى من محمدٍ والذين آمنوا به.

أَلْغىٰ أبو جعفر ـ فيما تنسبُه له الروايةُ ـ هذا المعنى الصحيحَ للآية، ووظَفَها شاهدةً له في الخلافِ حولَ الأئمة: معنى: ﴿ويقولون للذين كفروا﴾: يقولُ أَهلُ السنةِ لقادتِهم أئمةِ الضلالةِ والدُّعاةِ إلى النار: هؤلاءِ الولاةُ والأَمراءُ أَهدى من الأَئمةِ من آلِ محمدٍ سبيلاً!!

ولما ذَمَّ اللّهُ اليهودَ قالَ عنهم: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾: لو

كانُوا يَملكونَ شَيْئاً من الملك، فإنهم سيكونون بُخَلاء، ولا يُؤتونَ النّاسَ أَيَّ شيءٍ منه، مهما قَلَّ، حتى لو كان نقيراً تافِهاً. والنَّقير هو النقطةُ الصغيرةُ في نواةِ التمر!!

جَرَّدَ أَبو جعفر الآيةَ عن هذا المعنى الصحيح، واستدلَّ بها على الخلافِ حولَ الأَئمةِ، بينَ الشيعةِ وأَهلِ السنة. فالذينَ لهم نصيبٌ من الملك هم أَهلُ السنة، فإذا كان الملكُ بأَيديهم ـ وهو الإمامةُ والخلافة ـ فإنهم لا يُؤْتون الناسَ ـ أَي الأَئمةَ المعصومين ـ أَيَّ جزءٍ من الإمامة مهما قَلَّ!!

وذَمَّ اللّهُ اليهودَ بقولِه: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي: يَحسدُ اليهودُ المسلمين على ما آتاهُم اللّهُ من الهُدى والقرآن، ويَحسدونَ الرسولَ ﷺ على ما آتاهُ اللّهُ من النبوة.

أَخَذَ أبو جعفر الآيةَ لتشهدَ له ولجماعتِه. فالحاسِدونَ عنده هم المخالفونَ للشيعة، وليسوا اليهودَ، والمحسودونَ عندَه ليسوا رسولَ اللّه ﷺ وأَصحابَه، إنَّما هم الأَئمةُ المعَيَّنُون، والذي حُسِدوا عليه ليس هو القرآنَ والهُدى، وإنما هو الإمامةُ، التي خَصّ اللّهُ بها هؤلاء الأَئمة: «نحنُ المحسودونَ على ما آتانا اللّهُ من الإمامةِ دون خَلْقِ اللّه أَجمعين»!

وأَساسُ فكرةِ الإمامةِ ـ التي يَجعلُها الشيعةُ جُزْءاً من إيمانِهم ـ مرفوضةٌ عندنا! فلا نُسَلّمُ أَنَّ اللّهَ حَصَرَ الإمارةَ والإمامةَ بالأَئمةِ من ذريةِ الحسينِ بن عليٍّ رضي اللّه عنهما، ولا نُقِرُّ بالإمامِ المعَيَّنِ والوصيِّ المعصوم، لأَنَّ أَمْرَ المؤمنين شورى فيما بينهم.

ولما ذَمَّ اللّهُ اليهودَ أَخبرَ عن ما آتاهُ لآلِ إبراهيمَ عليه السلام: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾. وآلُ إبراهيمَ هم الرسُلُ والأَنبياءُ من ذريتِه، والذي آتاهم اللّهُ إيّاهُ هو النبوةُ والرسالة.

وهذا المعنى أَخَذَه من الآية، وأَشركَ الأَئمةَ به مع الأَنبياء، فقالَ في معنى الآية: جعلنا منهم الأَنبياءَ والرسلَ والأَئمة. وقالَ في معنى جملةِ ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾: الملكُ العظيمُ أَنْ جعلَ فيهم أئمة. مَنْ أَطاعهم أَطاعَ اللّه، ومَنْ عَصاهم عصى اللّه!!

وهذا تحكُّمٌ مرفوضٌ في تَفسيرِ الآية، واستشهادٌ بها على غير ما سيقَتْ له، وتَحْريفٌ وتَغييرٌ لمعناها الصحيح.

هل الأئمة هم العلامات؟:

قال الله عز وجل: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ . .﴾ [النحل: ١٥ ـ ١٦].

ما المرادُ بالنجمِ وبالعلاماتِ هنا؟

٥٤ ـ روى الكلينيُّ عن داود الجَصَّاص قال: سمعتُ أَبا عبدِ الله يقولُ في مَعنى الآية: النجمُ هو رسولُ اللهِ ﷺ، والعلاماتُ هم الأئمةُ عليهم السلام.» [الكافي ١ : ٢٠٦ ـ ٢٠٧].

تقصرُ الروايةُ عن أَبي عبدِ الله ـ جعفر الصادق ـ معنى الآيةِ على ما لا تدلُّ عليه، وتذكُرُ لها معنى لم يَرِدْ عن الصحابةِ أو العلماء: النجمُ عند الكُلَينيِّ وجماعتِه هو رسولُ الله ﷺ، والعلاماتُ هم أئمةُ آلِ البيت، الذين يَهتدي النَّاسُ بهم.

فهل هذا هو المعنى الصحيحُ للآية؟! لا بُدَّ من معرفةِ سياقِها. . الآيةُ ضمنَ آياتٍ تَتحدَّثُ عن نِعَمِ اللهِ على الناس: إنزالِ الماءِ من السماء، وما يَنتجُ عنه من نباتاتٍ وزروع، وأشجارٍ وثمار، وتَسخيرِ الليلِ والنهارِ والشمسِ والقمرِ لمصالحِ الناس، وملءِ الأَرضِ بالفوائدِ والمخلوقاتِ النافعةِ للناس، وتسخيرِ البحرِ لمصالحِ الناس، واستخراجِ السمكِ والحُليِّ منه، وإلقاءِ الجبالِ الرواسي، وتفجيرِ الأنهارِ في الأرض، وشَقِّ الطرقِ للسيرِ فيها، والاهتداءِ بالعلاماتِ التي في الأرض، والنجومِ التي في السماءِ، لمعرفةِ الطرقِ والسيرِ فيها. . هذه النعمُ توجِبُ على الناسِ ذكْرَ اللهِ وشكْرَهُ عليها. [النحل: ١٠ ـ ١٨].

﴿علاماتٍ﴾: منصوبةٌ، لأَنَّها معطوفةٌ على ﴿رواسِيَ﴾. والتقديرُ: أَلْقى اللهُ في الأرضِ رواسيَ وأنهاراً وسُبُلاً وعلاماتٍ. . لعلَّهم يَهتدونَ عند السيرِ بتلكَ السبلِ والطرق، والعلاماتِ التي أَلْقاها اللهُ في الأرض.

ومعنى ﴿ألقى في الأرض﴾: جعلَ وأَوجدَ فيها. والمنصوباتُ كلُّها أَشياءُ ماديةٌ مخلوقة، أَلْقاها اللهُ وأَوجَدَها في الأَرض: الجبالُ والأَنهارُ والطرقُ المسلوكةُ والعلاماتُ القائمة.

ويلاحظ أنَّ ﴿علاماتٍ﴾ جمعُ مُؤَنَّثٍ سالمٌ منصوبٌ بالكسرة، وهو نكِرَة، وحِكمةُ التنكيرِ العمومُ والشمولُ، لتشمَلَ جميعَ العلاماتِ الموجودةِ في الأرض، الدالَّةِ على الطريق.

والعلاماتُ جمعُ علامة، وهي الإشارةُ الواضحة، والدليلُ البيِّن، والمنارُ الهادي. وهذه العلاماتُ المميزةُ الهاديةُ تتمثلُ في الجبالِ والآكامِ، والتلالِ والأشجارِ، والأحجارِ والأودية، وغيرِها، التي تَدُلُّ على الطرقِ المسلوكة.. وهذه العلاماتُ الإرشاديةُ زادَتْ في العصرِ الحديث، وتَمَثَّلَتْ في الطرقِ والشوارعِ المعَبَّدَة، وما علَيها من لوحاتٍ إرشادية، تُكتَبُ عليها أَسماءُ الطرقِ والمدُنِ وغيرِها.

أَمَّا النجمُ في قوله: ﴿وبالنجم هم يهتدون﴾ فهو اسْمُ جنسٍ، يَنطبقُ على الكواكبِ والنجومِ في السماء، يَهتدي بها المسافرونَ على الطرقِ البعيدة في تحديدِ الزمانِ والمكانِ والجهة.. والواو في ﴿وبالنجم﴾ حرفُ استئناف. وشبهُ الجملة ﴿بالنجم﴾ متعلقةٌ بالفعلِ ﴿يهتدون﴾ مقدَّمةٌ عليه، والتقدير: وهم يَهْتَدونَ بالنجم. وبمعنى هذه الآية قولُه تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ..﴾ [الأنعام: ٩٧].

هذا هو المعنى الصحيحُ للعلاماتِ والنَّجم، من خلالِ دلالةِ الكلمات، ومعرفةِ سياقِ الآيات، فهي علاماتٌ ماديةٌ هاديةٌ على وجه الأرض، وهو نجمٌ حقيقيٌّ موجودٌ في الفضاء!!

وبهذا نعرفُ خَطَأَ الكلينيِّ وجماعتِه، عندما فَسَّروا العلاماتِ بالأئمةِ الهُداة، وفَسَّروا النجمَ الكبيرَ برسولِ الله ﷺ.. وهذا التفسيرُ لا يتفقُ مع معاني الكلمات، ولا معَ سياقِ الآياتِ، وهو قائمٌ على المزاجِ والهوى!

هل الأئمة هم الآيات والنذر؟:

يَرى الكُلينيُّ وجماعَتُه أنَّ عليَّ بنَ أبي طالبٍ رضي الله عنه هو النبأُ العظيم، وأنَّ الأئمةَ الأوصياءَ من ذريتهِ هم الآياتُ التي جَعَلَها اللهُ بينَ الناس، وأنَّ الذينَ لا يؤمنونَ بالأئمةِ على الطريقةِ الشيعيةِ هم المكذِّبونَ بآياتِ الله! ولا يَنْسى الكُلَينيُّ أَنْ يستشهدَ على هذا الفهم الخاطىء بآياتٍ من القرآن!!

٥٥ ـ روى الكُلَيْنيُّ عن داود الرَّقِّيّ قال: سأَلْتُ أَبا عبدِ الله عليه السلام عن قولِ الله: ﴿ وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: ١٠١]. قال: الآياتُ هم الأئمة، والنُّذُرُ هم الأنبياءُ عليهم السلام.» [الكافي ١: ٢٠٧].

إنَّ حملَ الآياتِ على الأئمةِ مرفوض، لأنه لا يَتفقُ مع معنى الآيةِ وسياقِها..

الحديثُ في الآيةِ عن الكفارِ الذين أشركوا بالله، وكَذَّبوا رسلَه، وتَلفتُ أنظارَهم إلى آياتِ الله وحججهِ في السماواتِ والأرض، الدالَّةِ على وحدانيتهِ سبحانه: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾؟.. وهم لَنْ يُلَبُّوا هذه الدعوةَ، ولَن يَنْظُروا في الآياتِ المبثوثَة، لعِنادِهم واستكبارِهم.. وتُقَرِّرُ الجملةُ الثانيةُ من الآيةِ أَنَّ الآياتِ والنُّذُرَ لا تُغْني عن هؤلاءِ الكفار، ولا تنفعُهم، لأَنَّهم لن يَفْتَحوا لها قُلوبَهم وعُقولَهم وعُيونَهم..

النُّذُرُ كلمةٌ عامَّة، قد تُطْلَقُ على الأنبياءِ والرسُل، وقد تُطْلَقُ على غيرِهم، لأنَّ كُلَّ نبيٍّ جعلَه اللهُ بَشيراً ونَذيراً. فالنُّذُرُ تشملُ الأنبياءَ وباقي الإنذاراتِ التي يوضِّحُها اللهُ للكفار، ويَلفتُ أنظارَهم إليها..

من إطلاقِ النُّذُرِ على الأنبياء في القرآنِ قولِه تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ * فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ * أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ .. ﴾ [القمر: ٢٣ ـ ٢٥].

ومن إطلاقِ النُّذُرِ على التهديدِ والعذابِ في القرآن قولُه تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْاْ بِٱلنُّذُرِ * وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ [القمر: ٣٦ ـ ٣٧].

أمّا أَنْ يُرادَ بالآياتِ في ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ﴾ الأئمةُ والأوصياءُ فهذا باطلٌ ومردود.

وعندما جَعَلَ الكُلينيُّ وجماعَتُهُ الآياتِ بمعنى الأئمةِ، أَرادَ أَنْ يَشْتُمَ أَهْلَ السُنَّةِ المخالفينَ للشيعة، وأَنْ يصفَهم بالعِنادِ والكفر، لأَنَّ الآياتِ الأَئمةَ لا يُؤَثِّرونَ في هؤلاء الذينَ لا يؤمنونَ. وهذا تحريفٌ آخَرُ لمعنى الآية.

من الذين كذبوا بآيات الله كلها؟:

٥٦ ـ روى الكلينيُّ عن أَبي جعفر أنه قال في قوله تعالى: ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا﴾: كَذَّبوا بالأوصياءِ كُلِّهم. [الكافي ١: ٢٠٧].

وهم بهذهِ الروايةِ الجديدةِ يَشْتُمونَ أَهْلَ السُنَّة، لأَنَّ آياتِ اللهِ المذكورةَ في الآيةِ هم الأئمةُ والأَوصياءُ، الذين يُؤمنُ بهم الشيعة، وأَهْلُ السنةِ لا ينظرونَ لهم هذه النظرةَ المغاليةَ، فهم مُكَذِّبون لهم، وأَخبرَ اللهُ أَنَّ أَهلَ السنة مُكَذِّبونَ قبلَ وجودِ الأئمةِ الآيات!

لِننظرْ في الآيةِ التي ذَكَرَها أبو جعفر، هل يمكنُ أَنْ تَدُلَّ على هذا المعنى!

قالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ۝ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٤١ ـ ٤٢].

لقد ذَكَرَتْ سورةُ القَمَرِ نماذجَ سابقةً لأَقوامٍ كافرينَ، كَذَّبوا نُذُرَهم ورُسُلَهم، فأَخَذَهم اللهُ بالعذاب، وهم قومُ نوح، وعادٌ، وثمودُ، وقومُ لوط. وخَتَمَتْ بذكْرِ قومِ فرعون، ثم انتقلَتْ للحديثِ عن قريشٍ وتهديدِهم بالعذاب: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ﴾ [القمر: ٤٣].

فاعِلُ ﴿كَذَّبوا بآياتنا﴾ واوُ الجماعة، وهو يعودُ على ﴿آل فرعون﴾، المذكورين في الآيةِ السابقة. والمرادُ بالآياتِ كُلِّها في قوله: ﴿بآياتنا كُلِّها﴾ النُّذُرُ المذكورةُ في الآيةِ السابقة، وهذه النُّذُرُ الآياتُ هي الآياتُ التي آتاها اللهُ موسى عليه السلام، والتي أَشارَ لها قولُه تعالى: ﴿فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [النمل: ١٢].

ولمّا كَذَّبَ آلُ فرعون بآياتِ اللهِ كلِّها التي قَدَّمَها لهم موسى عليه السلام عَذَّبَهم اللهُ مباشرة، بأَنْ أَهلكَهم في اليَمّ، ولذلك قالت الآية: ﴿فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾.

فالكلامُ في الآيةِ عن آلِ فرعون، الذينَ كَفَروا بموسى عليه السلام، وليس عن أَهْلِ السُّنَّةِ الذين اخْتَلَفوا مع الشيعة، والمرادُ بآياتِ اللهِ تلك الآياتُ التسعُ التي أَجْراها اللهُ على يَدِ موسى عليه السلام، وليس الأَئمةَ الأَوصياءَ عند الشيعة، وقد عَجَّلَ اللهُ عِقابَ آلِ فرعون المكَذِّبين، فأَخَذَهم أَخْذَ عزيزٍ مقتدر. .

وبهذا نعرفُ خَطَأَ القولِ الذي نَسَبَهُ الكُلَيْنِيُّ لأبي جعفرَ في تفسيرِ الآية!

هل علي بن أبي طالب هو النبأ العظيم؟:

قالَ اللهُ عز وجل: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ * عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ * ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ [النبأ: ١ ـ ٣] هذه الآياتُ لها معنى خاصٌّ عند الكُليني وجماعتِه.

٥٧ ـ روىٰ عن أَبي حمزةَ قال: قلْتُ لأبي جعفر: جُعِلْتُ فِداكَ، إنَّ الشيعةَ يسألونكَ عن تفسيرِ هذه الآية: ﴿عم يتساءلون . عن النبأ العظيم﴾؟

قال: ذلك إلَيَّ، إنْ شِئتُ أَخبرتُهم، وإنْ شئتُ لم أُخبرهم. . لكنّي سأُخبركَ بتفسيرِها. إنَّ الآيةَ في أَميرِ المؤمنين صلواتُ الله عليه. وقد كانَ أَميرُ المؤمنين صلواتُ اللهِ عليه يقول: ما للهِ عز وجل آيةٌ هي أكبرُ منِّي، ولا للهِ من نبإٍ أعظمُ منّي!» [الكافي ١ : ٢٠٧].

النبأُ العظيمُ وفْقَ هذه الروايةِ هو عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه، كما نُسِبَ ذلك إلى أَبي جعفر ــ محمد الباقر ــ وإلى عليِّ بْنِ أَبي طالبٍ نفسِه. .

وإذا كان عليٌّ رضيَ اللهُ عنه هو النبأَ العظيمَ، فإِنَّ الآيةَ تَذُمُّ وتُهددُ وتتوعَّدُ الذين يَختلفون فيه!

إنَّ هذا الكلامَ في تفسيرِ الآية مرفوض، لأنَّ سياقَها والآياتِ التي بعدَها تُبينُ أَنها نازلةٌ في الكفار، الذين اخْتَلَفوا في رسالةِ رسولِ الله ﷺ.

والراجحُ أَنَّ المرادَ بالنبإِ العظيم القرآنُ، فلمّا أَسمعَ الرسولُ ﷺ قومَه آياتِ القرآن، وأَخبرهم أَنَّ اللهَ بَعَثَه رسولاً، وأَنزلَ عليه القرآن، اختلَفوا في ذلك.

فالمؤمنونَ منهم صَدَّقوهُ وآمَنوا به ودَخَلوا في دينِه. . والكافرونَ كَذَّبوه وكَفَروا

به، ورفضوا أنْ يكونَ القرآنُ من عند الله.

فأنزلَ اللهُ سورةَ النبأ، هَدَّدَ فيها الكفارَ وتوَعدَهم بالعذاب: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ * عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ * ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ * كَلَّا سَيَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ [النبأ: ١ ـ ٥].

ولا يُمكنُ أَنْ يكونَ عليُّ بنُ أَبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنه هو المقصودَ بهذه الآيات، فليس هو النبأَ العظيم، لأنه لا يُذْكَرُ ـ على فَضْلِه ومنزلتِه ـ أَمامَ القرآن الذي هو نبأٌ عظيمٌ حقًا.

ولا يمكنُ أنْ يقولَ عليٌّ رضي الله عنه عن نفسِه ما نَسَبَتْه له الروايةُ، وأَنْ يكونَ معتدّاً بنفسِه على هذه الصورة، من التكبُّرِ والافتخار: «ما للّهِ آيةٌ هي أَكبرُ مني، وما لله من نبأ هو أعظمُ مِنّي.»!!

هذه اللغةُ الافتخاريةُ لا يعرفُها أصحابُ رسولِ الله ﷺ، وفي مقدمتِهم عليٌّ رضي الله عنه، فهم أَصْدَقُ أَجيالِ المسلمين، وأَكثرُهم إِخلاصاً للّه، وتواضُعاً بين يدَيْه، ولذلكَ نجزمُ أَنَّ عليّا رضي الله عنه لم يَقُلْ ذلك الكلام!!

هل الأئمة هم الصادقون وحدهم؟:

قالَ الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

يأْمُرُ اللهُ المؤمنين أَنْ يَتَّقوهُ سبحانه، وأَنْ يكونوا مع الصّادقين الصّالحين المتقين، و ﴿الصادقين﴾ وَصْفٌ يُطْلَقُ على كُلِّ الصالحين من أُمةِ محمدٍ ﷺ، على اختلافِ الزمانِ والمكان.

ودليلُ العمومِ في الآيةِ أَنَّ ﴿الصادقين﴾ جمعٌ مُعَرَّفٌ بأَل التعريف، والقاعدةُ المطردةُ في فهمِ القرآنِ أَنَّ الجمعَ المعرَّفَ بأل يدلُّ على العُموم.

لكنَّ الكُلينيَّ وجماعَته لم يأْخُذُوا كلمةَ ﴿الصادقين﴾ على العُموم. كما تقررُ القاعدةُ اللُّغوية، وإنما خَصّوها بأَئمتهم..

٥٨ ـ روى الكلينيُّ عن بَريد العجلي قال: سأَلْتُ أَبا جعفر عليه السلام عن قولِ اللهِ

عز وجل: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾. قالَ: إيانا عَنىٰ.

وروى ابنُ أَبي نَصْر قال: سأَلْتُ أَبا الحسنِ الرضا عن قولِ اللهِ عز وجل: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾. قال: الصّادقونَ هم الأئِمَّة، والصّدّيقونَ بطاعَتِهم. [الكافي ١: ٢٠٨].

تخصيصُ الصّادقينَ بالأئمة لا دليلَ عليه، بل هو مخالفٌ لقواعِدِ فهم القرآن، وهو قولٌ بالتفسيرِ بالهوى، والهدفُ من ذلك جعْلُ طاعةِ الأئمةِ الذينَ عَيَّنَهم اللهُ تكليفاً قرآنيًا!!

هل الأئمة هم أهل الذكر المسؤولون؟:

امَرَ اللهُ بسؤالِ أَهْلِ الذِّكر، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۞ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ . . . ﴾ [النحل: ٤٣ ـ ٤٤].

مَنْ هم أَهْلُ الذِّكرِ المسؤولون؟ ومَنْ هم السائِلونَ لهم؟ وما هو موضوعُ السؤال؟ ولماذا السؤال؟

عند الكلينيِّ وجماعتِهِ تَخصيصٌ لكلِّ هذه الأسئلة، وتوجيهُ الآيةِ لتكونَ شاهدةً ودليلاً للأئمة، على أنَّ اللهَ في القرآنِ أَمَرَ بطاعتِهم وسؤالِهم، وأَخْذِ جوابِهم!

٥٩ ـ روى الكلينيُّ عن عبدِ اللهِ بن عجلان، عن أَبي جعفر ـ محمد الباقر ـ في قول الله: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾. قال: قال رسولُ الله ﷺ: الذكْرُ أَنا، والأئمةُ أَهْلُ الذِّكْر. قالَ أَبو جعفر: وقولُه تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٤]: نحنُ قومُه، ونحنُ المسؤولون! [الكافي ١: ٢١٠].

تنسبُ الروايةُ إلى رسولِ الله ﷺ أنَّه هو الذي فَسَّرَ الآيةَ، وتجعلُ جملةَ: «الذكْرُ أَنا، والأئمةُ أَهلُ الذكر» حديثاً مرفوعاً لرسولِ اللهِ ﷺ.

ويَرتكبونَ الجريمةَ الكبيرةَ عندما يَفْتَرونَ على رسولِ الله ﷺ، فلم يصحّ هذا الحديثُ، ولم يَقُلْهُ رسولُ اللهِ ﷺ. فهو مردود!!

وتَنسبُ الروايةُ إلى أَبي جعفر تفسيراً عجيباً لقولِه تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ

﴿وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ﴾. إنَّ الأئمةَ هم وحدهم قومُ النبيِّ ﷺ، وغيرُهم من المسلمين ليسوا قومَه، حتى ذرية عليٍّ رضي الله عنه من غيرِ الأئمةِ لا يَدخلونَ ضمنَ قومِه.

وهؤلاء الأئمةُ سوف ﴿يُسْأَلون﴾، أَيْ: سوفَ تُوَجَّهُ لهم الأسئلةُ من أَتْباعِهم، ليُجيبوا عليها.

معنى الآيةِ على هذا التفسير: يَقولُ اللهُ للنبيِّ ﷺ: هذا القرآنُ ذكْرٌ لك، وذكْرٌ لقومِك الأئمةِ من نسلِ عليِّ بن أَبي طالب.. ثم قالَ اللهُ لهؤلاء الأئمة: سوفَ يسأَلُكم أَتباعُكم، طالبينَ منكم العلمَ، وأَنتم تُجيبونهم على أَسئلتِهم..

وهذا التفسيرُ مرفوض، لأَنَّ الآيةَ لا تدلُّ عليه. فقومُ النبيِّ ﷺ ليسوا الأئمةَ من نسلِ الحسينِ بْنِ عليٍّ رضي الله عنهما، وإنما هم قومُه من قريشٍ كلِّهم.

ومعلومٌ أَنَّ معظمَ قومِه كفروا به وكَذَّبوه، وحارَبوه وعادوه، ولم يؤمنْ به إلاّ عددٌ قليلٌ منهم، وقد ذَمَّ اللهُ قومَه الكافرين، وقَرَّرَ أَنَّ هذا القرآنَ ذكْرٌ لهم، وطريقٌ إلى عِزَّتِهم وعُلُوِّ منزلتِهم.

ثم التفتت الآيةُ إلى هؤلاء القوم الآخرين، وخاطبَتْهم بجملة: ﴿وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ﴾ والمرادُ بالسؤالِ هنا سؤالُهم يومَ القيامة، عندما يُحاسَبون على أعمالهم في الدنيا، والذي يسأَلُهم هو الله، سُؤالَ محاسبة.

وبمعنىٰ هذه الآيةِ قولُه تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢ ـ ٩٣].

هل الأئمة مخيرون في جواب الأسئلة؟:

٦٠ ـ ذَكَرَ الكلينيُّ روايةً أُخرى فيها شيءٌ من التفصيل: عن الوَشّاءِ قالَ: سأَلْتُ الرِّضا، فقلتُ له: جُعِلْتُ فِداك، ما مَعْنى قولِهِ عز وجل: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾.. فقالَ: نحنُ أَهْلُ الذِّكْر، ونحنُ المسؤولون.

قلتُ: فأَنتم المسؤولون ونحنُ السائلون؟.. قال: نَعَم. قلتُ: حَقّاً علينا أَنْ نسأَلَكُم؟ قال: نَعَم.. قلتُ: حَقٌّ عليكم أَنْ تُجيبونا؟. قال: لا. ذاكَ إِلَيْنا. إِنْ شئْنا

فَعَلْنا، وإنْ شئْنا لم نَفْعَل. أَما تسمعُ قولَ الله: ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [ص: ٣٩]. [الكافي ١: ٢١٠ ـ ٢١١].

الخطأُ في هذا الحوارِ بينَ الوَشّاءِ والرِّضا في الاستشهادِ بالآياتِ على غيرِ ما سيقَتْ له، وتَخصيصِها بالأَئمة، مع أَنها ليستْ خاصَّةً بهم، ولا تتحَّدثُ عنهم!

نَسَبَ إلى الرِّضا أَنه حَمَلَ قولَه تعالى: ﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ ﴾ عليهم، فقال: نحنُ أَهْلُ الذِّكْر.

لِننظرْ في حديثِ القرآنِ عن أَهْلِ الذكر...

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٣ ـ ٤٤].

جملةُ ﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ مُعْترضة، وَرَدَتْ في سياقِ الحديثِ عن تكذيبِ كفارِ قريشٍ برسول الله ﷺ، وتقديم الأَدلةِ على أَنَّ اللهَ أَرسلَه، وتُقررُ الآيةُ أَنَّ اللهَ بَعَثَ رُسُلاً رجالاً كثيرين، قبلَ رسولِ اللهِ ﷺ، وخاطبَ اللهُ فيها رسوله قائلاً: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ ﴾. وأَخبره أَنه أَوحىٰ إلى الرسلِ السابقين بالبيناتِ والزُّبُر، وأَنْزَلَ إليه الذكْرَ ـ وهو القرآن.

وفي سياقِ الحديثِ عن رسالةِ الرسولِ ﷺ وَرَدَتْ جُمْلةٌ معترضة، فيها خطابٌ من اللهِ للكافرين المكذِّبين لرسولِ الله ﷺ، يَدُلُّهم على طريقةٍ علميةٍ لإزالةِ شكِّهم في الرسولِ ﷺ: ﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾.

فاعلُ ﴿اسألوا﴾: يَعودُ على كفارِ قريش، الذين يُنكرونَ النبوة، ولا يعودُ على أَتْباعِ الأئمة، لأنه لم يَرِدْ لهم ذكرٌ أَو إشارة!

و ﴿أَهْلَ الذكر﴾ مفعولٌ به، يُرادُ بهم اليهودُ والنصارى، وليس أَئمةَ الشيعة، لأنَّ اللهَ بَعَثَ لهم الرسلَ السابقين، الذينَ أشارتْ لهم الجملةُ السابقة: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ ﴾.

والمرادُ بالذكرِ الكتبُ السابقة، المَنَزَّلَةُ على الأنبياءِ السابقين، فالتوراةُ كتابُ الله، وهي ذكْرٌ من الله، والإنجيلُ كتابُ الله، وذكْرٌ من الله.

اليهودُ والنصارى أهلُ الذكر، لأنَّ اللهَ أنزلَ إليهم ذكْرَه، فأَنزلَ لليهودِ التوراةَ وأنزلَ للنصارى الإنجيل. هؤلاء هم المسؤولون في الآية، والسائلونَ هم كفارُ قريش.. فكيفَ تستشهدُ الروايةُ بالآيةِ على ما لم تَنْزِلْ فيه، ولا تَدُلُّ عليه؟!

وأوجبَ الرِّضا على أتْباعِ الأئمةِ أنْ يَسألوهم، ولم يوجبْ على الأئمةِ إجابَتَهم: «أَحَقّاً عليكم أن تُجيبونا؟. قال: لا. ذاك إلينا، إنْ شِئْنا فعَلْنا وإنْ شِئْنا لم نَفْعَل.».

وهذا كلامٌ غيرُ مُسَلَّم، فمن المعلومِ عندنا أنه يَجبُ على الذي لا يَعلمُ أَنْ يسأَلَ العالِمَ ليتعَلَّمَ، ويجبُ على العالمِ المسؤولِ أَنْ يُجيبَ السائل، ولا يجوزُ له أَنْ يَكتمَ العِلم!

واستشهادُه بالآيةِ خَطَأ. وذلك في قولِه للوَشَّاء: «أما تَسمعُ قولَ اللهِ تبارك وتعالى: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.».

ومعنى الآيةِ على هذا الاستشهاد: يقولُ اللهُ للإمام من الأَئِمة: أَعْطيناكَ ما أَعْطَيناك من الفضْلِ والإمامة، فامْنُنْ على مَنْ تَشاء، وأَجِبْهُ على سؤالِه، وأَمْسِكْ عن مَنْ تشاءُ من السائلين، فلا تُجبه على سُؤالِه!!

وهذا المعنى والتفسيرُ مردودٌ.

الآيةُ واردةٌ في سِياقِ قصةِ سليمانَ عليه السلام في سورةِ ص، والخطابُ فيها من اللهِ لسليمانَ عليه السلام، وليس للإمام. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ * قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ * فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ * وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ * وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ * هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ..﴾ [ص: ٣٤ - ٣٩].

المرادُ بالعَطاءِ في الآيةِ ما آتاهُ اللهُ لسليمانَ عليه السلام من النِّعَمِ المذكورةِ في الآياتِ السابقة، مثلُ تسخيرِ الريحِ والجنِّ والشياطين، وفَوَّضَهُ اللهُ في التصرفِ فيها،

فيمنُنُ بها على مَنْ يشاءُ، ويُعطيه منها، ويُمسكُ منها عن مَنْ يشاء، ويحجُبُها عنه . .

فلا يجوزُ قَطْعُ الآيةِ عن سياقها، وجعْلُها خطاباً من اللهِ للإمام المعصوم، وقَصْرُ المَنِّ والإمساكِ على الإجابةِ على الأسئلة أو تركِها!!

هل الأئمة هم أولو الألباب وحدهم؟:

أَوردَ الكُلَينيُّ رواياتٍ عن أئمةِ الشيعةِ، يَجعلونَ أَنفسَهم فيها أُولي الألْباب، ويَجعلونَ غيرَهم لا يَعلمون، ويُفَسِّرون فيها القرآنَ تفسيراً خاصًّا.

قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر: ٩].

٦١ - روى عن أَبي جعفر - محمد الباقر - أنَّه قالَ في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾: نحنُ الذينَ يَعلمون، وعَدُوُّنا الذينَ لا يَعلمون، وشيعَتُنا أُولو الألباب. .» [الكافي ١: ٢١٢].

الأئمةُ وحْدَهم هم الذينَ يَعلمون، وشيعتُهم الذينَ يَتَّبعونَهم هم أُولو الألبابِ وأَصحابُ العقولِ الكبيرة، أَمَّا خُصومُهم الذينَ لا يَرونَ رأْيهم فهم الجهَّالُ الذين لا يَعلمون. . وهؤلاء الخصومُ الذين جعلَهم أَعداءً هم أَهلُ السنة، وقد سَجَّلَ التاريخُ الإسلاميُّ صفحاتٍ كثيرةً للعداءِ والخلافِ بين الشيعةِ وأَهلِ السنة.

ولا يَجوزُ استنطاقُ آياتِ القرآن، وتَحويلُها للانتصارِ للشيعةِ ضدَّ أهلِ السنة، وقَطْعُها عن سياقِها، والخروجُ بها عن دلالَتها. . .

الآيةُ تُقارِنُ بينَ المؤمنين العابدين والكافرينَ المعاندين، وتُقَرِّرُ عدمَ تَساوي الفريقَيْن. قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ . ﴾ [الزمر: ٩].

المؤمنونَ يَعلمون، وعلْمُهم قادَهم إلى عبادةِ الله، فهم يُمْضونَ لَيْلَهم قانِتينَ عابدين، ساجدين وقائمين، يَحْذَرون عذابَ الآخِرَة، ويَرجونَ رحمةَ الله. . وأَعداؤُهم الكافرون على عكسِ ذلك، فلا يَعْبُدون اللهَ ولا يَدْعونَه، ولذلك هم جاهِلونَ.

والنتيجةُ أَنَهُ لا يستوي المؤمنون العالمون أُولو الألباب والكافرون الذين لا يعلمون.

و ﴿الذين﴾ الأُولى في الآيةِ صفةٌ للمؤمنين، و﴿الذين﴾ الثانيةُ صفةٌ للكافرين: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾. أَيْ: هل يَستوي العالِمون وغيرُ العالِمين.. ومن المعلومِ أَنَّ اسْمَ الموصولِ من صِيَغِ العُموم، وهو هنا يَنطبقُ على كلِّ المؤمنين وعلى كلِّ الكافرين.

أَخطأَت الروايةُ السابقةُ في استشهادِها بالآيةِ في موضعين:

الأول: تَخصيصُ ﴿الذين يعلمون﴾ بالأئمة. مع أَنَّ اسْمَ الموصولِ من صيغِ العُموم.

الثاني: تَخصيصُ ﴿الذين لا يعلمون﴾ بأَعداءِ الشيعة، وهؤلاء هم أَهلُ السُّنَّة، وفيهم مَنْ فيهم من العلماءِ والأولياءِ والصالحين، فكيف يكونُ كُلُّ هؤلاء هم الذين لا يَعلمون؟ وكيفَ تأخذُ الروايةُ جملةً جاءَتْ صفةً للكفار وتجعلُها وصفاً للمؤمنين؟

هل الأئمة وحدهم هم العالمون بتأويل القرآن؟:

قالَ اللهُ عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

أَخبرَ اللهُ أَنه جعلَ القرآنَ قسمَيْن: معظمُه آياتٌ محكَماتٌ واضحاتُ الدِّلالة، وقليلٌ منه آياتٌ متشابهات، في معناها غُموضٌ ولَبْس. وذَكَرَ أَنَّ المؤمنين الراسخينَ في العلمِ يَتَّبِعون الآياتِ المحكَمات، وأَنَّ الذينَ في قلوبهم زيغٌ يَتَّبعون الآياتِ المتشابهات، بهدفِ فتنةِ الناس، وطَلَباً لتأْويلِها، ولا يَعلَمُ تأويلَها إلاَّ الله.

وقد اختلفَ المفَسِّرون في الراسخين في العلم: هل يعلمونَ تأويلَ المتشابهات أمْ لا:

١ ـ الذينَ جَعَلوا التأويلَ بمعنى معرفةِ العاقبةِ والمآلِ والكيفية، قَصَروا العلْمَ بتأويلِ المتشابهاتِ على اللهِ وحْدَه، أمَّا الراسخونَ في العلمِ فإنهم لا يعلمونَ تأويلَها،

ويقولون: آمَنَّا بالقرآنِ لأنه من عندِ رَبِّنا.

٢ ـ الذينَ جَعَلوا التأويلَ بمعنى التوضيحِ وإزالةِ اللَّبسِ والغُموض، وحَمْلِ المتشابهِ على المحكَم، اعْتَبَروا الراسخينَ في العلم ممن يَعلمونَ تأويلَه، فتأويلُ المتشابه ـ على هذا المعنى ـ يَعلَمُهُ اللهُ ويَعلَمُهُ الراسخون في العلم، ومع علْمِهم بتأويله يقولون: آمَنَّا بالقرآنِ بقسمَيْه لأَنَّه من عندِ الله..

مَنْ هم هؤلاءِ الراسخون في العلمِ، العالمونَ بتأويلِ المتشابه؟

٦٢ ـ عند الكُلَيْنيِّ وجماعتِه هم عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه والأئمةُ من بعدِه. روىٰ عن أَبي بَصيرٍ، عن أبي عبدِ الله ـ جعفرِ الصادق ـ في قولِ اللهِ عز وجل: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾. قال: نحنُ الراسخونَ في العلم، ونحنُ نعلمُ تأويلَه..

وفي روايةٍ ثانيةٍ قال: الرسولُ ﷺ أَفضلُ الراسخينَ في العلم.. وأَوْصِياؤهُ من بعدهِ يَعْلَمونه كُلَّه..

وفي روايةٍ ثالثة قال: الراسخونَ في العلم هم: أَميرُ المؤمنين، والأئمةُ من بعدِه.» [الكافي ١: ٢١٣].

تَميلُ الرواياتُ إلى الرأْيِ الثاني في تأويلِ المتشابه، وهذا لا شيءَ فيه، فهناك علماءُ كثيرونَ على هذا الرأي، وفي مقدمتِهم ابنُ عباس رضي الله عنهما..

وتُقررُ الرواياتُ أنَّ عليَّ بنَ أبي طالب رضي الله عنه ممنْ يَعلمُ تأويلَه، وأَنَّه من الراسخين في العلم، وهذا شيءٌ صحيح، فعليٌّ رضي الله عنه كانَ من أَعلمِ الصحابةِ بالقرآن، ومن أَرسخِهم علماً. وكذلك الأئمةُ كانوا من العالِمينَ بالقرآن، الراسخينَ في العلم، مثلُ عليٍّ زين العابدينَ، وجعفر الصادق.

لكنَّ الخطأَ حَصْرُ الراسخينَ في العلم، العالمينَ بالتأويل، بعليٍّ رضي الله عنه، وبالأئمةِ من بعده، وكأنهم وحدهم العالِمين بالقرآن، وكأنَّ علْمَهم أَحاطَ بكلِّ ما في القرآن من معانٍ وعلومٍ ومعارف.

عليٌّ رضيَ اللهُ عنه عالمٌ بالتأويل، وراسخٌ في العلم، مِثْلُه في ذلك مِثْلُ الراسخين في العالمين كابنِ مسعودٍ وابنِ عباسٍ وعمرَ وعثمانَ وغيرِهم، رضي الله عنهم. .

وكان جعفرُ الصادق ـ مَثَلاً ـ من الراسخينَ في العلم، والعالِمين بالتأويل، ولكن كان مثْله ـ إنْ لم يكنْ أَعْلَمُ منه ـ علماءُ مثلُ الحسنِ البصري وسفيان الثوري ومجاهد والطبريّ وغيرِهم. . .

هل القرآن في صدور الأئمة وحدهم؟:

قالَ اللهُ عز وجل: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

يُخبرُ اللهُ أَنَّ القرآنَ آياتٌ بينات، جعلَها اللهُ في صُدورِ الذين أُوتوا العِلْم. وهؤلاءِ الذين أُوتوا العلمَ عند الكُلَينيِّ وجماعتِه هم الأئمةُ فقط.

٦٣ - روىٰ عن أَبي بصير قال: سمعْتُ أَبا جعفر ـ محمدَ الباقر ـ يقولُ في هذه الآية: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾. فأومأ إلى صَدْره. .

وروىٰ عن محمدِ بن الفضيل قالَ: سأَلتُ أَبا عبدِ اللهِ ـ جعفر الصادق ـ عن قولِ اللهِ عز وجل: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾؟ قال: هم الأَئمةُ خاصَّة!» [الكافي ١: ٢١٣ ـ ٢١٤].

محمدُ الباقرُ يَتلو الآيةَ، ويوميءُ إلى صَدْرِه، أَيْ أنَّ القرآنَ في صدرِه، وأَنه من الذين أُوتوا العِلْمَ. وهذا صحيح، محمدُ الباقرُ من هؤلاء العلماءِ الذين جعلَ اللهُ القرآنَ في صدورِهم.

وجعفرُ الصادقُ يجعلُ الأئمةَ من العلماءِ الذين جعلَ اللهُ القرآنَ في صدورِهم. وهذا صحيحٌ على العموم. .

الخطأُ هو قَصْرُ الآيةِ عليهم، وتَخصيصُها بهم، والزَّعْمُ بأَنَّ أئمةَ الشيعةِ وحْدَهم الذينَ أُوتوا العِلْم، وأَنَّ اللهَ جعلَ آياتِ القرآنِ البيناتِ في صدورِهم وحْدَهم، وكأَنَّ

غيرَهم ليسوا من الذين أُوتوا العلم، وليس في صدورِهم شيءٌ من هذه الآيات!

يجبُ أَنْ نأخذَ الآية على عمومِها، لأَنَّ ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ عامَّة، على أَنَّ اسْمَ الموصولِ من صيغ العموم، فالذينَ أُوتوا العِلْمَ كلُّ العلماءِ وطلابِ العلمِ الصادقين، على اختلافِ الزمانِ والمكان، بَدْءاً من الصحابةِ حتى قيامِ الساعة، من المفسرينَ والفقهاءِ والمفكرين والبلغاء، ويَدخلُ في هؤلاء أئمةُ آلِ البيت.

جعلَ اللهُ القرآنَ ميسَّراً للذكر، سهلَ التلاوةِ والحفظ، واضحَ الفهم. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ . .﴾ [القمر: ١٧].

والذين أُوتوا العلمَ هم الذين يُقَدِّرونَ القرآنَ حَقَّ قَدْرِه، ويُحسنونَ التعاملَ معه، فيتلونَه ويحفظونَه، ويَفهمونه ويُطبقونه. . وهو بذلك استقرَّ في صدورهم!!

ومن الخطأ الكبيرِ إبعادُ مواكبِ العلماءِ المتتابعة، على اختلافِ الزمانِ والمكان - والتي زادَتْ على الملايين - عن معنى الآية، وحصْرُها في أَئمةِ الشيعةِ وحْدَهم، وقصْرُها عليهم!!

الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات:

قالَ الله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢].

أخبرَ اللهُ أَنَّ المسلمينَ بالنسبةِ لصلتِهم بالقرآنِ ثلاثةُ أصناف: ظالمٌ لنفسه، ومقتصدٌ، وسابقٌ بالخيرات.

وقد خَصَّصَتْ رواياتُ الكُلينيِّ هؤلاءِ الأَصنافَ الثلاثةَ بما يَتفقُ مع نظرةِ أَصحابِها.

٦٤ - روى الكلينيُّ عن سالم قال: سأَلْتُ أبا جعفر عن قولِ الله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ . .﴾ قالَ: السابقُ بالخيراتِ هو الإمامُ، والمقتصدُ هو العارفُ بالإمام، والظالمُ لنفسِه هو الذي لا يَعرفُ الإمام.

وروىٰ عن أحمد بن عمر قال: سألْتُ أبا الحسنِ الرِّضا عن قولِ اللّٰهِ عز وجل: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا . . ﴾ فقال: هم وَلَدُ فاطمة. السابقُ بالخيراتِ هو الإمام، والمقتصدُ هو العارفُ بالإمام، والظالمُ لنفسِه هو الذي لا يَعرفُ الإمام» [الكافي ١: ٢١٤ ـ ٢١٥].

إنهم يُخَصِّصون الآيةَ بالأئمةِ والموقفِ منهم. فالأئمةُ هم السابقونَ بالخيرات وغيرُهم ليسوا سابقينَ بالخيرات، مهما عَمِلوا من الصالحات، والمقتصدونَ هم المؤمنونَ بالأئمة، أَمَّا الظالمونَ لأنفسهم فهم الذين لا يعرفونَ حَقَّ الأئمة! وكأَنَّ الإسلامَ كلَّه محصورٌ بالأئمة، فمنْ كان معهم فهو المسلم، ومَنْ لم يكنْ معهم فهو غيرُ مسلم! مع أنَّ هذا لم يَرِدْ في الكتابِ أو السنة أو فهم سَلَفِ الأُمَّة!

تتحدَّثُ الآيةُ عن المسلمين على عمومِهم، بدلالةِ اسمِ الموصول: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾، واسمُ الموصولِ من صيغِ العمومِ.

اصطفى اللهُ المسلمينَ من بينِ الناس، وأنزلَ عليهم القرآن، وأورثَهم إيَّاه، وهم ليسوا على مستوى واحد مع أنهم مسلمون، إنهم ثلاثةُ أَصْناف:

١ ـ الظالمُ لنفسِه: هو المُقصِّرُ في الواجبات، والمرتكبُ للمحرَّمات، فهو قد لا يُصَلِّي ولا يَصوم، وقد يَزْني ويأكُلُ الربا، وهو بهذا يظلمُ نفسَه، ويُعَرِّضُها للعذاب. . والذي لا يُؤمنُ بالأَئمةِ بمبالَغَةٍ وغُلُوّ ـ كما يفعلُ الشيعة ـ ليسَ ظالماً لنفسِه، لأنَّ هذا ليس واجباً فَرْضاً وجُزءاً من الدين، حتى يُعاقَبَ تاركُه!!

٢ ـ المقتصد: هو المسلمُ المكتفي بأَداءِ الواجباتِ وتركِ المحَرَّماتِ، فلا يزيدُ على الواجباتِ، بأداءِ السُّنَنِ والمندوباتِ والنوافِل، ولا يتركُ المكروهاتِ والشُّبُهات. . ولا أدري لماذا قَصَرتْ رواياتُ الكُلينيِّ المقتَصِدَ على المؤمنِ بالأئمةِ على الطريقةِ الشيعية!

٣ ـ السابقُ بالخيرات: هو المسلمُ السائرُ إلى الله، الحريصُ على أَداءِ الواجباتِ والسننِ والنوافل، وعلى تَرْكِ المحَرَّماتِ والمكروهاتِ والشبهات. . وبذلك يكونُ سابقاً لكثيرٍ من إخوانِه بالخيرات.

والسابقون بالخيراتِ كثيرونَ في الأمَّةِ المسلمة، على اختلافِ الزمانِ والمكان، من الصحابةِ والتابعين ومَنْ بَعْدَهم، من العلماءِ والفقهاءِ والأولياءِ، والدعاةِ والمجاهدينَ والشُّهَداء. . ويَدخلُ فيهم أئمةُ آلِ البيتِ لفَضْلِهم وصَلاحِهم. .

المشكلةُ عند الكُلينيِّ وجماعتِه قَصْرُ السابقينَ بالخيراتِ على الأئمة فقط، وقصْرُ المقْتَصِدين على الذينَ يَعرفونَ الأَئمة، وقصْرُ الظالمينَ على الذين لا يَعرفونَ الأئمة.

من هم الذين يتلون الكتاب حق تلاوته؟:

٦٥ ـ روىٰ الكُلينيُّ عن أبي وَلَّاد، قال: سأَلْتُ أبا عبدِ الله ـ جعفرَ الصادق ـ عن قولِ الله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [البقرة: ١٢١]. **فقال: هم الأئمة.**» [الكافي ١: ٢١٥].

تعتبرُ الروايةُ الآيةَ نَصًّا في الشهادةِ للأئمةِ بأنَّهم يُؤمنونَ بالقرآن، ويَتْلونَه حَقَّ تلاوته، وتَقصرُ الآيةَ عليهم! وهذا مَردود.

الآيةُ ضمنَ آياتٍ تتحدَّثُ عن أَهْلِ الكتاب، وتُبينُ موقفَهم من القرآن، فكثيرٌ منهم يَكفرونَ بالقرآنِ ويُحاربونَه، وهم بذلك يَخْسَرونَ ويَهلكون. . وقَليلون منهم يُؤمنونَ به، ويَتْلونَه حَقَّ تلاوته، ويَدخلونَ في الإسلام، ويكونونَ من المسلمين. . والآيةُ تشهدُ لهؤلاء المؤمنين القليلين.

ولا يُمكنُ أنْ تكونَ الآيةُ خاصَّةً بالأئمة، ولا يُمكنُ أن يراد بجملة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الأئمة، لأنَّ هذا المصطلحَ «أَهْلَ الكتاب» خاصٌّ باليهودِ والنصارى، ولا يُمكِنُ أَنْ يُرادِ به العلماءُ أو المفسرون أوِ الأولياءُ أو الأئمة. .

نَعَمْ يُمكنُ أَنْ تُعَمَّمَ الآيةُ، بعدَ الإشارةِ إلى نزولِها في أهلِ الكتاب، وتُجْعَلَ شاملةً لكلِّ مَنْ آمَنوا بالقرآن وتَلَوْه حَقَّ تلاوتِه، من الصحابةِ والتابعين، ومَنْ بَعْدَهم من العلماءِ والأولياء، ويدخُلُ فيهم أئمةُ آلِ البيت. أَمَّا أنْ تُخَصَّصَ الآيةُ بهم فهذا مرفوض. .

أئمة إلى الجنة وأئمة إلى النار!!:

الأئمةُ المذكورونَ في القرآنِ نوعان: أئمةٌ إلى النار، وأئمةٌ إلى الجنة.

قال تعالى عن أئمةِ الجنة: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[السجدة: ٢٤]، وقالَ عن أئمةِ النار: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ [القصص: ٤١].

الأئمةُ الذين يَدْعونَ إلى النارِ هم فرعونُ، ومَنْ كانَ على طريقتِه، في الظلم والبغي والطغيانِ والفساد. قال تعالى: ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ * فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ﴾ [القصص: ٣٩ ـ ٤١].

وأخبرَ اللهُ عن الأئمةِ الصالحين من بَني إسرائيلَ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ * وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٣ ـ ٢٤].

آتى اللهُ موسى عليه السلام كتابَه التوراة، وجَعَلَ هذا الكتابَ هدى لبني إسرائيل، وجَعَلَ اللهُ فريقاً من بني إسرائيل أئمةً يَدْعونَ إلى الجنة، لأنهم كانوا صابرين موقنين بآياتِ الله.

وتشملُ الآيةُ العلماءَ والدعاةَ من المسلمين، فاللهُ يَجعلُهم أئمةً يَدْعونَ إلى الجنة، بصبرِهم ويقينِهم.

لكنَّ هؤلاءِ الأئمة عند الكلينيِّ مخصوصون بأئمةِ آلِ البيت!

٦٦ ـ روى الكلينيُّ عن أَبي عبدِ الله ـ جعفر الصادق ـ قال: إنَّ الأئمةَ في كتابِ اللهِ عز وجل إمامان. قال اللهُ عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾، لا بأمْرِ الناس، يُقَدِّمونَ أمْرَ اللهِ قبلَ أَمرهم، وحكْمَ اللهِ قبلَ حُكْمِهم.. وقال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾، يُقدِّمونَ أمْرَهم قبلَ أمْرِ الله، وحُكْمَهم قبلَ حُكْمِ الله، ويأْخذونَ بأهوائهم خلافَ ما في كتاب الله.» [الكافي ١: ٢١٦].

معنى الآية عِندَ أَصحابِ الرواية: جَعَلَ اللهُ أَئمةَ الشيعةِ أَئمةً بأَمْره، هو الذي اختارَهُم وعَيَّنَهم بأَسمائِهم، وأَمَرَ المسلمين باتِّباعهم، قالوا: «هم أَئمةٌ يَهدونَ بأَمْرِنا لا بأَمْرِ الناس».

وفُسِّرَتْ هذه الجملةُ بعبارةٍ مأخوذةٍ من «مرآةِ العُقول» للمجلسي، وهي: «بأمْرِنا: أَيْ: ليسَ هدايتُهم للناسِ وإمامتُهم بنَصْبِ الناسِ وأَمْرِهم، بل هم منصوبون لذلك من قِبَلِ اللهِ تَعالى، ومأْمورونَ بأَمْرِه..» [الكافي ١: ٢١٦. حاشية: ١].

وهذا تفسيرٌ للآيةِ مردودٌ، وتحكُّمٌ في ألفاظِها باطل. ولم يَثبتْ أَنَّ اللهَ نَصَّبَ أَئمةَ البيت وعَيَّنَهم بأسمائهم أئِمَّة، لا في آيةٍ صريحة، ولا في حديثٍ صحيحٍ صريحٍ عن رسولِ اللهِ ﷺ. وبما أنه لا يوجَدُ على هذا الادِّعاءِ نصٌّ معتمدٌ، فهو ادعاءٌ باطلٌ ومردودٌ عندَ أَهْلِ السنة.

إنَّ المعنى الصوابَ لقولِه تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾: جَعَلَ اللهُ أولئكَ الأئمةَ الإسرائيليّين ـ ومَنْ كان مثلَهم من الأَئمةِ المسلمين ـ يَهدونَ الناسَ إليه، ويَدْعونَهم إليه، ويَأْخذونَ بأيديهم ليسيروا في طريقِهِ.. وهم في هدايتِهم ودعوتِهم يُنَفِّذونَ أَمْرَ اللهِ إليهم بالدعوةِ والهداية. فالباءُ في ﴿بأمرنا﴾ باءُ السببية، والأَمْرُ هو التكليفُ والإيجاب. أَيْ: يَهدونَ الناسَ بسببِ أَمْرِنا لهم بالهداية!

حديث موضوع حول الأئمة:

وانطلاقاً من كونِ الأئمةِ قسمَيْن: أَئمةِ هُدى، وأَئمةِ ضلالة ـ وهو صحيحٌ تماماً، لِوُرودِه صريحاً في آياتِ القرآن ـ فقد أَوردَ الكُلينيُّ روايةً عجيبةً رفَعَها إلى رسولِ الله ﷺ:

روى عن أبي جعفر ـ محمدِ الباقر ـ قال: لما نَزَلَتْ هذه الآيةُ: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ قال المسلمون: يا رسولَ الله: أَلَسْتَ إمامَ الناسِ كُلِّهم أجمعين؟ فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «أَنا رسولُ اللهِ إلى الناسِ أجمعين، ولكنْ سيكونُ من بعدي أئمةٌ على الناس من الله، مِن أَهْلِ بيتي، يقومونَ في الناس، فيُكذِّبونَ، ويَظْلِمُهُم أئمةُ الكفرِ والضلالِ وأشياعُهم.. فَمَنْ وَالاهم واتَّبَعَهم وصَدَّقَهم فهو مِنّي ومَعي، وسَيَلْقاني، ألا

ومَنْ ظَلَمَهم وكَذَّبَهم فليسَ مِنّي ولا معي، وأَنا منه بريء. . . » [الكافي ١ : ٢١٥].

وهذا الحديثُ موضوعٌ، مَكْذوبٌ على رسولِ اللهِ ﷺ، ولم يَرِدْ عنه بسَنَدٍ صحيحٍ أَو حَسَنٍ أَو ضعيف، ولم يَذْكُره أَيُّ كتابٍ من كُتُبِ الحديثِ أَو السُّنَنِ المعتمدة!!

وهَدَفُ المفترينَ الذين يَكْذِبونَ على رسولِ الله ﷺ أَنْ يَجْعَلوا غُلُوَّهم في الأئمةِ مُعْتَمِداً على رسولِ الله ﷺ، وإذا لم يَجِدوا حديثاً بذلك فَلْيُؤَلِّفوه هم، ثم يَنْسِبوهُ إلى رسولِ الله ﷺ.

إنَّ المفترينَ يزعمونَ أنَّ الرسولَ ﷺ هو الذي نَصَّ على أَسماءِ الأئمةِ من بعده، وبشَّرَ الذين يَتبعونَهم، وتَبَرَّأَ من الذين لا يَفْعَلون ذلك.

وهم بهذا يَكذِبونَ على رسولِ اللهِ ﷺ، ويُحَرِّفون معاني آياتِ القرآن. وقد سبقَ أَنْ بَيَّنَّا خَطأَ تفسيرِهم لقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ ﴾.

تحريف عجيب لآية محكمة:

قال تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٣٣].

يَزْعُمُ الكلينيُّ وجماعتُه أنَّ الله يُقَوّي إيمانَ الشيعة، عن طريقِ إيمانِهم بالأئمة. . .

٦٧ - روى عن الحسنِ بنِ محبوب قال: سأَلْتُ أَبا الحسنِ الرِّضا عن قوله عز وجل: ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَٱلَّذِينَ عَقَّدْتُ إيمانكم ﴾ [النساء: ٣٣] قالَ: إنما عنى بذلك الأَئمةَ عليهم السلام، بهم عَقَّدَ اللهُ إيمانَكُم» [الكافي ١ : ٢١٦].

تَقِفُ الروايةُ أَمامَ جملةِ ﴿ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾، وتَفْصِلُها عن ما قَبلَهَا وما بَعْدَها، وتُوَظِّفُها دَليلاً قرآنيًا على فكرةِ الشيعةِ، مِنْ أَنَّ اللهَ عَيَّنَ الأئمةَ بأَسمائِهم.

فعلُ «عَقَّدْتُ» على هذه الروايةِ رباعيٌّ، لأَنَّ القافَ فيه مُشَدَّدَة، من «التَّعْقيدِ» وهو التَّقْوِيَة. وهو مُسْنَدٌ إلى الضميرِ الفاعلِ، العائدِ على الله، و ﴿إيمانُكُم﴾ مُفرد، مُرادٌ به

الإيمانُ. ومعنى الجملَةِ: مَواليكُم هم الأَئمةُ، الذين عَقَّدْتُ وقَوَّيْتُ بهم إيمانكم، فقَويَ إيمانُكم عن طريقِ مَواليكُم أَئِمَّتِكم!!.

وهذه القراءةُ باطلة، ليستْ من القراءاتِ العشرِ الصحيحة، ولا من القراءاتِ الأَربعِ الشاذَّةِ.

في قوله: ﴿ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ قراءَتان عشريَّتان صحيحتانِ:

الأُولى: قراءةُ عاصم وحمزةَ والكسائيِّ وخَلَف: ﴿عَقَدَتْ أَيْمَانُكُم﴾ على أَنَّ الفعل «عَقَدَ» ثلاثي، والتاءَ حرفٌ للتأنيث، و ﴿أَيمانُكُم﴾ فاعلٌ مرفوع، وهي جمعُ «يمين».. ومعنى ﴿عَقَدَتْ أيْمانُكُم﴾: أَجْرَت العَقْدَ والميثاق، فَصارَ عَقْداً مُلْزِماً.

الثانية: قراءةُ ابنِ كثير ونافعٍ وابنِ عامر وأبي عمرو وأبي جعفر ويعقوب: ﴿عاقَدَتْ أيْمانُكُم﴾. على أَنَّ الفعلَ الماضي رباعي، و ﴿الأيْمانُ﴾ فاعل. والمعنى: عاقَدَتْ أيْمانُكُم حُلفاءَكم، والتزمْتُم بالتحالفِ معهم!

والقراءَتانِ الصَّحيحَتان مُتقاربتانِ في المعنى، والفَرْقُ بينهما أَنَّ الفعلَ الماضيَ في الأُولى ثُلاثي، وفي الثانيةِ رُباعي، وهو عَلى القراءةِ الثانيةِ أَكثرُ تَوْكيداً، لأَنه مَزيدٌ بالأَلِف، فالأَيْمانُ تَعْقِدُ الحِلْفَ مع الحُلَفاء، وتُعاقِدُ هذا الحلفَ معهم، وتَزيدُهُ توكيداً.

و ﴿الأَيْمانُ﴾ جمعُ يَمين، وهو الحَلْفُ والقَسَمُ، والأَيْمانُ هي التي يَحلِفُها المتحالفونَ عندَ تَحالُفِهم وتَعاقُدِهم، عند عَقْدِ التَّحالفاتِ وإجراء العقود.

معنى قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾:

تتحدَّثُ الآيةُ عن الورثةِ الذين يَرِثون الميت، ويأْخُذونَ ما تَرَكَ من تَرِكَة، وتَطلبُ من المتحالفينَ أَنْ يُعْطُوا حُلَفاءَهم ما اتفقوا معهم على إعطائِهم إيَّاه..

والراجحُ أنَّ التنوينَ في «لِكُلٍّ» تنوينُ عِوَض، والمضافُ إليه المقَدَّرُ هو: «إِنسانٍ»، والتقديرُ: لِكُلِّ إنسانٍ جَعَلْنا مواليَ. والمَوالي هم الأقاربُ من الورثة، من الرجالِ والنِّساء، الذينَ يَلونَه ويكونونَ قريبين منه، هؤلاءِ الموالي-الأقاربُ يَرِثونَ ويأخذونَ ما تَرَكَ الوالدانِ والأقربون، وخَلَّفوه وراءَهم بعدَ موتِهم.

شِبْهُ الجملةِ «لِكُلٍّ» متعلقةٌ بفعلِ «جَعَلْنا»، مقدَّمَةٌ عليه. و «جَعَلْنا»: فعلٌ وفاعل. و «مواليَ»: مفعولٌ به. والتقديرُ: جَعَلْنا لِكُلِّ إنسانٍ مَيِّتٍ مواليَ يَرِثونَه.

وشبهُ الجملةِ: ﴿ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ﴾: تفسيرٌ وتَبيينٌ للإبهامِ في «لِكُلٍّ». أَيْ: لكلِّ تاركِ مالٍ من الوالدَيْن والأقربين بعدَ موتِه، جَعَلْنا له مواليَ وأَقَارِبَ يَرِثونه ويأخذونَ تركَتَه.

وبعدما قَرَّرَت الجملةُ الأُولى من الآيةِ حَقَّ الورثةِ في تَرِكَةِ المُوَرِّث، انتقلت الجملةُ الثانيةُ لتدعوَ المُوَرِّثين إلى إعطاءِ المتحالِفين معهم ما عاقدوهم عليه: ﴿ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ﴾.

الواوُ: حرفُ استئناف، لأنَّ الجملةَ استئنافيةٌ جَديدة. و ﴿الذين﴾: في محلِّ رفع مبتدأ. وجملةُ ﴿عَقَدَتْ أَيْمانُكُم﴾ صلةُ الموصول. وجملةُ ﴿فآتوهم نصيبهم﴾ في محلِّ رفعِ خَبَر.

والمرادُ بقوله: ﴿والذين عَقَدَتْ أيْمَانُكُم﴾: الذينَ جَرى بينَهم وبينَ المُوَرِّثينَ عَقْدٌ وحِلْفٌ، وتَمَّ حَلْفُ الأَيْمانِ المؤكَّدَةِ على مراعاةِ ذلك العهد، وتَمَّ الاتفاقُ على إعطائهم نصيباً من المال، وكان هذا مَعْروفاً بين الصحابةِ ومَنْ بَعْدَهم، ويُسمىٰ «عَقْدَ الولاء». والإسلامُ يُبارِكُ هذا التعاقُدَ والتحالُف، ويَدْعو المتحالِفينَ إلى إعطائهم نصيبَهم المتَّفَقَ عليه من المال.

وبهذا نعرفُ أنَّ حديثَ الآيةِ عنِ المواريثِ والوَرَثَة، وإعطاءِ أصحابِ العُقودِ ما اتُّفِقَ عليه من المال، وليس عن الأئمةِ وتقويةِ الإيمان بهم!

إنَّ تفسيرَ الروايةِ للآيةِ باطلٌ مردود، ويَتَنَاقضُ مع موضوع الجملة: ﴿والذين عَقَدَتْ أَيْمانُكُم﴾، ولا يَتفقُ مع ارتباطِ الجملةِ مع ما قبلَها وبعدَها.

اللهُ يقول: ﴿ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ﴾. والروايةُ الباطلةُ تقول: «والذينَ عَقَدْتُ إيمانكُم» فتأْتي بكلامٍ ليس قرآناً، وتزعمُ أنه قُرآن!!

هل القرآن يهدي للإمام؟:

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

ما هو الأَمْرُ الذي يَهدي إِليهِ القرآن؟

إِنه عند الكلينيِّ وجماعتِه أَمْرٌ خاصّ! هو الإِمام!

٦٨ - روى الكلينيُّ عن العلاءِ بن سيابة عن أبي عبد الله - جعفرِ الصادق - أنه قال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾: القرآنُ يَهدي للإِمام!» [الكافي ١: ٢١٦].

الهدايةُ في الآيةِ عامّة.

﴿يَهْدي﴾: فعلٌ مضارع، يَدُلُّ على التجددِ والاستمرار. أَيْ أنَّ هدايةَ القرآنِ متجددَةٌ، على اختلافِ الزمانِ والمكان.

والمفعولُ به لفعْلِ ﴿يَهْدي﴾ محذوف، تقديرُه «الناسَ». والتقدير: القرآنُ يَهدي الناسَ. و «الناسُ» جمعٌ مُعَرَّفٌ بأَل التعريف، دالٌّ على العموم.

و ﴿التي هي أقوم﴾ عامَّة، لأنَّ ﴿التي﴾ اسْمُ موصولٍ للمؤنَّث، واسْمُ الموصولِ من صيغِ العُموم. والتي يَهدي إليها القرآنُ هي الطريقُ القويمة، الشاملةُ لكلِّ شيء.

لقد فَرَّغَت الروايةُ الهدايةَ القرآنيةَ من عُمومِها، وقَصَرَتْها على معنى خاصٍّ ضَيِّق، لا تُشيرُ إليه ولا تدلُّ عليه! وهو: «الهدايةُ إلى الإمام».

ولا أَدري كيفَ يَهدي القرآنُ للإمام؟ هل يذكُرُ اسْمَه؟ والذينَ لا يَنظرونَ إلى الإمامِ هذه النظرةَ المغاليةَ هل هم مؤمنونَ مهتدون، أَمْ ضالّون مُضِلُّون..

هل الأئمة هم نعمة الله؟:

٦٩ - روى الكُلينيُّ عن الأَصبغِ بن نَباتَة قال: قالَ أَميرُ المؤمنين: ما بالُ أَقوامٍ غَيَّروا سُنَّةَ رسولِه ﷺ، وعَدَلوا عن وَصِيِّهِ؟ أَلا يتخوَّفونَ أَنْ يَنزلَ بهم العذاب؟ ثم تلا هذه الآية:

﴿ ۞أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨]. ثم قال: نحنُ نعمةُ الله، التي أنعَمَ اللهُ بها على عبادِه، وبنا يفوزُ مَنْ فازَ يومَ القيامة.» [الكافي ١: ٢١٧].

لم يصحّ هذا الكلامُ عن عليٍّ بنِ أَبي طالبٍ رضي الله عنه، لأنه لم يكنْ يرى نفسَه أنَّه وصيُّ رسولِ الله ﷺ، ولا أَنه أفضلُ من الخلفاءِ الثلاثةِ الذين سَبَقوهُ، ولذلك عملَ معهم بإخلاص، وكان زاهِداً في الخلافة، ليسَ طالِباً لها، ولا حَريصاً عليها.. وإنما وَضعَ المفترونَ هذا الكلامَ على لسانِه.

تُخَصِّصُ الروايةُ السابقةُ نعمةَ اللهِ على عبادِه بالأئمة، أَيْ أَنَّ اللهَ رحمَ عبادَه وأَنعمَ عليهم، بأَنْ عَيَّنَ لهم الأئمةَ بأَسمائِهم، ولولا ذلك لكانوا ضالّين هالكين! وتجعلُ الفوزَ يومَ القيامةِ مَشروطاً بالأئمة، فَمَنْ لم يؤمنْ بهم ـ على الطريقةِ الشيعية ـ كان خاسِراً مُعَذَّباً في جهنم!

الآيةُ لا تتحدَّثُ عن الأئمة، وإنما تتحدَّثُ عن الكفار، الذينَ أنعمَ اللهُ عليهم بنعمةِ الإِيمان، ولكنَّهم رفَضُوا هذه النعمة، ولم يُوَحِّدوا اللهَ ويَشْكُروه، وإنما كَفَروا وظَلَموا، وبذلك أَحَلّوا قومَهم دارَ البوار.

إنَّ النعمةَ في الآيةِ عامَّة، ولا يَجوزُ تَخصيصُها بالأئمة، والذين جَحَدوا هذه النعمةَ هم الكفارُ حقيقةً، وليسوا الذين لم يُؤْمنوا بالأئمة ـ على الطريقةِ الشيعية ـ، فالذين لا يؤمنونَ بالأئمةِ هذا الإيمانَ المغالي مُؤمنون وليسوا كُفّاراً، ومنهم علماءُ وأولياءُ كبارٌ من عُظماءِ أهلِ السنةِ والجماعةِ.

وذكرَ الكلينيُّ روايةً أُخرى خَصَّصَتْ نعمةَ اللهِ بالأئمة: روىٰ عن عبدِ الرحمنِ بن كثير قال: سأَلْتُ أبا عبدِ الله ـ جعفرَ الصادقَ ـ عن قولِ الله عز وجل: ﴿ ۞أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾ قال: عَنى بها قريشاً قاطبة، الذين عادُوا رسولَ اللهِ ﷺ ونَصَبوا له الحَربَ، وجَحَدوا وصيَّةَ وصيِّه..» [الكافي ١: ٢١٨].

قُريشٌ كَفَرَتْ برسولِ اللهِ ﷺ وعادَتْه، ونَصَبَتْ له الحرب، هذا صحيحٌ ولا خلافَ عليه، وإنزالُ الآيةِ على قريشٍ صحيح، لأَنَّ الآيةَ من سورةِ إبراهيم، وهذه

السورةُ مكّيّة، وهي تَذُمُّ قريشاً على سوءِ موقفِها من رسولِ اللهِ ﷺ، ولَمّا حارَبَ زعماءُ قريشٍ رسولَ اللهِ أَحَلوا قومَهم دارَ البوار.

لكنَّ المرفوضَ في الروايةِ جملةُ: «وجَحَدوا وَصيّة وَصِيِّهِ!» أيْ أنَّ كُفارَ قريشٍ جَحَدوا وصيةَ وصِيِّ الرسولِ ﷺ قبلَ الهجرةِ وأنكروها، وكَفَروا بذلك الوَصِيِّ! فهل كان للرسول ﷺ وَصِيٌّ وهو في مكةَ قبلَ الهجرة؟ وهل عَيَّنَ عليًّا وصيًّا وأمَرَ قريشاً أنْ يؤمنوا بالوَصِيِّ مثلَ إيمانِهم بالنبيِّ؟ وهل جَحَدَ كفارُ قريشٍ وصيةَ عليٍّ الوصيِّ قبلَ الهجرة؟ ما معنى هذا الكلام؟ وكيفَ يؤمنُ به الشيعة؟ وكيف يُفَسِّرونَ به آياتِ القرآن؟!

هل الأئمة هم آلاء الله؟:

كما ادَّعَتْ رواياتُ الكلينيِّ أَنَّ الأئمةَ هم نعمةُ الله، ادَّعَتْ أَنَّ الأئمةَ هم آلاءُ الله، المذكورةُ في بعضِ الآيات.

٧٠- روى الكلينيُّ عن أبي يوسف البزاز قال: تَلا أَبو عبدِ الله هذه الآية: «واذكروا آلاء الله». ثم قال: أَتدري ما آلاءُ الله؟ قلتُ: لا. قال: هي أعظمُ نِعَمِ اللهِ على خَلْقِه، وهي ولايَتُنا..» [الكافي ١: ٢١٧].

الآيةُ ليستْ كما هي في الرواية: «واذكروا آلاء الله»، وإنما هي بالفاء: ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٦٩].

والمبالغةُ والغلوُّ في الروايةِ في جَعْلِ ولايةِ الأئمةِ هي أَعظمَ نِعَمِ اللهِ على خَلْقِه جَميعاً، وكَأَنَّ الخَلْقَ قبلَ الأئمةِ لم يكونوا شيئاً مذكوراً. وإذا كان هؤلاءِ الأئمةُ بعدَ رسولِ اللّهِ ﷺ، فإنَّ الذين كانوا قبلَ الرسولِ ﷺ ومعه قد حُرِموا من أعظمِ نِعَمِ اللّهِ وآلائِه...

إنَّ «آلاءَ اللّه» في الآيةِ نِعَمُهُ العديدةُ الكثيرةُ، التي أَنعمَ بها على عبادِه، وجَعَلَ بها حياتَهم على الأرضِ ميسورة.

ثم إنَّ هذه الآية في سياقِ الحديثِ عن قصة عادٍ مع نبيِّهم هودٍ عليه السلام، حيثُ دَعاهم إلى الإيمانِ باللّه وَحْدَه، وعدمِ الشركِ به، وذَكَّرَهم بنِعَمِ اللهِ عليهم. قال تعالى: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن

﴿قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا . . ﴾ [الأعراف: ٦٩ ـ ٧٠].

فأينَ قومُ عادٍ الذين كانوا في الماضي السحيق، من الأئمةِ الذين جاؤوا متأخِّرين؟!

هل «الاء ربكما» النبي وعلي؟:

وكما نَزَّلَ ﴿آلاءَ اللّهِ﴾ في الأعرافِ على الأئمةِ، كذلك نَزَّلَ «آلاءَ ربِّكما» على النبيِّ وعليٍّ!

٧١ ـ روى عن معلى بن محمد، ورفعه، في قول الله عز وجل: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣] قالَ: أَبالنبيِّ أَم بالوصيِّ تُكَذِّبان!» [الكافي ١: ٢١٧].

آلاءُ اللهِ اثنتان، هما: النبيُّ محمدٌ ﷺ، والوصيُّ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه كما يُزعم، فالذين كَذَّبوا بآياتِ الله هم الذين لم يؤمِنوا بالنبي، ولم يؤمنوا بأنَّ خليفَتَه من بعدِه هو الوصيّ!

وهذا معناهُ أَنَّ الصحابةَ كَذَّبوا بآلاءِ اللّه، لأنهم لم يَجْعَلوا الخلافةَ للوَصِيِّ، وأنَّ جمهورَ المسلمين كَذَّبوا بآلاءِ الله، لأنهم لم يَجعلوا الأئمةَ خلفاء. والذين لم يُكَذِّبوا بآلاءِ اللهِ هم الشيعةُ فقط!!

ثم أينَ الآيةُ من الوَصِيِّ والنبيّ؟ إنَّ هذه الآيةَ مكررةٌ في سورةِ الرحمنِ إحدى وثلاثين مرة، والخطابُ فيها للإنسِ والجِنّ، الثَّقَلَيْن اللَّذَيْن يُثَقِّلانِ وَجْهَ الأرض، يُذَكِّرُهما اللهُ بآلائِه ونِعَمِه عليهم، التي لا تُعَدُّ ولا تُحْصى!

وتَخصيصُ هذه الآلاءِ بالنبيِّ والوصيِّ، مع أنَّ الخطابَ للإنسِ والجنِّ جميعاً باطلٌ ومردود!

من هم المتوسمون؟:

٧٢ ـ روى الكلينيُّ عن أسباط، قال: كنتُ عندَ أبي عبدِ الله ـ جعفر الصادق ـ فسأَلَه رجلٌ عن قولِ اللهِ عز وجل: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ * وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ

مُقِيمٍ﴾ [الحجر: ٧٥ ـ ٧٦] فقال: نحنُ المتوسِّمون، والسبيلُ فينا مُقيم..».

وروى عن محمد بن مسلمٍ عن أبي جعفر ـ محمدِ الباقر ـ في قولِ اللهِ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ قال: هم الأئمة.

وروى عن أبي عبد الله قال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾: هم الأئمة. و ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ قال: لا يَخرجُ منّا أَبَداً.

وروى عن أبي جعفر، قال: قالَ أميرُ المؤمنين: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾: كان رسولُ الله ﷺ المتوسِّمُ، وأنا من بعدِه، والأئمةُ من ذريَّتي المتوسِّمون.» [الكافي ١: ٢١٨ ـ ٢١٩].

تحصرُ هذه الرواياتُ المتوسِّمين بالرسولِ ﷺ، ثم بعليٍّ رضي الله عنه، ثم بالأئمةِ من بعدِه، وتحصرُ السبيلَ المقيمَ بالإمامة، على أَنَّ الإمامةَ مقيدةٌ بالأئمة، لا تَخرجُ منهم إلى يوم القيامة.

وهذا الحصْرُ مرفوض، لأنه تحكُّمٌ في الآية، وتضييقٌ لمعناها. ولم يصحّ في هذا كلامٌ لعليِّ بن أبي طالبٍ رضي اللهُ عنه، فهو لم يُعَيِّنْ إماماً من بعده، ولم يَنُصّ على أسماءِ الأئمةِ من بعدِه، والرواياتُ التي تَنْسِبُ له كلاماً في ذلك مفتراة!.

أَمّا أَنَّ الرسولَ ﷺ من المتوسِّمين، فهذا صحيح، بل هو إمامُهم، وأَمّا أَنَّ عليّاً رضيَ اللهُ عنه من المتوسِّمين، فهذا صحيح، وأمّا أنَّ الأئمةَ العلماءَ منَ المتوسِّمين، فهذا صحيح.. والخطأُ في رواياتِ الكلينيِّ هو في الحصرِ والقَصْر، وتخصيصِ الصفةِ «المتوسِّمين» بالرسولِ عليه الصلاة والسلام والأئمةِ فقط.

المتوسِّمون جمعٌ، مفردُه «المتوسِّمُ»، وهو مشْتقٌّ من السِّمَة، وهي العَلامَةُ المميزة، والأَثَرُ الواضح. والتوسُّمُ هو الاعتبارُ والاتّعاظ، ودقَّةُ الملاحظة، وقوةُ الفِراسة.. فالمتوسِّمون هم أصحابُ البصائرِ وأُولو الأَلباب، الذين يُحْسِنونَ الاتِّعاظَ والاعتبار، ويتمتَّعونَ بالفراسةِ والفطنة. وهذا الوصْفُ ينطبقُ على عددٍ ضخمٍ من رجالِ الأمَّةِ المسلمة، على اختلافِ أجيالِها، من العلماء والأولياءِ والربّانييّن والمجاهدين والمصلحين، ويَدخلُ فيهم عليٌّ رضي الله عنه، والعلماءُ الربانيّون من ذريَّته..

خطأ قصر السبيل على الإمامة!!:

أمّا قَصْرُ السبيلِ على الإمامة، واعتبارُها خاصّةً بالأئمة، لا تَخرجُ عنهم، ولا يَدخلُ فيها غيرُهم فهذا باطل، وتحريفٌ لمعنى الآية.

لا يَصحُّ عودُ الضميرِ المؤنّثِ في «إنَّها» على الإمامة، لأنَّ الآيةَ لا تتحدَّثُ عن الإمامة. وإنما تتحدَّثُ عن ديارِ قومِ لوطٍ عليه السلام، بعدَ تدميرِهم وإهلاكِهم. قال تعالى: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ * فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ * فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ * وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ . . ﴾ [الحجر: ٧٢ ـ ٧٧].

إنَّ الضميرَ المؤنَّثَ في «إنها» يَعودُ على ديارِ قومِ لوطٍ بعد تَدميرهم، ولا يعودُ على «الإمامة»، والسبيلُ المقيمُ هو الطريقُ الثابتُ الواضح. والمعنى: إنَّ ديارَ قومِ لوطٍ المدمَّرين باقيةٌ، رغمَ مرورِ قرونٍ عديدةٍ على تدميرهم، وهي موجودةٌ على طريقِ المسافرين، يَمُرّونَ عليها أثناءَ سفرِهم!

قالَ اللهُ عن هذه الآثارِ الباقيةِ على السبيلِ المقيم: ﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ * ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ * وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ * وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الصافات: ١٣٣ ـ ١٣٨].

وقالَ اللهُ عنها أيضاً: ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا . . ﴾ [الفرقان: ٤٠].

إنَّ إقحامَ الأئمةِ والإمامةِ في هذه الآيات تحريفٌ لمعناها، وإنَّ حَصْرَها بذلك تَحَكُّمٌ باطل.

هل الأعمال تعرض على الأئمة؟:

يرى الكلينيُّ وجماعتُه أنَّ أعمالَ المسلمين تُعرضُ على الأئمةِ كما تُعْرَضُ على النبيِّ ﷺ، واستشهدَ على ذلك بالقرآن.

أورد تحتَ عنوان: «عَرْضُ الأعمالِ على النبيِّ ﷺ والأئمةِ عليهم السلام» بعضَ

الرواياتِ التي تقولُ بهذا.

٧٣ - روى عن يعقوبِ بنِ شعيبٍ قال: سأَلْتُ أَبا عبدِ الله - جعفر الصادق - عن قولِ اللهِ عز وجل: ﴿ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ ﴾ [التوبة: ١٠٥] قال: هم الأئمة. [الكافي ١: ٢١٩].

خَصَّصَ «المؤمنون» في الآيةِ بالأئمةِ فقط. أيْ أنَّ الأئمةَ يَرونَ أَعمالَ المسلمين، مهما كانتْ سرِّيَّةً أَو جهريَّةً، قريبةً أَو بعيدة، وهذا معناهُ أَنَّ الأَئمةَ يَعلمونَ الغيبَ، وأنهم أحاطوا بكلِّ الأعمالِ عِلماً، وأنه لا يخفى عليهم منها شيء.

وروى عن عبدِ اللهِ بنِ أبانِ الزياتِ - وكان مَكيناً عندَ الرِّضا - قالَ: قلْتُ للرِّضا: ادْعُ اللهَ لي ولأهلِ بيتي. فقال: أَوَلَسْتُ أَفْعَلُ؟ واللهِ إنَّ أعمالَكم لَتُعْرَضُ عَلَيَّ في كلِّ يومٍ وليلة..

قال ابنُ أبان: فاستعظَمْتُ ذلك منه!

فقالَ لي: أَما تقرأُ كتابَ اللهِ عز وجل: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ ﴾، هو واللهِ عليُّ بنُ أَبي طالبٍ عليه السلام» [الكافي ١: ٢١٩ - ٢٢٠].

الآيةُ في سياقِ دعوةِ المؤمنين إلى الإكثارِ من العملِ الصالح، وتذكيرِهم بأنَّ اللّهَ يعلمُ أعمالَهم، وأنَّ الرسولَ ﷺ والمؤمنينَ يعلمونَ هذه الأعمال.

قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥].

يقولُ اللهُ للمؤمنين: اعْمَلوا الأعمالَ الصالحة، وأَكثِروا منها، واعْلَموا أنَّ اللهَ يراكم وأنتم تَعملونَها، فيسجِّلُها عليكم، ويَرضاها منكم، ويُثيبُكُمْ عليها يومَ القيامة.

والأعمالُ الصالحةُ التي عملَها الصحابةُ كانَ الرسولُ ﷺ يراها منهم، ويحثُّهم عليها، ويُبَشِّرُهم بقَبولِها عند الله.

والمؤمنونَ يرونَ الأعمالَ الصالحةَ الظاهرةَ، التي تَصدُرُ عن المؤمنين العاملين، وهذا مستمرٌّ، منذُ زمنِ الصحابةِ وحتى قيامِ الساعة. وهذا مُلاحظٌ لا يَحتاجُ إلى طولِ

تَفْكير. فنحنُ نرى إخوانَنا العاملين وهم يَعملونَ الأعمالَ الصالحةَ العلنية، كصلاةِ الجماعةِ والحجِّ والجهاد.

و ﴿المؤمنون﴾ جمعٌ مُعَرَّفٌ بأل التعريف، وهذا من ألفاظِ العُموم، ويَنطبقُ على كُلِّ أفرادِهِ من المؤمنين الصالحين، حتى قيامِ الساعة، ويَدخلُ في هؤلاء المؤمنين العالمين الأئمةُ.

والخَطأُ في رواياتِ الكلينيِّ حَصْرُ المؤمنينَ بالأئمةِ وحْدَهم، بدونِ دليلٍ على ذلك الحَصْر، بل يَتعارضُ مع الدلالةِ العامَّةِ للَفظِ «المؤمنون»..

والذي يَدعو إلى الاستغرابِ والتعجبِ، ما نُسِبَ إلى الإمامِ الثامنِ عليٍّ الرِّضا قولُه: «واللهِ إنَّ أعمالَكم لَتُعْرَضُ عَلَيَّ في كلِّ يومٍ وليلة». ولما استغربَ تلميذُه كلامَه واستعظمه استشهدَ على كلامه بالآية.

فمن هوَ هذا الإمامُ الذي يَعْرِضُ عليه اللهُ كُلَّ يومٍ وليلةٍ أعمالَ أتْباعِه، وهو يَنظرُ فيها ويَراها ويتابعُهم عليها، وكيفَ تُعرَضُ عليه هذه الأعمالُ، وكيف يَراها ويَقْرَأُها؟ إذا كان اللهُ لم يُعْطِ هذا لأشرفِ وأفضلِ الخَلْقِ محمدٍ ﷺ، فهل يُعطيه لأُناسٍ من بعدِه.. إنَّ هذا غُلُوٌّ مرفوض، وإن الاستشهاد عليه بالآية جريمةٌ أكبر!

هل الطريقة هي الإمامة؟:

يَرىٰ الكلينيُّ وجماعتُه أنَّ الاستقامةَ التي أمَرَنا اللهُ بها هي ولايةُ الأئمةِ. وأَورَدَ بعضَ الرواياتِ على ذلك تحتَ عنوان: «الطريقةُ التي حَثَّ اللهُ على الاستقامةِ عليها هي ولايةُ عليٍّ عليه السلام».

٧٤ - روىٰ عن أبي جعفر - محمدِ الباقر - أنه قالَ في معنى قوله: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦]: أيْ: لو استقاموا على ولايةِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ أميرِ المؤمنين، والأوصياءِ من وَلَدِه عليهم السلام، وقبِلوا طاعَتَهم في أمرِهم ونَهيهم ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ أيْ: لأشْرَبْنا قلوبَهم الإيمان. والطريقةُ هي: الإيمانُ بولايةِ عليٍّ والأوصياء..» [الكافي ١: ٢٢٠].

تَعتبرُ الروايةُ الآيةَ دعوةً للمسلمين جميعاً إلى الاستقامةِ على الطريقة، وتُخَصِّصُ الطَّريقةَ بأنها القولُ بولايةِ عليٍّ رضي اللهُ عنه، وولايةِ الأصفياءِ من أولاده، فإنْ فَعَلوا ذلك أسقاهم اللهُ ماءً غَدَقاً، أيْ: ملأ قلوبَهم إيماناً بولايةِ عليٍّ وأَولادِه!

إنَّهم ينطلقونَ في هذا التفسيرِ الخاطىء للآيةِ من عقيدتِهم الباطلة، وهي أنَّ اللهَ سَمَى للنبيِّ ﷺ عليًا رضي الله عنه أميراً للمؤمنين، والنبيُّ ﷺ أعْلَمَ الصحابةَ بذلك، لكنهم لم يُنَفِّذوا وَصِيَّتَه، وظَلَموا عليًا، وقَدَّموا عليه الخُلفاء الثلاثة.

ومعنى هذا أَنَّ الصحابةَ لم يستقيموا على الطريقة، كما أمَرَهم اللهُ ورسولُه ﷺ، وإنما خالَفوا وظَلموا وعَصَوا، ولذلك لم يُسْقِهم اللهُ الماءَ الغَدَق، ولم يَمْلأْ قلوبَهم بالإيمان.

الذينَ استقاموا على الطريقةِ هم الشيعةُ فقط، لأنهم آمَنوا بإمامةِ ووصايةِ عليٍّ والأوصياء، فملأ اللهُ قلوبَهم إيماناً!!

هكذا يَفهمُ الكلينيُّ الأمرَ، وعلى هذا الفهمِ الغريبِ يفسِّرُ الآية.

تَتحدَّثُ الآيةُ عن الكفار، الذينَ كَفروا برسولِ اللهِ ﷺ، ورَفَضوا دعوتَه، وحاربوه: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ۝ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١٦ ـ ١٧].

والمرادُ بالطريقةِ في الآيةِ الإسلامُ، الذي هو الصراطُ المستقيم، والطريقُ الوحيدُ الذي يوصِلُ إلى رضوانِ اللهِ، والاستقامةُ على الطريقةِ بالدُّخولِ في الإسلام، والالتزام بأحكامِه.

والمرادُ بالماءِ الغَدَقِ في الآيةِ الماءُ الحقيقيّ، النازلُ من السماء، الذي يكونُ غَدَقاً غَزيراً كثيراً مِدراراً، والذي ينتجُ عنه الزروعُ والثمارُ والخِصْبُ والرخاءُ وسعةُ الرزق.

وبمعنى هذه الآيةِ قولُه تعالى: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وبما أنَّ الاستقامة المأمورَ بها في القرآن هِي الإيمانُ بالأئمةِ والأَوْصِياء، عند الكلينيِّ وجماعتِه، فقد فَسَّروا آيةً أُخرى بهذا التفسيرِ الغريبِ المردود.

روى الكلينيُّ عن محمدِ بن مسلم قال: سألْتُ أبا عبدِ الله ـ جعفر الصادق ـ عن قولِ اللهِ عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ . . ﴾ [فصلت: ٣٠]، فقال: هم الذين استقاموا على الأئمة، واحِداً بعدَ واحد. . » [الكافي ١ : ٢٢٠].

يَمدحُ اللهُ الشيعةَ ـ في رأي الكليني ـ لاستقامتِهم على الإيمانِ بالأئمة، واحِداً بعدَ واحد، وثَبَتوا على ذلك! أَمَّا الذينَ لا يقولونَ بهذا القول من أهْلِ السنةِ وغيرِهم فليسوا مؤمنين ولا مستقيمين، ولا يُثْني عليهم اللهُ، ولا تَتنزلُ عليهم الملائكةُ لتبشيرِهم!!.

هذا الحصْرُ والقصرُ مَرْدودٌ وباطل، لأنَّ الآيةَ عامَّة، يَنْدرجُ تحتَها كلُّ مؤمنٍ صالح، ثابتٍ على الحقّ، في أَيِّ زمانٍ ومكان، منذُ عهدِ الصحابة حتى قيامِ الساعة. .

هل الأئمة ورثوا علم الأنبياء؟:

يَرى الكلينيُّ وجماعتُه أنَّ الأئمةَ هم ورثةُ علمِ الأنبياءِ والمرسَلين. وذَكَرَ ذلك في بابِ «الأئمةُ وَرِثوا علْمَ النبيِّ ﷺ وجميعَ الأَنبياءِ والأَوصياءِ الذين من قبلهم. . ». وقد أوردَ رواياتٍ حولَ ذلك، وفَسَّرَ فيها بعضَ آياتِ القرآن تفسيراً مردوداً.

٧٥ ـ روىٰ عن أبي بصير قال: قالَ لي أبو عبدِ الله ـ جعفرُ الصادق ـ: إنَّ اللهَ لم يُعْطِ الأنبياءَ شيئاً إلّا وقد أعطاهُ محمداً ﷺ، وعندنا الصحفُ التي قال اللهُ عنها: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۞ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ . . ﴾ [الأعلى: ١٨ ـ ١٩].

وروىٰ عن أبي عبدِ الله ـ جعفر الصادق ـ قال: إنَّ سليمانَ وَرِثَ داودَ، وإنَّ محمداً ورثَ سليمان، وإنّا ورثْنا محمداً، وإنَّ عندنا علْمَ التوراةِ والإنجيلِ والزَّبور، وتبيانَ ما في الألواحِ. . » [الكافي ١ : ٢٢٤ ـ ٢٢٥].

بهذه المبالغةِ يَنظرُ الكلينيُّ وجماعتُه إلى الأئمة، لقد وَرِثوا علمَ السابقينَ

واللاَّحقين، ولا أعرفُ كيفَ وَرِثوه.. وعندهم علمُ الكتبِ السماويةِ السابقةِ كلِّها، ومنها التوراةُ والإنجيلُ والزَّبور، ومنها صحفُ إبراهيمَ وموسى عليهما السلام، ولا أعرفُ كيفَ وَصَلَهم هذا العلم.

ويَزعمُ الكلينيُّ أنَّ بعضَ آياتِ القرآنِ خطابٌ من اللهِ لهؤلاءِ الأئمة، منها قولُه تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣].

هل خاطب الله الأئمة في القرآن؟:

أوردَ الكلينيُّ نصَّ رسالةٍ زعمَ أنَّ عليّ الرضا ـ الإمام الثامن ـ بَعَثَ بها إلى عبدِ اللهِ بنِ جُنْدبٍ أحَدِ أتْباعِهِ، وفيها ما فيها من المغالاةِ والمبالغةِ والكلامِ الخطير، والتقديسِ المرفوضِ للأئمة، وإعطائهم أكثَرَ من حقِّهم، ورفعِهم إلى مقاماتٍ تُقارِبُ مقاماتِ الأنبياء!

٧٦ ـ والذي يهمُّنا من هذه الرسالةِ تفسيرُه المُغالي المرفوضُ للآيةِ السابقة، قال: «.... ونحنُ المخصوصونَ في كتابِ اللهِ عزَّ وجل، ونحنُ أَولىٰ الناس برسولِ اللهِ ﷺ، ونحنُ الذينَ شَرَعَ اللهُ لنا دينَه.. فقالَ في كتابِه: «شَرَعَ لكم (يا آلَ محمد) من الدينِ ما وَصَّى به نوحاً (وقد وَصّانا بما وَصَّى به نوحاً) والذي أوْحَيْنا إليك (يا محمد) وما وَصَّيْنا به إبراهيمَ وموسى وعيسى (فقد عَلَّمَنا، وبَلَّغَنا عِلْمَ ما عَلَّمَنا، واستودَعَنا عِلْمَهم، نحنُ ورثةُ أُولي العَزْمِ مِن الرسل) أَنْ أَقيموا الدينَ (يا آلَ محمد) ولا تتفرَّقوا فيه (وكونوا على جَماعةٍ) كَبُرَ على المشركين (مَنْ أشْرَكَ بولايةِ عليّ) ما تَدْعوهم إليه (من ولايةِ عَليٍّ) إنَّ اللهَ (يا محمد) يَهدي إليه مَنْ يُنيب (مَنْ يُجيبُك إلى ولايةِ عليّ..» [الكافي ١: ٢٢٤].

الخطَابُ في الآية: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ﴾ للمسلمينَ جميعاً، على اختلافِ الزمانِ والمكان، يمتنُّ اللهُ به عليهم، بالدينِ القويمِ الذي شَرَعَه لهم. ولكنَّ هذا الخطابَ العامَّ عندَ الكلينيِّ خاصٌّ بآل محمدٍ ﷺ، وهم عليٌّ رضي الله عنه والأئمةُ من

بعدِه. ولا دليلَ لهم على هذا التخصيص!

وأخْبَرَ اللهُ المسلمينَ أنَّ الإسلامَ الذي شَرَعَهُ لهم متوافقٌ مع الدينِ الذي أتى به نوحٌ وإبراهيمُ وموسى وعيسى، لأنَّ الرسالاتِ التي أتى بها الرسلُ متوافقة، فالمسلمونَ هم الوارثون للرسالاتِ السابقة، لكنَّ الكلينيَّ وجماعتَه يُخَصِّصون هذه الوراثةَ بالأئمةِ وحدهم، ولذلك نَقَلَ عن عليِّ الرِّضا قولَه: «عَلَّمَنا اللهُ، وبَلَّغَنا علْمَ ما عَلَّمَنا، واستودَعَنا عِلْمَهم، فنحنُ وَرَثَةُ أُولي العزمِ من الرسُل.».. ولا دليلَ لهم على هذا التخصيص.

والأمْرُ في جملة: ﴿أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ موجَّهٌ من اللهِ إلى المسلمين جميعاً، على اختلافِ زمانِهم ومكانِهم وطوائِفهم، ولكنَّه عندَ الكلينيِّ خاصٌّ بالأئمةِ من آلِ محمد ﷺ، ولا دليلَ لهم على هذا التخصيص..

وأخبرَ اللهُ أنَّ المشركينَ يرفضونَ دعوةَ الرسولِ ﷺ لهم إلى الإيمان بالله وحْدَه وعدمِ الشركِ به: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾. والمشركونَ هم الكفارُ الذين أشركوا بالله غيرَه، ولم يَدْخلوا في الإسلام.

حتى «المشركين» عند الكلينيِّ وجماعتِه وصْفٌ خاصٌّ، وليس عامًّا ينطبقُ على كلِّ مَنْ أشركَ بالله، إن هؤلاء المشركين هم الذين أشركوا بولايةِ عليٍّ، أيْ: وافَقوا على كونِ غيرِ عليٍّ وليًّا، فهؤلاءِ المشركونَ عند الكلينيِّ هم الصحابةُ الذينَ بايَعوا الخلفاءَ الثلاثة، وهم أَهْلُ السُّنَّةِ فيما بعد، الذين عاشُوا الخلافةَ الأُموية والعباسية وما بعدهما! ومعنى هذا أَنَّ كُلَّ غيرِ الشيعةِ مشركون..

ودعوةُ الرسولِ ﷺ الناسَ عند الكلينيِّ وجماعتِه إنما هي دعوةٌ خاصَّة، إنه يَدْعوهم إلى ولايةِ عليٍّ رضي الله عنه مِن بعده!: «ما تَدْعوهم إليهِ من وِلايةِ عَلِيٍّ»!

دعوةُ الرسولِ ﷺ العامَّةُ الشاملةُ الهادية، إلى الإسلامِ والتوحيدِ والخير، اخْتُصِرَتْ عندَ أصحابِ الروايةِ لتكونَ محصورةً بتعيينِ عليٍّ وليًّا من بعدِه!

عِلْماً أنه لم يصحّ حديثٌ واحدٌ صحيحٌ مرفوعٌ للنبيِّ ﷺ يُعَيِّنُ فيه عليًّا رضي الله عنه وليًّا من بعدِه، ولو صَحَّ لالتزمَ به الصحابة، ولَما خالفوا رسولَ الله ﷺ...

ويَمدحُ اللهُ الذين يُلَبّون دعوةَ النبيِّ ﷺ، فيدخلونَ في الإسلام: ﴿ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾. ولكنَّ هذه الإنابةَ عند الكلينيِّ ليستْ عامّة، بمعنى الإنابةِ إلى الله، والدخولِ في الإسلام، ولكنها خاصّةٌ بالإيمانِ بولايةِ عليٍّ والأئمةِ من بعده: ﴿ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾: مَنْ يُجيبُكَ يا محمد إلى ولايةِ عليٍّ عليه السلام»!

هل الأئمة وحدهم جمعوا القرآن؟:

يَرى الكلينيُّ وجماعتُه أنَّ جَمْعَ معاني وعلومِ القرآنِ خاصٌّ بالأئمة، وأنه يستحيلُ على غيرِهم فعْلُ ذلك، حتى لو كانَ صحابيًّا من كبارِ الصَّحابة!

الأئمةُ عند الكلينيِّ جَمَعوا التوراة والإنجيلَ والزَّبورَ والقرآن، وإليهم انتهتْ وراثةُ تلك الكتبِ كُلِّها.

٧٧ - روى الكلينيُّ أنَّ النصرانيَّ «بريه» قالَ لأبي عبدِ الله - جعفر الصادق -: أنَّىٰ لكم التوراةُ والإنجيلُ وكتبُ الأنبياء؟ فقالَ له أبو عبدِ الله: هي عندنا وِراثةٌ من عندِهم، نَقْرَؤُها كما قَرءوها، ونقولُها كما قالوها..» [الكافي ١: ٢٢٧].

ما الدليلُ على هذا الزعم؟ ما الدليلُ على أنَّ الأئمةَ الإثني عَشَر كانوا يَعرفونَ كلَّ شيء في الكتبِ السابقة، وأنَّ تلكَ الكتبِ وصلتْ إليهم، كما أنزلَها اللهُ، وأنهم قرءوها وفَهِموها، كما قرأها وفهمَها الذين أُنزلَتْ إليهم؟ إنَّ هذا ادعاءٌ كبيرٌ باطلٌ غيرُ مقبول.

ورَوىٰ الكلينيُّ عن أبي جعفر - محمدِ الباقر - قال: «ما ادَّعى أَحَدٌ من الناس أَنه جَمَعَ القرآنَ كُلَّه كما أُنزِلَ إلاّ كذاب، وما جَمَعَهُ وحَفِظَهُ كما أَنزلَه اللهُ إلاّ عليُّ بنُ أَبي طالبٍ والأَئمةُ من بعدِه..».

ورَوىٰ عنه عبارةً أُخرى: «ما يَستطيعُ أَحَدٌ أَنْ يَدَّعيَ أَنَّ عندَه جميعَ القرآنِ كُلِّه، ظاهِره وباطنه، غيرُ الأوصياء..» [الكافي ١: ٢٢٨].

المرادُ بجمعِ القرآنِ وحفظِه الإتيانُ على جميعِ معانيه ودلالاتِه، الظاهرةِ والباطنة، والحصولُ على كلِّ مظاهرِ فهمِهِ وتفسيرِه وتأْويلِه.

تنفي الرواياتُ قيامَ أَحَدٍ من الصحابةِ بجمعِ وحفظِ القرآنِ بالمعنى السابق، إلاّ

عليُّ بنُ أَبي طالبِ رضي الله عنه، وتُلْغي الرواياتُ علْمَ علماءِ الصحابةِ بالتفسير والتأويل، كالخلفاءِ الثلاثةِ وابنِ مسعودِ وابنِ عباس، ومعاذِ بنِ جَبَلٍ وأُبَيِّ بنِ كعبٍ وغيرِهم رضوانُ اللهِ عليهم.

المفسِّرُ والمُؤَوِّلُ والعالمُ والجامعُ والحافظُ والملهَمُ من بينِ الصحابة جميعاً هو عليٌّ وَحْدَه.. وإذا ادَّعى صحابيٌّ هذه الدعوى كان كَذّاباً!!

والذينَ جَمعوا كُلَّ معاني وعلومِ القرآنِ بعدَ عَلِيٍّ هم الأوصياءُ الإثْنا عشر فقط، وكلُّ مفسِّر من غيرِهم لا يَعلمُ من القرآنِ شيئاً! وهذا إلغاءٌ لجهودِ آلافِ المفسِّرين، الذين مَلأَتْ تفاسيرُهم العالَمَ الإسلاميَّ!!

وإننا نرفضُ حَصْرَ جمعِ معاني القرآنِ بالأئمةِ الأوصياءِ فقط، ونفيَ ذلك عن مواكبِ المفسِّرينَ، من الصحابةِ والتابعين ومَنْ بعدهم!

كما نرفضُ الدعوى الكبيرةَ المنسوبةَ للأئمةِ والأوصياء، وننفي قُدرةَ أَيِّ عالمٍ على جمعِ كُلِّ معاني القرآن، وحفظِ كُلِّ دلالاتِه، وإدراكِ كُلِّ حقائقه وتأويلاتِه، مهما بَلَغَ من العلمِ والفهم، حتى لو كانَ من الأئمةِ الإثني عشر!!

إنَّ الكتبَ المتعلقةَ بالقرآن، من تفاسيرَ وغيرِها، لا تكادُ تُحصى، وتَملأُ أرففَ مكتباتٍ عديدة، وكلُّ ما فيها ـ على كثرتها وتَعَدُّدِ اتِّجاهاتِها ـ من معاني القرآن لا يَكادُ يُذْكَرُ أمامَ معاني القرآن، وما تركَه أصحابُها من تلك المعاني القرآنية أضعافُ أضعافُ ما ذَكَروه.. فكيفَ يستطيعُ الأئمةُ الإثنا عشر ـ وجهودُهم في التفسيرِ لا تَكادُ تُذْكَرُ أمامَ جهودِ ونتاجِ المفَسِّرين ـ أنْ يَجْمعوا كُلَّ معاني القرآن؟!

هل الإمام هو الذي عنده علم الكتاب؟:

٧٨ـ روى الكلينيُّ عن أبي عبدِ الله ـ جعفر الصادق ـ أنه تلا قولَه تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ .. ﴾ [النمل: ٤٠] ثُمَّ فَرَّجَ بين أصابِعه، ثم وَضَعَها في صَدْرِه، ثم قال: وعندنا واللهِ عِلْمُ الكتابِ كُلِّه!» [الكافي ١: ٢٢٩].

الآيةُ ضمنَ قصةِ سليمانَ عليه السلامُ مع ملكة سبأ، حيثُ طلبَ من جُلسائه أنْ يأتُوهُ بعَرْشِها من صنعاءَ إلى بيتِ المقدس، فاستعدَّ رجلٌ منهم أنْ يُحْضِرَهُ قبل أنْ «تَرمشَ» عينُ سليمانَ عليه السلام، وفعَلَ ذلك، وذَكَرَ اللهُ ذلك في القرآن: ﴿ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ . . ﴾.

وقد أبهمَ القرآنُ اسْمَ ذلك الرجُل، كما أبهَمَ وظيفَتَه عند سليمانَ عليه السلام، وأبهمَ الكتابَ الذي عَلَّمَهُ اللهُ علْماً منه، وأبهمَ كيفيةَ عِلْمِه بالكتاب، وأبهمَ كيفيةَ إحضاره عرشَ الملكةِ من صنعاءَ إلى القدس في أقَلَّ من دقيقة! فلا نخوضُ في هذه التفصيلاتِ، لعدمِ وجودِ دليلٍ عليها. .

ولا نوافقُ الروايةَ على ما نَسَبَتْهُ إلى جعفر الصادقِ من أنَّ المرادَ بالكتابِ في الآيةِ السابقة القرآنُ، وأنه هو ـ والأئمةُ معه ـ هم الذينَ عندهم علْمُ الكتابِ كُلِّه. فالقرآنُ لم يكنْ مُنَزَّلاً زَمَنَ رسولِ اللهِ سليمانَ عليه السلام!، ولا يمكنُ لمسلمٍ أنْ يؤتىٰ العلمَ بالقرآنِ كلِّه!

وروى الكلينيُّ عن بريدِ بن معاوية قال: قلتُ لأبي جعفر: ما مَعْنى قولِه تعالى: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ [الرعد: ٤٣]؟ فقال: إيّانا عنى. وعَلِيٌّ أَوّلُنا وأَفْضَلُنا وخَيْرُنا بعد النبي ﷺ. » [الكافي ١ : ٢٢٩].

تُخصصُ الروايةُ المنسوبةُ لمحمدِ الباقر ـ أبي جعفر ـ الذي عندَه علمُ الكتابِ بالإمامِ من الأئمة، فالذي عندَه علْمُ الكتابِ من الصحابةِ هو أميرُ المؤمنين عليٌّ وَحْدَه، رضي الله عنه، وهذا العلمُ بالقرآن يَرِثه من بعدِه الأئمةُ الأوصياءُ من بعدِه!!

وتستشهدُ على ذلك بآيةِ سورةِ الرعدِ المكية. قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ . . ﴾.

الآيةُ في ذَمِّ كفارِ قريش، الذينَ كَذَّبوا محمداً ﷺ، وقالوا له: أنتَ لَسْتَ مرسَلاً. وتدعو إلى الاكتفاءِ بشهادةِ اللهِ له، وشهادةِ الذي عندَه من الكتاب: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾.

والراجحُ أَنَّ الواوَ في جملةِ ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ حرفُ عَطْف. وأنَّ «مَنْ» اسمُ موصولٍ معطوفٌ على «باللهِ». والتقدير: كفى باللهِ شهيداً يشهَدُ لي على النبوة، وكفى بالرجلِ العالمِ بالكتابِ شهيداً يشهدُ لي.

والمرادُ ﴿بالذي عنده علْمُ الكتابِ﴾ الذينَ أسْلَموا ممن كانوا يَهوداً، مثلُ عبدِ الله بنِ سلام وزيدِ بن سعنة، والذين أسلموا ممن كانوا نصارى، مثلُ سلمان الفارسي، رضي الله عنهم..

والمرادُ بالكتابِ في الآية الكتبُ السماويةُ السابقةُ، كالتوراةِ التي يؤمنُ بها اليهود، والإنجيلِ الذي يؤمنُ به النَّصارى، ولا يُرادُ به القرآن.

ولذلكَ كان قَصْرُ الذي عنده علمُ الكتاب على عليٍّ رضي الله عنه والأئمةِ من بعدهِ خَطَأً، لا يتفقُ مع سياقِ الآية، ولا مع جَوِّ نُزُولِها، ولا مع تفسيرِ علماءِ السلفِ لها...

هل الأئمة أعلم من الأنبياء؟:

من أبوابِ كتابِ الحُجَّةِ عند الكلينيِّ بابٌ جَعَلَ عنوانَه: «الأئمةُ يَعلمونَ علمَ ما كانَ وما يكونُ، ولا يَخفىٰ عليهم شيء».

وذكَرَ في هذا البابِ رواياتٍ، فيها ما فيها من الغُلُوِّ والمبالَغة، والكلامِ الباطلِ المتعارِضِ مع القرآن، واستشهدَ على كلامِه الباطلِ بالقرآن!!

٧٩ ـ روى عن سَيْفِ التَّمّارِ قال: كُنَّا مع أَبي عبدِ الله ـ جعفر الصادق ـ جماعَةً من الشيعةِ في الحِجْر، فقالَ: هل عَلَيْنا عَيْنٌ؟ فَالْتَفَتْنا يَمنةً ويَسرة، فلم نَرَ أحداً، فقلنا: ليسَ علينا عَيْنٌ.

فقالَ: وربِّ الكعبة، لو كنتُ بين موسى والخَضِر، لأَخبرتُهما أنِّي أعلمُ منهما، ولأنبأتُهما بما ليسَ في أَيديهما، لأنَّ موسى والخضرَ عليهما السلام أُعْطيا عِلْمَ ما كان، ولم يُعْطَيا علمَ ما يكونُ، وما هو كائنٌ حتى تقومَ الساعة، وقد وَرِثْناهُ من رسولِ الله ﷺ وراثة». [الكافي ١: ٢٦٠].

وهذا القولُ غَريبٌ وعَجيب، ومرفوضٌ جملةً وتفصيلاً، إذْ كيفَ يكونُ المسلمُ أعلمَ من النبيّ؟ كيفَ يكونُ جعفرُ الصادقُ أكثرَ عِلْماً من الخضرِ وموسى عليهما السلام؟ . . . لأنَّ اللّهَ أَعطاهما علْمَ الماضي، ولم يُعْطِهما علْمَ المستقبل، أمّا جعفر الصادق ـ وباقي الأئمةِ الأوصياء ـ فإنَّ الله أعْطاهما علْمَ الماضي والحاضرِ والمستقبل!

يَزعمُ هذا القولُ أنَّ اللهَ خَصَّ الرسولَ ﷺ بعلْمِ غيبِ المستقبل، وحَجَبَ هذا العلمَ عن الرسُلِ الذين قبلَه، وورثَ عليٌّ رضي الله عنه هذا العلمَ عن الرسولِ ﷺ، ثم ورثَ كُلُّ إمامٍ هذا العلمَ الغيبي، فكانَ يَعلمُ ما سَيكونُ حتى قيامِ الساعة!!

إنَّ هذا الزعمَ يَتعارضُ مع تصريح القرآن بنفْي علم الغيبِ عن رسولِ اللهِ ﷺ، قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ . . .﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ [الأحقاف: ٩].

وروى أَنَّ أَبا عبدِ الله ـ جعفرَ الصادق ـ قالَ لملأ من أصحابِه الشيعة: **«إنّي لأَعْلَمُ ما في السماوات، وما في الأَرض، وأَعلمُ ما في الجَنة، وما في النار، وأعلمُ ما كان وما يكونُ!!»**. وسَكَتَ. فرأَى أَنَّ ذلكَ كَبُرَ على مَنْ سَمِعَه، فقال: **«علمتُ ذلك من كتابِ اللهِ عز وجل، إنَّ اللهَ عز وجل يقول: «فيه تبيانُ كلِّ شيء»!!** [الكافي ١ : ٢٦١].

إنَّ هذا الادِّعاءَ يجعلُ علْمَ الإمامِ الوصيِّ المعصومِ شامِلاً لكلِّ شيء، ومُحيطاً بكلِّ شيء، من الماضي والحاضرِ والمستقبل، ومن الغيبِ والشهادة، ومن الدنيا والآخرة!! وهذه صفةُ علم الله، وليس علْمَ البشر. وفي هذا الادِّعاءِ من الغلوِّ والمبالغةِ ما فيه! فَمَنْ هو ذلك المخلوقُ الذي يَعلمُ كُلَّ ما في السماوات، وكُلَّ ما في الأرض، ويعلمُ ما في الجنة، وما في النار، ويعلمُ ما كانَ وما سيكون؟؟.

وكيفَ يَكونُ الإمامُ على هذه الصورةِ من العِلْمِ الجامعِ الشاملِ، وهو لا يَحفظُ كتابَ الله، ولا يُحسنُ الاستشهادَ بآياته؟!! فقد أَخطأَ في ذكرِ الآية. قال: «علمتُ ذلك من كتابِ الله عز وجل، إنَّ اللهَ عز وجل يقول: «فيه تبيانُ كُلِّ شيء»!

وهذه الجملةُ ليستْ من القرآن، ونَصُّ الآيةِ هو: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩].

وصحيحٌ أنَّ القرآنَ تبيانٌ لكلِّ شيء، لكنْ لا يمكنُ لأيِّ إنسانٍ أنْ يُحيطَ عِلْماً بكلِّ ما في القرآنِ من العلومِ والمعاني والحقائق، مهما بلغ من العلمِ والفَضْل!!

هل فوض الله للأئمة أمر الدين؟:

يَدَّعي الكلينيُّ أنَّ اللهَ فَوَّضَ إلى رسولِه ﷺ فعلَ ما يشاء، وتَشريعَ ما يُريد، وأنَّ الرسولَ ﷺ نَقَلَ ذلك التفويضَ إلى عليٍّ والأئمةِ مِن بعدِه، واستشهدَ على هذا الادِّعاءِ بآياتٍ من القرآن.

٨٠ - **روىٰ عن أبي إسحاق النَّحويِّ قال: دخلْتُ على أبي عبدِ الله، فسمعْتُه يقول: إنَّ اللهَ أدَّبَ نبيَّه على محَبَّتِه، فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤].. ثم فَوَّضَ إليه، فقالَ تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟.. ﴾ [الحشر: ٧]، وقال تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠].. ثم قال: وإنَّ نبيَّ اللهِ فَوَّضَ إلى عليٍّ وائْتَمَنَه، فسَلَّمْتُم وجَحَدَ الناس، وواللهِ إنّا لَنحبُّ أَنْ تقولوا إذا قُلْنا، وأَنْ تَصْمُتوا إذا صَمَتْنا، ونحنُ فيما بينكم وبينَ الله، وما جعلَ اللهُ لأَحَدٍ خيراً في خِلافِ أَمْرِنا.»** [الكافي ١: ٢٦٥].

تجعلُ الروايةُ الأئمةَ وساطةً ووسيلةً بين شيعتِهم وبين الله، ولم يَدَّعِ أحَدٌ من الصحابة - وفيهم عليٌّ رضي الله عنه - هذه المنزلة، والصحابةُ أفضلُ من الأئمة، وأعلى منهم منزلةً عند الله. والعلماءُ ليسوا وسيلةً بين المسلمينَ وبينَ الله، إنما هم علماءُ يُعَلِّمونَ ويُرشدونَ ويوجِّهون..

ولم يَجعل اللهُ أحداً من خلْقِه وسيلةً بينَه وبين عبادِه، وأَذِنَ لأيِّ مسلم أنْ يَتصلَ به عابداً ذاكراً شاكراً متضرِّعاً، بدونِ وساطةٍ وسيط. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وتَدَّعي الروايةُ أنَّ اللهَ فَوَّضَ إلى الأئمةِ ما يشاءون، فهم مُخَيَّرونَ بين الفعلِ والترك، والإظهار والكتمان، والقول والصمت! وهم وَرِثوا هذا التفويضَ والتخييرَ من

عليّ رضيَ اللهُ عنه، الذي أخَذَه من رسولِ الله ﷺ. .

وهل التفويضُ ميراثٌ تَرَكَه الرسولُ ﷺ، وَوَرِثَهُ عنه عليٌّ رضي الله عنه؟ وما الدليلُ على ذلك؟ وهل هذا التفويضُ ينتقلُ إلى كلِّ إمامٍ من الأئمة؟

الكلينيُّ وجماعتُه يقولونَ بذلك! لكن ما هو دليلُهم عليه؟!

دليلُهم على هذا التفويضِ آياتٌ من القرآن، لننْظرْ:

١ ـ قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ . .﴾ [الحشر: ٧].

أَينَ التفويضُ في هذه الآية؟ التفويضُ هو التخييرُ، فأنتَ تُخَيِّرُ الإنسانَ بين الفعلِ والترك، وتتركُ له حريةَ الاختيار، وتُفَوِّضُ الأمْرَ إليه، ولا تُلْزِمُه بشيء. . لو كانت الآيةُ تفويضاً للنبيِّ ﷺ لخاطبَه اللهُ قائلاً: كَلِّمْهُم أو لا تكَلِّمْهم، وكَلِّفْهم أو لا تُكَلِّفْهم.

لا بُدَّ في التفويضِ من خطابِ المفَوَّضِ مُخاطَبَةً، ولا بُدَّ من ذكْرِ الطرفين المفَوَّضِ فيهما، ولا بُدَّ من ذِكْرِ حرفِ «أو»، الدَّالِّ على تساوي الطرفين، وتركِ الحريةِ للمفَوَّضِ في فِعْلِ أحَدِهما. تقولُ لآخَر: أَعْطِنا أَو احْرِمْنا، سواءٌ علينا!!

ليس في الآيةِ تفويضٌ، إنما فيها تَشريعٌ وتَقْعيد، والخطابُ فيها للمسلمين، يأمُرُهم اللهُ بأَخْذِ كُلِّ ما جاءَهم به رسولُ اللهِ ﷺ، وتَرْكِ كُلِّ ما نَهاهم عنه.

الآيةُ دليلٌ على وُجوبِ اتِّباعِ الرسولِ ﷺ، ودليلٌ على مشروعيةِ السُّنَّة، وأنها مُلزمةٌ للأمة، لأنَها من عندِ الله بالمعنى، مع أنَّ كلماتِها من صياغةِ رسولِ الله ﷺ. هل في قولهِ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ تفويض، مع أنه جملةٌ شَرطية؟ لا تفويضَ في الجملةِ الشرطية، إنما هو تكليفٌ واشتراطٌ وإلزام!!

٢ ـ قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

تُقررُ الآيةُ قاعدةً أَساسية، بأُسلوبِ الجملةِ الخبريةِ الشَّرْطية، يُخبرُ اللهُ فيها أنَّ مَنْ أطاعَ الرسولَ ﷺ فقد أَطاعَ الله. ودَلَّت الآيةُ على وُجوبِ طاعةِ الرسولِ ﷺ، في كُلِّ ما أَمَرَ به، وكلِّ ما نهى عنه، وجَعَلَتْ طاعةَ الرسولِ ﷺ جزءاً من طاعةِ الله، كما

جَعَلَتْ معصيةَ الرسولِ ﷺ جزءاً من معصيةِ الله . .

وصيغت الآيةُ بأسلوبِ الجملةِ الشرطية: ﴿مَن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾، وهذا الأسلوبُ دالٌّ على الاشتراطِ والإلزام!!

أينَ التفويضُ في الآية! وليس فيها خطابٌ للرسولِ ﷺ، وليس فيها استواءُ الطرفَيْن، وليسَ فيها حرفُ التساوي «أو»؟

من الآياتِ التي فَوَّضَ اللهُ فيها الأمرَ إلى رسولِه ﷺ قوله تعالى: ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ [المائدة: ٤٢]، لاحظ التخييرَ والتفويضَ بين الحُكْمِ بينهم وعدمِه، والتقابُلَ بين الطرفَيْنِ: ﴿احْكُمْ أَوْ أَعْرِضْ﴾، وحَرْفَ «أَوْ» الدالَّ على التفويض.

ومن هذه الآياتِ قولُه تعالى: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ . .﴾ [التوبة: ٨٠] استواءُ الطرفينِ في الاستغفارِ وعدمِه، وحرفُ «أو» دالٌّ على التساوي، والخطابُ مباشِرٌ لرسولِ اللهِ ﷺ . .

ليس في الآياتِ التي أوردَها الكلينيُّ تفويضٌ، وإذا كان اللهُ لم يُفَوِّضْ رسولَه ﷺ في تلك الآيات، فإنَّ انتقالَ التفويضِ لعليٍّ رضي اللهُ عنه والأئمةِ من بعدِه مردودٌ وباطل!!

هل في تفسير الأئمة تقية؟:

وعلى هذا الأَساسِ نَتعامَلُ مع حادثةٍ غريبةٍ، جَرَتْ بينَ جعفرِ الصادقِ وأَحَدِ أَتْباعِهِ، تَقومُ على التَّلاعبِ بتفسيرِ الآياتِ باسمِ مبدأ «التُّقْيَة» الغريب . .

٨١ ـ روى الكلينيُّ تلك الحادثةَ بقوله: قالَ موسى بنُ أَشيم: كنتُ عند أَبي عبدِ الله ـ جعفر الصادق ـ فسأَلَه رجلٌ عن آيةٍ من كتابِ اللهِ عز وجل، فأَخْبَرَهُ بها، ثم دَخَلَ عليه داخلٌ، فسأَلَه عن تلك الآية، فأَخْبَرَهُ بخِلافِ ما أَخْبَرَ به الأَوّل! فدخَلَني من ذلك ما شاءَ الله، حتى كأَنَّ قلبي يُقَطَّعُ بالسكاكين. . فقلْتُ في نفسي: تركْتُ أَبا قتادة بالشام، لا يُخطىءُ في الواوِ أَو غيرِها، وجئتُ إلى هذا يُخطىءُ هذا الخَطَأَ كُلَّه. . فبينما أَنا كذلك إذْ

دَخَلَ عليه آخر، فسألَه عن تلك الآية، فأَخْبَرَه بخلافِ ما أَخْبَرني وأَخْبَرَ صاحبي!! فَسَكَنَتْ نفسي، وعلِمْتُ أَنَّ ذلك منه تُقْية!!

ثم التفتَ إليَّ فقالَ لي: يا ابنَ أَشيَم: إنَّ اللهَ عز وجل فَوَّضَ إلى سليمانَ بنِ داودِ، فقال: ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [ص: ٣٩]، وفَوَّضَ إلى نبيِّه ﷺ فقال: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ فما فَوَّضَ إلى رسولِ اللهِ فقد فوَّضَه إلينا..» [الكافي ١: ٢٦٥ ـ ٢٦٦].

يَدَّعي موسى بنُ أَشيم أَنَّ جعفرَ الصادقَ سُئِلَ من قِبَلِ ثلاثةِ رجال، عن معنى آيةٍ من القرآن، فَقَدَّمَ لهم ثلاثةَ تفسيرات مختلفةٍ للآية، وأَعْطىٰ كُلَّ واحدٍ تفسيراً يتفقُ مع هواهُ ومذهبِه، واعتبرَ ابنُ أشيمَ أَنَّ هذا من باب «التُّقْيَة».

لم يَذكُرْ لنا ابنُ أَشيم الآيَةَ المسؤولَ عنها، ولم يذكُرْ لنا تفسيراتِ الصادقِ الثلاثةِ المختلفة لها، لِنَضَعَها في ميزانِ النقدِ العلمي. والذي نَعْرِفُه أَنه لا يَجوزُ التلاعبُ بالتفسير، وتحريفُ معاني الآيات، وإرْضاءُ الناس المتناقضُ مع رضى الله.. والتُّقْيةُ عِندنا مرفوضة، لأَنها تَتَعارضُ مع الجهرِ بالحَقِّ والصدْعِ بالأَمْر..

وتَدَّعي الروايةُ أَنّ جعفرَ الصادقَ احتجَّ على التقيةِ بالتَّفويض، وذَكَرَ آيةً فَوَّضَ اللهُ فيها الأمرَ لسليمانَ عليه السلام، واعتبرَها تَفويضاً للأئمة، وسَبَقَ أَنْ ناقَشْنا فَهْمَهُم للآيةِ، واحتجاجَهم بها، وبيَّنّا خَطَأَ إنزالِها عليهم، لأَنها خطابٌ لسليمانَ عليه السلام وحْدَه. كما بَيَّنَّا قبلَ قليل أنه لا تفويضَ في قولِ الله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾.

هل الأئمة محدّثون يوحى إليهم؟:

يَرى الكلينيُّ وجماعتُه أن عليًّا والأئمةَ من بعدِه مُحَدَّثون.

٨٢ ـ روى عن الحَكَم بنِ عتيبةَ قال: دخلْتُ على عليِّ بنِ الحسينِ يوماً، فقال: يا حَكَم: هل تَدري الآيةَ التي كانَ عليُّ بْنُ أبي طالبٍ عليه السلام يَعرفُ بها قاتِلَه، ويَعرفُ بها الأمورَ العظام، التي كانَ يُحَدِّثُ بها الناس؟

فقلْتُ في نفسي: قد وَقَعْتُ على عِلْمٍ من علْمِ عليٍّ بن الحسين، أَعْلَمُ بذلك تلكَ الأُمورَ العظام.

ثم قلْتُ له: لا واللهِ لا أعلمُ تلك الآية، فأخْبِرْني بها يا ابنَ رسولِ الله!

فقال: هي قولُ اللهِ: «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي (ولا مُحَدَّث)»، وكان عليُّ بن أبي طالب مُحَدَّثاً. .» [الكافي ١ : ٢٧٠].

وروىٰ عن أبي عبدِ الله ـ جعفر الصادق ـ معنى المحَدَّثِ. فقال: عن محمد بن مسلم: قال: ذُكِرَ المُحَدَّثُ عندَ أبي عبد الله، فقال: إنه يَسمعُ الصوتَ ولا يَرىٰ الشخصَ!

قلتُ له: جُعِلْتُ فِداكَ، كيفَ يَعلمُ أنه كلامُ المَلَك؟

قال: إنه يُعطىٰ السكينةَ والوَقار، حتى يَعلمَ أنه كلامُ مَلَك. [الكافي ١ : ٢٧١].

عليُّ بنُ الحسين هو زينُ العابدين، حفيدُ عليٍّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه، وتَنْسِبُ له الروايةُ أنَّ جَدَّهُ عليّا رضي الله عنه كان «مُحَدَّثاً». أيْ: كانَ يَعلمُ غيبَ المستقْبَل، ويَعرفُ كُلَّ ما سيكونُ من الأحداثِ العظام.

وسَبَقَ أنْ ناقَشْنا هذا المبدأ الباطل، الذي يُؤمِنُ به الكلينيُّ وجماعتُه، من أنَّ الأئمة يَعلمونَ كُلَّ شيء، وأنه لا تخفى عليهم خافية!

أضافوا كلمة على الآية!!:

المهمُّ في هذه الروايةِ ادِّعاؤُها أن القرآن ذكَرَ أنَّ عليّا كان مُحَدَّثاً، وأنَّ عليَّ بنَ الحسين استخرجَ ذلك من آية: «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا مُحَدَّث» والمرادُ بالمحَدَّثِ في الآيةِ عليُّ بْنُ أبي طالب. .

ولا توجَدُ آيَةٌ في القرآن بهذا اللفظ!

قال اللهُ عز وجل: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ . . .﴾ [الحج: ٥٢].

يُخبرُ اللهُ أنه إذا تمنّى أيُّ رسولٍ أو نبيٍّ قبلَ رسول الله ﷺ، فإنَّ الشيطانَ يُلقي في أُمنيَّتِه، بهدَفِ جعْلِه يائِساً قانطاً، ولكنَّ اللهَ يَنسخُ ما يُلقيه الشيطانُ في أُمنيةِ الرسولِ والنبيِّ ويُلغيه. .

لا توجَدُ كلمةُ «ولا مُحدَثٍ» في الآية، وهي مُدْرَجَةٌ في هذه الروايةِ الباطلة، أيْ أن أُناساً أضافوا كلمة «ولا مُحدَّثٍ» على الآية، وجَعَلوها قرآناً، وأنها كلامُ الله، وقَرَأوها هكذا: «وما أَرسلْنا من قبلِك من رسولٍ ولا نبيٍّ ولا مُحدَّثٍ»! ونَشهدُ أَنَّ هذه الجملةَ المذكورةَ في الروايةِ ليستْ قرآناً، وليستْ كلامَ الله، وأنها من تأليفِ أُناسٍ من المفْتَرين، يَنطبقُ عليهم قولُه تعالى في ذَمِّ أحبارِ اليهود الذين حَرَّفوا التوراة: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

و «المحَدَّثُ»: اسْمُ مفعول، وهو الذي يُلقىٰ إليه الحديثُ، لكن أَيُّ حديثٍ؟ ومَن الذي كان يُلقيهِ إليه؟ وكيفَ كان يُلقيه إليه؟

فَسَّرَ ذلك جعفرُ الصادق، فقال: المحَدَّثُ هو الرجلُ يَسمعُ صوتُ شخصٍ آخرَ يُحَدِّثُه ويُكَلِّمُه، ويَفهم كلامَه وحديثَه، دونَ أنْ يَراه.

والمحَدَّثُ بهذا التفسير هو عليٌّ رضيَ اللهُ عنه وحْدَه، من بين الصحابة جميعاً، وكُلُّ إمامٍ ووصيٍّ من الأئمةِ الأوصياءِ من بعدِه، يُرسلُ اللهُ المَلَكَ ـ هو جبريلُ طبعاً ـ إلى ذلكَ الإمام، فيكلِّمُه المَلَكُ كلاماً مباشِراً، ويُعَلِّمُه ما كانَ وما سيكون، ويَسمعُ الإمامُ صوتَ المَلَكِ دونَ أنْ يَراه، ويوقِنُ أنه مَلكٌ أهبطَه اللهُ إليه، وآتاه كلاماً أمَرَه بتبليغهِ للمحَدَّث. . فهو مُحَدَّثٌ بهذا الاعتبار. .

والمُحَدَّثُ ـ بهذا الفهم ـ هو في منزلةٍ قريبةٍ من منزلةِ النبوة، هو ليسَ نبيًّا، لكنه قَريبٌ جدًّا من النبي.

هل كان علي يسمع صوت الملك؟:

روى الكلينيُّ عن حمران بنِ أَعين، قال: قال أبو جعفر ـ محمد الباقر ـ: إنَّ عليًّا كانَ مُحَدَّثاً. فقالَ حُمْران: مَنْ كان يُحَدِّثُه؟ فقال أبو جعفر: كان يُحَدِّثُه مَلَكٌ! فسأله

حمران: هل تقولُ: إنه نبيٌّ؟ فَحَرَّكَ يَدَهُ نافياً. أَيْ: لا. لكنَّه كانَ كصاحبِ سليمان، وصاحب موسى، وذي القرنين.» [الكافي ١: ٢٧١].

لا يوجَدُ صحابيٌّ أو وليٌّ أو إمامٌ أو وصيٌّ مُحَدَّثاً بهذا المفهوم، بمعنى أنْ يُنْزِلَ اللهُ له مَلَكاً من السماء، ويأمُرَه بتبليغهِ عِلْماً أو شيئاً، فيخاطبَه المَلَكُ خِطاباً مباشراً.. ويَسمعُ ذلك الرجلُ كلامَه، ويَفهمُ عليه قوله، دونَ أنْ يَرىٰ شخصَه، ويوقنُ ذلك الرجلُ أنَّ المَلَكَ كان في مهمَّةٍ خاصَّة، ورسولاً من اللهِ إليه...

هذا كلامٌ باطِلٌ ومرفوضٌ ومردودٌ عند أهلِ السنةِ والجماعة.

المُحَدَّثُ في نَظَرِ أَهْلِ السُّنَّةِ هو ما فُسِّرَ في حديثِ رسولِ الله ﷺ، في ثنائهِ على عمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه.

روى البخاريُّ ومسلمٌ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لقد كانَ فيمن كانَ قَبْلَكُمْ من الأُمم ناسٌ مُحَدَّثون، من غيرِ أنْ يكونوا أنبياءَ، فإن يكنْ في أُمَّتي أحَدٌ، فإنه عمر...».

وروى مسلمٌ والترمذيُّ عن عائشةَ رضي الله عنها، قالَتْ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «قد كانَ يكونُ في الأمم قبلَكُم مُحَدَّثون، فإنْ يكنْ في أُمَّتي أحَدٌ، فعمرُ بنُ الخَطّاب..».

المُحَدَّثونَ وُجِدوا في الأُممِ السابقة، كما ذَكرَ رسولُ اللهِ ﷺ، وهؤلاء المحَدَّثونَ مَوْجُودونَ في الأمَّةِ المسلمة أيضاً: موجودونَ بين الصحابة، مثلُ عُمَرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه، وموجودونَ في أَجيالِ الأُمَّةِ المختلفة، حتى هذا العصر، وهؤلاء المسلمون «المُحَدَّثون» مختلفو المواهبِ والقُدُراتِ والتخصُّصات، منهم الفقهاءُ والمفَسِّرونَ، والمُحَدِّثون والمفكرون، والعلماءُ والدعاةُ والمجاهِدون، ويَدخلُ في هؤلاء عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه، فإنه كانَ في المقَدَّمينَ من الصحابة، وهو الرابعُ في الفضلِ والمنزلة، بعدَ الخلفاءِ الثلاثة.

لكن مَنْ هو «المُحَدَّثُ»؟ ليس هو الذي يُكَلِّمُه المَلَكُ دونَ أنْ يَراهُ، ويُبلِّغهُ كلاماً من عندِ الله، كما قالَتْ روايةُ الكلينيِّ السابقة.

المُحَدَّثُ هو الملْهَمُ، هو الذي يُلْهِمُه اللهُ إلهاماً نفسيًّا خاصًّا، بحيثُ يُلقي اللهُ إليه الفكرةَ أو الخاطرةَ أو المعنى في ذهنِه وخاطِرِه وحَدْسِه وداخلِه، فيكونُ في شعورِه أو قلبِه أو نفسِه، فيرتاحُ إليه، ويُحسنُ فَهْمَه والتعاملَ معه، ويكونُ هذا المعنى صائباً نافعاً. التَّحديثُ نوعٌ من الإلهامِ والتوفيقِ الربانيِّ لهذا المُحَدَّثِ المُلْهَمِ، وليس هناك مَلَكٌ، ولا سَماعُ صَوتِ مَلَكٍ، ولا تعليمٌ ولا إحاطة!!...

هل الروح ملك ضخم مع الأئمة؟:

يرىٰ الكلينيُّ أنَّ «الروحَ» شخصٌ مخلوق، عظيمُ الشكل، كبيرُ الحجم، جعلَه اللهُ مع الرسولِ ﷺ، مُؤيِّداً وناصِراً، وجعلَه بعد ذلك مع الأئمة، واستشهدَ على ذلك بالقرآن.

٨٣ ـ روىٰ عن أبي بصيرٍ قال: سألْتُ أبا عبدِ الله عن قولِ اللهِ تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢]. **قال: هو خَلْقٌ من خَلْقِ الله، أَعْظَمُ من جبريلَ وميكائيل، كان معَ رسولِ الله ﷺ، يُخبرُه ويُسَدِّدُه، وهو مع الأئمةِ من بعدِه..»** [الكافي ١ : ٢٧٣].

سألَ أبو بصيرٍ أبا عبدِ الله ـ جعفرَ الصادق عن معنى الآية، وعن المرادِ بالروحِ فيها؟

فأجابَه: الروحُ المذكورُ في الآيةِ هو مخلوقٌ خَلَقَهُ الله، وسَمَّاهُ «الرّوحَ»، ضَخمٌ كبير، أكبرُ حجماً من جبريلَ وميكائيل، وكانَ هذا المخلوقُ يَسيرُ مع رسولِ اللهِ ﷺ، يُخبرُه ويُعْلِمُه، ويُوَفِّقُهُ ويُسَدِّدُه.. ولم يذكُرْ لنا هل كانَ الصحابةُ يشاهدونَ هذا الروحَ وهو يَسيرُ مع رسولِ اللهِ ﷺ أم لا؟ وإذا كانوا يُشاهدونَه فلماذا لم يُخْبِروا عنه، وإذا لم يُشاهِدوه فكيفَ يكونُ سائراً مع الرسولِ ﷺ؟

ولَم يذكُرْ لنا كيفَ كان هذا المخلوقُ الضخمُ «الروحُ» يَسيرُ مع عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه، ولماذا لم يُخْبِرْ أصحابُ عليٍّ خَبَره.. وكيفَ كان يَسير مع الأئمةِ من بعدِ عليٍّ؟!

وقبلَ أنْ نُبينَ المرادَ بالروحِ المذكورةِ في الآية، نوردُ حواراً سَجَّلَه الكلينيُّ، ودارَ

بين جعفرِ الصادق وأحدِ تلاميذِه عن الروح.

رُوىٰ الكلينيُّ عن أبي حمزةَ قال: سألتُ أبا عبدِ الله عن العلْم، أهو علْمٌ يُتعلَّمُه العالِمُ من أفواهِ الرجال؟ أم في الكتابِ عندكم؟ تقرءونَه فتتعلمونَ منه؟

قالَ: الأمْرُ أعظمُ من ذلك وأوجَبُ، أما سمعْتَ قولَ اللهِ عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢].

ثم قال: أيُّ شيء يَقولُ أصحابُكم في هذه الآية؟ أيُقِرُّون أنَّ محمداً كانَ في حالٍ لا يَدْري ما الكتابُ ولا الإيمان؟.. قلتُ: لا أدري ما يَقولون..

فقالَ لي: بلى. قد كانَ في حالٍ لا يَدري ما الكتابُ ولا الإيمانُ، حتى بَعَثَ اللهُ تعالى الروحَ التي ذَكَرَ في الكتاب، فلما أَوحاها إليه عَلِمَ بها العِلْمَ والفَهْمَ، وهي الروحُ التي يُعطيها اللهُ مَنْ شاء، فإذا أعطاها عبداً عَلَّمَهُ الفَهْم..» [الكافي ١: ٢٧٣ ـ ٢٧٤].

إنّنا نُقِرُّ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان قبلَ النبوةِ بدونِ عِلْم، لا يَدْري ما الكتابُ ولا الإيمانُ، وبعدَ النبوةِ آتاهُ اللهُ العلمَ والفهمَ والخيرَ كُلَّه.

لكنْ ما هو الروحُ الذي آتاهُ اللهُ إيّاهُ حتى صارَ صاحبَ عِلمٍ وفَهم؟..

إنَّ المرادَ بالروح في الآية هو القرآنُ. قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

أخبرَ اللهُ نبيَّه ﷺ أنه أوحى إليه القرآنَ، وأنزلَه عليه، وجَعَلَهُ روحاً يُحيي القلوبَ والنفوسَ والأرواح، وامتنَّ عليه بهذا القرآنِ الروحِ، وذكَّرَه بماضيهِ قبلَ النبوة، كيف كان لا يَدري ما الكتابُ ولا الإيمان، وكيف صارَ بعدَ النبوّةِ، في العلمِ والهدى والنورِ والدعوة.

وَوَصَفَ اللهُ القرآنَ بأنَّه نورٌ هادٍ، يَهدي به اللهُ مَنْ شاءَ مِنْ عبادِه، إلى طريقِ الهدى والعلمِ والخير..

الكلامُ في الآيةِ عن القرآن، وقد وَصَفَهُ بصفَتَيْن: هو روحٌ: ﴿أَوحينا إليك روحاً

من أَمرنا﴾. . وهو نورٌ: ﴿جعلناه نوراً نهدي به﴾.

ولا يجوزُ فصْلُ إحدى الصِّفَتَيْنِ عن الأُخرى، كما فعلَ الكلينيُّ، حيثُ جَعَلَ «الروحَ» ذلك المَلَكَ الضخم، فإذا كانَ الروحُ هو المَلَكَ الضخمَ فما معنى الجملةِ الثانية: ﴿ولكنْ جَعلناهُ نُوراً نَهدي به مَنْ نَشاء﴾.

هل الروحُ المَلَكُ الضخمُ هو النُّورُ؟ وإذا لم يكنْ هو النُّورَ فعلى مَنْ يَعودُ الضميران: الهاءُ في ﴿جعلْناه﴾، والهاءُ في ﴿به﴾؟ إنَّ هذينِ الضميريْنِ لا يُمكنُ أنْ يَعودا إلاَّ على ﴿روحاً﴾. والمعنى: جَعَلْنا هذا الروحَ الذي أوحينا إليك نوراً هادياً، نَهدي به مَنْ نشاءُ من عبادنا.

وَوُصِفَ القرآنُ بأنَّهُ روحٌ في آياتٍ أُخرى، منها قولُه تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ [النحل: ٢].

معاني الروح في القرآن:

من المناسبِ أن نذكر هنا معاني «الروح» في القرآن:

١ ـ الروحُ: التي استأْثرَ اللهُ بها، ولم يُعْلِمْ بها أَحَداً من خَلْقِه. قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

ويَجعلُ اللهُ هذه الروحَ في الإنسانِ عند خَلْقِه. قال تعالى: ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ * ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ [السجدة: ٧ ـ ٩].

وهذه الروحُ نَفَخَها اللهُ في أبي البشرِ آدمَ عليه السلام، قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [ص: ٧١ ـ ٧٢].

وهذه الروحُ نفخَها اللهُ في عيسى عليه السلام، فصارَ مُخَلَّقاً حَيًّا في رحم أُمِّه مريم. قال تعالى: ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: ١٢].

٢ ـ الروحُ جبريلُ عليه السلام: وهو روحٌ لأنَّه مَلَكٌ عظيم، خَلَقَهُ الله، ونَفَخَ فيه من روحه، مثل باقي الملائكة، الذين نَفَخَ من روحِه في كُلِّ واحدٍ منهم.

وخَصَّ القرآنُ جبريلَ من بينِ الملائكةِ بأنه روحٌ، وأضافَ هذا المَلَكَ الروحَ إلى الله، كما في قوله تعالى: ﴿ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ۝ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ۝ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا﴾ [مريم: ١٧ ـ ١٩].

ووَصفَه بأنه روحٌ قُدُسٌ، أَيَّدَ به عيسى عليه السلام. قال تعالى: ﴿ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ﴾ [البقرة: ٨٧].

وَوَصَفَه بأنه الروحُ الأَمين، في سياقِ الإخبارِ عن الوحي، وإنزالِ القرآنِ على النبيِّ ﷺ. قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ. ﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٤].

٣ ـ الروحُ: الوحيُ الذي أنزلَه اللهُ على رسلِه السابقين، على عمومِه وشمولِه.
وعلى هذا قولُه تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ﴾ [النحل: ٢].
والروحُ هو القرآنُ الذي أنزلَه اللهُ على محمدٍ ﷺ، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢].

٤ ـ الروحُ التأييدُ المعنويُّ: الذي يُؤَيِّدُ به مَنْ يشاءُ مِن عبادِه الصالِحين، وجنودِه المجاهدين، بأنْ يُثَبِّتَهم على الحَقّ، ويُقَوِّيَ إيمانَهم وهِمَمَهُم وعزائِمَهُم. قال تعالى: ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ [غافر: ١٥]. وقال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وبهذا نعرفُ أنَّ المرادَ بالروحِ في قولِه تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ﴾ هو القرآن، وليس أَحَدَ الملائكة الضخام!

والقرآنُ روحٌ، لأنه يُحيي روحَ المؤمن، ويَجعلُها حيةً قوية، مشرقةً مؤثرةً فاعلة.

ما هو الروح الذي تتنزل به الملائكة؟:

انطلاقاً من زَعْمِ الرواياتِ السابقةِ بأنَّ الروحَ الذي أوحاهُ اللهُ إلى محمدٍ ﷺ هو مَلَكٌ ضَخْمٌ من الملائكة، فقد أوردَ الكلينيُّ روايةً أُخرى، نَسَبَهَا إلى عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فَسَّرَ فيها آيةً من القرآن، فهِمَ منها أنَّ الروحَ غيرُ جبريل . .

٨٤ ـ روى عن سعدِ الإسكاف، قال: أَتى رجلٌ أميرَ المؤمنين يسألُه عن الروح: أَليسَ هو جبريل؟ فقالَ له أميرُ المؤمنين: جبريلُ من الملائكة، والروحُ غيرُ جبريل. وكَرَّرَ ذلك على الرجل . .

فقالَ له الرجل: لقد قُلْتَ قولاً عظيماً من القول، ما أَحَدٌ يزعمُ أنَّ الروحَ غيرُ جبريل . . فقالَ له أميرُ المؤمنين: إنك ضالٌ، تَروي عن أهْلِ الضلالِ، يقولُ اللهُ لنبيّه ﷺ: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ . والروحُ غيرُ الملائكة. » [الكافي ١ : ٢٧٤].

الرجلُ الذي يُحاورُ عليًّا رضي الله عنه يَرى أنَّ الروحَ هو جبريلُ عليه السلام، ولكنَّ عليًّا ـ كما تَنسبُ له الروايةُ ـ يَرىٰ أنَّ الروحَ مَلَكٌ غيرُ جبريل، ويَستشهدُ على ذلك بآيةٍ لا تدلُّ على الموضوع.

الآيةُ هي قولُ اللهِ عز وجل: ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ . . ﴾ [النحل: ١ ـ ٢]. الروحُ فيها غيرُ الملائكة، لأنها هي التي تَنزلُ به!

صحيحٌ أَنَّ الروحَ في الآيةِ غيرُ الملائكة، لأنها تنزلُ به، وهي لا تَنزِلُ بنفسِها، لكن ما هو الروحُ الذي تنزلُ به؟ ليس هو المَلَكُ الضخمُ الذي ذَكَرَتْه الرواياتُ السابقة، لأنها تنزلُ بشيءٍ محمول.

المرادُ بالروحِ في هذه الآيةِ الوحيُ، الذي هو القرآنُ، والذي يَنزلُ به جبريلُ على قلبِ النبيِّ ﷺ.

وهنـاك آياتٌ صريحةٌ تُصـرِّحُ بأنَّ الروحَ يُرادُ بـه جبريلُ أحياناً، حيـثُ وَصَفَتْـه بأنه ﴿روحُنا﴾، وأنـه ﴿الروحُ القُدُس﴾، وأنه ﴿الروحُ الأمين﴾. وقـد ذكَـرْنا تلك

الآياتِ قبلَ قَليل.

وقد عُطِفَ ﴿الروحُ﴾ على ﴿الملائكة﴾، في قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤].

وفي قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر: ٤].

جبريلُ فَرْدٌ من أَفرادِ الملائكة، وهو معطوفٌ على الملائكةِ في الآيتين: ﴿الملائكة والروح﴾. وهذا العطفُ يُسَمّى «عَطْفَ الخاصِّ على العامّ»، لأهميةِ هذا الخاص.

هل الذرية المكرمة هم الأئمة فقط؟:

٨٥ ـ روى الكلينيُّ عن عبدِ الرحمنِ بن كَثير، عن أبي عبدِ الله ـ جعفر الصادق ـ أنه قالَ في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ [الطور: ٢١]. ﴿الذين آمنوا﴾: هم النبيُّ ﷺ، وأَميرُ المؤمنين، وذُرِّيَّته الأَئمةُ والأَوصياءُ. ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾: لم نُنْقِصْ ذريتَهم الحُجَّةَ، التي جاء بها محمدٌ ﷺ في عليٍّ، حُجتُهم واحدة، وطاعَتُهم واحدة» [الكافي ١: ٢٧٥].

تأخذُ الروايةُ آيةً عامَّة الصياغةِ والدّلالة، وتُخَصِّصُها بالأَئمةِ بدونِ دَليلٍ على التَّخْصيص!

﴿الذين آمنوا﴾: هم المؤمنونَ على اختلافِ الزمانِ والمكان، لأنَّ ﴿الذين﴾: اسْمٌ موصول، وهو من صِيَغِ العُموم، كما هو مُقَرَّرٌ في لغةِ القرآن.

لكنَّ الروايةَ خَصَّصَتْ هذا العمومَ بالنبيِّ ﷺ وعليِّ بنِ أبي طالب رضي الله عنه، ولا دليلَ على هذا التخصيصِ إلاّ التحكُّمُ والهوى!

﴿وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾: هي ذريـةُ المؤمنيـن، الصالحةُ المطيعةُ العابدةُ لله، التي تُحسنُ اتِّباعَ الآباءِ المؤمنين الصالحين بإيمانٍ وطاعَةٍ وعبادة. وهذه الذريةُ عامَّةٌ كعُمومِ الآباء، ويندرجُ تحتَها كُلُّ ذريةٍ صالحة، على اختلافِ الزمانِ والمكان، حتى

قيامِ الساعة . . .

لكنها في الروايةِ خاصَّةٌ بذريةِ عليٍّ من ابنهِ الحسين، رضي الله عنهما، من الأئمةِ والأوصياء، وهم أحَدَ عَشَرَ إماماً!!

ومعنى: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾: رَفَعْنا منزلةَ الذُّريةِ المؤمنةِ إلى منازلِ الآباءِ العاليةِ في الجنة، إكْراماً لهؤلاءِ الآباء، وبذلك لحقت الذريةُ بالآباءِ في الجنة، دونَ أنْ يُنقِصَ ذلك شيئاً من عملِ الآباءِ الصالح.

لكنَّ هذا الإلحاقَ العامَّ في منازلِ الجنة مخصوصٌ في الرواية، بدونِ دليلٍ على التَّخصيص: إنه إلحاقُ الذريةِ من الأئمةِ بالنبيِّ وعليٍّ، وهذا الإلحاقُ يقومُ على توريثِ الذريةِ من الأئمةِ الحُجَّةَ والطاعَة، فاللهُ آتى الذريةَ نفسَ الحُجَّة، التي آتاها النبيَّ ﷺ، والتي وَرِثَها عنه عليٌّ رضي الله عنه، وآتاهُم نفسَ الطاعةِ التي آتاها النبيَّ ﷺ!!.

والدليلُ على أنَّ الحديثَ في الآيةِ عامٌّ عن المؤمنين، أجداداً وذريةً، وأنَّ الإلْحاقَ هو إلحاقُ الذريةِ بالأجدادِ في منازلِ الجَنَّة، دون أَنْ يُنْقَصَ الأجدادُ عَمَلَهُم، الدليلُ هو السياقُ الذي وَرَدَتْ الآيةُ فيه.. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ * فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ * كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ * وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ١٧ - ٢١].

أَينَ هذا العمومُ المبَشِّرُ في الآيةِ من التخصيصِ والحصرِ في الرواية بما لا دليلَ عليه؟!.

الأمانات التي يردها الأئمة!!:

أمَرَ اللهُ المؤمنين بأداءِ الأماناتِ إلى أهْلِها. قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨].

ما هو المرادُ بالأمانات؟ ومَنْ هم المأمورون بأدائها إلى أهْلِها؟

عندَ الكلينيِّ: هي أَماناتٌ خاصَّة، والمأمورونَ بأدائِها قومٌ مخصوصون أيْضاً!

٨٦ - روى الكلينيُّ عن بَريدِ العجلي، قال: سألْتُ أبا جعفرٍ - محمدَ الباقر - عن قولِ الله: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل.﴾؟

قالَ أبو عبدِ الله: إيّانا عنىٰ. أنْ يُؤدِّيَ الأوَّلُ إلى الإمامِ الذي بَعْدَه، الكُتُبَ والعِلْمَ والسِّلاح، وأنْ يَحْكُمَ الأئمةُ بين الناسِ بالعَدْلِ الذي في أَيْديهم..».

وروى عن المُعَلَّى بنِ خُنَيْس قال: سألْتُ أبا عبدِ الله - جعفرَ الصادق - عن قولِ الله عز وجل: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها..﴾ قال: أَمَرَ اللهُ الإمامَ الأوَّلَ أنْ يَدْفَعَ إلى الإمامِ الذي بَعدَه كُلَّ شيءٍ عندَه.». [الكافي ١: ٢٧٦ - ٢٧٧].

الإمامةُ عندَ الكلينيِّ ميراثٌ يورَثُ، من الإمام السابقِ إلى الإمامِ اللاحق، والأئمةُ عنده مُعَيَّنونَ، يُعَيِّنُهم اللهُ بأسمائهم، وقبلَ أنْ يموتَ الإمامُ يُخبرُهُ اللهُ بالإمامِ الذي سيخلُفُه، ويأْمُرُه بأداءِ «العُهْدَة» إليه.

روى أنَّ بعضَ أصحابِ أبي عبدِ الله - جعفر الصادق - سَأله: متى يَعرفُ الإمامُ إمامَتَه وينتهي الأَمْرُ إليه؟ قال: في آخِرِ دقيقةٍ من حياةِ الأَوّل!» [الكافي ١: ٢٧٥].

وروىٰ عن أَبي عبدِ الله أيضاً قوله: «لا يموتُ الإمامُ حتى يَعْلَمَ مَنْ يكونُ مِنْ بعدِه، فيوصي إليه.» [الكافي ١: ٢٧٧].

الإمامةُ بالنَّصِّ والتَّعيينِ من الله، قُبيلَ خُروجِ الإمامِ القائم، يوحي اللهُ إلى الإمام - وقد ناقشْنا سابقاً كونَ الإمامِ مُحَدَّثاً، يَتَّصِلُ اللهُ به عن طريقِ أَحَدِ الملائكة - ويُخبرُه بخليفتِه، ويأْمُرُه أَنْ يوصي إليه، وأنْ يعهَد إليه بالإمامةِ والوصايةِ والولاية، ويُعطيه «العُهْدَةَ» التي معه، من الوراثةِ والعلمِ والعصمةِ والفهمِ، وغيرِ ذلك.

ونحنُ نرفضُ هذه الأفكارَ، ونَعتبرُها نوعاً منَ المغالاةِ والمبالغةِ في النظر إلى «آلِ البيت» والإمامةِ ونظامِ الحُكْم، ولا دَليلَ عليها من آياتِ القرآنِ الصريحة، والأحاديثِ النبويةِ الصحيحة، ولا يَجوزُ أخْذُ أيِّ كلامٍ لأيِّ إنسانٍ سواء كانَ صحابيًّا أو تابعيًّا أو إماميًّا، إذا كانَ لا يَصْدُرُ عن قرآنٍ صريحٍ أو سنّةٍ صحيحة..

والذي يهمُّنا هنا مناقشةُ استدلالِ رواياتِ الكلينيِّ على هذه الأَفكارِ بالآية.

إنهم يُخصصونَ عُمومَ الآية، ويُقيِّدونها بلا دليلٍ مقبول، ويُفَسِّرونَها بكلامٍ غيرِ صحيح، ويُنَزِّلونَها على أَفكارٍ مردودة.

المأمورون ـ في نظرهم ـ في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ هم الأَئمةُ القائمونَ قُبيلَ وفاتِهم.. والأماناتُ المؤدَّاةُ هي عُهدةُ الإمامةِ ولوازِمُها، التي وَصَلَتْهم وَوَرِثوها عن آبائهم.. و ﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾: الأئمةُ الجُدُدُ، الوارثون للسابقين.. فالأمانةُ أمانةُ إمامة!!

إنَّ الخطابَ في الآيةِ عامٌّ لعُمومِ المسلمين، وليس خاصًّا بالإمام المحتضر، يأمُرُ اللهُ فيه كلَّ مسلمٍ أنْ يُنفِّذَه، على اختلافِ الزمانِ والمكانِ والأشخاص..

والأماناتُ في الآيةِ عامَّة، لأنها جمعُ مؤنَّثٍ سالمٌ مُعَرَّفٌ بأَل التعريف، وهذا من صيغِ العُموم، وهي تشملُ جميعَ الأماناتِ والودائع، على اختلافِ أصنافها وأشكالِها، العينيةِ والماديةِ والماليةِ والفرديةِ والجماعيةِ والمعنوية...

وكم نكونُ مُخْطئينَ عندما «نُفَرِّغُ» الآيةَ من هذا العُموم، ونَحْشُرُها في معنىً ضَيِّقٍ، إضافةً إلى أنه باطلٌ ليسَ عليه دليل!!

هل الأئمة هم أولو الأمر المردود إليهم؟:

أَمَرَ اللهُ المؤمنين بطاعتِه وطاعةِ رسولِه وطاعةِ أُولي الأمر، وبرَدِّ المتنازَعِ فيه إلى اللهِ ورسولِه، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ﴾ [النساء: ٥٩].

٨٧ ـ لكنَّ هذه الآيةَ لها معنىً خاصٌّ عند الكلينيِّ، فقد روىٰ عن بَريد العجليِّ عن أبي جعفر ـ محمد الباقر ـ قولَه: اللَّهُ إِيَّانا عنىٰ خاصَّة، حيثُ أمَرَ جميعَ المؤمنينَ إلى يومِ القيامةِ بطاعتنا، وقال للمسلمين: فإنْ خفْتُم تنازُعاً في أمْرٍ فَرُدّوه إلى الله، وإلى الرسول، وإلى أُولي الأمر منكم... كذا أُنزلَتْ، إذْ كيفَ يأمُرُهم اللهُ بطاعةِ أولي الأمر ويُرخِّصُ في منازعتِهم؟ إنما قيل ذلك للمأمورين، الذين قيلَ لهم: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟

﴿ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾ [الكافي ١ : ٢٧٦].

الآيةُ عامَّةٌ في دلالَتِها، فهي خطابٌ للمؤمنين على اختلافِ الزمانِ والمكانِ والأشخاص، كلُّهم مأمورونَ بطاعةِ اللهِ وطاعةِ رسوله ﷺ، وطاعةِ أُولي الأمرِ منهم.

وعُطِفَتْ ﴿أُولي الأَمرِ منكم﴾ على ﴿رسوله﴾. وهي عامَّةٌ في كلِّ وُلاةِ الأمرِ من المسلمين، الذين وُلُّوا أيَّ أمْرٍ من أُمورِ المسلمين، بَدْءاً من الخليفَة، الذي هو رأْسُ الأمْرِ وأميرُ المؤمنين، ومُروراً برجالِ الخلافة، من الوزراءِ والولاةِ والأمراء والحُكّامِ، وأمراءِ المناطقِ والمدن، والقضاةِ والعلماءِ والحكماءِ والدُّعاة...

ولَسْنا مع كلامِ أبي جعفر في تخصيصِه كلمةَ ﴿أُولي الأَمر﴾ بالأئمةِ فقط، ولا دَليلَ له على هذا التَّخصيص، وذلك في قوله: «إيّانا عنىٰ خاصَّة، أَمَرَ جَميعَ المؤمنين إلى يومِ القيامةِ بطاعتِنا..»!!

وأرشدت الآيةُ المؤمنين إلى طريقةِ حَلِّ التنازعِ الذي قد يَقَعُ بينهم، وهي محصورةٌ برَدِّ الأَمْرِ المتنازَعِ فيه إلى اللهِ والرسول: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ أيْ: رَدُّ الأمْرِ المتنازَعِ فيه إلى كتابِ اللهِ وسنةِ رسولِه ﷺ، ومعرفةُ حكْمِه في الكتابِ والسنة، واستخراجُ حُكْمِه من الكتابِ والسنة، والالتزامُ بهذا الحكم في الكتابِ والسنةِ، لحلِّ الخلافِ وإنهاءِ التنازع.

لكنَّ الروايةَ المنسوبةَ إلى محمدِ الباقر تُضيف «أُولي الأمر منكم» إلى اللهِ ورسولِه، بمعنى أنه يجبُ رَدُّ الأَمْرِ المتنازَعِ فيه إلى اللهِ والرسولِ وأُولي الأمْرِ من المسلمين.

وإذا كان أُولو الأمْرِ في الآيةِ السابقةِ هم الأَئمةَ الأوصياءَ فقط، فإنَّ الرَّدَّ يكونُ إلى هؤلاءِ الأئمة فقط! ومعنى هذا أنه لا يجوز مُخالَفَةُ هؤلاءِ الأَئمة، أَو منازعتَهُم أَو مناقشَتُهم!

إضافة جملةٍ على الآية:

العجيبُ أنّ الرواية السابقة نَسَبَتْ إلى أَبي جعفر إضافة جملة على الآية، وأَنه قَرَأَها هكذا: «فَرُدُّوه إلى الله وإلى الرسول وإلى أُولي الأَمْرِ منكم.». وتعليقُه على هذه الجملة بقوله: هكذا أُنزلَتْ!! وكأَنه يَراها على هذه الإضافة! وهذا مردود، لأن «وأُولي الأَمْرِ منكم» مُقْحَمَةٌ ومُضافةٌ على الجملة القرآنية.

ولا تُجيزُ الروايةُ مُنازعةَ أُولي الأَمر، لأنَّ الآيةَ أَمَرَتْ بطاعَتِهِم، فكيفَ يُنازِعون المأمورينَ بطاعتِهم؟! وهذا الفهمُ مردود، فرغْمَ أنَّ المؤمنين مأمورون بطاعةِ أُولي الأمر، إلاّ أنه يَجوزُ لهم منازعَتُهم، ويَجوزُ للرعيةِ مخالفةُ ومناقشةُ ومعارضةُ الراعي، والحَكَمُ عند ذلك هو الكتابُ والسُّنَّة!!

ما هو الإمام المبين الذي حوى كل شيء؟:

قالَ اللّهُ عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

يُخبرُ اللّهُ أَنه يُحيي الموتى يومَ القيامةِ، ويَبعثُهم ليُحاسَبوا على أَعمالِهم، فهو قد أَمَرَ الملائكةَ بكتابةِ كُلِّ ما صَدَرَ عنهم من قولٍ أَو فِعل، من خيرٍ أَو شَرّ، وأحصى كُلَّ ذلك المكتوبِ في إمامٍ مبين، وسيحاسِبُهم على ما وَرَدَ في ذلك الإمامِ المبين، والكتابِ الواضحِ يوم القيامة.

فالمرادُ بالإمام المبينِ في الآيةِ الكتابُ الدقيقُ المفَصَّلُ، الذي حوى كُلَّ شيء. وهو الذي وَرَدَ في قولِه تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣ ـ ١٤].

ويَتعجَّبُ الإنسانُ عندما يقرأُ كتابَه، ويَجدُ كلَّ شيء فيه. قالَ تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

هذا هو المرادُ بالإمامِ المبين، وهو في سورةِ يَس مُجْمَلٌ: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ

﴿إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾. ومفَصَّلٌ في الآياتِ السابقةِ التي أَوْرَدْناها.

ويُحاسِبُ اللّهُ كُلَّ إنسانٍ على ما في ﴿إمامِه المبين﴾ يومَ القيامة. قال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۞ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧١ ـ ٧٢].

ورغمَ وُضوحِ معنى الإمامِ المبينِ بالآياتِ التي أَوْرَدْناها، إلّا أنه في رواياتِ الكلينيِّ مُحَرَّفٌ، ومحمولٌ على إمامٍ خاصّ! هو الوصيةُ التي أَنزلَها اللّهُ على نَبيِّه محمدٍ ﷺ، وذَكَرَ له فيها أَسماءَ الأَئمةِ الأَوصياءِ بأَسمائِهم، وماذا سَيجري لكلِّ واحدٍ منهم! وأَوردَ في ذلك روايةً عجيبةً منسوبةً لرسولِ اللّهِ نفسِه ﷺ.

أكذوبة الوصية لعلي وذريته!!:

٨٨ ـ روى عن الإمامِ السابعِ موسى الكاظم أنه قالَ لأَبيهِ الإمامِ السادسِ جعفر الصادق: أَليسَ كانَ أَميرُ المؤمنينَ كاتبَ الوصيّة، ورسولُ اللّه ﷺ المُمْلي عليه، وجبريلُ والملائكةُ المقرَّبون شُهوداً؟

فأَطرقَ طويلاً ثم قال: قد كانَ ما قُلْتَ. ولكن حينَ نزلَ بِرَسولِ اللّه ﷺ الأَمْرُ، نَزَلَت الوصيةُ من عندِ اللّه، كتاباً مُسَجَّلاً، نَزَلَ به جبريلُ مع أُمناءِ اللّهِ من الملائكة.

فقالَ جبريل: يا محمد: مُرْ بإِخراجِ مَنْ عندَك إلّا وَصيَّك، لِيَقْبِضَها مِنّا، وتُشْهِدَنا بدَفْعك إيّاها إليه، ضامناً لها!!

فأَمَرَ النبيُّ ﷺ بإخراجِ مَنْ كانَ في البيت، ما خَلا علياً عليه السلام، وفاطمةُ بينَ السِّتْرِ والباب.

فقالَ جبريلُ: يا محمد، ربُّك يُقْرِئُكَ السَّلامَ، ويقولُ: هذا كتابٌ، كنتُ عَهِدْتُ إليك، وشَرَطْتُ عليك، وشهدتُ به عليك، وأَشهدتُ به عليك ملائكتي، وكَفى بي يا محمدُ شَهيداً.

فارتعدَتْ فرائصُ النَّبيِّ ﷺ، ثم قال: يا جبريل: ربّي هو السَّلام، ومنه السلام،

وإليه يَعودُ السَّلام، صَدَقَ وبرَّ عزَّ وجَلَّ.. هاتِ الكتاب..

فدفَعَه إليه، وأَمَرَهُ بدَفْعِه إلى أَميرِ المؤمنينِ!! فقال له: اقْرَأْه.. فَقَرأَه حَرْفاً حرفاً. فقال: يا عَلِيُّ: هذا عهدُ ربِّي تبارك وتعالى إليَّ، وشَرْطُه عليَّ.. وقد بَلَّغْتُ ونصحْتُ وأَدَّيْتُ.

فقالَ عليٌّ: وأَنا أَشهدُ لك بالبَلاغِ والنَّصيحة، والتَّصديقِ على ما قُلْت، ويَشهدُ لك به سَمعي وبَصري ولحمي ودَمي.

فقال جبريلُ: وأَنا لكما على ذلك من الشاهدين.

وتابَعتِ الروايةُ العجيبةُ ذكْرَ تفاصيلِ ما في الوصيةِ النازلةِ من عندِ اللّه، حولَ مستقبل عليٍّ ومقْتَله، والحسينِ بنِ عليٍّ ومقتلِه، وما سيَجري للأَوصياء من أَحداث.. مما لا داعي لذكْرِه هنا.

وخَتمت الروايةُ الكلامَ بقولها:... ثم دَعا رسولُ اللّه ﷺ فاطمةَ والحسنَ والحسين، وأَعلمَهم مثلَ ما أَعلمَ أَميرَ المؤمنين، فقالوا مثلَ ما قالَ أَميرُ المؤمنين.. فخُتمت الوصيةُ بخواتيمَ من ذَهب، لم تَمَسّه النارُ.. ودُفعَتْ إلى أَمير المؤمنين..

قال الراوي: فقلْتُ لأَبي الحسن: بأَبي أنت وأُمي، أَلا تذكُرُ ما كانَ في الوصِيَّة؟

فقال: فيها سُنَنُ اللّهِ وسُنَنُ رسولِه.

فقلتُ: أَكانَ في الوصيةِ تَوثُّبُهُم وخلافُهم على أَميرِ المؤمنين؟

قال: نعم، واللّه، شَيْئاً شيئاً، وحَرْفاً حَرْفاً. أَما سمعْت قولَ اللّهِ عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾. واللّهِ لقد قالَ رسولُ اللّهِ ﷺ لأَميرِ المؤمنين وفاطمة: أَليسَ قد فهِمْتُما ما تقدَّمْتُ به إِليكما وقبلْتُماه؟ قالا: بَلىٰ. وصَبَرْنا على ما ساءَنا وغاظَنا» [الكافي ١: ٢٨٣].

إنَّ ما نَسَبَتْه الروايةُ العجيبةُ من أحداثٍ وقعتْ أمامَ رسولِ اللّه ﷺ، لم يصحَّ في إسنادٍ صحيحٍ إلى رسولِ اللّه ﷺ. ونَجزمُ بردِّ هذا الكلام!

وهذا الزعمَ يقينٌ جازمٌ عندهم، إنهم يجزمونَ بإنزالِ الوصيةِ من عندِ اللّه، على

رسولِ اللّه ﷺ، وفيها تفاصيلُ كلٍّ ما سيجري لعليٍّ رضي اللّه عنه.

وزَعموا أَنَّ هذه الوصيةَ هي الكتابُ المبين، المذكورُ في سورةِ يس.. ونَسوا أَنَّ سورةَ يس مكِّية، وأَنَّ الأَحداثَ التي ادَّعوها في المدينة، بعدَ ميلاد الحسنِ والحسينِ رضي اللّه عنهما، لكنَّ هذه المعاني لا يَلْتفتونَ إِليها عندما يفترونَ افتراءاتِهم!!

هل أولو الأرحام هم الأئمة فقط؟:

قالَ اللّهُ عز وجل: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ ﴾ [الأحزاب: ٦].

ما المرادُ بأُولي الأرحام هنا، حسبَ رواياتِ الكلينيِّ؟

إِنهم الأَئمةُ الأوصياءُ من نسلِ الحسينِ بنِ عليٍّ رضي اللّه عنهما!!

٨٩ - روى عن أَبي عبدِ اللّه - جعفر الصادق - قال: **لا تعودُ الإِمامةُ في أَخَوَيْن بعدَ الحسنِ والحسين أبداً، إنما جَرَتْ في عليٍّ بن الحسين. كما قالَ اللّهُ تبارك وتعالى: ﴿ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾، فلا تكونُ بعدَ عليٍّ بنِ الحسينِ إلاّ في الأعقابِ وأعقابِ الأَعقاب..** » [الكافي ١: ٢٨٥ - ٢٨٦].

﴿أُولو الأرحامِ﴾ حسبَ الرواية: هم الأئمةُ الأوصياءُ، الذين عَيَّنَهم اللّهُ أَئمة.
و﴿بعضُهم أَولىٰ ببعض﴾ حسبَ الرواية: هي الولايةُ الخاصَّة، التي صاروا بها أَئمة.

وعلى هذا الفهمِ الخاصِّ الذي تقدمُه الروايةُ يكونُ معنى الجملةِ القرآنية: ﴿ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ﴾: الإمامةُ في الأَعقابِ وأَبناءِ الأَعقاب، ولا تكونُ في الإِخوانِ والأَعمامِ والأخوال!! ولكنَّ هذا بعدَ عليٍّ بنِ الحسين!

أَيْ: كانتْ إمامةُ الأَخَوَيْن الحسنِ والحسين رضي اللّه عنهما استثناءً من القاعدةِ القرآنية - حسبَ زعْمِ الرواية - ثم عادَتْ بعدَهما إلى الأَعقابِ وأَبناءِ الأَعقاب.

إنَّ الروايةَ تُضَيِّقُ معنى ﴿أُولي الأرحام﴾ عندما تقصُرُها على الأَئمةِ فقط، وتُضيقُ معنى ﴿بعضُهم أَولى ببعض﴾ عندما تقصُرُها على ولايةِ الإِمامةِ فقط. وهناك روايةٌ أُخرى عند الكليني بهذا المعنى..

روى عن عبدِ الرحيم القصير قال: قلتُ لأبي جعفر ـ محمد الباقر ـ في قولِ اللّه عز وجل: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ ﴾ فيمن نزَلَتْ؟

فقال: نزلَتْ في الإِمْرَة.. إنَّ هذه الآيةَ جَرَتْ في وَلَدِ الحسينِ من بعدِه، فنحنُ أَوْلى بالأَمرِ وبالنبيِّ ﷺ من المؤمنين والمهاجرين والأنصار».

وذكرَ أبو جعفر أنه لا نصيبَ في الولايةِ لأولادِ جعفرِ بن أبي طالبٍ رضي اللّه عنه، ولا لأَولادِ العباسِ عَمِّ النبيِّ ﷺ، ولا لأَيِّ بَطْنٍ من بُطون بني هاشم وبني عبد المطلب، ولا حتى لأَولادِ الحسنِ بن عليٍّ رضي اللّه عنهما، إنما هي خاصَّةٌ في أَولاد الحسينِ رضي اللّه عنه. [الكافي ١ : ٢٨٨].

التوارث بين اولي الأرحام:

إن احتجاجهم بالآيةِ على حَصْرِ الإمامةِ بأَولادِ الحسين بن عليٍّ مردود، لأَنه لا شأن للآيةِ بالولايةِ، فالحديثُ في الآيةِ عن التوارثِ بين أُولي الأَرحامِ من الورثة، فإذا ماتَ المُوَرِّثُ وَرِثَهُ في تركتِه أُولو أرحامِه، من إِخوانِه وأَخواتِه وأَبَوَيْهِ وامرأَتِه.

وهذه الآيةُ ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ نَسَخَتْ حُكْماً سابقاً في التوارث..

لقد كان التوارثُ بين المسلمينَ بعدَ الهجرةِ على أَساسِ الأُخوةِ أو التحالف، ولم يكنْ على أَساسِ النَّسَبِ والقَرابة.

لم تكنْ ولايةٌ بين المسلمين المهاجرين وأَقاربهم المسلمين المتخلِّفين عن الهجرة. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَـٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ﴾ [الأنفال: ٧٢].

وكان التوارُثُ بين المسلمينَ على أَساسِ الأُخُوَّةِ والهجرة، وليسَ على أَساسِ النَّسَبِ والقرابة، واستمرَّ هذا سنوات، وكان إذا ماتَ الأَنصاريُّ ورِثَه المهاجرُ الذي

تآخى معه، ولم يَرِثْه أُولو رَحِمه، وهكذا إذا ماتَ المهاجر.

ثم نَسَخَ اللّهُ هذا الحُكْمَ، وأَعادَ التوارثَ بين الوَرَثَةِ إلى النَّسَبِ والقرابة، وصارَ القريبُ يرثُ قريبَه. وكان الناسخُ آيتَيْن:

الأُولى: قولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ [الأنفال: ٧٥].

والثانية: قولُه تعالى: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ [الأحزاب: ٦].

هل تصدق علي بخاتمه وهو راكع؟!:

قالَ اللّهُ عز وجل: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥].

فيمنْ نَزَلَتْ هذه الآية؟ ومَنْ هم الأَولياءُ المذكورونَ فيها؟

حسبَ رواياتِ الكلينيِّ: نزلَتْ في عليِّ بن أَبي طالبٍ رضي اللّه عنه، لأَنه أَعطى خاتمَهُ لسائلٍ أَثناءَ ركوعِه، والمرادُ بالأَولياءِ فيها الأَئمةُ الأَوصياءُ من ذريتِه.

٩٠ ـ روى عن أبي عبدِ اللّه ـ جعفر الصادق ـ أَنه قالَ في قولِ اللّهِ عز وجل: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ معنى ﴿وليّكم﴾: أَولى بكُم. أَيْ: أَحَقُّ بكم وبأُمورِكم وأَنفُسِكم وأَموالِكم.. و﴿الذين آمنوا﴾: يَعني بهم علياً وأَولادَه الأَئمة إلى يومِ القيامة. وقد وصَفَهم اللّهُ عز وجل بقولِه: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾.

وكانَ أَميرُ المؤمنين في صلاةِ الظُّهرِ، وقد صَلّى ركعتَيْن، وهو راكع، وعليه حُلَّةٌ، قيمتُها أَلْفُ دينار، كان النبيُّ ﷺ كَساهُ إيّاها، كان النجاشيُّ أَهداها له... فجاءَ سائل، فقال: السلامُ عليك يا وَليَّ اللّه، وأَوْلى بالمؤمنين من أَنفسِهم، تَصَدَّقْ على مسكين.. فطرحَ الحُلَّةَ إليه، وأَومأَ بيدِهِ إليه أَن احمِلْها.. فأَنزلَ اللّهُ فيه هذه الآية، وصَيَّرَ نعمةَ أَولادِه بنعمتِه، فكلُّ مَنْ بَلَغَ من أَولادِه مبلَغَ الإمامة، يكونُ بهذه النعمة مِثْلَه، ويتصدَّقُ الأَئمةُ وهم راكعون.. وكانَ السائلُ الذي سَأَلَ أَميرَ المؤمنين من الملائكة،

والذين يَسألونَ الأَئمةَ من بعدِه يَكونونَ من الملائكة»!! [الكافي ١ : ٢٨٨ ـ ٢٨٩].

وسبقَ أَنْ ناقَشْنا الكلينيَّ في معنى هذه الآية، وفي عُمومِ دلالتِها، ورفَضْنا تَخْصيصَها بالأَئمةِ وحْدَهم، وقَصْرَ الولايةِ عليهم، وقُلْنا: لم يصحَّ حديث مُسْنَدٌ في نزولِها في عليٍّ بنِ أَبي طالبِ رضي اللّه عنه، ولم يَصِح عنه أَنه أَعطى حُلَّتَه للسائلِ وهو راكع، أَو أَعطى خاتمَه للسائلِ وهو راكع. . وكلُّ الرواياتِ في ذلك ضعيفة، رغْمَ ذِكْرِها في بعضِ تَفاسيرِ أَهْلِ السنة، كتفسيرِ الطبريِّ وابنِ أَبي حاتم والثعلبيِّ وغيرِهم.

والعجيبُ في روايةِ الكلينيِّ المردودةِ أَنَّها لم تجعل السائلَ بَشَراً، إِنما جعلَتْه مَلَكاً من الملائكة، جاءَ متحوِّلاً في صورةِ رَجُلٍ. كما أَنَّ الأَعجبَ في الروايةِ أَنها جعلَتْ كُلَّ إِمامٍ من الأَئمةِ يتصدقُ وهو راكع، وجَعَلت الذين يَسألونَ هؤلاء الأَئمةَ ملائكةً في صورةِ بَشَر! ولا أَدري ما دلَيلُ أَصحابِ هذا الكلامِ على ما يقولون؟!

إِنَّ الروايةَ الباطلةَ تُخَصِّصُ عُمومَ الآيةِ، وتَحصُرُها بالأَئمةِ وحدَهم، وهذا تحكُّمٌ وادِّعاءٌ يَقومُ على الهوى.

اللّهُ يقولُ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾. والوليُّ من الولاية، وهي الرعايةُ والعنايةُ، والاهتمامُ والحفظ، والكفالةُ والوكالة.

﴿الذين آمنوا﴾: اسم موصول يدلُّ على العُموم، وهو ينطبقُ على كُلِّ المؤمنين الصالحين المتقين، حتى قيامِ الساعة، فكيفَ تُخَصِّصُ الروايةُ هذا العمومَ بالأَئمةِ فقط. .

و﴿الذين آمنوا﴾ ليستْ مطلقةً في الآية، وإنما هي موصوفةٌ بصفاتٍ مشرقة، لمزيدٍ من التوضيح: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾.

وتكرارُ اسم الموصول ﴿الذين﴾ مقصودٌ، ليدلَّ على العموم. . وتأتي روايةُ الكلينيِّ مع ذلك لِتُخصصَ هذا العمومَ بعليٍّ رضي اللّه عنه، والأَئمةِ من ذريتِه!

الأَولياءُ هم كُلُّ المؤمنين الصالحين، المصلّين المزكّين المتصدِّقين، على اختلافِ الزمانِ والمكانِ والأَشخاص. ويَدخلُ فيهم عليٌّ رضي اللّه عنه، فهو من

المقَدَّمين من قادةِ الأُمَّة المسلمة، كما يدخلُ فيهم الأَولياءُ من ذريتِه. أَمّا تخصيصُ هؤلاء الأولياءِ بالأَئمةِ وَحْدَهم فهذا تحكُّمٌ باطل.

هل نص الرسول على ولاية علي؟:

يَرى الكلينيُّ أَنَّ إكمالَ الدين وإتمامَ النعمةِ كانَ بالولاية، وأَنَّ آخر ما فَرَضَ اللّهُ على المسلمين موالاةُ عليٍّ رضي اللّه عنه والأَئمةِ من بعدِه، وأَنَّ الرسولَ ﷺ خافَ أَنْ يُبَلِّغ هذه الولايةَ التي أَتَتْه من اللّه، فَهَدَّدَهُ اللّهُ وتَوَعَّدَه، عندَ ذلك سارعَ بالتبليغ، وأَخبرَ الصحابةَ أَنَّ الإمامَ من بعدِه هو عليٌّ رضي اللّه عنه.

ذكرَ عدةَ رواياتٍ تحتَ بابٍ، جعلَ عنوانَه: «ما نَصَّ اللّهُ ورسولُه على الأئمةِ واحداً واحداً» تؤَكِّدُ هذا المعنى الذي يؤْمنُ به.

٩١ - روى عن مجموعةٍ من رجالِه عن أَبي جعفر - محمدِ الباقر - قال: أَمَرَ اللّهُ رسولَه بولايةِ عليّ، وأنزلَ عليه قولَه تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾. وفَرَضَ ولايةَ أُولي الأَمر. فلم يَدْرِ المسلمونَ ما هي الولايةُ. فأَمَرَ اللّهُ محمداً ﷺ أَنْ يُفَسِّرَ لهم الولاية، كما فَسَّرَ لهم الصلاةَ والزكاةَ والصومَ والحج. فلما أَتاهُ ذلك من اللّه، ضاقَ بذلك صَدْرُه، وتَخَوَّفَ من أَنْ يَرْتَدوا عن دينهم، وأَنْ يُكَذِّبوه. فراجَعَ رَبَّه، فأَنزلَ اللّهُ عليه قولَه تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾! فَصَدَعَ بأَمْرِ اللّه، وقامَ بولايةِ عليٍّ، يومَ غَدير خُمّ، ونادى: الصلاة جامعة، وأَمَرَ أَنْ يُبلِّغَ الشاهدُ الغائبَ.

وكانت الفريضةُ تَنزلُ بعدَ الفريضةِ الأُخرى، وكانت الولايةُ آخرَ الفرائض. فأَنزلَ اللّهُ قولَه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾.

وروى عن أَبي الجارود قال: سمعْتُ أَبا جعفر يقول: فَرَضَ اللّهُ على العبادِ خَمْساً، فأَخَذوا أَرْبَعاً وتَرَكوا واحداً. فقلتُ له: أَتُسَمّيهنَّ لي جُعلْتُ فِداك.

قال: الصلاةُ. ثم الزكاةُ. ثم الصوم. ثم الحج.

ثم نَزلَت الولايةُ، وإنما أتاهُ ذلك في يومِ الجمعةِ بعرَفة، أَنزلَ اللّه عليه قولَه تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾، وكان كمالُ الدين بولايةِ عليٍّ بن أبي طالب. . فقالَ عند ذلك رسولُ اللّهِ ﷺ: أُمّتي حَديثو عهدٍ بالجاهلية، ومتى أَخْبَرْتُهم بهذا في ابنِ عَمّي يقولُ قائل، ويقولُ قائل. . قلْتُ هذا في نفسي ولم يَنطقْ به لساني، فأَتَتْني عزيمةٌ من اللّه، حيثُ أَوعَدَني إنْ لم أُبَلِّغْ أَنْ يعذِّبَني، إذْ أَنزلَ عليَّ قولَه تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾. فأَخذَ رسولُ اللّه ﷺ بيدِ عليٍّ، فقالَ: أَيها الناس: إنه لم يكنْ نبيٌّ من الأَنبياءِ ممن كانَ قبلي. إلاّ وقد عَمَّرَه اللّهُ، ثم دَعاه فأَجابه، فأُوشِكُ أَنْ أُدْعَى فأُجيب، وأَنا مسؤول، وأَنتم مسؤولون، فماذا أَنتم قائلون؟

فقالوا: نَشهدُ أَنك قد بَلَّغْتَ ونَصحتَ، وأَدَّيْتَ ما عليك، فجزاكَ اللّهُ أفضلَ جزاءِ المرسَلين. . فقال: اللهمّ اشْهَدْ.

ثم قال: يا معشرَ المسلمين: هذا وليُّكم من بعدي، ولْيبلِّغ الشاهدُ منكم الغائبَ» [الكافي ١: ٢٨٩ ـ ٢٩١].

هذا افتراءٌ على رسولِ اللّه ﷺ، حيثُ تَنسبُ له الروايةُ أَحداثاً لم تَقَع، وكَلاماً لم يقُلْه ولم يصدُرْ عنه، وتَتهمُه بشيءٍ لم يفعَلْه، وتفترضُ ما لم يحصل، كلُّه من أَجْلِ جعْلِ مبدأَ الإمامةِ والولايةِ جزءاً أَساسياً من هذا الدين!

إن الروايةَ تأخذُ بعضَ الأحداثِ على عهدِ رسولِ اللّه ﷺ، فتتلاعبُ بها، وتَزيدُ عليها، وتوظِّفُ آياتِ القرآنِ شاهدةً لهذا التلاعُبِ والتحريف.

تَزعمُ الروايةُ أَنَّ اللّهَ أَمَرَ بولايةِ عليٍّ رضي اللّه عنه، وهذا باطلٌ مردود. وأَنَّ اللّهَ أَنزلَ آيةً صريحةً بولايته، وهي قولُه تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾، وهذا فهمٌ باطلٌ مردود، سبقَ أَنْ ناقَشْناهُ ورَدَدْناه قبل قليل.

وتُبالغُ الروايةُ مُبالغةً كبيرةً عندما تزعُمُ أَنَّ «الولاية» ركنٌ من أَركانِ الإسلام،

والفرضُ الخامسُ الذي فَرَضَه اللّهُ على المسلمين، إضافةً إلى الصلاةِ والزكاةِ والصيامِ والحَجّ. وهذا كلامٌ باطلٌ ومردود، يَبْرَأُ منه الصحابةُ والتابعون وأَهلُ السنةِ والجماعة، وفي مقدمةِ مَنْ يبرأُ منه عليٌّ وابناهُ الحسنُ والحسينُ رضي اللّه عنهم، ولا يقولُ بهذا الكلام إلاّ الغلاةُ المخالفونَ للكتابِ والسنة.

وتَزْعُمُ الروايةُ أَنَّ الرسولَ ﷺ تَرَدَّدَ في تبليغِ الصحابةِ ما أَنزلَ اللّهُ عليه، من ولايةِ عليٍّ من بَعْدِه، وضاقَ صَدْرُه وخشيَ كلامَ الناس، ولم يَقُمْ بالتبليغِ إلاّ بعدَ أَنْ هَدَّدَه اللّهُ وتوعَّدَه بالعذاب، وبعد أَنْ أَنزلَ عليه قرآناً بالوعيد والتهديد!!

وهذا اتهامٌ من الروايةِ للرسولِ ﷺ بالباطل! ونشهدُ أَنه ﷺ بريءٌ من هذا الاتّهام، وأنه كان مُسارِعاً إلى تبليغِ كلِّ ما أَمَره اللّهُ بتبليغه، وتنفيذِ كُلِّ ما أَمَرَه اللّهُ بتنفيذه.

ألم يكمل الدين إلا بالإمامة؟!

وتجعلُ الروايةُ العجيبةُ آياتِ القرآن شاهدةً على هذه المزاعمِ والأَباطيل.

الآية هي قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ ﴾ [المائدة: ٣].

هذه الآيةُ بَشَّرَتْ بإكمالِ الدين. والدينُ لم يكتملْ إلاّ عند نزولِ آيةٍ تنصُّ على ولايةِ عليٍّ رضي اللّه عنه! أَيْ أَنَّ جُزءاً مهمّاً من الدين بقي مفقوداً، وأَدّى هذا إلى نقصانِ الدين، وعندما نَزَلَت الآيةُ تُعَيِّنُ علياً ولياً وإماماً كَمُلَ الدين! هكذا يفهمونَ الآية: «ثم نَزَلَت الولايةُ يومَ الجمعةِ من يومِ عَرَفة.. وكان كمالُ الدين بولايةِ عليٍّ بن أَبي طالبٍ..»!!

وهذا كُلُّهُ باطلٌ ومردود، وسوءُ فهمٍ للآية، وتحريفٌ لمعناها.

يَمْتَنُّ اللّهُ على المسلمين بأَعظمِ نعمةٍ أَنعمَ بها عليهم، وأَتَمَّ بها الخيرَ كلَّه لهم، وهي نعمةُ إكمالِ الدين، وعليهم مقابلَ هذه النعمة أَن يَشكروهُ عليها.

وكان إنزالُ هذه الآيةِ في حَجَّةِ الوداع، يومَ عرفة، الذي جاءَ في ذلك العامِ يومَ الجمعة.

روى البخاريُّ عن طارقِ بنِ شهاب قال: جاءَ رجلٌ يهوديٌّ إلى عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه، فقالَ له: إنكم تقرءونَ آية، لو نَزَلَتْ فينا لاتَّخَذْناها عيداً. وهي: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي . .﴾ فقالَ له عمر: إنّي لأَعلمُ أين أُنزلَتْ، وفيمَ أُنزلَتْ، أُنزلَتْ على رسولِ الله ﷺ يومَ عرفة، يومَ الجمعة.

هل بايع أبو بكر وعمر علياً أمام رسول الله؟:

يرى الكلينيُّ أَنَّ القرآنَ نَصَّ على إمامةِ عليٍّ بن أبي طالب، وأَنَّ الرسولَ ﷺ أخبرَ الصحابةَ بذلك. وأَوردَ رواياتٍ بذلك تحتَ بابٍ سَمَّاهُ «بابُ الإشارةِ والنّصِّ على أميرِ المؤمنين عليه السلام»، وذكَرَ فيها آياتٍ من القرآن، وفَسَّرَها تفسيراً خاصّاً، وجَعَلها شاهدةً لما يقول!

٩٢ - روىٰ عن زيدِ بن الجَهْم قال: سمعْتُ أَبا عبدِ الله - جعفرَ الصادقَ - يقول: نَزَلَتْ ولايةُ عليٍّ بن أَبي طالبٍ على رسول الله ﷺ، فقالَ الرسولُ ﷺ للمسلمين: سَلِّموا على عليٍّ بإمرةِ المؤمنين! . . وقالَ الرسولُ ﷺ لأبي بكر وعمر: قُوما فَسَلِّما على عليٍّ بإمرةِ المؤمنين! . . فقالا: أَمِنَ الله أَو مِنْ رسوله يا رسولَ الله؟! فقال: من اللهِ ورسولِه! . . فأَنزلَ اللهُ قولَه تعالى: ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الكافي ١: ٢٩٢].

تزعمُ هذه الروايةُ الباطلةُ أَنَّ اللهَ أنزلَ ولايةَ عليٍّ رضي الله عنه من السماء. . وهذا زعمٌ باطلٌ مردود. كما تزعمُ أَنَّ الرسولَ ﷺ أَخبرَ الصحابةَ بذلك، وأَمرهم أَنْ يَصِفوا علياً بهذا الوصْفِ، وأَنْ يُسَلِّموا عليه بهذه الصِّفَة، وأَن يقولوا: السَّلامُ عليك يا أَميرَ المؤمنين، وهذا بحضورِ رسولِ الله ﷺ. . وهذا زعمٌ باطل.

وتزعمُ أَنَّ الرسولَ ﷺ أَمَرَ أَبا بكرٍ وعمرَ رضي الله عنهما أَنْ يُسَلِّما على عليٍّ بإمرةِ المؤمنين، فتعجَّبا من ذلك واستوضَحا منه: هل هذا الأَمْرُ منك أو من الله؟ قالَ لهما: مِنّي ومن الله. . وهذا زعمٌ باطل أيضاً.

وتزعمُ الروايةُ أَنَّ اللهَ أَنزلَ آيةَ لأَبي بكرٍ وعمرَ خاصةً وللمسلمين عامَّة، يَنهاهم فيها عن نقضِ الأَيْمان، والعهدِ الذي عاهَدوه، بالاعترافِ بعليٍّ أَميراً لهم! وهي قول

الله عز وجل: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩١].

وهذا زعمٌ باطل، وافتراءٌ كبير، فالآيةُ خِطابٌ وتكليفٌ من الله للمسلمين، على اختلافِ الزمانِ والمكان، منذُ عهدِ الصحابةِ وحتى قيامِ الساعة، يأمُرُهم بالوفاءِ بالعهودِ التي يُعاهدونَها، وفي مقدمتِها عَهْدُهم مع الله، ويَنهاهم عن نَقْضِ الأَيْمان التي يَحلفونَها، مؤكِّدين بها العُهودَ والمواثيق، ويُخبرُهم بعلِمْه بكلِّ أعمالِهم وأفعالِهم.

ولا دليل في الآيةِ على تخصيصِ الخِطابِ بأَبي بكرٍ وعمرَ، وتخصيصِ عهدِ اللهِ باعترافِهما بعليٍّ أميراً للمؤمنين، وحَلْفِهما الأَيْمان أَمامَ رسولِ الله ﷺ بذلك.. هذا الادِّعاءُ كلُّه لم يَصحّ، وهذا افتراءٌ كبير.

وقَصْدُ أَصحابِ هذه الروايةِ إدانةُ أَبي بكرٍ وعمر رضي الله عنهما، فهما بعد ما بايَعا علياً بإمرةِ المؤمنين أَمامَ رسول الله ﷺ، نَقَضا هذه البيعةَ والأَيْمانَ بعدَ ذلك، وسَلَبا علياً هذا الحق!! وهذا كذبٌ وضَلال!!

تحريف لألفاظ آية ولمعناها:

في بعضِ رواياتِ الكلينيِّ تحريفٌ لآياتِ القرآنِ، ليس تحريفَ معانيها فقط، بل تحريفُ أَلفاظِها وكلماتِها أَيضاً!!

٩٣ ـ روى الكلينيُّ عن زيدِ بنِ الجهم، أَنَّ أَبا عبدِ الله ـ جعفرَ الصادق ـ قرأَ قوله تعالى: «ولا تكونوا كالتي نَقَضَتْ غزلَها من بعدِ قوةٍ أَنكاثاً، تتخذونَ أَيْمانَكُم دَخَلاً بينكم، أَن تكون أَئِمَّةٌ هي أَزكى من أَئِمَّتِكُم..»!!

فقالَ له زيدُ بن الجهم: جُعلتُ فِداك، هي «أَئِمَّة»؟

فقال: إي والله، إنها «أَئمَّة»!

فقالَ له زيد: إنّا نَقْرأُ «أَرْبى»؟

فقال: وما «أَرْبىٰ»؟ إنما هي «أَزْكىٰ»!

ثم قالَ أبو عبدِ الله: قولُه تعالى: ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ﴾ (هو عليٌّ عليه السلام)

﴿ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا ﴾ (يعني بعدَ مقالةِ رسولِ اللهِ ﷺ في عليٍّ عليه السلام) ﴿ وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (يَعْني به علياً) ﴿ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النحل: ٩٢ ـ ٩٤]. [الكافي ١: ٢٩٢].

تحريف لألفاظ الآية:

تحريفُ الآياتِ في هذه الروايةِ في جانبَيْن:

الأول: تحريفٌ في ألفاظِها: نَصُّ الآيةِ هو: ﴿ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ﴾. هذه الجملةُ في الروايةِ العجيبةِ صارَتْ هكذا: «أَنْ تكونَ أَئِمةٌ هي أَزْكى من أَئمتكم»!

ينهى اللّهُ المسلمين عن نَقْضِ الأَيْمانِ التي يَحلفونَها، ويُشَبِّهُ ذلك بامرأةٍ خرقاءَ ضعيفةِ العَقْلِ، كلما غَزَلَتْ غَزْلاً نقضَتْه وحَلَّتْه: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا ﴾.

ويَنْهاهُم عن جعلِهم الأَيْمانَ التي يَحلفونَها وسيلةً إلى الدَّخَلِ والغِشِّ والخِداع، بَدَلَ أَنْ تكونَ وسيلةً للثقةِ والالتزام: ﴿ تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ ﴾.

ومن الأسبابِ التي قد تَدْعو إلى نَقْضِ الأَيْمانِ والمخادعةِ فيها ما ذكَرَتْه الآيةُ: ﴿ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ﴾. والمعنى: قد تُعاهِدونَ أُمَّةً عَهْداً، وتَحلفونَ لها الأَيْمانَ، وعليكم بالالتزام بأَيْمانِكم وعهدِكم معها، ولا يجوزُ لكم أَنْ تَنْقُضوا الأَيْمانَ لأنكم وجدتُم أُمَّةً أُخرى، هي أربى وأَزْيَدُ وأَكثرُ عدداً من الأُمَّةِ الأُولى، ولا يكونُ الباعثُ لكم على نَقْضِ الأَيْمانِ كثرةَ أعدادِ الأُمَّةِ الجديدة.

فالمرادُ بالأُمةِ الطائفةُ أَو الجماعةُ من الكافرين، الذين تَمَّ عَقْدُ العَهْدِ معهم. والمرادُ بأَفعلِ التفضيل ﴿أَربى﴾: الزيادةُ في العَدَدِ، أو المالِ، أو المتاع.

الأُمَّةُ في الروايةِ العجيبةِ تحوَّلَتْ إلى «أَئِمة»، وأُريدَ بها أَئمةُ آلِ البيتِ، وفي مُقدمتِهم عليٌّ رضي الله عنه. وأَفعلُ التفضيل ﴿أَربى﴾ صارَ «أَزكى». و﴿من أُمَّة﴾

صارَت «من أئِمَّتِكُم»، وأُريدَ بهم الخلفاءُ الراشدون الثلاثة.

ومعنى الجملةِ بعد التحريف: تَنْقُضونَ بيعَتكم للإمامِ عليٍّ، مع أَنَّ الإمامَ عليٍّ أَزكى وأَكرمُ من أئمتكم الثلاثةِ أَبي بكر وعمر وعثمان!!

تحريف لمعاني الآية:

الثاني: تحريف في معناها: بعد ما حَرَّفَت الروايةُ العجيبةُ بعضَ كلماتِ الآيات، حَرَّفَتْ بعضَ معانيها، ووظَّفتها دليلاً على ولايةِ عليٍّ، التي أنزلها اللّهُ من السماء.

الهاءُ في جملةِ ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ﴾: تعودُ على عليٍّ بن أبي طالبٍ رضي اللّه عنه. والمعنى: يَبلوكم اللّهُ أَيها المسلمون بعليٍّ، عندما جعلَه أَميراً عليكم، وأَمَرَكم بولايتِه.

عِلْماً أَنَّ الكلامَ على الوفاءِ بالعُهودِ وعدمِ نقضِها. والضميرُ في ﴿به﴾ يَعودُ على الوفاءِ بالعهد. والتقديرُ: إنما يبلوكُم اللّهُ ويختبرُكم ويمتحنُكم بالعهدِ الذي قَطَعْتُموهُ، ويأْمُركم بالوفاءِ به وعدمِ نقضِه.

ومعنى ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾: تُنْقَضُ بيعةُ الإمام عليٍّ من قِبَلِ أَبي بكرٍ وعمرَ ومَنْ معهما، بعد ما أَمَرَهم الرسولُ ﷺ بمبايعتِه!

وهذا تفسيرٌ باطلٌ للآية، فليس الكلامُ عن بيعةِ عليٍّ ثم نقضِها، لأَنها لم تكنْ له بيعةٌ أَصْلاً أَمامَ رسولِ اللّه ﷺ.

إنما معنى قولِه تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلَۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾: لا تَجعلوا الأَيْمانَ التي تَحلفونَها عندما تُعاهِدونَ الآخَرين وسيلةً للغِشِّ والخداع، فإنْ فعلْتُم ذلكَ كنتم خاسِرين هالِكين، وزَلَّتْ وسَقَطَتْ أَقدامُكم بعدما كانت ثابتةً راسخة. ويُقالُ لكلِّ مَنْ وَقَعَ في خطأ أَو مصيبة: زَلَّتْ قَدَمُه بعدَ ثُبوتِها.

و«سبيلُ اللّه» في قوله: ﴿وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ خاصٌّ في الرواية، وهو مبايعةُ عليٍّ رضي اللّه عنه. وتكونُ الجملةُ وَصْفاً لأَحْوالِ الصحابةِ عندما بايَعوا أَبا بكرٍ ثم عمرَ ثم عثمان! وبذلك ظَلَموا أميرَ المؤمنين علياً وأَكَلوا حقَّه!!

وهذا التخصيصُ باطِل، لأَنَّ سبيلَ اللّه عامٌ في كلِّ طريقٍ، تُوصِلُ المسلمَ إلى رضوانِ اللّه!

هل ضاق صدر الرسول بقول أصحابه؟:

أَخبرَ اللّهُ أَنَّ صَدْرَ رسولِ اللّه ﷺ كانَ يَضيقُ بما يقولُه المشركون. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [الحجر: ٩٧].

لماذا كانَ يَضيقُ صَدْرُه ﷺ؟ ومَن الذينَ كانوا يقولون؟ وما الذي كانوا يَقولونَه؟

في رواياتِ الكلينيِّ تفسيرٌ خاص، وتوظيفُه لمسأَلةِ الولايةِ والإِمامة وآلِ البيت!

٩٤ ـ أَورَد الكلينيُّ كلاماً مُطَوَّلاً مَنْسوباً إلى أَبي عبدِ اللّه ـ جعفر الصادق ـ نأخذُ منه ما يَتعلَّقُ بالآياتِ وتفسيرِها.

نَسَبَ الكلينيُّ إلى أبي عبدِ اللّه قولَه: «.. أَنزلَ اللّهُ على رسولِه أَنْ أَعْلِنْ فَضْلَ وَصِيِّك!! فقال: رَبِّ إِنَّ العربَ قومٌ جُفاة، لم يكنْ فيهم كتاب، ولم يُبعثْ إليهم نبيّ، ولا يَعرفونَ فضْلَ نُبُوّاتِ الأَنبياءِ عليهم السلام ولا شَرَفَهم، ولا يُؤمنونَ بي إِنْ أَنا أَخبرتُهم بفضْلِ أَهْلِ بيتي!!

فقالَ اللّهُ له: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ [النحل: ١٢٧] وقالَ له: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٩].

فذكَرَ رسولُ اللّهِ من فضْلِ وَصِيِّه. فوقَعَ النفاقُ في قلوبهم، فعلمَ رسولُ اللّه ﷺ ذلك وما يقولون، فقالَ اللّهُ له: يا محمد: «ولقد نَعلمُ أَنَّكَ يَضيقُ صَدْرُكَ بما يَقولون، فإِنهم لا يُكَذِّبونَك ولكنَّ الظالمينَ بآياتِ اللّهِ يجحدون». أَيْ: ولكنَّهم يَجحدونَ بغيرِ حُجَّةٍ لهم. [الكافي ١: ٢٩٣ ـ ٢٩٤].

تزعمُ الروايةُ أَنَّ اللّهَ أَمَرَ رسولَه ﷺ أَنْ يبلِّغَ المسلمينَ ولايةَ عليٍّ من بعدِه، وهذا زعمٌ باطل.

وتزعمُ أَنَّ الرسولَ ﷺ تَرَدَّدَ في ذلك، فهَدَّدَهُ اللّهُ ثم طَمْأَنَه، وأَنزَل عليه آياتٍ بذلك، وهذا زَعمٌ باطلٌ أَيضاً.

وتزعمُ الروايةُ أَنَّ اللّهَ أَنزلَ على رسولِه ﷺ قولَه تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ [النحل: ١٢٧].

الذين يَمكرونَ ـ حسبَ الرواية ـ هم المسلمون الرافضون ولايةَ عليٍّ رضي اللّه عنه، وفي مقدمتِهم أبو بكرٍ وعمرَ رضي اللّه عنهما، ويَدْعو اللّهُ رسولَه إلى أَنْ يَصبرَ على مَكْرِهم ولا يَحزنَ عليهم! وهذا تفسيرٌ باطلٌ للآية!

الآيةُ ضمنَ آياتٍ من آخرِ سورةِ النحل، أَنزلَها اللّهُ ليواسي رسولَ اللّهِ ﷺ على ما أَصابَ المسلمين من جِراحٍ وآلامٍ في غزوةِ أُحُد، وفي مقدمتِها استشهادُ سيدِ الشهداءِ حمزةَ رضي اللّه عنه. ولقد حزنَ الرسولُ ﷺ كثيراً على استشهادِ عَمِّه رضي اللّه عنه، فواساهُ اللّه في هذه الآيات، ودَعاهُ إلى الصبرِ وعدمِ الحُزْن!

وتزعمُ الروايةُ أَنَّ اللّهَ دعا الرسولَ ﷺ إلى أَنْ يَصفحَ عن المسلمين الذينَ رفضوا ولايةَ عليٍّ رضي اللّهُ عنه، فقال له: ﴿ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٩]. وهذا زعمٌ باطل، لأنَّ الآيةَ مكية، نازلةٌ في كفارِ قريشٍ الذين لم يُؤْمنوا بالنبيِّ ﷺ، فدعاهُ اللّهُ إلى أَنْ يَصفحَ ويَنتظرَ ما سيصيبُهم. قال تعالى: ﴿ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ۝ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٨ ـ ٨٩].

آيتان محرفتان لفظاً ومعنى:

ولا تكتفي الروايةُ المزعومةُ بهذه المزاعمِ الباطلة، وإنما ترتكبُ جريمةً أَفْظع، عندما تُحَرِّفُ الآيةَ لَفظاً ومعنى! لِنقرأْ هذا الكلامَ الذي جعلَتْه الروايةُ قرآناً: «فقالَ اللّهُ يا محمد: «ولقدْ نَعْلَمُ أَنكَ يَضيقُ صَدْرُك بما يقولون، فإنهم لا يُكَذِّبونَك، ولكنَّ الظالمين بآياتِ اللّهِ يجحدون».

والمعنى عند أَصحابِ الروايةِ أَنَّ صَدْرَ رسولِ اللّهِ ﷺ كانَ يَضيقُ بما كانَ يقولُه المسلمونَ الرافضونَ لولايةِ عليٍّ رضي اللّه عنه، وفي مقدمتِهم أَبو بكرٍ وعمرُ رضي اللّه عنهما، ويُخبرُهُ اللّهُ أَنَّ هؤلاءِ المسلمين الرافضين لم يكونوا يُكَذِّبونَه، وإنما كانوا يجحدونَ بآياتِ اللّه. أَيْ: يجحدونَ بآياتِ اللّهِ الصريحة، التي جعلَتْ علياً ولياً ووصياً!!

لا توجَدُ آيةٌ في القرآنِ بهذا اللفظ! وإنما رَكَّبَت الروايةُ بين آيتَيْن من سورتَيْن،

وجعلَتْهما آية واحدة!!

الآيةُ الأُولى: قولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٧ ـ ٩٩].

والآيةُ الثانية: قولُه تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

أَقَلُّ ما يُقالُ في أَصحابِ الروايةِ أَنهم لا يُحْسِنونَ حِفْظَ القرآن، وأَنَّ الأَئمةَ ـ الذين تَنسبُ لهم الروايةُ هذا الكلام ـ لا يضبطونَ حِفْظَهم للقرآن، ومع ذلك جَعَلوا لهم علماً شاملاً لكلِّ شيء!!!

ومن تَحريفِ أصحابِ الروايةِ للآية أَنهم نَزّلوها على ولايةِ عليٍّ رضي الله عنه، وخَصَّصَت ﴿الذي يقولون﴾ باعتراضِ أَبي بكرٍ وعمرَ على ولايةِ عليٍّ. وأَنَّ الرسولَ ﷺ كان يَحْزَنُ من كلامِهم واعتراضِهم، وأَنَّ اعتراضَهم مردودٌ، لأَنَّهم لا حُجَّةَ لهم على اعتراضِهم!!

الآيةُ نازلةٌ في مواساةِ الرسولِ ﷺ، بسببِ حزنِه على ما كانَ يقولُه كفارُ قريش عنه، حيث كانوا يقولونَ عنه إِنَّه ساحِرٌ وشاعرٌ وكاهنٌ ومُفْتَرٍ وكاذبٌ.. وكانوا يقولون عن القرآنِ إنه ليس كلامَ الله، وإنما هو سِحْرٌ وشعرٌ وكَذِبٌ.

وكانَ الرسولُ ﷺ يَحزنُ من قولِهم، لأَنهم بذلك يوقعونَ أَنفسَهم في الهَلاك، وهو الحريصُ على إنقاذِهم، فطمأنَه الله، ودعاهُ إلى تقليلِ حُزْنِه، وأخبره أَنَّ الذي يمنَعُهم من الإيمان والدخولِ في الإسلام هو العنادُ والتكبر، والجحودُ بآياتِ الله. وهم لا يُكذِّبونَ الرسولَ ﷺ في الحقيقة، لأنهم كانوا يَعْتَرفونَ في حقيقةِ الأمْرِ أنه هو الصادقُ الأَمينُ!!

معنى عجيب لقوله تعالى: ﴿فإذا فرغت فانصب﴾:

أَنزلَ اللهُ على رسولِه ﷺ سورةَ «الشَّرْحِ»، وقالَ له في آخِرِها: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ [الشرح: ٧ ـ ٨].

وفَسَّرَتْ رواياتُ الكلينيِّ الفراغَ والنَّصَبَ تفسيراً عجيباً!!

٩٥ - روى الكلينيُّ عن أبي عبدِ اللّه - جعفر الصادق - قولَه: «. . . وكانَ رسولُ اللّه ﷺ يتألَّفُهم، ويَستعينُ ببعضِهم على بعض، ولا يَزالُ يُخرجُ لهم شَيْئاً في فَضْلِ وَصِيِّه حتى نَزَلَتْ هذه السورة، فاحتجَّ عليهم حينَ أُعْلِمَ بموته، ونُعِيَتْ إليه نَفْسُه، فقالَ اللّهُ له: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾. والمعنى: إذا فَرَغْتَ فانْصَبْ عِلْمَك، وأَعْلِنْ وَصِيَّك، وأَعْلِمْهم فَضْلَه عَلانية. فقالَ ﷺ: «مَنْ كُنْتُ مولاهُ فعليٌّ مولاهُ، اللهمَّ والِ مَنْ والاه، وعادِ مَنْ عاداه» [الكافي ١ : ٢٩٤].

تزعُمُ الروايةُ أَنَّ سورةَ الشرحِ نَزَلَتْ على النبيِّ ﷺ في آخرِ حياتِه، بعدما أُعلمَ بموتِه، ونُعِيَتْ إليه نفسُه! أيْ أَنها مدنية!!

وهذا زعمٌ باطل، لأَنَّ سورةَ الشرحِ مكيَّة، أَنزلَها اللّهُ قبلَ وفاةِ الرسولِ ﷺ بحوالي عشرين سنة!!

وتفسِّرُ الروايةُ الباطلةُ الآيةَ تفسيراً باطلاً. النَّصَبُ في الآية - حسبَ الرواية - بمعنى الرفع والجهرِ والإعلانِ والنَّشر. أيْ: انْصَبْ عِلْمَكَ، وأَعْلِنْ وَصِيَّكَ، وأَعْلِمْهم فَضْلَه علانية!!

لم يَرِد النَّصَبُ في القرآنِ أَو اللغةِ بمعنى الجهرِ والإعلانِ والنَّشر، وإنما هو بمعنى الجَهدِ والتعبِ والاجتهادِ والمشَقَّة.

والمعنى: إذا فَرَغْتَ من عملِ الدُّنيا، وأَنْهَيْتَ ما قمتَ به من عَمل، فتفرَّغْ لعبادةِ اللّهِ وذكْرِه وطاعتِه، وأَتْعِبْ نفسَكَ في الصلاة، وابْذُل جُهْدَكَ في ذلك.

وأَصحابُ الروايةِ مُخْطِئون، عندما فَسّروا الآية بما لا تَدُلُّ عليه، واستَشْهَدوا بها على باطِل، وهو النَّصُّ على ولايةِ عليٍّ رضي اللّه عنه، وإعلانُ الرسولِ ﷺ ذلك على الصحابة. وهو ما لم يَصْدُرْ عن رسولِ اللّه ﷺ.

من هو ذو القربى؟ وما حقه؟!:

أَمَرَ اللّهُ رسولَه ﷺ بإيتاءِ ذي القربى حَقَّه. قال تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦].

مَنْ هو ذو القُربى الذي أَمَر اللّهُ بإيتائِه حَقَّه؟ وما هو حَقُّه؟

حسبَ رواياتِ الكلينيِّ هو عليٌّ رضي اللّه عنه، وحَقُّه هو الولايةُ التي خَصَّهُ اللّهُ بها.

٩٦ - روى الكلينيُّ عن أَبي عبدِ اللّه - جعفر الصادق - قولَه: «فوقَعت الحُجَّةُ بقولِ النبيِّ ﷺ، وبالكتابِ الذي يقرأُه الناسُ، فلم يَزَلْ يُلقي فَضْلَ أَهْلِ بيتِه بالكلام، ويُبينُ لهم بالقرآن. حيثُ قالَ تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] وقال تعالى: ﴿۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ . .﴾ [الأنفال: ٤١] وقال تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ . . .﴾.

وآتى ذا القُربى حَقَّه، وكانَ ذو القربى علياً، وكان حَقُّه الوصيةَ التي جُعِلَتْ له، والاسْمَ الأَعظم، وآثارَ عِلْمِ النُّبوة. . » [الكافي ١ : ٢٩٤].

﴿ذو القُربى﴾: حسبَ رواياتِ الكلينيِّ هو عليُّ بنُ أَبي طالب وحدَه رضي اللّه عنه. وهذا التخصيصُ يقومُ على الهوى!

المرادُ بذي القُربى في توزيعِ الغنائم في قولِه تعالى: ﴿۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أَقاربُ النبيِّ ﷺ من بَني هاشم وبني المطلب، ممن لا يَجوزُ إِعطاؤُهم من الزكاة، فهؤلاء يأخذونَ حَقَّهم من الغنائم.

ومن المعلومِ أَنَّ الغنائمَ هي ما أُخِذَ من الكفار بعد هزيمتِهم في المعركة، وتُقَسَّمُ هذه الغنائمُ إلى خمسةِ أخماس: يُعطى أَربعةُ أَخماس منها للمجاهدين، ويُقَسَّمُ الخمسُ الخامسُ على خمسةِ أَصنافِ ذَكَرَتْهم الآية، وهم: اللّهُ والرسول، وذو القربى، واليتامى، والمساكين، وابنُ السبيل.

وكم تُخطىءُ روايةُ الكلينيِّ عندما تُخصصُ ﴿ذي القربى﴾ بعليٍّ وحْدَه، وتُخصصُ الذي يُعطىٰ له بالولاية! وهذا التخصيصُ باطلٌ لا دليل عليه.

ومن المعلومِ أَنَّ الرسولَ ﷺ لم يَخُصَّ علياً رضي الله عنه بشيء، لا بوصيةٍ ولا بولايةٍ، ولا بعلمٍ ولا باسم اللهِ الأعظم، ولا بغير ذلك، وهو في العلمِ والصلةِ بالرسول ﷺ كباقي كبارِ الصحابة كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

إنَّ «ذا القربى» في قوله: ﴿وآت ذا القربى حقه﴾ ليس خاصّاً بأقاربِ رسولِ اللهِ ﷺ من بني هاشم وبني المطلب فقط، لأَنَّ الأَمْرَ ليس موجَّهاً إلى النبيِّ ﷺ وحده، وليس خاصّاً به، إنما هو يشملُ كُلَّ مسلمٍ من بعده.

يقولُ اللّهُ لكلِّ مسلم: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ﴾. أَيْ: أَعْطِ قريبك الفقير المحتاجَ حَقَّه من مالِك، وتَصَدَّقْ عليه، وأَعْطِ المسكينَ وابنَ السبيلِ حَقَّهما من مالِكَ أَيضاً.

وعلى هذا يكون ﴿ذا القربى﴾ في الآية عاماً يشملُ كلَّ قريبٍ فقيرٍ محتاجٍ لكلِّ مسلم، في أيِّ زمانٍ ومكان. فكيفَ تُخصصُه روايةُ الكلينيِّ بعليٍّ وحْدَه رضي اللّه عنه؟

تحريف الموءودة إلى مودة الأئمة!:

في بعضِ رواياتِ الكلينيِّ تحريفٌ لبعضِ آياتِ القرآن لَفْظاً ومعنى. ومن أَعجبها هذه الرواية.

٩٧ - روى الكلينيُّ عن أَبي عبدِ اللّه - جعفرِ الصادق - أَنه قالَ بشأنِ ولايةِ عليٍّ رضي اللّه عنه: «. . . وقال تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ﴾. فكان عليٌّ ذا القربى، وكان حَقُّه الوصيةَ التي جُعلَتْ له، والاسْمَ الأكبر، وميراثَ العلم، وآثارَ علْمِ النبوة. وقال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [الشورى: ٢٣].

وقالَ تعالى: «وإذا المودَّةُ سُئِلَتْ، بأي ذنبٍ قُتِلَت» يقول: «أَسأَلكم عن المودَّة التي أَنزلْتُ عليكم فَضْلَها، مودَّةُ القُرْبى، بأَيِّ ذَنْبٍ قتَلْتُموهم» [الكافي ١: ٢٩٤ - ٢٩٥].

معنى قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: لا أطلبُ منكم أَنْ تُعطوني أَجْراً أَو مالاً أَو منفعة، على القرآنِ الذي أُسمعُكم إياه، والدعوةِ التي أُبلِّغُكم إياها، لأَنني أبتغي بهذا كلِّه الأَجْرَ من اللهِ وحْدَه.

ويَعودُ الضميرُ في ﴿عليه﴾ على الوحي والقرآن. و﴿أَجْراً﴾: مفعولٌ به ثانٍ لفعلِ ﴿أَسألكم﴾.. و﴿المودَّة﴾ مستثْنى مَنْصوب، والاستثناءُ هذا منقطع.

أَيْ: لا أُريدُ منكم أَجْراً ولا مالاً. فقط أُريدُ منكم المودَّة في القربى.

والمودَّةُ هي المحَبّة، و﴿القُربى﴾ هم أقاربُ النبيِّ ﷺ، من بني هاشم وبني المطلب. فالرسولُ ﷺ يُريدُ من قريشٍ مراعاةَ رَحِمه فيهم، وحسنَ مَودَّةِ وصلةِ أقاربه فيهم.

ولا يجوزُ تخصيصُ «القربى» بعليٍّ وأُسرته رضي اللّه عنهم، لأنه تزوَّج ابنةَ رسولِ اللّه ﷺ، ويَجبُ تعميمُها لتشملَ جميعَ أقاربِ رسولِ اللّه ﷺ، من آلِ عَمِّه العباس، وآلِ عمِّه حمزة، وآلِ ابنِ عمِّه جعفر، وآلِ ابنِ عَمِّه عليٍّ رضي اللّه عنهم أجمعين. ولا يجوزُ تخصيصُها بآلِ عليٍّ وحْدَه، ثم تخصيصُها بآلِ الحسينِ بن عليٍّ!!

ومن غُلُوِّ رواياتِ الكلينيِّ في مودَّةِ ومحبَّة «قُرْبى» الرسولِ ﷺ ـ وهم ذريةُ الحسين بن عليٍّ وحده رضي اللّه عنهما ـ أنها حَرَّفَت الآيةَ لتكونَ دليلاً لهذه المغالاة.

الآيةُ هي قولُ اللّه: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨ ـ ٩] والموءودَةُ: اسْمُ مفعول، من الوَأْد. و«الوأْدُ» هو الدَّفْنُ في التراب.

وكان «الوأْدُ» منتشراً في الجاهلية، حيثُ كانَ الرجلُ يَئِدُ ابْنَتَه في التراب، ويدفنُها وهي حية، خوفَ الأَسْرِ أَو العار، وسُميت «الموءودة».

ويومَ القيامةِ سيسأَلُ اللّهُ هذه الضحية الموءودة، بأَيِّ ذَنْبٍ قَتَلها أَبوها، وَوَأَدَها ودَفَنَها في التراب؟ بمعنى أنه ظَلَمها وقَتَلها بدونِ ذنْبٍ ارتكَبَتْه.

هذه «الموءودةُ» عند الكلينيِّ تحولَتْ إلى «المَوَدَّةِ» وصارَت الآيةُ هكذا: «وإذا المَوَدَّةُ سُئلت بأَيِّ ذنب قُتِلَتْ». وصارَ معناها: أَسألكم عن «المَوَدَّةِ» التي أَنزلْتُ عليكم

فضلَها، مودَّةِ القُربى، بأيِّ ذنبٍ قَتَلْتُموهُم»!!

اعتبرت الروايةُ العجيبةُ الآيةَ ذمّاً للصحابة، الذين آذَوا رسولَ اللهِ ﷺ بعد وفاتِه مباشرة! حيثُ قَتلوا المودَّة في القربى، وخالَفوا وصيَّتَه في عليٍّ، وبايَعوا الخلفاءَ الثلاثة قبلَه، وسيحاسبُهم الله يومَ القيامة حساباً شديداً، لأَنهم قَتَلوا تلكَ المودة!!

ونَبْرأُ إلى اللهِ من هذا التحريفِ للقرآن، والتلاعبِ بآياتِه! اللهُ يقولُ: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾، وأصحابُ الكلينيِّ حرَّفوها إلى: «وإذا المَوَدَّةُ سئلت»!! والكلينيُّ راضٍ بهذا التحريف!!!

هل الخنس هو الإمام الغائب؟:

قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ * ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ * وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: ١٥ ـ ١٨].

ما هيِ الخُنَّسُ التي أقسمَ اللهُ بها؟ إنها عندَ الكلينيِّ وجماعتِه الإمامُ الغائب.

٩٨ ـ روى الكلينيُّ عن أُمِّ هانىء قالت: سأَلتُ أبا جعفر ـ محمد الباقر ـ عن معنى قولِ اللهِ عز وجل: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ * ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾؟ فقال: هو إمامٌ يَخْنسُ سَنَةَ ستين ومائتين، ثم يظهرُ كالشهابِ يتوقَّدُ في الليلةِ الظَّلماء، فإِنْ أدركْتِ زمانَه قُرَّتْ عينُكِ» [الكافي ١: ٣٤١].

أَبو جعفر، هو الإمامُ الخامس عند الشيعة، وهو محمدُ بن علي بن الحسين بن علي بن أَبي طالب ـ محمد الباقر ـ.

وتزعمُ الروايةُ أَنَّ أُمَّ هانىء سَأَلَتْ أَبا جعفر عن معنى قولِه تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ * ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾ فأَخبرها عن غيب المستقبل، لأَنَّ اللهَ عَلَّمَ أئمةَ الشيعةِ علْمَ الغيب، وأَخبرهم بكلِّ ما سيكونُ بالتفصيل! كما يؤمنُ بذلك الشيعة!

الخُنَّسُ عند الإمامِ الباقرِ هو الإمامُ الغائب، الإمامُ الثاني عشر، وهو محمدُ بنُ الحسنِ العسكري، هو الإمامُ المهدي، الذي دَخَلَ سردابَ سامِرّاء، وغابَ فيه، سنةَ مائتين وستين للهجرة.. وسيظهرُ هذا الإمامُ الثاني عشر، ويكونُ شِهاباً مشرِقاً يُضيءُ

ظلمةَ الليل، ويملأُ الأَرضَ عَدْلاً!!

وهذا تحريفٌ لمعنى الآية، وتفسيرٌ باطلٌ لها.

إنَّ ﴿الخُنَّسَ﴾ مفسَّرةٌ بالآيةِ التي بَعْدَها: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ * ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾ فالخُنَّسُ هي الجواري الكُنَّس. والجواري هي النجومُ الجاريةُ في السماء، السابحةُ في أَفلاكِها ومساراتِها في الفضاء.

والخَنْسُ هو الاختفاء. وهذه النجومُ والكواكبُ خُنَّسٌ، تَظهرُ في الليلِ مضيئةً منيرة، وتَجري في الفضاء، وتخنِسُ في النهارِ، وتختفي عند ظهورِ الشمس، التي تُغَطّي عليها، فتكْنِس وتغيب.

«الخُنَّسُ»: مجرورةٌ بالباء. و«الجواري»: بَدَلٌ منها مجرور، و«الكُنَّسِ» صفةٌ للجواري مجرورة.

الخُنَّسُ هي الجواري الكُنَّسُ، وهي النجومُ التي تظهرُ في الليل، وتَخْنِسُ في كناسِها في النهار، وليس الطفلَ محمدَ بن الحسنِ العسكري، الإمامَ الثاني عشر، وما زالَ الشيعةُ ينتظرونَ خروجَه!

هل نقرُ الناقور خروج الإمام الغائب؟:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ * فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ * عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ﴾ [المدثر: ٨ ـ ١٠].

النَّقْرُ عند الكلينيِّ خُروجُ الإمامِ الغائب!

٩٩ ـ روى الكلينيُّ عن المفضّلِ بنِ عمر قالَ: قالَ أَبو عبدِ اللّه ـ جعفرُ الصادق ـ في معنى قولِه تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾: إنّ مِنّا إماماً مُظَفَّراً مُسْتَظْهِراً، فإذا أَرادَ اللّهُ إظهارَ أَمْرِه، نَكَتَ في قلبه نُكْتَةً، فَظَهَرَ، فقامَ بأَمْرِ اللّه..» [الكافي ١: ٣٤٣].

النَّقْرُ هو الضَّرْبُ على الشيء، فيخرجُ منه صوت، والنّاقورُ هو الشيءُ الذي يُضْرَبُ عليه، فيخرجُ صوتُه.

ويؤمنُ الشيعةُ أَنَّ إمامَهم الثاني عشر ـ الذي توقَّفَت الإمامَةُ عنده ـ غائِب، وأَنه

مُخْتَفٍ داخلَ شيء، محفوظٌ به، يمكنُ تسميتُه بالناقور، منذ منتصفِ القرنِ الثالث، ومضى على اختفائِه في الناقورِ أَكثرُ من اثني عَشَر قَرْناً، فإذا أَرادَ اللّهُ خروجَه وإظهارَ أَمْرِه، نَكَتَ في قلبه، فيَنْقُرُ في الناقور، ويخرجُ هذا المهديُّ منه، ويقوم بأَمْرِ اللّه، ويملأُ الأَرضَ عَدْلاً!!

وهذا تفسيرٌ باطلٌ مردود، وتحريفٌ لمعنى الآية!!

الناقورُ هو البوقُ أَو الصُّورُ المعَدُّ للنفخِ فيه يومَ القيامة، والنَّقْرُ في ذلك الناقورِ هو النفخُ في الصُّور نفخةَ البعث، فإذا سمعَ الناسُ ذلك النقرَ في قبورهم خرجوا منها سِراعاً، وذهبوا إلى ساحَةِ العَرضِ للحساب.

ويمكنُ تفسيرُ قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ بقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

ولا يُمكنُ تفسيرُ ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ بخروجِ الإمام، لأَنه لا يوجَدُ إمامٌ غائبٌ ينتظرُ الناسُ خُروجَه.

ثم إنَّ ﴿إذا﴾: ظرفُ زمانٍ للمستقبل، يتضمَّنُ مَعْنى الشرط. و﴿نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ فعلُ الشرط، وجملةُ ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾: جوابُ الشرط، وفُسِّرَتْ هذه الجملةُ بما بَعْدَها: ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾.

فالحديثُ عن نفخةِ البعثِ، وأهوالِ يومِ القيامة، وليس عن عودَةِ إمامٍ مُنْتَظَر!!

حول وجوب التسليم للإمام؟:

أَوردَ الكلينيُّ رواياتٍ في بابِ «التسليمِ وفَضْلِ المسلمين» عن بعضِ أَئمتِهم، نسبَتْ لهم كَلاماً في وجوبِ التسليمِ للإمام، واستَشهدوا على ذلك ببعضِ آياتِ القرآن.

١٠٠ - روى عن أَبي عبدِ اللّه ـ جعفر الصادق ـ قولَه: **لو أَنَّ قَوْماً عَبَدوا اللّهَ وَحْدَه لا شريكَ له، وأَقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وحَجّوا البيتَ، وصاموا شهرَ رمضان، ثم قالوا لشيء صنَعَه اللّهُ أَو صَنَعَه رسولُه: أَلا صَنَعَ اللّهُ خلافَ ما صَنَع، أو وَجَدوا ذلك في**

قلوبهم، لكانوا بذلك مشركين! ثم تَلا قولَه تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]. ثم قال أبو عبد اللّه: «عليكم بالتسليم»! [الكافي ١: ٣٩٠].

أيْ أَنَّ أَبا عبدِ اللّه يوجبُ على الأَتْباعِ الشيعةِ التسليمَ المطلقَ للإمام في كل شيء، وَرَدَّ كُلِّ الأُمور إليه، فإنْ لم يَفْعَلوا ذلك لم يكونوا مسلمين.

واستشهدَ على هذا الفهمِ بآيةٍ خاصَّةٍ برسولِ اللّه ﷺ، وعَمَّمَها لتشملَ الأئمة!

الخطابُ في قولِه تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ لرسولِ اللّه ﷺ، وتوجبُ الآيةُ على المسلمين أَنْ يُحَكِّموهُ في كلِّ ما شَجَرَ بينَهم من خلاف، وأَنْ يَرْضَوْا بحكمه، بدونِ تحرُّجٍ أَو اعتراض.

وهذا خاصٌّ برسولِ اللّه ﷺ، لأَنه هو المؤَيَّدُ بالوَحْي، ولا يُخطىءُ في حكْمِه، ولأَنَّ سُنَّتَه تشريعٌ واجبٌ من اللّه عز وجل على المسلمين، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا ﴾ [الحشر: ٧] ورَفْضُ حكم الرسولِ ﷺ وعَدَمُ التسليمِ له كُفْرٌ، لأنه رَفْضٌ لحكْمِ اللّه في الحقيقة.

لكنَّ هذا لا يُعَمَّمُ، ولا يَنطبقُ على الأَئمةِ أَو الفقهاءِ أَو العلماء، لأنهم ليسوا معصومين، وقد يُخطِئونَ في أحكامِهم، ولذلك يُمكنُ أَنْ يُفْتَرَض عليهم.. ولا نوافقُ الكلينيَّ وجماعتَه على القول بعصمة الأئمة، لأن العصمة عندنا خاصَّةٌ بالرسولِ ﷺ.

هل اقتراف الحسنة هو التسليم للإمام؟:

١٠١ ـ روى الكلينيُّ عن أبي جعفر ـ محمد الباقر ـ أنه قال في معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ﴾ [الشورى: ٢٣]: الاقترافُ التسليمُ لنا، والصِّدْقُ علينا، وأَلّا يكْذَبَ علينا» [الكافي ١: ٣٩١].

الاقترافُ: الفعلُ والأَداءُ والاكتسابُ. ومعنى الآية: مَنْ يعمل الحسنةَ مُتَقَرِّباً بها إلى اللّه، فإنَّ اللّهَ يقبلُها منه، ويضاعفُ له عليها الأَجر، ويَزيدُه فيها حُسْناً.

و﴿حسنةً﴾ في الآيةِ مُطْلَقَة، لأنها نكِرَةٌ مُنوّنَة، وتدخلُ فيها جميعُ العباداتِ والطاعاتِ والأَعمالِ الصالحة، التي يَعملُها المؤمن.

وتفسيرُ الاقترافِ بالتسليمِ للأَئمةِ تخصيصٌ لعمومِ الآية بما لا دَليلَ عليه، وهو مردود. ثم إِنَّ الآيةَ تتحدَّثُ عن الاقتراف، وهو الفعلُ والعمل، والتسليمُ للأَئمةِ لا يُسمى اقترافاً، لأنه معنويٌّ وليس مادياً مجسَّماً!

هل المخبتون هم المسلمون للأئمة؟:

١٠٢ - روى عن أبي عبدِ اللّه - جعفر الصادق - أنه قالَ لشيعتِه يوماً: أَتدرونَ ما التسليم؟ فسكَتُوا. فقال: هو واللّه الإخبات، الذي قالَ اللّهُ عنه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾ [هود: ٢٣].

التسليمُ للإمامِ تسليماً مُطلقاً هو الإخباتُ - حسب الرواية -. والدليلُ على ذلك هو القرآن، الذي مَدَحَ المؤمنين المخْبِتين، والمخْبتون هم الذين يُسَلِّمون للإمام كُلَّ شيء!

ونرى أَنَّ تفسيرَ الإِخباتِ بالتسليم المطلَقِ للإمام باطلٌ ومردود، لأَنَّ الإخباتَ هو الخضوعُ التامّ، مع الرضا والتفاعلِ والسعادة، ولأَنَّ الإخباتَ في الآية مُقَيَّدٌ وليس مطلقاً: ﴿وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾، حيثُ تعدّى الفعلُ الماضي إلى ﴿ربهم﴾، وهذا تقييدٌ للإخبات بأنه إخباتٌ إلى اللّه، فكيف جَعَلَتْه الروايةُ تسليماً للإمام؟

هل خاطب الله علياً في القرآن؟:

١٠٣ - روى الكلينيُّ عن أبي جعفر - محمدِ الباقر - أَنه قالَ لأَحَدِ أَتْباعه - زرارة -: لقد خاطبَ اللّهُ أَميرَ المؤمنين علياً في القرآن!! فقالَ له: في أَيِّ موضع؟ قالَ: في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ۞ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ﴾: فيما تعاقدوا عليه، لئن أماتَ اللّهُ محمداً أَلاّ يَرُدّوا هذا الأَمْرَ في بني هاشم ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ﴾: عليهم من العفوِ أَو القَتْل ﴿وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾» [الكافي ١: ٣٩١].

ذكَر الباقرُ الآيةَ دَليلاً على وجوبِ التسليم المطلقِ للإمام، واعتبرَ الآيةَ خطاباً من اللّهِ لعليٍّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه، تتحدَّثُ عن الخلافِ الذي شَجَرَ بين الصحابة، بعد وفاةِ رسولِ اللّه ﷺ، وتنصُّ على ولايةِ عليٍّ بعد وفاةِ الرسولِ ﷺ.

يُخاطبُ اللّهُ ـ في رأيه ـ علياً رضي اللّه عنه قائلاً: لا وربِّك لا يؤمنون حتى يُحَكِّموكَ فيما شجر بينهم، ويَقْبَلوا بحكْمِك عليهم، ويُسَلِّموا تسليماً به. ولا يكونُ الاحتكامُ إلى عليٍّ رضي اللّه عنه ـ في رأيه ـ إلاّ بإسنادِ الولايةِ إليه، وتعيينِه خليفةً للرسولِ ﷺ، لأنهم عاهَدوا الرسولَ ﷺ على ذلك قبلَ موتِه!!

وهذا كلامٌ باطل، فلم ينصّ الرسولُ ﷺ على ولايةِ عليٍّ من بعدِه، ولم يأخُذْ على الصحابةِ العهدَ بذلك.

والخطابُ في الآيةِ لرسولِ اللّهِ ﷺ، وليس لعليٍّ رضي اللّه عنه، يوجبُ اللّهُ فيه على المسلمين الاحتكامَ إلى رسول اللّه ﷺ، والرضا بحكمه.

ما هو القول الأحسن؟:

١٠٤ ـ روى الكلينيُّ عن أبي بصير قوله: سأَلْتُ أَبا عبدِ اللّه ـ جعفر الصادق ـ عن معنى قول اللّه عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: ١٨]. فقال: «هم المسَلِّمون لآلِ محمدٍ، الذين إذا سمِعوا الحديثَ لم يَزيدوا فيه، ولم ينقصُوا منه، وجاءوا به كما سَمِعوه» [الكافي ١: ٣٩١ ـ ٣٩٢].

خصَّصت الروايةُ الآيةَ بالولاية، وجعَلَتْها ثَناءً على أَتْباعِ الأَئمة، المسَلِّمين لهم بكلِّ شيء، وجَعَلت القولَ خاصّاً بكلامِ الأئمةِ المعصومين.

وهذا التخصيصُ مردود، لأنه مخالفٌ لعمومِ الآية، فهي تُثْني على المؤمنين الصالحين، الذين يستمعونَ الكلامَ والقول، فيتبعونَ أَحسنَه وأصدقَه، وهو كلامُ اللّهِ في القرآن.

حول مبايعة الحجاج للأئمة!!:

يرى الكلينيُّ وجماعتُه وجوبَ مجيءِ الحُجّاج إلى الأَئمةِ ونصرتِهم، بعدَ الفراغ من مناسِكِ الحَجّ، وذَكَرَ رواياتٍ عنِ الأَئمةِ بذلك في باب: «إنَّ الواجبَ على الناسِ

عندما يقضونَ مناسِكَهم أَنْ يَأتوا الإمامَ فيسألوهُ عن معالمِ دينِهم، ويُعْلِنوا ولايتَهم ومودتَهم له».

١٠٥ - روى الكلينيُّ عن الفضيل قالَ: نَظَرَ أبو جعفر - محمدُ الباقرُ - إلى الناس يطوفونَ حولَ الكعبة، فقال: هكذا كانوا يطوفونَ في الجاهلية!! إنما أُمِروا أَنْ يطوفوا بها، ثم يَنْفِرُوا إلينا، فيُعْلِمونا ولايَتَهم ومودَّتَهم، ويَعرضوا علينا نصرتهم! ثم قرأ هذه الآية: «واجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم» [الكافي ١: ٣٩٢].

يَعترضُ الإمامُ الخامسُ محمدُ الباقر على الحُجَّاج، الذين لم يَأْتوا إليه، واعتبَرَ طوافَهم بالكعبةِ كطوافِ أَهْلِ الجاهلية، لأَنه لم يتمّ على الأُصولِ الصحيحة، فهو مجردُ طوافِ حول الكعبة لم يُحقق الهدفَ منه.

الطوافُ الصحيحُ كما يَراه، هو أَنْ يَأْتوا إلى الإمام بعدَ الانتهاء من الطواف، وأَنْ يُبايعوه، ويَعْلنوا مَوَدَّتَه وموالاتِهِ، ويُعْرِضوا عليه نصرتَهم له!!

وهذا كلامٌ مردود، لأن فيه زيادةً على الأَحكام الشرعية، لم يأْذَنْ ويأمر بها الله، فلا توجَدُ آيةٌ ولا حديثٌ صحيح يوجبُ على الحُجَّاجِ البحثَ عن الأَئمةِ المخْتفين، لنصرتهم وموالاتهم، وإلّا كانَ حَجُهم حَجّاً «جاهليّاً»!!

واستشهدَ أَبو جعفر على رأْيه بقولِه تعالى: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾. وأعادَ الضميرَ في ﴿إليهم﴾ على الأَئمة المعصومين! وجَعَلَ معنى الآية: يجبُ على الحُجاجِ أَنْ تهويَ أفئدتُهم إلى الأَئمة بعد مناسِك الحج، ويَأْتوا إليهم معلنين نصرتَهم، وعارضين عليهم خدماتِهم!!

ودليلُ عودةِ الضميرِ في ﴿إليهم﴾ على الأَئمةِ أَنهم من ذريةِ إبراهيمَ عليه السلام!!

واستشهادُه بالآيةِ مردود، لأنها لا تتحدَّثُ عن الأَئمةِ ونصرتِهم، وإنما تتحدَّثُ عن إبراهيمَ عليه السلام، وعن دعائِه عندما وَضَعَ أَهْلَه في ذلك المكان. قال تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

والمرادُ بذريتِه هنا ابنُه إسماعيلُ فقط، لأنه وضعَه مع أُمه هاجر في هذا المكانِ القَفْر، وسأَلَ اللهَ أَنْ يَعْمُرَه، بتوجيهِ الناسِ إليه. ثم جاءَه الناسُ، وبُنيت الكعبةُ، وصارَتْ أَفئدةُ الناسِ تهوي إليهم، وصاروا يأْتونَ للحَجِّ والطوافِ بالبيت.

وهذا بعيدٌ عن الأَئمةِ عند الشيعة، فلا يَجوزُ حصرُ الآيةِ بهم، وتنزيلُها عليهم، إذ ليس في سياقِها أَو كلماتِها أَو معناها ما يدلُّ على ذلك.

ونُشيرُ إلى خَطأ الروايةِ في كتابةِ الآية، إذْ كَتَبَتْها بالواو: «واجعل أفئدة من الناس» مع أنها بالفاء: ﴿ فَٱجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ. . ﴾.

هل أبو حنيفة من الصادين عن دين الله؟:

١٠٦ - روىٰ الكلينيُّ عن سدير قال: أَخَذَ أَبو جعفر - محمد الباقر - بيدي، وهو داخلٌ إلىٰ البيتِ وأَنا خارجٌ منه، ثم استَقْبَلَ البيت، وقال: يا سدير: إنما أُمِرَ الناسُ أَنْ يأتوا هذه الأَحْجار، فيطوفوا بها، ثم يأْتونا فيُعْلِمونا ولايَتَهم لنا، وهو قول اللّه: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [طه: ٨٢] ثم أَومأَ إلىٰ صدره وقال: إلىٰ ولايتنا!!

ثم قال: يا سدير: تَعالَ أُريك الصَّادّينَ عن دينِ اللّه! ثم نَظَرَ إلىٰ أَبي حنيفةَ وسفيانَ الثوري في ذلك الزمان، وهم حِلَقٌ في المسجد، فقال: هؤلاءِ الصَّادّونَ عن دينِ اللّه بلا هدىً ولا كتابٍ مُنير! إنَّ هؤلاءِ الأَخابِثَ لو جَلَسوا في بُيوتهم، فجالَ الناسُ فلم يجدوا أَحَداً يُخبرهم عن اللّهِ وعن رسوله ﷺ، حتىٰ يأْتونا فنُخبرَهم» [الكافي ١: ٣٩٣].

الاعتراضُ علىٰ هذه الروايةِ من ثلاثةِ جوانب:

الأَول: خطأُ الفكرةِ التي قدَّمها أَبو جعفر، وهي وجوبُ مجيءِ الحُجَّاجِ إلىٰ الأَئمةِ، بعد فَراغِهم من المناسك، ليُعْلِنوا لهم نُصرتَهم، وهذا كلامٌ لا دليلَ عليه من قرآنٍ أو من سُنَّة، فهو إضافةٌ مردودةٌ علىٰ أحكام اللّه.

الثاني: الخَطأُ في الاستشهادِ بالآية علىٰ هذه الفكرةِ الخاطئة، لأَنَّها لا تدلُّ علىٰ ذلك، فقد فَسَّرَ أَبو جعفر الاهتداء في قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ

﴿ٱهۡتَدَىٰ﴾ بأنه اهتداءٌ إلىٰ الأئمة، ولذلك أومَأَ إلىٰ صَدْرِه، أيْ: اهتدىٰ إلينا وإلىٰ ولايتِنا.

مع أنَّ الاهتداءَ في الآيةِ اهتداءٌ إلىٰ اللّه، وإلىٰ عبادته وطاعته، وإلىٰ التوبةِ والاستغفارِ والعملِ الصالح. وحملُ الاهتداء علىٰ الاهتداءِ إلىٰ الأئمة تحكُّم مردود.

الثالث: ذَمُّهُ الأئمةَ العلماء الفقهاء، وفي مقدمتِهم أبو حنيفة وسفيان الثوري، فهذان الفقيهانِ العالِمانِ كانا يُعَلِّمانِ النّاسَ في المسجدِ الحرامِ، ولم يُعجبْ فعلُهما أبا جعفر فذَمَّهُما واعتبرهما «أخابث»، لأنَّهما صَرَفا الناسَ عنه، و«عَطَّلا عليه»! والواجبُ علىٰ العلماءِ في رأيه أنْ يَجْلِسوا في بيوتِهم، حتىٰ يضطرَّ الناسُ إلىٰ البحثِ عن الأئمة!! وأينَ هو من قول اللّه عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]؟!

هل الملك كله لإمام الزمان؟:

١٠٧ - روىٰ الكلينيُّ عن أبي خالد الكابلي، عن أبي جعفر - محمد الباقر - قال: وَجَدْنا في كتاب عليٍّ في معنىٰ قولِه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]. قال: أنا وأَهْلُ بَيْتي الذين أورثَنا اللّهُ الأرض، ونَحنُ المتَّقون، والأرضُ كلُّها لنا، فَمَنْ أَحْيا أَرْضاً من أَرْضِ المسلمين، فَلْيَعْمُرها، ولْيُؤَدِّ خراجها إلىٰ الإمامِ من أهلِ بَيْتي، وله ما أَكَلَ منها، فإنْ تَرَكَها أو أَخْرَبَها وأَخَذَها رجلٌ من المسلمينَ من بعدِه فَعَمرها وأَحْياها فهو أَحقُّ بها من الذي تَرَكها، يُؤَدّي خَراجها إلىٰ الإمامِ مِن أَهْلِ بيتي، وله ما أَكلَ منها، حتىٰ يَظهرَ القائمُ من أَهلِ بيتي بالسيف، فيحويها ويمنَعُها، ويُخرجُهم منها، كما حَواها رسولُ اللّه ﷺ ومَنَعَها!! إلاَّ ما كانَ في أَيدي شيعَتِنا، فإنَّه يُقاطعُهم علىٰ ما في أيديهم، ويترُكُ الأَرضَ في أيديهم» [الكافي ١: ٤٠٧ - ٤٠٨].

تَنسبُ الروايةُ العجيبةُ هذا الكلامَ الخطيرَ لعليِّ بن أبي طالبٍ رضي اللّه عنه، وهذه نسبةٌ باطلة، لم تصح عن عليٍّ رضي اللّه عنه، ونحن نُبرِّئُه من هذا الباطل!.

تُصادرُ الروايةُ العجيبةُ جميعَ الحقوقِ، وتُلغي جَميعَ صُوَرِ التملُّك، وتجعلُ الملْكَ كُلَّه بيدِ «إِمامِ الزمان»، وكُلُّ من مَلَكَ أو أَحْيَا أَرضاً، أو وَضَعَ يَدَهُ عَليها وعَمَرَها،

فهذا بإذنِ وتفويضِ الإمام، لأنَّ الإمامَ هو مالكُها الحقيقي، ويجبُ علىٰ هذا الشخصِ أَنْ يُؤَدِّيَ خراجَ الأَرضِ ـ وهو خُمُسُ غُلَّتها ـ إلىٰ الإمام، وللإمامِ أَنْ يَطرده من الأَرض، ويُعطيها لغيره، ولو ورثها عن آبائه وأَجداده!!

وعندما يظهرُ «القائمُ» ـ آخرُ أَئمةِ الشيعة ـ يُصادرُ كُلَّ الأَرض، ويَطرُدُ أَصحابَها منها، ولا يُبقي من المالكين إلا شيعتَه، حيثُ يُقِرُّهم علىٰ ما في أَيديهم!!

هذه مغالاةٌ في النظرِ إلىٰ الأَئمة، ووَضعُ كُلِّ الأُمورِ بأَيديهم، وهي أَكْلٌ لحقوقِ النّاسِ، ومصادرةٌ لأَموالِهم وممتلكاتهم، ولذلك يبرأُ منها الإسلام!!

الإسلامُ أَباحَ التملُّك، وأَعطىٰ كُلَّ مالكٍ حقَّ التصرفِ في مُلْكه، وجَعَلَه حُرَّ التصرفِ في مُلْكِه، ودَعا إلىٰ المحافظةِ علىٰ المالِ والأَرضِ والمتاع، وحَرَّمَ أَخْذَ شيءٍ من آخَرَ بدونِ حَقّ..

والعجيبُ استشهادُ أَصحابِ الروايةِ بالقرآنِ علىٰ ما فيها من باطل، حيثُ استَشْهَدوا بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

خَصَّصَت الروايةُ «من يشاءُ من عباده» بالأَئمةِ وحدهم، ولذلك جعلَتْهم هم الورثةَ الحقيقيِّين لكلِّ بقاعِ الأَرض!. وزَعَمَتْ أَنَّ علياً رضي اللّه عنه قال: «أَنا وأَهْلُ بيتي الذين أَوْرَثَنا اللّهُ الأَرض، ونحنُ المتَّقون، والأَرضُ كلُّها لنا..». وهذا الكلامُ مكذوبٌ علىٰ عليٍّ رضي اللّه عنه، ولا يمكنُ أَنْ يَقولَه، لأَنَّه يُخالفُ ما تعلَّمه هو من القرآنِ ومن رسولِ اللّه ﷺ!!

الآيةُ التي استشهدتْ بها الروايةُ في سياقِ قصةِ موسىٰ عليه السلام مع فرعون، فلما هَدَّدَ فرعونُ بني إسرائيلَ المؤمنين بالقَتْل والصَّلْب، دَعاهم موسىٰ عليه السلام إلىٰ الصبر، وأَخبرهم أَنَّ اللّه سيورثُهم الأَرض، لأَنَّ العاقبةَ للمتقين. قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ۞ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨ ـ ١٢٩].

ومن رواياتِ الكلينيِّ الأُخرىٰ التي أَكَّدَ بها الروايةَ السابقة، وصادَرَ ممتلكاتِ المالكين، إلّا بإذنِ الإمامِ، ما رواهُ عن المعلىٰ بن خنيس، قال: قلْتُ لأَبي عبدِ الله ـ جعفر الصادق ـ: ما لَكُم من هذه الأَرض؟

فتَبَسَّمَ ثم قال: إنَّ اللّهَ بعثَ جبريل، وأَمَرَهُ أَنْ يَخرقَ بإِبهامِه ثمانيةَ أَنهارٍ في الأَرض، منها: سيحان، وجيحان، والشّاش، ومهران، والنيل، ودجلة، والفرات، فما سَقَتْ أَو اسْتَقَتْ فهو لنا، وما كان لنا فهو لشيعَتِنا، وليسَ لعَدُوِّنا منه شيء، إلّا ما غَصَب عليه، وإنَّ وَلِيَّنَا لفي أَوسَع فيما بين السماءِ والأَرض، ثم تَلا هذه الآيةَ: «قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا»، للمغصوبينَ عليها «خالصة يوم القيامة»: خالصة لهم بدون غَصْب. [الكافي: ٤٠٩].

للإمامِ كُلِّ شيءٍ علىٰ الأَرض، وبينَ السماءِ والأَرض، وما أَنْتَجَتْه الأَرض، وهو يُعطي ما يشاءُ منها لشيعَتِه، أَما أَعداؤُه فلا شيءَ لهم، إلّا إذا أَخذُوهُ غَصْباً!!

واستشهَدَ علىٰ ما يقولُ بقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ﴾ [الأعراف: ٣٢].

وخَصَّصَ «الذين آمنوا» بالأَئمة، وجعَلَ كُلَّ ما علىٰ الأَرض لهؤلاءِ الأَئمةِ الذين آمنوا، ولكنَّ الآخَرين غَصَبوهم مُلْكَهم وحَقَّهم، ويُعَوِّضُهمُ اللّهُ علىٰ ما غُصِبَ منهم يومَ القيامة، بأَنْ يجعَلَه لهم خالصاً يومَ القيامة، لا يأْخُذه أَحَدٌ منهم!

والاستشهادُ بالآيةِ مَردودٌ، وتخصيصُها بالأَئمةِ باطل. لأَنَّ الآيةَ في سياقِ الإنكارِ علىٰ الكفارِ الجاهليّينَ تشريعاتِهم الجاهلية، التي حَرَّمُوا بها ما أَباحَ اللّه. قال تعالىٰ: ﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ۞ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۞ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣١ ـ ٣٣].

هل الإمام هو بقية الله؟:

١٠٨ - روىٰ الكلينيُّ عن عمرَ بنِ زاهر قال: سأَلَ رجلٌ أَبا عبدِ اللّه - جعفرَ الصادق - عن القائمِ - الإِمامِ الذي سيَظْهَرُ فيما بعد - هل يَجوزُ أَنْ يُسَلَّمَ عليه بإِمرة المؤمنين؟.

قالَ: لا، ذاك اسْمٌ سَمَىٰ اللّهُ به أَميرَ المؤمنين عليه السلام، لم يُسَمَّ به أَحَدٌ قبلَه، ولا يَتَسَمَّىٰ به بعدَه إلا كافر!.

قلتُ: جُعِلْتُ فِداك، كيفَ يُسلَّمُ عليه؟

قال: يقولون: السَّلامُ عليك يا بَقِيَّةَ اللّه. ثم قرأَ قولَه تعالىٰ: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ..﴾ [الكافي ١: ٤١١ - ٤١٢].

تَخْصُرُ هذه الروايةُ لَقَبَ «أميرِ المؤمنين» بعليِّ بنِ أَبي طالب رضي اللّه عنه، وتَزْعَمُ أَنَّ اللّه هو الذي سَمّاهُ بذلك؟ وما الذي أَدْراهُم به؟ إِنَّه لم يُذْكَرْ في آياتِ القرآن، ولا في حديثِ رسولِ اللّه ﷺ. فهذا الزعمُ ادِّعاءٌ ليسَ عليه دليل، فهو قولٌ علىٰ اللّهِ بدونِ عِلْم..

وتزعمُ الروايةُ حَصْرَ لَقَبِ «أَميرِ المؤمنين» بعليِّ بنِ أَبي طالبٍ رضي اللّهُ عنه، وأَيُّ إنسانٍ يُطلقُه علىٰ نفسه بعدَه يكونُ كافراً: «ولا يتسمَّىٰ به بعدَه إِلا كافر»!.

وزَعْمُ الحصرِ باطلٌ ومردود، فقد أُطلقَ قَبلَهُ علىٰ كُلٍّ من عمرَ وعثمان رضي اللّه عنهما، وأُطلقَ بعدَه علىٰ حُكّامٍ أَولياءَ صالحين، مثل معاويةَ بن أَبي سفيان رضي اللّه عنه، وعُمَرَ بنِ عبد العزيز وهارونَ الرشيد وغيرهم، فكيف تدّعي الروايةُ أَنَّ كُلَّ مَنْ تسمَّىٰ به يكون كافراً.

وتُثيرُ الروايةُ العَجَبَ عندما تَدْعو إِلىٰ أَنْ يُسَلَّمُ علىٰ «القائم» - الذي هو الإمامُ القادمُ والمهديُّ المنتظر - بلقبِ: «بَقِيَّةُ اللّه». وتَستشهدُ علىٰ ذلك بالآية: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

إِنَّ استشهادَهُم بالآيةِ مَرْدود، لأَنَّ الفِكْرَةَ خَطَأٌ، وهي إِطلاقُ لقبِ «بقيةُ اللّه» علىٰ

القائمِ القادم، ولأنَّ الآيةَ لا تتكلمُ علىٰ ذلك، وسياقُها لا يوحي بذلك!

الآيةُ في سياقِ الحديثِ عن قصةِ شعيبٍ عليه السلام مع قَومِه، وتذكُرُ ما دَعا قَوْمَه إليه. قال تعالىٰ: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ * وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ [هود: ٨٤ ـ ٨٦].

يَدعوهم شعيبٌ عليه السلام إلىٰ الإيمان باللّه، ويَنْهاهم عن ارتكابِ المخالفاتِ والجرائمِ الماليةِ والاقتصاديةِ والاجتماعية، ويُخبرُهم أَنَّ بقية اللّه خيرٌ لهم».

و«بَقِيَّةٌ»: اسْمٌ علىٰ وزْنِ «فعيلة». يُطْلَقُ علىٰ الشيءِ الباقي، يُقال: هذه بقيَّةُ الماءِ بعدَ شُرْبِه، وهذه بقيَّةُ الطعامِ بعد أَكله.

ومعنىٰ الجملة «بقيةُ اللّه خيرٌ لكم»: ما يُبْقيهِ اللّهُ لكم من المالِ أَو المتاعِ الحلالِ خيرٌ لكم، وإِن كانَ قليلاً، لأَنَّ اللّه يُبارِكُ فيه فيزدادُ الانتفاعُ به، وقد يكونُ المالُ كثيراً من حيثُ العددُ والكمّ، لكنَّه لا خيرَ فيه، لأَنَّه نُزِعَتْ منه البركة!

أَينَ هذا المعنىٰ القُرآنيُّ العظيمُ من ذلك الاستدلالِ الخاطىء في روايةِ الكليني؟.

هل الأمير هو الذي «يمير» العلم؟:

١٠٨ ـ روىٰ الكلينيُّ عن أَحمد بن عمر قال: سأَلْتُ أَبا الحسن ـ موسىٰ الكاظم ـ: لِمَ سُمِّيَ أَميرَ المؤمنين؟ قال: لأَنَّه يَميرُهم العلم! أَما سمعْتَ في كتابِ اللّه: ﴿ونَميرُ أَهْلَنا﴾؟

وفي روايةٍ أُخْرىٰ قال: لأَنَّ ميرةَ المؤمنين من عندِه، يَميرُهم العِلْم»!.

وروىٰ عن جابرٍ قال: قلتُ لأَبي جعفر ـ محمد الباقر ـ: لِمَ سُمِّيَ أَميرَ المؤمنين؟.

قالَ: اللّهُ سَمّاهُ بذلك، وأَنزلَه في كتابه. قال تعالىٰ: «وإذ أخذ ربك من بني آدم

من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم علىٰ أنفسهم: ألست بربكم، وأَنَّ محمداً رسولي وأَنَّ علياً أَميرُ المؤمنين»!! [الكافي ١ : ٤١٢].

تُقَدِّمُ هذه الروايةُ معنىً عجيباً وتفسيراً غريباً لمصطلح «أَمير المؤمنين»، يدلُّ علىٰ الجهل باللغة العربية، وبمعاني القرآن.

سُمِّيَ أَميرَ المؤمنين لأَنَّه يَميرُهم العِلْم! فالأَميرُ عندهم مُشْتَقٌّ من المِيرَة!!

وهذا خَطأ كبيرٌ في اللغةِ العربية.

الأَميرُ من الإمارة، والإِمارةُ هي المسؤولية، مشتَقَّةٌ من الأَمْر.

تقول: أَمَرَ، يَأْمُرُ، أَمْراً، فهو آمِرٌ، والآمِرُ: اسْمُ فاعل، وهو الذي يُصْدِرُ الأَمْر، ويَطلبُ من الآخَر التنفيذ.

و«أَميرٌ»: صفةٌ مُشَبَّهةٌ من «أَمَرَ»، علىٰ وزن «فعيل». تقول: أَمَرَ، يأْمُرُ، أَمْراً، فهو آمِرٌ، وأَمير. والأَميرُ هو الذي يتولّىٰ الإمارَةَ والمسؤولية.

وأَميرُ المؤمنين: هو الذي يتولّىٰ أَمْرَهم، ويُدَبِّرُ شَأْنَهم، ويكونُ مسؤولاً عنهم، ويَرْعىٰ أَحوالَهم، ويَهْتَمُّ بهم، ويُقَدِّمُ الخيرَ لهم، ويَدفعُ الشَّرَّ عنهم...

أَمّا الميرةُ فإِنَّها مادَّةٌ لغويةٌ أُخرىٰ، مشتقةٌ من الثلاثي: «مارَ».

تقول: مارَ، يَميرُ، مَيْراً، فهو مائِرٌ، وهي ميرَةٌ.

والميرةُ هي الطعامُ الذي يُقَدَّمُ ويُعَدُّ ويُهَيَّأُ ويُجَهَّز!!

والآيةُ التي استشهدَتْ بها الروايةُ واردةٌ في قصة يوسفَ عليه السلام. فعندما التقىٰ إِخوةُ يوسُفَ به أَوَّلَ مرّة، وهم لا يعرفونَه، طَلَبَ منهم أَنْ يُحْضِروا معَهم أَخاً لهم من أَبيهم، وهَدَّدَهم بأَنَّهم إِنْ لم يُحْضِروه فلا كيلَ لهم عنده، ورغَّبهم بأَنْ وَضَعَ لهم بضاعَتَهم في رحالهم، ولما طَلَبوا من أَبيهم إرسالَ أَخيهم الصغيرِ معهم، رَغَّبوه بأَنَّهم يكسبون من ذلك.. قال تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَـٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَـٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَـٰذِهِۦ بِضَـٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ [يوسف: ٦٥].

معنىٰ: ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾: نُقَدِّمُ لأَهْلِنا الميرَةَ، وهي الطعامُ الذي نَشتَريه من مِصْر، ونُحضِرُه لهم.

فأَيْنَ الميرةُ الغذائيةُ من الإمارَةِ والمسؤولية؟ وكيفَ تَجعلُ الروايةُ الأَمير مائِراً يحملُ الميرةَ؟ واللغةُ لا تُؤَيِّدُ هذا، والقرآنُ لا يَقولُ به!

هل سمى الله عليا أميرا للمؤمنين؟

أَمّا ادعاءُ الروايةِ بأَنَّ الله هو الذي سمّىٰ علياً رضي الله عنه أَميراً للمؤمنين فهذا ادعاءٌ باطل، وزعْمٌ مردود، كالزعمِ بأَنَّ الله أَوصىٰ بالأَمْرِ له، بعدَ النبيّ ﷺ.

وتزعمُ الروايةُ أَنَّ الله أَنزَلَ إمارة عليٍّ للمؤمنين في القرآن، وأَضافَتْ إلىٰ الآيةِ القرآنيةِ كلماتٍ ليستْ من عندِ الله، وذلك في قولها: «الله سماه، وهكذا أَنزلَ في كتابه: «وإذْ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم علىٰ أنفسهم أَلست بربكم، وأَنَّ محمداً رسولي، وأَنَّ علياً أَميرُ المؤمنين»!!.

نص الآية هو: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].. أَضافَت الروايةُ إلىٰ الآيةِ جملةَ: «وأَنَّ محمداً رسولي، وأَنَّ علياً أَميرُ المؤمنين»، وزعمتْ أَنَّ الله أَنزلَ كُلَّ هذا الكلامَ في كتابه!! وهذا كَذبٌ وافتراءٌ علىٰ الله، وتحريفٌ للقرآن، بإضافةِ كَلامٍ باطِلٍ إلىٰ كلامِ الله الحق.

وينطبقُ علىٰ هذا التحريفِ والتلاعبِ قولُ الله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

هل نزل جبريل بولاية علي؟:

من أَبوابِ كتابِ الحُجَّةِ في الكافي بابٌ جَعَلَ الكلينيُّ عنوانَه: «نُكَتٌ ونُتَفٌ من التَنزيلِ في الولاية»، أَوْرَدَ فيه اثنتين وتسعينَ روايةً، ذكَرَ فيها أَكثرَ من اثنتين وتسعين آيةً، ادَّعىٰ أَنَّها نازلةٌ في الولاية، وأَنَّها تَنُصُّ علىٰ تعيينِ عليٍّ رضي الله عنه أَميراً للمؤمنين.

وسَننظُرُ في هذه الآياتِ التي ذَكَرَها، لنُسجِّلَ تحريفَه لها، وصَرْفَها عن معناها الصحيحِ، لتشهدَ لما يُريدُ أَنْ تشهدَ له.

المشكلةُ عند الكلينيِّ وجماعتِه أَنَّ الإمامةَ والولايةَ والوصايةَ عندهم هي أَساسُ هذا الدين، وهي مقدَّمَةٌ علىٰ كُلِّ ما في الإِسلام، بل هي مقدَّمَةٌ علىٰ أَركانِه الأَساسية، ولذلك يُوَجِّهون ويُوَظِّفون كلَّ نصٍّ من آيةٍ أَو حديث، فيه أَدنىٰ إشارة، ليكون نَصّاً صريحاً في الولايةِ والوصاية!! ولا مانعَ عندهم من اختلاقِ أَحداثٍ ووقائع، وعباراتٍ وكلمات، عن رسولِ اللّه ﷺ، لتصبَّ في مَصَبِّ الولايةِ والوصاية!!

١٠٩ ـ رویٰ الكلينيُّ عن سالمِ الحنّاط قال: قلْتُ لأَبي جعفر: أَخْبِرْني عن قولِ اللّه: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٥]، «**قال: هي الولايةُ لأَميرِ المؤمنين**» [الكافي: ١: ٤١٢].

تُحَدِّدُ الروايةُ العجيبةُ ما نزلَ به جبريلُ علىٰ رسولِ اللّه ﷺ بأَنَّه تَعيينُ عليٍّ رضي اللّه عنه وليّاً وأَميراً للمؤمنين.

وهذا كلامٌ باطِلٌ، وتفسيرٌ مردود. فالآياتُ لا تتحدَّثُ عن ولايةِ عليٍّ رضي اللّه عنه، إنما تتحدَّثُ عن القرآنِ، وتقررُ أَنَّه كلامُ اللّه، نزلَ به جبريلُ علىٰ قلبِ النبيِّ ﷺ، وتَرُدُّ علىٰ المشركينَ الذين الذين طَعَنوا في القرآن. قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٦].

إنَّ الهاءَ في «بِهِ» تعودُ علىٰ الهاءِ في «إنه». وإنَّ الهاءَيْن تَعودانِ علىٰ القرآن، وليسَ علىٰ ولايةِ عليٍّ رضي اللّه عنه!

هل الأمانة هي الإمامة؟:

١١٠ ـ رویٰ الكلينيُّ عن أَبي عبدِ اللّه ـ جعفر الصادق ـ أَنَّه قالَ في قولِه تعالىٰ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]. **قال: هي ولايةُ أَميرِ المؤمنين**» [الكافي ١: ٤١٣].

خَصَّصت الروايةُ الأَمانةَ بولايةِ عليٍّ رضي اللّه عنه. ومعنىٰ الآيةِ علىٰ هذا الفهم: عَرَضَ اللّهُ علىٰ السمواتِ والأَرضِ والجبالِ الاعترافَ بأَنَّ علياً هو أَميرُ المؤمنين! وهذا العرضُ كان قبل خَلْقِ آدم، وقبلَ ولادةِ عليٍّ بملايينِ السنين، فأَبينَ حملَ الأَمانة، والإِقرارَ بولايةِ عليٍّ، خوفاً وإشفاقاً، وحَمَلَ الناسُ الأَمانة، وأَقَرّوا بولايةِ عليٍّ!

هذا تفسيرٌ باطلٌ للآية، لأَنَّ الحديثَ فيها عن الأَمانةِ التي هي التكليفُ والمسؤوليةُ والمحاسَبَة، فالجماداتُ في السمواتِ والأَرضِ والجبالِ ليستْ مُؤَهَّلَةً لحملِ الأَمانة، وتحمُّلِ المسؤولية، ولذلك أَبَيْنَ أن يَحملْنَها وأَشفقْنَ منها.. أَمّا الإنسانُ فإنَّ اللّه خَلَقَه وأَهَّلَه لحَمْلِ الأَمانة وتحمُّل المسؤولية، ولذلك كَلّفه اللّهُ بها، وحمَّله إياها وبعضُ الناسِ يُؤَدّونَ الأمانةَ، وهم المؤمنون الصالحون، فيَفوزون ويُثابونَ.. وكثيرٌ من الناسِ لا يَحْمِلونها ولا يُؤَدّونها، وبذلك يكونونَ ظَلومينَ جَهولين، مُعَذَّبينَ في نارِ جهنم!

من هم الذين لم يلبسوا إيمانهم بظلم؟:

١١١ ـ روىٰ الكلينيُّ عن أَبي عبدِ اللّه ـ جعفر الصادق ـ أَنّه قالَ في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]: قال: بما جاءَ به محمدٌ ﷺ من الولاية، ولم يَخْلِطوها بولايةِ فُلانٍ وفُلان، فهو المُلَبَّسُ بالظلم»! [الكافي ١: ٤١٣].

تزعمُ الروايةُ أَنَّ الرسولَ ﷺ جاءَ بولايةِ ووصايةِ عليٍّ رضي اللّه عنه وأَوجبَ علىٰ الصحابةِ مبايَعَتَه من بعدِه، وتَعتبرُ الآيةَ مَدْحاً للذين أَقَرّوا بولايةِ عليٍّ وَحْدَه، ولم يَخلِطوها بولايةِ غيرِه كأَبي بكر وعمر، أَمّا الذين أقَرُّوا بولايةِ أَبي بكرٍ وعمر وعثمان فهم الذين لبسوا إيمانَهم بظُلْم، وبذلك كانوا ظالمين.

وهذا تفسيرٌ باطلٌ مردودٌ للآية، لا يتفقُ مع معناها، ولا مَع سياقِها.

الآيةُ في سياقِ الحديثِ عن قصةِ إبراهيمَ عليه السلام مع قومِه، عندما أَبطلَ كَوْنَ الكوكبِ والقمرِ والشمسِ والأَصنامِ آلهة، وقَدَّمَ الأَدِلَّةَ علىٰ توحيدِ الأُلوهية. ولكنَّ قومَه لم يَأْخُذوا كلامَه، ولم يَستَجيبوا له، وهَدَّدوه بأَذىٰ أَصنامِهم. فأَخبرهم بأَنَّه ثابتٌ علىٰ

الحق، وأنَّه لا يَخافُ أَصنامهم، وأنَّه آمِنٌ لاعتمادِه وتوكُّلِه علىٰ اللّه، والأَمْنُ لا يكون إلّا للمؤمنين. قالَ تعالىٰ: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَـٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔاۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ * وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًاۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ * وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ . .﴾ [الأنعام: ٨٠ ـ ٨٣].

معنىٰ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾: آمنوا ولم يَخْلِطوا إيمانَهم بشِرْك! أَيْ: لم يَجْمَعوا بينَ الإيمانِ والشركِ، لأن من جمع بين الإيمان والشرك يكونُ ظالماً، والظالمُ مُعَذَّبٌ فاقدٌ للأَمْن!

ولما أَنزلَ اللّهُ الآية، وقَرَأَها الصحابةُ، أَشْكَلَتْ عليهم، فلجأُوا إلىٰ رسول اللّه ﷺ، فأَزالَ الإشكالَ وَوَضَّحَ لهم مَعْناها.

روىٰ البخاريُّ عن عبدِ اللّهِ بنِ مسعود رضي اللّه عنه قال: لما نزلَ قولُ اللّه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ شقَّ ذلك علىٰ أصحابِ رسول اللّه ﷺ، وقالوا: أَيُّنا لم يَظلمْ نفسه؟ فقالَ رسولُ اللّه ﷺ: ليسَ الأَمْرُ كما تَظُنّون، أَلَم تَسمعوا ما قالَ العبدُ الصالح: ﴿يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾. إنَّما هو الشِّرْكُ».

تُخبرُ الآيةُ أَنَّ المؤمنينَ هم الذين لم يَخْلِطوا إيمانهم بظُلْم، وحَمَلَ الصَّحابةُ الظلمَ في الآيةِ علىٰ المعصيةِ، وهم يوقنونَ أَنَّهم عُرضَةٌ للمعصية، وأَنَّهم ليسوا معصومين، فإذا كان العُصاةُ غير آمنين فلن يَنْجُو أَحَدٌ منهم!!

ولذلك أَتوا النبيَّ ﷺ خائفين، وقالوا: أَيُّنا لم يَظلمْ نَفْسَه؟ كلُّ واحدٍ منّا ظالمٌ بارتكابِه المعصية!

فطَمْأَنَهم الرسولُ ﷺ، بأَنْ حَمَلَ الظلمَ في الآيةِ علىٰ الشرك، وفَسَّرَ لهم آية الأَنعام بآيةِ سورةِ لقمان، التي أَخبرتْ عن ما قالَه لقمانُ لابنه قال تعالى: ﴿يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

أينَ هذا المعنىٰ الصحيحُ من التحريفِ الذي قامَتْ به الروايةُ، وحَمَلَتْ لَبْسَ الإيمانِ بالظلمِ علىٰ الخلطِ بينَ ولايةِ وإمرةِ عليٍّ بولايةِ وإمرةِ أبي بكر وعمر وعثمان، رضي اللّه عنهم أجمعين؟!

هل منكر الولاية كافر؟:

١١٢ - روىٰ الكلينيُّ عن الحَسَنِ الصَّحَّافِ قال: سألْتُ أبا عبدِ اللّه ـ جعفر الصادق ـ عن قولِ اللّه عز وجل: «فمنكم مؤمن ومنكم كافر»؟ فقال: عَرَفَ اللّهُ إيمانهم بولايتِنا، وكُفْرهم بها، يومَ أَخَذَ عليهم الميثاقَ في صُلْبِ آدمَ عليه السلام، وهم ذَرٌّ» [الكافي ١ : ٤١٣].

اخطأت الروايةُ في الآيةِ، وسَجَّلَتْها بلفظِ «فمنكم مؤمن ومنكم كافر» وهذا خطأ. ونصُّ الآيةِ هكذا: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [التغابن: ٢]. ولا أدري كيفَ يُخطىءُ عالِمٌ من كبارِ علماءِ الشيعة مثلُ الكلينيِّ في تلاوةِ وكتابةِ بعضِ آياتِ القرآنِ الكريم؟ وحفظُ القرآنِ وضبطُ آياتِه هو الخطوةُ التمهيديةُ في العلم!

وتقصرُ الروايةُ الإيمانَ والكفرَ علىٰ ولايةِ عليٍّ رضي اللّه عنه، فالمؤمنُ هو مَنْ آمَنَ بولايةِ علي، والكافرُ هو مَنْ كَفَرَبها!!

وهذا تحريفٌ لمعنىٰ الآيةِ، وصَرْفٌ لها عن مَعْناها الصحيح!

ويُخبرُ اللّهُ أنّه خَلَقَ النّاسَ جميعاً، وهؤلاء الناسُ فَريقان: فريقٌ كافر، وفريقٌ مؤمن. والكافرُ هو الكافرُ باللّه، والمؤمنُ هو المؤمنُ باللّه.

إنَّ المرادَ بالإيمانِ والكفرِ هنا المعنىٰ الإيمانيُّ الاعتقاديُّ، فالمؤمنُ هو الشخصُ الذي دَخَلَ في الإسْلام، وحَقَّقَ أركانَ الإيمانِ الخمسة، والكافرُ مَنْ كانَ علىٰ عكسِه ونقيضه، بأنْ أنكرَ أَحَدَ أركانِ الإسْلام، أو أركانِ الإيمان!!

هل الوفاء بالنذر هو الإيمان بالولاية؟:

١١٣ - روىٰ الكلينيُّ عن أبي الحَسَنِ أنه قالَ في قوله تعالىٰ: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ ﴾، «النَّذْرُ هو الذي أُخِذَ عليهم من ولايتنا» [الكافي ١ : ٤١٣].

قَصَرتْ الروايةُ النذرَ علىٰ الإيمانِ بالولاية، والذين يوفونَ بالنَّذْرِ هم الذين يؤمنونَ بولايةِ عليٍّ والأَئمةِ من بعدِه!

ولا أَعرفُ الصلةَ بينَ النَّذْرِ وبينَ الولاية؟ وكيفَ صارَ الوفاءُ بالنَّذرِ الإقرارَ بتلك الولاية.

النَّذْرُ في الآيةِ عامٌّ معروف، وهو الذي يُنذره المسلمُ، ويُلزمُ نفسَه بفعْلِه وأَدائِه، إنْ تَحَقَّقَ الشيء المنذور. كأَنْ يقولَ أَحَدُهم: نَذْرٌ عليَّ لئن شَفاني اللّهُ لأَذبحنَّ ذبيحةً للّه! فإن شفاهُ اللّهُ وَجَبَ عليه الذبحُ، وَفاءً بنذره.

وقد أَثنىٰ اللّهُ علىٰ المؤمنين لوفائِهم بالنُّذور. قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا * يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٥ ـ ٧].

فكيفَ جَعلت الروايةُ النذرَ هو العهدَ الذي أَخَذَه اللّهُ علىٰ الناسِ بالإيمانِ بولايةِ عليٍّ رضي اللّه عنه والأَئمةِ من بعدِه؟ ولا عهدَ ولا نَذْرَ ولا وَفاءَ في هذا الأَمر، لأَنه ليستْ هناك ولايةٌ بهذا المعنىٰ الخاصِّ أَساساً!!

هل إقامة التوراة والإنجيل بولاية الأئمة؟:

١١٤ ـ روىٰ الكلينيُّ عن أَبي جعفر ـ محمدِ الباقر ـ أَنَّه قالَ في قولِ اللّه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [المائدة: ٦٦]. قال: هي الولاية! [الكافي ١: ٤١٣].

إِقامةُ التوراةِ والإِنجيلِ والقرآن، وتنفيذُ ما في هذه الكتبِ الثلاثة، محصورٌ بالإقرارِ بولايةِ عليٍّ رضيَ اللّهُ عنه! أَيْ أَنَّ اللّهَ نصَّ في التوراةِ والإِنجيلِ علىٰ ولايةِ عليٍّ! وأَوجَبَ علىٰ اليهودِ والنَّصارىٰ الإقرارَ بهذه الولايةِ له وللأَئمةِ من بَعْدِه!!

وهذا تحريفٌ لمعنىٰ الآية، لا يتفقُ معها ولا معَ السياقِ الذي وَرَدَتْ فيه!

الآيةُ في سياقِ الحديثِ عن أَهلِ الكتاب من اليهودِ والنصارىٰ، ودعوتِهم إلىٰ تطبيقِ التوراةِ والإنجيل، ولو فعلوا ذلك لآمنوا بالقرآن، ودخلوا في الإسلام!

قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۞ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٥ ـ ٦٦].

هل طاعة الأئمة كطاعة الله ورسوله؟:

١١٥ - روىٰ الكلينيُّ عن أَبي عبدِ اللّه ـ جعفر الصادق ـ في قولِهِ تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١] أنه قال: «ومن يطع اللّه ورسوله (في ولايةِ عليٍّ وولايةِ الأَئمةِ من بعدِه) فقد فازَ فوزاً عظيماً هكذا نَزَلَتْ» [الكافي ١: ٤١٤].

تُخصصُ الروايةُ طاعةَ اللّهِ والرسولِ في الآية، بطاعةِ عليٍّ رضي اللّه عنه والأَوصياءِ من بعده، والقولِ بوجوبِ ولايتِهِم والنصِّ عليها!

وقد أدرجت الروايةُ كلامَ أَبي عبدِ اللّه ضمن كلام الآية، حيثُ أَضافَتْ جملةَ «في ولايةِ عليٍّ وولايةِ الأَئمةِ من بعدِه» علىٰ كلمات الآية، ثمَّ عَلَّقَتْ علىٰ هذا الخَلْطِ الجديدِ بقولِها: «هكذا نَزَلَتْ».

ويَحتمِلُ تعليقُ «هكذا نَزَلَتْ» احتمالَيْن:

الأَوّل: هكذا نَزَلَتْ حُرُوفاً وكلمات، أَيْ أَنَّ اللّهَ أَنزَلَ الآيةَ هكذا من السماء: «ومن يطع اللّه ورسوله في ولايةِ عليٍّ وولايةِ الأَئمةِ من بعدِه فقد فاز فوزاً عظيماً» وهذا تحريفٌ للآية، وإِضافةُ كَلامِ البشَرِ عليها، وهذا كفرٌ باللّه وبالقرآنِ، لأَنَّ مَنْ أَضافَ علىٰ الآيةِ كَلاماً مِن عندِه كَفر، ومَنْ أَنْقَصَ وحَذَفَ منها كلاماً كَفَر..

الثاني: أَنَّ جملة «في ولايةِ عليٍّ وولايةِ الأَئمةِ من بعدِه» تفسيرٌ من أَبي عبدِ اللّه للآية، وأَنه وَضَعَها بين كلماتِها من بابِ تفسيرِ الآيةِ بها. فيكونُ معنىٰ كلامِه «هكذا نَزَلَتْ» أَنَّ الآيةَ نَزَلَتْ في الولاية، وأَنَّ موضوعها هو النَّصُّ علىٰ الولاية.

ونحنُ إذا أَحسَنّا الظنَّ نأْخذُ بالاحتمالِ الثاني، لأَنَّ اعتمادَ الاحتمالِ الأَوّلِ معناه كفرُ قائلِ الجملةِ كُفْراً صريحاً مُتَّفَقاً عليه.

والاحتمالُ الثاني باطلٌ وخطأٌ ومردود. لأَنَّ الآيةَ في سياقِ الدعوةِ إِلىٰ طاعةِ اللّهِ

ورسوله، وتقوىٰ اللّه، وإصلاح الحياةِ والعملِ. قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

لا كلامَ في الآيةِ عن ولايةِ عليٍّ رضي اللّه عنه والأئمةِ من بعده، لا تَصريحاً ولا تَلميحاً، فكيف تُنزلُها الروايةُ عليها. إنَّ الآيةَ تُبَشِّرُ المؤمنين بأنَّهم إن اتقوا اللّه وقالوا قولاً سديداً فإنَّ اللّه يُصلحُ لهم أَعمالَهم ويَغْفِرُ لهم ذُنوبهم، وتُبَشرُهم بأَنَّ مَنْ أَطاعَ اللّهَ ورسولَه فقد فازَ فوزاً عظيماً. فأَيْنَ هذا كلُّه من الكلامِ عن ولايةِ وموالاةِ الأَئمةِ؟؟!!

هل إيذاء الرسول محصور بإيذاء الأئمة؟:

١١٦ ـ روىٰ الكلينيُّ عن محمدِ بن مروان، رَفَعَه إليهم، في قولِ اللّه: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ قال: «في عليٍّ والأئمة..» [الكافي ١: ٤١٤].

خَصَّصَت الروايةُ إيذاءَ الرسولِ ﷺ، المنهيَّ عنه، بإيذائه في عليٍّ رضي اللّه عنه، والأئمةِ من بعدِه.

وهذا التخصيصُ لا دليلَ عليه، ولكنَّ المشكلةَ عندَ الكلينيِّ وجماعتِه تَحويلُ كُلِّ نَصٍّ ليكون شاهداً لفكرةِ الإمامةِ والوصاية.

الآيةُ التي استشهدتْ بها الروايةُ هي قولُ اللّه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

تُؤدِّبُ الآيةُ المؤمنين ليُحْسِنوا التعامُلَ مع رسول اللّه ﷺ، فتَنْهاهم عن الدخولِ في بيته إلاّ بعدَ إِذْنه ودعوتِه، وإِذا دُعوا إلىٰ طعامٍ عليهم أَن لا يُبَكِّروا في القُدُوم، وإِنما يأْتُونَ قُبَيل تقديمِ الطعام، وإِذا تناولوا الطعامَ عليهم أَنْ يُغادِروا، ولا يُطيلوا الجلوسَ في بيتِه، مستَأْنِسين بالحديثِ معه، فإِنَّ هذا كانَ يُؤْذيه، ولكنَّه لم يكنْ يواجهُهم بذلك

لحيائِه منهم. . وإذا كلَّموا أَزواجَه عليهم أَنْ يُكَلِّموهُنَّ من وراءِ حجابٍ حتىٰ لا يُؤْذوهُ، لأَنَّه لا يجوزُ لهم إيذاؤُه. .

إيذاءُ الرسولِ ﷺ المذكورُ في الآيةِ نوعان:

الأَوّل: إيذاؤُه بإطالة الجلوس في بيتِه بعدَ تناولُ الطعام: ﴿وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ﴾.

وهذه الآيةُ نازلةٌ في الوليمةِ التي أَعَدَّها النبيُّ ﷺ عندما تزوَّجَ زينبَ بنت جحش رضي اللّه عنها، حيثُ أَطالوا الجلوسَ في بيتِه مستأْنِسينَ بالحديث، فتأَذّىٰ ﷺ من ذلك، فنهاهم اللّهُ عن إيذائِه. .

الثاني: إيذاؤُه في أَزواجِه، بأَنْ يُكَلِّموهن بدون حجاب، ولذلك أَوجبَ اللّهُ تكليمَهن من وراءِ حجاب، ونهاهم عن إيذائِه: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾.

ورغمَ أَنَّ النهيَّ عن إيذاءِ الرسول ﷺ كان علىٰ مناسبةٍ خاصة، والآيةُ نزلتْ علىٰ سببٍ معين، إلَّا أَنَّ النهيَ عامّ، يشملُ حرمةَ جميعِ صُوَرِ وحالاتِ إيذائِه. . وما إيذاؤُه في آلِ بيته كفاطمةَ وعليٍّ والحسنِ والحسين رضي اللّه عنهم إلَّا إيذاءٌ له، وهو مُحَرَّمٌ في دينِ اللّه. واعتراضُنا علىٰ تخصيصِ الآيةِ بعليٍّ والأَئمةِ من بعده!!

من هو الوالد والولد؟:

١١٧ ـ روىٰ الكلينيُّ عن محمد بن أحمد، رَفَعَه، في قوله تعالىٰ: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ [البلد: ١ ـ ٣]، «قال: هو أَميرُ المؤمنين، وما وَلَدَ من الأَئمة» [الكافي ١: ٤١٤].

أَقسَمَ اللّهُ بالوالدِ والوَلَد. وخَصَّت الروايةُ الوالدَ بأَميرِ المؤمنين عليٍّ رضي اللّه عنه، وخَصَّتْ الوَلَدَ بالأَئِمَةِ الاثْني عشر الذين هم من ذريَّتِه. والهدفُ من هذا التخصيصِ توظيفُ الآيةِ شاهدةً للإمامةِ والولاية.

وهذا التخصيصُ مردود، لأَنَّ الآيةَ عامّة، والقَسَمَ فيها عامٌّ: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾.

يُقسمُ اللّهُ بكلِّ والد، وبكلِّ مولود، ودليلُ العمومِ التنكيرُ في «والد»، واسْمُ الموصولِ «ما» في «وما ولد».

والقَسَمُ بكلِّ والدٍ وكلِّ مولود للإشارةِ إلىٰ سُنَّةِ اللّه في التكاثرِ البشريِّ علىٰ وجْهِ الأَرض، وإلىٰ أَهميةِ التَّوالدِ والتَّناسل، وإلىٰ العلاقة النَّسَبِيَّةِ القويَّةِ بينَ الوالدِ والمولود، والآباءِ والأَبناء..

ونَفقدُ كثيراً عندما نُفَرِّغُ الآيةَ من هذا العموم، ونُخَصِّصُها بالتوالُدِ بينَ أَميرِ المؤمنين عليٍّ رضي اللّه عنه، والأَولادِ الأَئمةِ من ذريَّتِه؟!

حصر الدعاة الهداة بالأئمة:

١١٨ ـ روىٰ الكلينيُّ عن عبدِ اللّه بن سِنان قال: سأَلْتُ أَبا عبدِ اللّه عن قولِ اللّهِ عز وجل: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨١] قال: هم الأَئمةِ»! [الكافي ١: ٤١٤].

يُثني اللّهُ في الآيةِ علىٰ أُمَّةٍ من عبادِه، لأَنَّهم يَهدونَ النّاسَ بالحَقِّ، ويَعدلونَ به في أَحكامهم.

وتُخصصُ الروايةُ عن أَبي عبدِ اللّه ـ جعفر الصادق ـ هؤلاءِ الدعاةَ الهُداةَ بأَنَّهم الأَئمةُ!

وهذا التخصيصُ باطلٌ ومردود، لا يتفقُ مع صياغةِ الآيةِ، الدالَّةِ علىٰ العُموم.

«أُمَّةٌ»: هي مجموعَةٌ من العلماءِ الدعاة، المرشدينَ الناصحين. وهي نكرةٌ، وهذا التنكيرُ مقصودٌ، لتقريرِ العموم. فكلمةُ «أُمَّةٌ» تنطبقُ علىٰ أَيِّ مجموعةٍ أَو جماعة، تقومُ بواجبِ الدعوةِ إلىٰ اللّه، وهدايةِ الناس بالحق، والحكْمِ بينَهم بالقِسطِ والعدل، علىٰ اختلافِ الزمانِ والمكان، سواءٌ كانوا من المسلمين السابقين أَتباعِ الأَنبياءِ السابقين، قبلَ محمدٍ ﷺ، أَو كانوا من العلماءِ الدعاةِ السابقين من هذه الأُمَّةِ، أَو من العلماءِ الدعاةِ الذين سيأْتونَ في المستقبل..

ويَدخُل ضمن هؤلاءِ الأَئمةُ الدعاةُ الهُداةُ، أَمّا أَنْ تُخَصَّصَ الآيةُ بهم فلا!!

هل علي والأئمة هم الآيات المحكمات؟:

١١٩ـ روىٰ الكلينيُّ عن عبدِ الرحمنِ بنِ كثير عن أَبي عبدِ اللّه ـ جعفر الصادق ـ في قوله تعالىٰ: «هو الذي أنزل عليك الكتاب، منه آيات محكمات هن أم الكتاب» قالَ: أَميرُ المؤمنين والأَئمة: «وأُخر متشابهات» قال: فُلانٌ وفُلانٌ «فأما الذين في قلوبهم زيغ» قال: أَصحابُهم وأَهلُ ولايتِهم «فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويله إلا اللّه والراسخون في العلم» قال: «هم أَميرُ المؤمنين والأَئمة»!! [الكافي ١: ٤١٤ ـ ١١٥].

تفسِّرُ الروايةُ المنسوبةُ إلىٰ جعفرِ الصادق آيةً من القرآنِ تَفْسيراً عَجيباً، يقومُ علىٰ الهوىٰ والمزاج.

الآيةُ هي قولُ اللّه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

لا بدَّ عند الكلينيِّ وجماعتِه من توظيفِ الآيةِ، لتكونَ تأْييداً لهم في دعوىٰ الإمامةِ والوصاية، وتكونَ ذمّاً لخصومِهم من أَهلِ السُّنَّةِ في هذه المسأَلةَ!

القُرآنُ آياتُهُ قِسْمان: آياتٌ محكماتٌ وآياتٌ متشابهات.

الآياتُ المحكَماتُ هي: عليُّ بنُ أَبي طالب رضي اللّه عنه، والأَئمةُ من بعده.

والآياتُ المتشابهاتُ هي: أَبو بكر وعمرُ رضي اللّه عنهما، لأَنهما غَصَبا علياً حقَّه، ووليا الأُمَّة بَدَلَه. ولم تُصَرِّح الروايةُ باسْمَيْهما، من بابِ التُّقْيَة، وقالَتْ: «فُلانٌ وفُلان»!

وفَسَّرَت الروايةُ قولَه تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾: بالمسلمين الذين اتبعوا أَبا بكرِ وعمرَ وعثمان، لأَنهم «أَصحابُهم وأَهلُ ولايتهم». وهؤلاءِ ضالّونَ في قلوبهم زَيغٌ!

أَمّا الراسخونَ في العلمِ الذين يَعلَمونَ تأْويلَ المحكَمِ والمتشابهِ فهم ـ حسبَ

الرواية ـ عليٌّ والأَئمةُ من بعده!!

وهذا تفسيرٌ باطلٌ مردود، فيه تحريفٌ لمعنىٰ الآية. لأنَّ الآيةَ تتحدَّثُ عن آياتِ القرآنِ من حيثُ الإحكامُ والوضوح، في مقابلِ التشابهِ والغموض، ولا تتحدَّثُ عن عليٍّ وخصومِه.

الآياتُ المحكماتُ ليستْ علياً والأَئمةَ من بعدِه، إنما هي آياتُ القرآنِ الكثيرة، واضحةُ الدلالة، بحيثُ لا يحتاجُ فَهْمُها إلىٰ جهدٍ كبير.

والآياتُ المتشابهاتُ ليستْ أَبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، وإنما هي التي فيها لَبْسٌ وغموض، ولا تُفْهَمُ إلاَّ بحمْلِها علىٰ الآياتِ المحكمات.

والراسخونَ في العلم ليسوا مَحْصورينَ بعليٍّ رضي الله عنه والأَئمةِ من بعده، وإنما هم العلماءُ أَصحابُ الفقهِ والفهمِ والبصيرة، الذين يُحْسِنونَ فهمَ وتأْويلَ الآياتِ المتشابهات، بحمْلِها علىٰ الآياتِ المحكمات، ويُزيلونَ عنها الغُموضَ واللَّبس.. وهؤلاء الراسخونَ من الصحابة والتابعين وتابعيهم، والعلماءِ المفسِّرين علىٰ مدارِ التاريخِ الإسلامي، ويدخلُ فيهم عليٌّ رضي الله عنه، والأَئمةُ العلماءُ الربانيونَ من بعدِه!!

الأئمة والأتباع والوليجة!!:

١٢٠ ـ روىٰ عن أَبي جعفر ـ محمد الباقر ـ في قوله تعالىٰ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ قال: يَعني بالمؤمنين: الأئمةَ. لم يَتَّخذ شيعَتَهُم الولائج من دونِهم» [الكافي ١ : ٤١٥].

الوليجةُ هي البطانةُ والخاصَّةُ، المتمثلةُ في الوسائطِ والمستشارين، الذين يُقَدِّمُهم الإنسان، ويَستشيرهم في أُمورِه الخاصَّة.

تمدَحُ الآيةُ المؤمنينَ الصادقين، الذين فاصَلوا الكفار، ولم يتَّخذوا منهم أَولياءَ، ولم يُقَدِّموهم علىٰ الله ورسولِه وإخوانِهم المؤمنين.

وخصَّصت الروايةُ المؤمنينَ بالأئمة. و«الذين آمنوا منكم..» خصَّصَتْهم بشيعةِ

الأئمة وأَتْبَاعِهم. واعتبرت الآيةَ ثَناءً علىٰ هؤلاءِ الشيعة، لأَنَّهم لم يُقَدِّموا أَحَداً علىٰ أَئِمَّتهم، ولم يجعلوهُ وليجةً لهم، بديلاً عن هؤلاءِ الأَئمة.

وهذا التخصيصُ في الروايةِ مردود، ولا يتفقُ مع صياغةِ الآيةِ الدالَّةِ علىٰ العمومِ والشمول.

«الذين آمنوا منكم»: ليستْ خاصَّةً بالمؤمنين الشيعة، وإنما هي عامَّةٌ، بدليلِ اسمِ الموصول «الذين»، الذي هو من صِيغِ العُموم، وهي تَشملُ جَميعَ المؤمنين الصالحين، علىٰ اختلافِ الزمانِ والمكانِ.

و«المؤمنين»: في الآيةِ مجرورَة، لأَنَّها معطوفةٌ على الاسمِ المجرورِ «ولا رسولِه»: وهي عامَّةٌ وليستْ خاصَّةً بالأَئمةِ الأَوْصياء، لأَنَّها جمعٌ مُعَرَّفٌ بأَل التعريف «المؤمنين»، وهذا من صيغِ العموم.

تثني الآيةُ علىٰ المؤمنينَ الصالحينَ الملتزمين، فهم فاصَلوا الكفارَ وتَبَرَّءوا منهم، ووالوا اللّهَ ورسوله، كما والوا إخوانَهم المؤمنين الصادقين، ولم يَتَّخذوا الكفارَ وليجةً ومُقَدَّمين ومستشارين بدلَ إخوانِهم المسلمين..

هل الدخول في السلم متابعة الأئمة؟:

١٢١- روىٰ الكلينيُّ عن الحلبي قالَ: قلْتُ لأَبي عبدِ اللّه - جعفر الصادق - في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]: ما السِّلْمُ؟ قال: الدُّخولُ في أَمْرِنا» [الكافي: ١: ٤١٥].

يَقصرُ جعفرُ الصادقُ السِّلْمَ علىٰ الأَئمة، والدخولَ في السِّلْم علىٰ متابعةِ الأَئمة، ويَعتبرُ الآيةَ دَليلاً علىٰ وُجوبِ «تَشَيُّع» المسلمينَ جميعاً! ومعناها عنده: يا أَيُّها الذين آمنوا تَشَيَّعوا، وادْخُلوا كُلُّكُم في أَمْرِ الأَئمة، وتابِعوهم وأَطيعوهم!!

وهذا قَصْرٌ مردود، وتفسيرٌ باطل.

السِّلْمُ في الآية هو الإِسلام، والخطابُ فيها موجَّه للمسلمينَ جميعاً، علىٰ اختلافِ الزمانِ والمكان، يأْمُرُهم اللّهُ أَنْ يَدْخُلوا في الإسلام جميعاً، لا يتخلَّفُ منهم

رجلٌ واحد، وأَنْ يَأْخُذوا الإِسلامَ كلَّه، لا يُنْقِصوا منه شيئاً.

وأَمْرُ المؤمنين بالدخول في الإِسلام، مع أَنهم قد دخلوا فيه من قبلُ لَطيف، وليسَ تحصيلَ حاصل، إِنَّما هو من بابِ توكيدِ الالتزامِ الصادقِ الجادِّ الكاملِ بالإِسلام، وعدمِ التكاسُلِ والترخُّصِ في ذلك، وعدم إِسقاط شيء منه.

و«كافَّةً» في الآيةِ حال. وفي صاحبِ الحال قولان:

الأَوّل: الضمير الفاعلُ في «ادْخُلوا»، العائدُ علىٰ «الذين آمنوا»، والمعنىٰ: ادْخُلوا في الإِسلام مجموعين. أَيْ: ادْخُلوا في الإِسلام أَجمعين، لا يتَخَلَّفْ منكم أَحَد.

الثاني: كلمةُ «السِّلْمُ»، المرادُ بها الإِسلام. والمعنىٰ: ادخلوا في الإِسلام جميعه، لا تَتْرُكوا منه أَيَّ شيء.

وقد فَرَّغت الروايةُ الآيةَ من هذا المعنىٰ العامِّ الشامل، عندما قَصَرَتْها علىٰ وُجوبِ التشيُّعِ ومتابعةِ الأَئمة.

هل ركوب الأطباق تغير الأئمة؟:

١٢٢ ـ روىٰ الكلينيُّ عن زُرارةَ عن أَبي جعفر ـ محمد الباقر ـ في قوله تعالىٰ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩] **أَنَّه قال يا زُرارة: «أَوَلَمْ تَرْكَبْ هذه الأُمَّةُ بعد نبيِّها طَبَقاً عن طبق، في أَمْرِ فُلانٍ وفُلان..»** [الكافي ١: ٤١٥].

حملَ أَبو جعفر ركوبَ الأُمَّةِ طبقاً عن طبق، علىٰ تغييرها الأَمرَ في شأْنِ الولايةِ والإِمامة، فلم تجعلَ الولايةَ بعدَ النبيِّ ﷺ للوصيِّ عليٍّ ـ كما يقولُ الشيعة، إِنما حَوَّلَتْها عنه إِلىٰ أَبي بكر وعمرَ وعثمان. ويُلاحَظُ أَنَّ أَبا جعفر لم يَذكر الخلفاءَ الثلاثةَ بأَسمائِهم، وإِنما قال: «فلانٌ وفلانٌ وفُلان». من بابِ التقية.

وهذا التخصيصُ بالولايةِ والإِمامةِ مَرْدود، لأَنَّ الآيةَ أَعَمُّ من ذلك.. إِنَّها تُخاطِبُ الأُمَّة بمجموعها، علىٰ اختلافِ الزمانِ والمكان، وتُقررُ حقيقةَ تَغَيُّرِ أَحوالِها، علىٰ المستوىٰ الفرديِّ والمستوىٰ الجماعي. والمرادُ بالطبقِ في الآيةِ الحال.

معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾: لا بدَّ أَنْ تَتَغَيَّرَ أوضاعُكم من حالٍ إلىٰ حال، ولا تَبقوا علىٰ حالٍ واحدةٍ أبَداً، تتبدَّلُ أحوالُكم من فَقْرٍ إلىٰ غنىٰ، ومن مرضٍ إلىٰ صحة، ومن فُتُوَّةٍ إلىٰ كُهولة، ومن نشاطٍ إلىٰ كَسَل، ومن طاعةٍ إلىٰ معصية. . .

هل توصيل القول بتتابع الأئمة؟:

١٢٣ـ روىٰ الكلينيُّ عن عبدِ اللّه بن جندب قال: سأَلْتُ أبا الحسنِ عن قولِ اللّهِ عز وجل: ﴿۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٥١]، قال: «إمامٌ إلىٰ إمام» [الكافي ١: ٤١٥].

حَمَلت الروايةُ الآيةَ علىٰ الإمامةِ، واعتبرَتْ توصيلَ القولِ فيها بمعنىٰ تتابُع الأئمةِ، كلُّ قولٍ يوصلُ إلىٰ قولٍ آخر، بمعنىٰ: كُلُّ إمامٍ يُسَلِّمُ الإمامةَ إلىٰ الإمامِ الذي يليه!

ولا أَدري ما هو الرابطُ بين القولِ والإمام، وكيفَ صارَ القولُ هو الإمام! إنَّ هذا التفسيرَ باطلٌ ومردود، وتحريفٌ لمعنىٰ الآية.

تتحدَّثُ الآيةُ عن الوحي الذي أنزله اللّهُ علىٰ رسولِه محمدٍ ﷺ، وتَربطُ هذا الوحيَ بالرسالاتِ السابقة، لأنَّها في سياقِ الحديثِ عن الربطِ بين رسالةِ محمدٍ ﷺ ورسالةِ موسىٰ عليه السلام مِن قَبْله، قالَ تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِيَ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُۖ قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ۞ قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۞ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص: ٤٨ ـ ٥٢].

يَعودُ الضميرُ المجرورُ في «لهم» علىٰ الكفار، الذينَ أَنكروا نبوةَ محمد ﷺ، وليسَ علىٰ المسلمينَ بعدِ وفاةِ محمدٍ ﷺ. والمرادُ بالقولِ في الآيةِ الوحيُ النازلُ علىٰ محمدٍ ﷺ، وليس الإمامَ من الأَوصياء، ولا يمكنُ أن يكونَ الإنسانُ قَوْلاً!!

تُخبرُ الآيةُ أَنَّ اللّهَ وَصَّلَ القولَ للناس، وتابَعَ بين الرسالات، حتىٰ لا يَنقطعَ

الوحيُ ولا يتوقَّف، لعلَ الناس يتذكَّرون، ويَعرفونَ الحقَّ، ويتَّبعونَه. ولقد توقَّف القولُ الإلهيُ بالقرآن، وانقطعَ الوحيُ بنبوةِ محمدٍ ﷺ!

هل الأئمة منزلون من عند الله؟:

١٢٤ ـ روىٰ الكلينيُّ عن أبي جعفر ـ محمد الباقر ـ في قولِه تعالىٰ: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦] قال: إنّما عنىٰ بذلك علياً وفاطمةَ والحسنَ والحسينَ، وجَرَتْ بَعْدَهم في الأئمة.. ثم رجع القولُ من اللهِ في الناس فقال: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ (يعني الناس) بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ (يعني علياً وفاطمةَ والحسنَ والحسينَ والأئمةَ) فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍۖ﴾ [البقرة: ١٣٧] [الكافي ١: ٤١٤ ـ ٤١٦].

تَقصرُ الروايةُ الإيمانَ علىٰ إيمانِ الأئمة، وتقصرُ المُنزَّلَ من عندِ اللهِ علىٰ الإمامةِ التي أَوجبَ علىٰ المسلمين مراعاتَها، واعتبَرَها جزءاً من الدّين، كما يَزعمُ الكلينيُّ وجماعتُه!

معنىٰ «ما أُنزلَ إلينا» عندَ هذه الرواية: الإمامةُ التي أَنزلَها اللهُ علىٰ نبيِّه محمدٍ ﷺ، وخَصَّ بها علياً وفاطمةَ والحسنَ والحسينَ رضوان الله عليهم. وهذه الإمامةُ جَرَتْ في الأئمةِ من بعدهم، حتىٰ وَصَلَتْ الإمامَ الثانيَ عشر!!

ومعنىٰ «فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا»: إنْ آمَنَ النّاسُ بالإمامةِ والولايةِ والوصايةِ أنها جُزْءٌ من الدين، كما آمنَ بها عليٌّ وفاطمةُ والحسنُ والحسينُ رضوان الله عليهم ـ حَسْبَ زعمِ الرواية ـ فقد اهْتَدَوْا، وإن لم يؤمِنوا بالإمامةِ هذا الإيمانَ فإنما هم في شِقاق!!

إنَّ هذا التفسيرَ للآيةِ مردود، وإنَّ حَمْلَها علىٰ الإمامةِ باطل، ويقومُ علىٰ الهوىٰ، ولا يَتَّفقُ مع صياغةِ الآيةِ ولا معَ سياقِها..

الآيةُ في سياقِ إقامةِ الحُجَّةِ علىٰ اليهودِ والنَّصارىٰ، وربْطِ نبوةِ محمدٍ ﷺ بنبَواتِ الأَنبياءِ السابقين، وربطِ إيمانِ المسلمين من أُمَّةِ محمدٍ ﷺ بإيمانِ المسلمينَ من أَتباعِ الأَنبياءِ السابقين. قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ

﴿وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ * فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٥ ـ ١٣٧].

زعم اليهودُ والنَّصارىٰ أنَّهم وَحْدَهم المهتَدون، فَرَدَّتْ عليهم الآياتُ ببيانِ كفرهم، لأنَّهم لم يُحَقِّقوا الإيمانَ الكاملَ الصحيح، وأَمَرَت المسلمين أَن يُعلِنوا إيمانهم الكاملَ بكلِّ الأَنبياءِ والمرسلين، وكُلِّ الكُتُبِ والرسالات، وعدمِ التفريقِ بينَ الكتبِ أو الرسل، ودَعَت اليهودَ والنَّصارىٰ إلىٰ أَنْ يكونَ إيمانُهم كهذا الإيمان، فإنْ لم يكن كذلك كانوا ضالّين كافرين، مختلفينَ في شقاقٍ ونِزاع.

فالمرادُ باسْمِ الموصول في «وما أُنزلَ إلينا»: الوحيُ النازلُ علىٰ محمدٍ ﷺ، فجبريلُ نزلَ على محمد ﷺ بالقرآن، وليس بالنَّصِّ على إمامةِ عليٍّ ومَنْ بعدَه، كما تزعمُ الرواية.

ويَعودُ الفاعلُ في قوله: «فإن آمنوا» علىٰ اليهودِ والنّصارىٰ، الذين تُناقِشُهم الآيات، وتُبَيِّنُ أَنَّهم ليسوا مؤمنين حقيقة، ولا يَعودُ علىٰ المسلمين من غيرِ الشيعة، كما تزعَمُ الرواية!

ويَعودُ الفاعلُ المخاطبُ في قوله: «بمثل ما آمنتم به» علىٰ المسلمين من أُمَّةِ محمدٍ ﷺ، لأَنَّهم آمنوا بكلِّ الكتب، وبجميعِ الرسُل، فكانَ إيمانُهم الكاملُ هو النموذجَ المقتدىٰ، ولا يعودُ علىٰ أئمةِ الشيعةِ كما تزعمُ الرواية.

فلا كلامَ في الآياتِ علىٰ الإمامةِ والوصاية، ولا علىٰ الأَئمةِ والأَوصياء! لكنَّ المشكلةَ عند رواياتِ الكلينيِّ أَنَّها تُوَجِّهُ الآياتِ لتشْهدَ لفكرةِ الإمامةِ والأَئمة، التي لم تَصِحَّ ولم تثبت.

هل «من بلغ» هو الإمام؟:

١٢٥ ـ روىٰ الكلينيُّ عن مالكِ الجهنيِّ قال: قلتُ لأَبي عبدِ اللّه عن قولِه تعالىٰ: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]. قال: «مَنْ بَلَغَ أَنْ يكونَ إماماً مِنْ آلِ محمد، فهو يُنْذِرُ بالقرآن، كما أَنْذَرَ به رسولُ اللّه ﷺ» [الكافي ١: ٤١٦].

توجِّهُ الروايةُ الآية لتكونَ شاهدةً للإمامةِ والأئمة، كما هو الشأنُ في روايات الكلينيِّ التفسيرية.

«مَنْ بَلَغَ»: حسبَ الروايةِ هو الإمام، وهو يبلغُ ويَصِلُ إلىٰ أَنْ يكونَ إماماً، فإذا كانَ إماماً اقتربَ من مرتبةِ النبوة، فأَنذرَ بالقرآنِ، كما أَنذرَ به رسولُ اللّه ﷺ. وعلىٰ هذا التفسير تكون الواو في «ومَنْ بَلَغَ» حرفَ عَطْف، ويكونُ اسمُ الموصولِ «مَنْ» في محلِّ رفْع، لأَنَّه معطوفٌ علىٰ الفاعِلِ لفعلِ «لأُنذِرَكم»، الذي هو ضميرٌ مستترٌ تقديرُهُ «أَنا»، ويعودُ علىٰ رسولِ اللّه ﷺ، والمفعولُ به لفعل «بَلَغَ» محذوف، تقديرُهُ «الإمامةَ».

ومعنىٰ الجملةِ علىٰ هذا الفهمِ العجيب: أُوحيَ إِليَّ هذا القرآنُ، وأَنا أُنذركُم به، ويُنذركُم به مِنْ بَعدي كُلُّ مَنْ بَلَغَ مرتبَةَ الإمامةِ، وكان إماماً!!

وهذا التفسيرُ مردود، وحصْرُ الآيةِ بالإمامِ باطل، لا يتفقُ مع صياغَةِ الآيةِ وتَعبيرِها ومعناها.

الآيةُ هي: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ . .﴾ [الأنعام: ١٩].

تتحدَّثُ الآيةُ عن إثباتِ الوحيِ والنبوةِ، وشهادةِ اللّهِ لرسولِه ﷺ، وإثباتِ أَنَّ القرآنَ كلامُ اللّه، ومهمَّةِ الرسولِ ﷺ في الدعوةِ والإنذارِ والتبليغ.

وتعرضُ الآيةُ دائرتَيْنِ لدعوةِ الرسولِ ﷺ:

الدائرةُ الأُولىٰ: قومُه الموجودون معه في مكة وما حولَها: «لأُنذركم به»، فالضميرُ المتصلُ «كُم» في محلِّ نصبِ مفعولٍ به، وهو يعودُ علىٰ قومِه.

الدائرةُ الثانية: الناسُ الآخرون، الذين لم يُشاهدوا رسولَ اللّه ﷺ، أَولم يُدركوهُ، وإنما وُلِدوا وعاشوا بعدَ وفاتِه، ويمثلُهم في الآيةِ عبارةُ «ومَنْ بلغ»، فالواوُ في العبارةِ حَرْفُ عطف، واسْمُ الموصول «مَنْ» معطوفٌ علىٰ المفعولِ في «أُنذركم»، وفاعلُ «بَلَغَ» يَعودُ علىٰ «القرآن»، ومَفعول «بَلَغَ» يعودُ علىٰ «مَنْ». وبهذا يكونُ معنىٰ جُملةِ «لأُنذركم به ومَنْ بَلَغَ»: أُنذركم بالقرآن، وأُنذرُ مَنْ بَلَغَهُ هذا القرآنُ.

ومعنىٰ: بَلَغَه القرآنُ: وَصَلَتْه الدعوةُ، وقُدِّمَ إليه القرآنُ. فالبلوغُ بمعنىٰ الوصول، والذي يبلغُ ويَصلُ هو القرآنُ، الذي يُقَدِّمُه الدعاةُ إلىٰ النّاس.

إنَّ هذه الآيةَ نَصٌّ علىٰ عُمومِ رسالةِ الرسولِ ﷺ إلىٰ الناس جميعاً، وعلىٰ وُجوبِ إيصالِ القرآنِ إلىٰ الناسِ جميعاً!!

وهذا المقصدُ المهمُّ والهدفُ المنشودُ تُضَيِّعُهُ روايةُ الكلينيّ، عندما تَحملُ البلوغَ علىٰ الإمامة، وتَقْصُرُ الإنذارَ علىٰ الإمامِ وَحْدَه!!

ولكنَّ الرواة الذينَ يَروي عنهم الكلينيُّ يُريدونَ حملَ كُلِّ الآياتِ علىٰ الإمامةِ والأئمة، ويَحكُمُهم في ذلك الهوىٰ والمزاج، إضافةً إلىٰ جهلهم بقواعدِ اللغةِ العربية، وعدمِ تَذَوُّقِهم إعجازَ القرآن، وروعةَ أساليبِ البيانِ فيه..

هل عهِدَ الله لآدم بإمامة الأئمة؟:

١٢٦- روىٰ الكلينيُّ عن أبي جعفر - محمد الباقر - في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥]، قال: «عَهِدْنا إليه في محمد، والأئمةِ من بعدِه، فتَرَكَ، ولم يَكُنْ له عَزْم.. وإنما سُمِّيَ أُولو العزمِ أُولي العزم، لأنَّه عَهِدَ إليهم في محمدٍ، والأوصياءِ من بعدِه، والمهديِّ وسيرتِه، وأَجمعَ عزمُهم علىٰ أَنَّ ذلك كذلك، والإقرارِ به..» [الكافي ١: ٤١٦].

تُريدُ هذه الروايةُ العجيبةُ أَنْ تَرْبطَ الإمامةَ والأئمةَ بآدمَ أَبي البشر عليه السلام، وهذا كلامٌ خرافيٌّ فاقِدٌ للعلمِ والدليل، والمنهجيةِ والعقلانية، ولا تكتفي الروايةُ بذلك، إنما تُفَسِّرُ الآيةَ بهذه الخرافةَ!

قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾. ومعنىٰ الآيةِ حسبَ الرواية: عَهِدَ اللّه إلىٰ آدم أَنّه سيجعَلُ من نَسْلِه محمداً نبياً ﷺ، وسيجعلُ الأَئمةَ من بعدِه يَحكمونَ أُمّته! ثم تَرَكَ آدمُ هذا العَهْدَ، ولم يَقُلْ بالولاية، وبذلك فقدَ العزمَ والعزيمةَ والهِمَّة، وبذلك صارَ مُؤاخَذاً!

وتُبالغُ الروايةُ في الادِّعاءِ والافتراء، وتحريفِ المعاني والمصطلحاتِ القرآنية،

فتقدِّمُ تفسيراً باطِلاً لمصطلحِ «أولي العزم» من الرسل، يتفقُ مع نظرتهم الخاصّةِ للأئمةِ والإمامة.

لماذا سُمّيَ هؤلاء الرسلُ بأُولي العزمِ من الرسل؟ تَقولُ الروايةُ العجيبة: لأنَّ اللّه عَهِدَ إليهم بشأنِ محمدٍ ﷺ، والأوصياءِ والأئمةِ من بعده، وأَمَرَهم بالإيمانِ بهم، فنَفَّذوا عَهْدَ اللّه وأَمْرَه، وآمنوا بهم، وقويَ عَزْمُهُم علىٰ ذلك، بخلافِ آدم!

إنَّ هذا كلامٌ باطل، ناتجٌ عن الهوىٰ والجهل، ولا يوجَدُ عليه أيُّ دليلٍ نقليٍّ صحيحٍ، أو عقليٍّ سَليم.

إذا كانتْ فِكرةُ الإمامةِ وتَعيينِ الأئمة من عندِ اللّهِ مَرفوضةً إسلامياً، عند جُمهورِ المسلمين، فكيف تجعلُها الروايةُ مرتبطةً بالأنبياءِ والرسالات؟ وكيفَ يَأْمُرُ اللّهُ الرسُلَ السابقين جميعاً بالإيمانِ بالأئمة؟ اللّهُمَّ إنَّ هذا كلامٌ باطل!!

الراجحُ أَنَّ معنىٰ قولِه تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾: أَمَرْنا آدمَ بعدمِ الأكلِ من الشجرة، وعَهِدْنا إليه بذلك، ولكنَّه نسيَ هذا العهدَ، وأَكَلَ من الشجرةِ ناسياً، ولم نَجِدْ له عَزماً ولا قَصْداً ولا تَصميماً علىٰ الأكلِ من الشجرة. أيْ أنَّه أَكَلَ منها ناسياً، ولم يكنْ قاصِداً مخالَفَةَ أَمْرِه، ولا عازِماً عليه..

أمّا أُولو العزمِ من الرسل، فقد وَرَدَ ذكرُهم في قولِه تعالىٰ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

والعزمُ من العزيمة، وهي قوةُ الإرادةِ والتحمُّلِ والصبرِ والثَّباتِ. ومَدَحَهم اللّهُ لصَبْرِهم، وأَمَرَ نبيَّه ﷺ أنْ يَقتديَ بهم في الصَّبر، ومعلومٌ أنَّ الصبرَ مرتبطٌ بالعزيمة.

وأُولو العزمِ من الرسل خَمسة، مَذكورونَ في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ..﴾ [الأحزاب: ٧].

تحريف صريح لآية قرآنية!!:

ونعودُ إلىٰ رواياتِ الكلينيِّ العجيبة، لنسجِّلَ هذه الروايةَ الأعجبَ من سابقتِها في إثباتِ نسيانِ آدمَ ونفيِ العزمِ عنه.

رَوىٰ عن أَبي عبدِ اللّه ـ جعفر الصادق ـ قولَه: «ولقد عهدنا إلىٰ آدم من قَبْلُ . . . كلماتٍ في محمدٍ وعليٍّ وفاطمةَ والحسنِ والحسين، والأئمةِ من ذريتِهم، فَنَسيَ» . . هكذا واللّهِ نزلَتْ علىٰ محمدٍ ﷺ»!! [الكافي ١: ٤١٦].

وهذا تحريفٌ للآية، وإضافةُ كلامِهم إلىٰ كلامِ اللّه . . ثم القَسَمُ والحَلْفُ باللّهِ بأنَّ هذا هو نصُّ الآية، التي أنزَلَها اللّهُ علىٰ رسولِه ﷺ. وليسَ نَصَّها الموجودَ في القرآن!!

أَنقُلُ هذا النَّصَّ بالحرف، كما هو في كتاب «الكافي»، وأُقَدِّمُه للقُرّاء بدونِ تعليق، وأدعوهم إلىٰ المقارنةِ بين آيةِ القرآنِ وآيةِ «الكافي»!!! والباقي عندهم!!!

هل علي هو الصراط المستقيم؟:

١٢٧ - روى الكلينيُّ عن أبي جعفر ـ محمد الباقر ـ قال: «أوحى الله إلى نبيّه ﷺ ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: ٤٣] أي: إنك على ولايةِ عليٍّ، وعليٌّ هو الصراطُ المستقيم» [الكافي ١: ٤١٧].

ماالذي أوحى اللهُ بِهِ إليه؟ إنَّه النَّصُّ على ولايةِ عليٍّ منْ بَعده، وعليه أَنْ يَستمسكَ بذلك ولا يتراجَعَ عنه!! وما هو الصراطُ المستقيمُ؟ إنَّه عليُّ بنُ أبي طالبٍ ـ رضي الله عنه ـ!! وعلى هذا التفسيرِ الفريدِ يكونُ معنى جملة «إنك على صراط مستقيم»: أنت ثابتٌ على ولايةِ عليٍّ، لم تُغيِّرْ ذلك ولم تُبدِّلْه!!

ونبرأُ إلى اللهِ من هذا التحريفِ المتعمَّدِ لمعاني القرآن.

المرادُ بالوحيِ في الآيةِ القرآنُ. ومعنى قولِه ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾: اثْبُتْ على القرآن، وتمسَّكْ واستمسِكْ واعتَصِمْ به.

ويُطَمْئِنُ اللهُ رسولَه ﷺ بأنَّه على الحَقِّ، فيقولُ له: ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ والمرادُ بالصراطِ المستقيمِ هنا الإسْلامُ كُلُّه.

وهذه الآيةُ كقولِه تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١].

* * *

مزاعم بنزول آيات في علي والأئمة من بعده

هل نزلَت آياتٌ قرآنيةٌ فيها اسمُ عليٍّ رضي اللهُ عنه صريحاً؟ وما هي تلك الآيات؟

عندَ الكلينيِّ في رواياتِه: نَعَمْ! هُناك آياتٌ نزلَ بها جبريلُ على رسولِ اللهِ ﷺ، فيها اسمُ عليٍّ صراحَةً!! لِنقرأْ هذهِ الآياتِ في «الكافي»، ونُقارِنْها بما وَرَدَ في القرآن.

اسم علي في آية (٩٠) من سورة البقرة!!:

١٢٨ - روى الكلينيّ عن أبي جعفر - محمد الباقر - قال: نزَلَ جبريلُ بهذِه الآيةِ على محمدٍ ﷺ هكذا: «بِئْسَما اشْتَرَوا به أَنْفُسَهم أَنْ يكفُروا بما أَنزلَ اللهَ في عليٍّ بَغْياً» [الكافي ١ : ٤١٧].

والآيةُ هكذا: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [البقرة: ٩٠].

فأَضافَتْ روايةُ الكلينيّ كلمةَ «في عليٍّ» على الآية، ومَزَجَتْ كلامَ اللهِ بكلامِهم، وزَعَمَتْ أنَّ هذا قرآن.

والآيةُ لا تتكلمُ عن المسلمين، ولا عن عليٍّ رضي الله عنه، وإنما تتكلمُ عن اليهودِ وكفرِهم وعنادِهِمْ، وتَذُمُّهم لأنهم كفَروا بالقرآن، بَغْياً على المسلمين، وحسَداً لهم..

اسم علي في آية (٢٣) من سورة البقرة!!:

١٢٩ - روى الكليني عن جابرٍ قال: «نزل جبريلُ بهذه الآيةِ على محمدٍ ﷺ هكذا: «وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا في علي فأتوا بسورة من مثله» [الكافي ١ : ٤١٧].

الآيةُ هكذا: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣].

أضافت الروايةُ كلمةَ «في عليٍّ» على الآية، وزَعمتْ أنَّ جبريلَ أنزلَ اسمَ عليٍّ فيها على رسولِ اللّه ﷺ، ولكنَّ الصحابةَ لما مَنَعوا علياً حقَّه حَذَفوا هذه الكلمة!!

وزعمت الروايةُ أنَّ اللّهَ أَنزلَ على محمدٍ ﷺ آياتٍ من القرآن تنُصُّ على تعيينِ عليٍّ أَميراً للمؤمنين. وهذا باطل.

الخطابُ في الآيةِ للكافرين، الذين يُنكرون كونَ القرآنِ من عندِ اللّه، يتحدّاهم اللهُ، ويطلبُ منهم الإتيانَ بسورةٍ من مثل القرآن، في الفصاحةِ والبيان...

اسم علي في آية (٤٧) من سورة النساء!!:

١٣٠ ـ روى الكلينيُّ عن أبي عبدِاللّه ـ جعفر الصادق ـ قال: نزَلَ جبريلُ على محمدٍ ﷺ بهذه الآية هكذا: «يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا في عليٍّ نوراً مبيناً» [الكافي ١: ٤١٧].

في هذه الرواية خَطَآنِ كبيران:

الخطأُ الأَول: إضافَةُ كلمةِ «في عليٍّ» على القرآن، وهي من وضعِ أصحابِ الرواية.

الخطأُ الثاني: الخطأُ في كتابةِ الآية، فلا توجدُ آيةٌ في القرآنِ بهذا اللفظ، فكيفَ زعَمت الروايةُ أنها آيةٌ أُنزلَتْ بهذا اللفظِ على رسولِ اللّه ﷺ؟

الجملةُ الأولى: «يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا» جُزْءٌ من قولِ اللهِ عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [النساء: ٤٧].

والجملة الثانية: «نوراً مبيناً» جزءٌ من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١٧٤].

اسم علي في آية (٦٦) من سورة النساء!!:

١٣١ ـ روى الكلينيُّ عن أبي جعفر ـ محمد الباقر ـ أنه قال: قال الله «ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به في علي لكان خيراً لهم...» [لكافي ١: ٤١٧].

أضافت الروايةُ على الآيةِ كلمةَ «في عليٍّ». والآيةُ هي: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النساء: ٦٦].

تُثْني الآيةُ على فريقٍ من المؤمنينَ الملتزمين، وتشهدُ لهم على حرصِهم على تنفيذِ كُلِّ أوامرِ الله، مهما كانَتْ شاقّة، حتى لو أَمرهم اللهُ بقَتْلِ أنفسِهم أو الخروجِ من ديارِهم، وهم لم يَفْعَلوا ذلك إلّا لقوةِ إيمانِهم. . .

وتدعو الآيةُ باقي المؤمنين إلى الاقتداءِ بهذا الفريقِ المتميِّز منهم، وتُخبرُهم أنهم لو فَعلوا ما يوعَظونَ به من اللهِ لكانَ خيراً لهم، والذي يوعَظونَ بهِ عامٌّ، يَشمَلُ كُلَّ أوامرِ اللّه وأحكامِهِ، بدلالةِ اسمِ الموصولِ «ما» في الجملة!

هل الآخرة هي ولاية علي؟:

١٣٢ـ روى الكلينيّ عن المفضَّلِ بن عمر قال: قلتُ لأَبي عبدِالله ـ جعفرِ الصادق ـ في قولِه تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾. قال: في ولايَتِهم: ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ قال: ولايةُ أميرِ المؤمنين. . . [الكافي ١: ٤١٨].

جعلت الروايةُ الخطابَ في قولِه تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى: ١٦ ـ ١٧] للصحابة، بعدَ وفاةِ رسول الله ﷺ، وجعلت الآيةَ ذَمّاً لهؤلاءِ الصحابة، لأنهم لم يُبايِعوا عليّاً رضي الله عنه أميراً عليهم. . . إيثارُ الصحابةِ للحياةِ الدنيا عندما بايَعوا أبا بكر وعمرَ وعثمانَ رضي الله عنهم، وكان عليهم أن يُبايِعوا عليّاً رضي الله عنه، لأنه هو الآخرة، وهو خيرٌ وأبقى لهم!!

خطابُ الكافرين في الآية جعلَتْه الروايةُ خطاباً للمسلمين، وهذا باطل. و«الحياةُ الدنيا» عامَّةٌ تشملُ كلَّ ما في الدنيا، ولكنَّ الروايةَ خصَّصَتْها بخلافةِ أبي بكرٍ وعمرَ وعثمان، وهذا باطل!! و«الآخرةُ خيرٌ وأبقى» يُرادُ بها الدارُ الآخرة، وهي المقابِلةُ للحياةِ الدنيا، ولكن الآية خصَّصَتْها بولايةِ عليٍّ، وهذا باطل!!

هل رفض الصحابة ولاية علي؟!:

١٣٣ ـ روى الكليني عن أبي جعفر ـ محمد الباقر ـ قال: «أفكلما جاءكم (محمدٌ) بما لا تهوى أنفسكم (بموالاة علي) فاستكبرتم، ففريقاً (من آلِ محمدٍ) كذبتم، وفريقاً تقتلون» [الكافي ١: ٤١٨].

الآيةُ التي حَرَّفَت الروايةُ مَعْناها هي قولُ اللهِ عز وجل: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧].

لا تتحدَّثُ الآيةُ عن ولايةِ عليٍّ رضي الله عنه، وإنما تتحدَّثُ عن اليهودِ وموقفِهم السَّيِّىء من الأنبياء، وتعامُلِهم معهم بالهوى، فكلما جاءَهم رسولٌ بما لا تهوى أنفُسُهم لم يَقْبَلوا دعوتَه، وكَذَّبوا فريقاً من الرسل، وقَتَلوا فريقاً آخر..

وتُحوِّلُ الروايةُ العجيبةُ الآيةَ من كونِها خطاباً لليهود، وتَجعلُها خطاباً للمسلمين المخالفين للشيعة، وهذا مرفوضٌ في علْمِ التفسير..

وتوظِّفُ الروايةُ الآيةَ لتكون دَليلاً على النَّصِّ على ولايةِ علي رضي الله عنه، وذَمّاً للذينَ لم يَختاروهُ أميراً عليهم، بعدَ وفاةِ رسولِ الله ﷺ! وهذا باطل!

يقولُ اللهُ لليهود: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ وجعلَتْها الروايةُ خِطاباً للمسلمين من غيرِ الشيعة: أفكلَّما جاءَكم رسولُنا محمدٌ بما لا تَهوى أنفسُكم، وأَمَرَكم بموالاةِ عليٍّ، وتَنْصِيبِه أميراً عليكم، هو وذريتُه من الأئمةِ من بعده، استكبرتُم ورفضتُم، وكَذَّبْتُم فريقاً من الأئمةِ من آلِ محمدٍ، وقتلْتُم فريقاً آخرَ منهم!! وهذا فهمٌ باطلٌ للآية، واستشهادٌ بها مردود..

هل دعا الرسول إلى ولاية علي؟

١٣٤ ـ روى الكليني عن الرضا ـ الإمام الثامن أبي الحسن علي الرضا ـ قال: في قول الله عز وجل: «كَبُر على المشركين بولايةِ عليٍّ ما تَدعوهم إليه يا محمد، من ولايةِ عليّ» هكذا في الكتابِ مخطوطَة!!» [الكافي ١: ٤١٨].

نَصُّ الآيةِ هو: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣].

الآيةُ تَذُمُّ المشركينَ بالله، المكَذِّبين للنبيِّ ﷺ، لأَنهم كفَروا وأَشْرَكوا بالله، ورَفَضوا دعوةَ النبيِّ ﷺ لهم إِلى توحيدِ الله. . .

وتُحَوِّلُ الروايةُ الآيةَ عن موضوعِها وسياقِها وحديثِها عن المشركين الكافرين، وتُنَزِّلُها على مخالِفي الشيعةِ من المسلمين، وتعتبرُ هؤلاءِ المسلمينَ المخالفينَ مشركين، لأَنهم أَشركوا بولايةِ عليٍّ التي أنزلَها اللهُ في القرآن، ولايةَ أبي بكر وعمر وعثمان، وهم بشركهم هذا كفارٌ مخلَّدون في النار!

وحَصرت الروايةُ العجيبةُ دعوةَ الرسولِ ﷺ لأُمَّتِه، بدعوتِهم إِلى مبايعةِ عليٍّ أميراً عليهم، ولكنَّهم رفضوا هذه الدعوة!!

هكذا يتلاَعَبونَ بالآياتِ، ويُحَرِّفونَ معناها، ويُحَرِّفونَ كلماتِها أَحياناً، ويَزعمونَ أَنهم أحاطوا بكُلِّ شيءٍ علماً!!

هل هدى الله إلى ولايةِ علي؟:

١٣٥ - روى الكليني عن أبي عبدِالله - جعفر الصادق - في قولِ اللهِ عز وجل: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣] قال: إذا كانَ يومُ القيامة، دُعِيَ بالنبيِّ ﷺ، وبأَميرِ المؤمنين، وبالأئمةِ من ولدِهِ، فيُنْصَبونَ للنَّاس، فإِذا رأَتْهم شيعتُهم قالوا: الحمدُ للهِ الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أَنْ هدانا الله» أَيْ: هدانا اللهُ في ولايةِ أميرِ المؤمنين والأَئمةِ من بعدِه!» [الكافي ١: ٤١٨].

تُخَصِّصُ الروايةُ الحامِدينَ لربِّهم يومَ القيامةِ بالشيعةِ، الذينَ يُدخلُهم اللهُ الجنةَ وحدَهم، أَمّا غيرُهم من المسلمين فلا يَدخلونَ الجنةَ لأَنهم أَشركوا بولايةِ عليٍّ غيرَه!! وتُخصصُ الأَمْرَ الذي حَمدوا اللهَ عليه بأنه الذي هَداهم اللهُ إليه في الدنيا، من الإيمانِ بولايةِ عليٍّ رضيَ الله عنه، والأَئمةِ من بعده. .

وهذا تخصيصٌ باطل، قائمٌ على الهوى والجهل، لأنَّ الآيةَ تتحدَّثُ عن المؤمنينَ الفائزين وتَنَعُّمِهم في الجنة، حيثُ يَحمدونَ اللهَ على ما هَداهم إليهِ من الإيمانِ والإسلام والعمل الصالح.

قالَ تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ * وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٢ ـ ٤٣].

هل ولاية علي هي النبأ العظيم؟:

١٣٦ ـ روى الكلينيُّ عن عبدِالله بن كثير قال: سأَلْتُ أَبا عبدِالله ـ جعفر الصادق ـ عن قولِه تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ * عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [النبأ: ١ ـ ٢] فقال: النبأُ العظيمُ هو الولاية. وسأَلْتُه عن قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾ [الكهف: ٤٤] فقال: هي ولاية أمير المؤمنين» [الكافي ١: ٤١٨].

الذين يتساءَلون هم المشركون، وتَساؤُلُهم تَساؤُلُ إنكارٍ وتكذيب، وليسوا المسلمين من غير الشيعةِ كما تقولُ الرواية.

والنبأُ العظيمُ الذي تَساءَلَ عنهُ المشركونَ هو الوحيُ إلى محمدٍ ﷺ، وإنزالُ القرآنِ عليه، وليس هو ولايةَ عليٍّ رضي الله عنه.

وكانوا مختلفين في القرآنِ النبإِ العظيم، حيثُ أَيقنَ المسلمونَ منهم أَنه كلامُ الله، وآمَنوا به، وأَنكرَ الكافرونَ منهم هذا، فكفروا به.

فلا كلامَ في الآياتِ عن عليٍّ رضي الله عنه.

والولايةُ في قولِه تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾ هي اتخاذُ اللهِ وليّاً وناصِراً وحفيظاً، وليستْ ولايةَ عليٍّ رضي الله عنه.

إنَّ الآيةَ خاتمةُ آياتٍ من سورةِ الكهف [٣٢ ـ ٤٤] تحدثَتْ عن قصةِ صاحبِ الجنتَيْن الكافر، الذي اعتدَّ بجنَّتَيْه، واعتمدَ عليهما، ولم يَسْتجبْ لنُصْحِ صاحبِهِ

المؤمن، الذي دعَاهُ إلى الإيمانِ باللهِ والاعتمادِ عليهِ.. ولما دَمَّرَ اللهُ جنَّتَيْه ندمَ على خسارتِه، ولم يدفَعْ أَحَدٌ عنه عذابَ الله. قالَ اللهُ عن ذلك الكافر: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا * وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا * هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف: ٤٢ ـ ٤٤].

فالآيةُ تُعقبُ على خسارةِ الرجلِ لجنَّتَيْه، وتُقررُ أنَّ مَنْ والى غيرَ اللهِ واعتمدَ عليه كان خاسِراً، وتقصرُ الولايةَ على اللهِ وحْدَه، فهو الذي يَحفظ كُلَّ مَنْ والاهُ واعتمدَ عليه! فلا ذكْرَ لعليٍّ، ولا لموالاةِ عليٍّ، ولا لاتخاذِه وليّاً... لكنَّهم جيَّروا كلمةَ: «الولاية» لتكونَ شاهدةً لهم.

العجبُ في مخالفة الكلينيِّ وجماعتِه ما تُقررُه الآية. فاللهُ يقول: هنالك الولايةُ للّه الحق. وهم يقولون: هنالك الولايةُ الحقَّةُ لأميرِ المؤمنين عليٍّ...

هل الولاية هي الدين؟:

١٣٧ ـ روى الكلينيُّ عن أبي جعفر ـ محمد الباقر ـ: «في قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ [الروم: ٣٠]. قال: هي الولاية» [الكافي ١: ٤١٩].

يأمُرُ اللهُ نبيَّه محمداً ﷺ ـ وكلَّ مسلمٍ من بعدِه ـ أَنْ يُقيمَ وجْهه للإسلام، وأنْ يكونَ مخلصاً للّه، ويُخبرُه أنَّ الإيمان باللهِ وتوحيدَه والتوجُّه واللجوءَ إليهِ فطرةٌ إلهية، فطرَ اللهُ الناسَ عليها، لا تُغيَّرُ ولا تُبدَّلُ، وهي موجودَةٌ في كُلِّ دينٍ من عندِ الله. قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

ويَجعلُ الكلينيُّ وجماعتُه الكلامَ في الآيةِ على ولايةِ عليٍّ ومَنْ بعدَه، ويُخصِّصون الدينَ في الآيةِ بالولاية، ويقْصُرونَ مَنْ أقامَ الدينَ حنيفاً بمن اتَّخذَ علياً وحْدَه وليّاً! ولا إشارة في الآية لهذا المعنى الغريبِ عن القرآن!!

هل موازين يوم القيامة هم الأئمة؟:

١٣٨ - روى الكلينيُّ عن أَبي عبدِالله - جعفر الصادق - في قولِه تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧] قال: هم الأنبياءُ والأَوْصياء» [الكافي ١: ٤١٩].

يرى الكلينيُّ أَنَّ الموازينَ التي يضعُها وينصِبُها اللهُ يومَ القيامةِ هم الأَنبياءُ والأَوصياءُ من أَئمَةِ الشيعة، ويَزِنُ بهم أَعمالَ وأَقدارَ الناسِ في ذلك اليوم!

وهذا فهمٌ خاطىءٌ وتفسيرٌ مردود.

الموازينُ التي يضعُها اللهُ للناسِ يومَ القيامةِ موازينُ لوزْنِ الأَعمال، ولكلِّ ميزانٍ كفَّتان: واحدةٌ للحَسَنات، والثانيةُ للسيئات. وهناكَ مَنْ تَثْقُلُ موازينُه وترجُح حسناتُه فيدخلُ الجنة، وهناك مَنْ تَخِفُّ موازينُه وتثقلُ سيئاتُه فيخْسَر..

قالَ تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]. وقال تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۞ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٨ - ٩].

إنها موازينُ المؤمنينَ، تثقلُ بالحَسَنات فيفوزون، وموازينُ الكافرين تَخِفُّ بالسيئاتِ فيَخسرون، وهذا رَدٌّ لزعمِ روايةِ الكلينيّ من جعْلِ النبيِّ أو الوصيِّ ميزاناً، ولا أدري كيف سيكونُ ميزاناً!!

هل طلبوا تبديل علي بعلي آخر؟!

١٣٩ - روى الكلينيّ عن المفضَّلِ بن عمر قال: سأَلْتُ أَبا عبدِالله - جعفر الصادق - عن قولِ الله: «ائتِ بقرآنٍ غيرِ هذا أو بدِّلْه». قالوا: أو بدِّلْ علياً» [الكافي ١: ٤١٩].

المعنى على هذه الرواية: غَيِّر القرآنَ، أَو بَدِّلْ عَلِياً، وهاتِ قرآناً آخرَ، وهاتِ ولياً ووصياً آخرَ غيرَ عليٍّ!

ولا أدري ما دَخْلُ عليٍّ في الآية، ولا إشارةَ فيها قريبةً أَو بعيدةً لعليٍّ رضي الله

عنه، وكيفَ يُبَدِّلُ علياً بعليٍّ آخر؟!

قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: ١٥].

الكلامُ في الآيةِ عن تكذيبِ الكفارِ بالقرآن، فعندما سَمِعُوا آياتِ القرآنِ من رسولِ الله ﷺ لم تُعجبْهم، ولم يَعْتَرفوا أنها من عندِ الله، وطَلَبوا من الرسولِ ﷺ تغييرَها أو تبديلَها.

طَلَبوا من الرسولِ ﷺ أَحَدَ طَلَبَيْن: إمَّا أَنْ يُغَيِّرَ القرآنَ كُلَّه، ويأْتيَ بقرآنٍ آخرَ غيرِه، ولا أدري كيفَ يطلبونَ منه تقديمَ قرآنٍ آخر! وإمّا أَنْ يُبَدِّل في سُوَرِ القرآنِ وآياتِهِ، فيُقَدِّمَ ويُؤَخِّرَ، ويَزيدَ ويُنقِص.

وقد رَدَّ على طلبِهم بأَنه لا يُمكنُ أَنْ يُغيِّرَ أو يُبَدِّلَ في القرآن، لأَنه يَتبع ما يوحي به اللهُ إليه، ويُبَلِّغُهم إياه.

فالضميرُ المفعولُ به في «أَوْ بدِّلْهُ» يَعودُ على القرآن، أَيْ: أَوْ بدِّل القرآنَ... ويستحيلُ لغةً وشرعاً وعَقْلاً أن يَعودَ على عليٍّ رضي الله عنه!!

هل المصلّون هم أتباع الأئمة فقط؟!؟:

١٤٠ - روى الكلينيّ عن إدريس بنِ عبدِالله قال: سأَلْتُ أَبا عبدِالله عن معنى قولِه تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ۞ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر: ٤٢ - ٤٣]. قال: معناها: لم نكُ من أَتباعِ الأَئمةِ، الذين قالَ اللهُ فيهم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۞ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١٠ - ١١]. أَما ترى الناسَ يُسَمّون الذي يلي السابِقَ في الحَلْبَة «مُصَلِّي»! فذلك الذي عنى حيثُ قال: «لم نكُ من المصلِّين». أيْ: لم نَكُ من أَتْبَاعِ السابقين!» [الكافي ١: ٤١٩].

السابقون ليسوا الأَئمةَ وحْدَهم، وإنما هم كلُّ مَن انطبقَت عليهم الصفاتُ المذكورةُ في الآيات ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۞ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۞ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۞ ثُلَّةٌ مِّنَ

ٱلْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ١٠ ـ ١٤]. وهؤلاء السابقونَ المقرَّبون مجموعةٌ كبيرةٌ من الأوَّلين، وهم الصحابة ـ والأئمة ليسوا من الصحابة ـ وقليلٌ من الآخرين. ولعلَّ الأئمةَ يدخلونَ ضمنَ قولِه: ﴿وقليلٌ من الآخِرين﴾.

الخطأُ الكبيرُ في الروايةِ تفسيرُ المصَلِّين في الآيةِ بأَتْباعِ الأئمة!

الصَّلاةُ عندَ إِطْلاقِها في القرآن، تنصرفُ إلى الصلاةِ المعروفةِ المعهودة، التي هي: أقوالٌ وأفعالٌ، مفتتحةٌ بالتكبير، مختتمةٌ بالتسليم.

و«المصَلّونَ» في القرآنِ مصطلحٌ خاص، لم يُطلَق إلاّ على الذين يُؤدّونَ الصَّلاة. ولم يَرِدْ هذا المصطلَحُ بمعنى الأَتْباع، فتفسيرُ الرواية «لم نكُ من المصلِّين» بمعنى: لم نكن من أتباعِ الأئمةِ الأوصياء، باطلٌ ومردودٌ، وخطأٌ وتحريف، والذي حَمَلَ عليهِ هو الغلوُّ والمبالغة، والمزاجُ والهوى.

ولو صَحَّ هذا التفسيرُ ـ ولنْ يكونَ صحيحاً ـ فسيكونُ كلُّ المسلمين من غير الشيعة مُعَذَّبين في النار، وداخلين في سَقَر، من الصحابة والتابعين والعلماءِ والفقهاء!!

ثمَّ إنَّ سياقَ الآياتِ يَرفضُ هذا التفسيرَ المحَرَّفَ للآية. قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ * فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ * عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ * قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ * حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ﴾ [المدثر: ٣٨ ـ ٤٧]. إن الذي أدخلَ المجرمين في سَقَر، هو تركُهم الصلاة، وتركُهم إطعام المسكين، وخوضُهم بالباطل، وتكذيبُهم بيومِ الدين. أي: أنَّهم كفار.

هل الطريقة هي ولاية الأئمة؟:

١٤١ ـ روى الكليني عن أبي جعفر في قول الله: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦] قال: لأَشْرَبْنا قلوبَهم الإيمانَ، والطريقةُ هي ولايةُ عليٍّ والأَوصياءِ من بعده» [الكافي ١: ٤١٩].

الطريقةُ هي الإسلام، والاستقامةُ على الطريقةِ تكونُ بالالتزامِ الجادِّ الكاملِ

بالإسلام ولا يَجوزُ حَصْرُ الطريقةِ في الآيةِ بولايةِ عليٍّ ومَنْ بعدَه من الأَئمة.

والمستقيمونَ على الطريقةِ، الملتزِمونَ بالإسلام يَنالونَ الخيرَ من الله، حيثُ يُوَسِّعُ لهم في الرزق، ويسقيهم الماءَ الغَدَقَ الكثير، ولا يَصحُّ تفسيرُ ﴿لَأَسْقَيْنَاهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ بمعنى: أَشرَبْنا قلوبَهم الإيمانَ بالإمامةِ والولاية!!

هل الاستقامة خاصة بالإمامة؟:

١٤٢ - روى الكلينيُّ عن محمد بن مسلم قال: سأَلْتُ أَبا عبدِالله - جعفر الصادق - عن قولِ اللهِ عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ [فصلت: ٣٠] **فقال: هم الذينَ اسْتَقاموا على الأَئمةِ واحداً بعدَ واحد»** [الكافي ١: ٤٢٠].

تُثني الآيةُ على المؤمنينَ المستقيمينَ على شرعِ الله، الملْتَزمينَ بأَمْرِ الله، حيثُ يُنزلُ الله عليهم الملائكةَ عندَ احتضارِهم، تُبَشِّرُهم بالجنَّةِ.

وفعلُ «استقاموا» عامّ، بدليلِ حذفِ ما تَعَلَّقَ بِهِ الفعْلُ، فلم تَذكر الآيةُ ما الذي استقاموا عليه، وهذا العمومُ مَقْصود، لتشملَ الاستقامةُ كُلَّ ما أمرَ المؤمنين الاستقامةَ عليه، في كافةِ مجالاتِ الحياة.

وكم تُخطىءُ روايةُ الكلينيّ عندما تُفَرِّغُ الآيةَ من عمومِها المقصود، وتُخَصِّصُها بما لا تَدُلُّ عليه، حيثُ قَيَّدَتْها بالاستقامةِ على الإيمانِ بالأئمةِ، وهذا لم يَرِدْ في الإسلامِ دليلٌ عليه!

هل يعظنا الله بولاية علي؟:

١٤٣ - روى الكلينيّ عن أبي حمزة قال: سأَلْتُ أبا جعفر عن قولِ الله: ﴿۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾ [سبأ: ٤٦]؟ **فقال: إنما أَعظُكُم بولايةِ عليٍّ...»** [الكافي ١: ٤٢٠].

الآيةُ تتحدَّث عن المواجهةِ بينَ رسولِ الله ﷺ وأَعدائِهِ الكافرين، وتطلبُ من الرسولِ ﷺ أَنْ يُرْشِدَهم إلى طريقةٍ يُزيلونَ بها ارتيابَهم بالوحيِ والرسالة، وهي أَنْ

يَقوموا متفكِّرينَ في المسألة، ليَصِلوا إلى الحقيقة. قالَ تعالى: ﴿ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ [سبأ: ٤٦].

«واحدةٍ» في الآيةِ صفةٌ لموصوفٍ محذوف، والتقدير: إنما أَعظُكُم بوسيلةٍ أو طريقةٍ واحدة، هي أَنْ تتفكَّروا في الوحيِ والرِّسالة.

وكم تخطىءُ روايةُ الكلينيِّ عندما تحملُ كلمةَ «واحدة» على ولايةِ عليٍّ رضي الله عنه، وتجعلُ معنى «أَعظكم» آمُرُكم، وتجعلُ معنى الجملة: إنما أَعِظُكم وآمرُكم بولاية عليٍّ.

وحملُ الآيةِ على هذا المعنى باطل، ولا يَتفِقُ مع بقيةِ الآية، فإذا كان معناها على ما قالت الرواية العجيبة، فكيفَ تربطُ الجملةَ ببقيةِ الآية: إنما أعظكم وآمُرُكم بولايةِ عليٍّ، بأَنْ تقوموا لله مَثْنى وفُرادى ثم تتفكروا!! هذا معنى سخيفٌ يُنَزَّهُ عنه كلامُ اللهِ المعجز.

إنَّ جملةَ: «أَن تقوموا لله مثنى وفرادى» تفسيرٌ لكلمةِ «واحدة». و«أَنْ» في الجملة تفسيرية، وما بَعْدَها يُفَسِّرُ ما قَبْلَها، والمعنى: أعظُكم بوسيلةٍ واحدةٍ، بأَنْ تَقوموا لله مثنى وفُرادى ثم تتفكَّروا.

هل كفر الصحابة بعد إيمانهم؟:

١٤٤ ـ روى الكلينيُّ عن أَبي عبدالله ـ جعفر الصادق ـ في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴾ [النساء: ١٣٧] وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [آل عمران: ٩٠] قال: نزلَتْ في فلانٍ وفلانٍ وفلانٍ، آمنوا بالنبيِّ ﷺ في أَوَّلِ الأَمرِ، ثم كفَروا حينَ عُرِضَتْ عليهم الوِلايةُ، حينَ قالَ النبيُّ ﷺ: مَنْ كنْتُ مولاهُ فعَلِيٌّ مَولاهُ. . ثم آمَنوا بالبيعةِ لأَميرِ المؤمنين، ثم كفروا بها حينَ مضى رسولُ اللهِ ﷺ، فلم يُقِرُّوا بالبيعةِ، ثم ازدادوا كفراً، بأَخْذِهم مَنْ بايعَهُ بالبيعةِ لهم، فهؤلاءِ لم يَبْقَ لهم من الإِيمانِ شيء. . » [الكافي ١: ٤٢٠].

تذمُّ الآيةُ الكافرين، الذين كانوا يتلاعَبونَ بالإيمان، مع أَنَّ الإيمانَ لا يَقْبَلُ الخِداعَ والتلاعُب، كان هؤلاءِ الكافرون قد أَعْلَنوا إيمانَهم، ثمَّ تراجَعوا عنه وأَعْلَنوا كُفْرهم، ثم عادوا لإعلانِ إيمانِهم، ثم عادوا إلى كفرِهم، ثم ازدادوا كفراً، هؤلاء الكافرونَ مخلَّدونَ في نار جهنم..

ولم يَصِحَّ سببٌ مُعَيَّنٌ في نزولِ هذه الآيةِ في أشخاصٍ مُعَيَّنين، والراجحُ أنها تَذُمُّ المنافقين الذين تلاعَبوا بالإيمانِ حيثُ كانوا يُعْلنون إيمانَهم أَمامَ المؤمنين، ويُخْفونَ عنهم كُفْرَهم، ويُصَرِّحون به أَمامَ إخوانِهم الكافرين..

وترتكبُ روايةُ الكلينيّ جريمةً كبرى عندما تُنَزِّلُها على المقَدَّمينَ من الصحابة!

قصْدُ أَصحابِ الروايةِ «نزلَتْ في فُلانٍ وفُلانٍ وفُلانٍ» نُزولُها في الخلفاءِ الثلاثةِ أبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ رضي الله عنهم. وهم لا يُصَرِّحونَ بذكْرِ أَسماءِ الخلفاءِ الثلاثةِ من بابِ «التُّقْيَة» ـ المبدأ المعروف عند الشيعة ـ وسياقُ الروايةِ يدلُّ على أنهم أَرادوا الخلفاءَ الثلاثة.

ويَكذبُ أصحابُ الروايةِ العجيبةِ على الخلفاءِ الثلاثة، عندما زَعَموا أنَّ الخُلَفاءَ آمَنوا بالنبيِّ ﷺ أوّلاً، وعندما عرضَ الرسولُ ﷺ عليهم ولايةَ عليٍّ، وأَخبرَهُم أنَّ اللهَ عيَّنَه أميراً عليهم رَفَضوا ذلك وكفروا، ولكنَّ الرسولَ ﷺ أَلزمَهم بمبايعةِ عليٍّ فبايعوه (!!) ولما قُبِضَ ﷺ نقضوا البيعة والعهد، وجعلوا أبا بكر خليفة، وأَلْزَموا عليّاً بمبايعَتِهِ، واعتَدَوْا على حقِّ عليٍّ!! وبذلك كَفَرَ الخلفاءُ الثلاثة، ولم يَبْقَ لهم من الإيمانِ شيء!

ونبرأ إلى الله من هذا الكذبِ والافتراء، ومن هذا التحريفِ المقصودِ لمعنى الآية، وإذا كان أبو بكر وعمر وعثمان كفار، فَمَنْ هم المؤمنون؟!

هل ذم القرآن أبا بكر وعمر؟:

١٤٥ ـ روى الكلينيّ عن أبي عبدِالله ـ جعفر الصادق ـ في قولِه تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ﴾ [محمد: ٢٥] قال: هم فلانٌ وفلانٌ وفلان، ارتَدّوا عن الإيمان، عندما تركوا ولايةَ عليٍّ.» ثم قال الله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ

﴿لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ [محمد: ٢٦] وهذه الآيةُ نزلَتْ واللهِ فيهما، وفي أتْباعِهِما، وقد نزَلَ جبريلُ على محمد ﷺ بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ فدَعَوا بني أُميّة إلى ميثاقِهِم، ألّا يُصَيِّروا الأمْرَ فينا بعدَ النبيِّ ﷺ، ولا يُعْطونا من الخُمُس شيئاً! وقالوا: إنْ أعطَيناهُم إيّاهُ لم يَحْتاجوا إلى شَيْء، ولم يُبالوا أنْ يكونَ الأمْرُ فيهم، وقالوا: سنُطيعُكم في بعضِ الأمرِ الذي دعَوْتُمونا إليه وهو الخُمُس، ألّا نُعْطيهم منهُ شيئاً!!

والذي نزَّلَ اللهُ هو ما افترضَ على خَلْقِهِ من ولايةِ أميرِ المؤمنين، وكان معهم أبو عبيدة، وكان كاتبَهم، فأنزلَ اللهُ فيهم قولَه تعالى: ﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ * أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ . .﴾ [الزخرف: ٧٩ ـ ٨٠]» [الكافي ١: ٤٢٠ ـ ٤٢١].

حَرَّفَت الروايةُ معاني آياتٍ من سورةِ محمد وسورةِ الزخرف، وحَوَّلَت الآياتِ من سياقِها، وهو نزولُها في الكفار، وجَعَلَتْها نازلةً في بيان كفر أبي بكر وعمر وغيرهما!!

تتحدَّثُ آياتُ سورةِ محمدٍ عن المنافقين. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ۙ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٥ ـ ٢٦].

المنافقون هم الذين رفَضوا الإسلام، واختاروا الكفر، وبذلك ارتدّوا على أَدْبارِهم، من بعدِ ما تبينَ لهم الهُدى والإيمان، واتَّبَعوا الشيطان. ومن مظاهرِ كفرِهم وردَّتِهم متابعتُهم لأسيادِهم اليهود، فاليهودُ كَرهوا ما أنزلَ اللهَ من الحق، على محمدٍ ﷺ، فقال لهم المنافقون: سنطيعُكم في بعضِ الأمر . . فالكلامُ في الآياتِ عن فريقَي الكفارِ المنافقين واليهود، واتفاقِهما على حربِ الإسلام والمسلمين . .

ولكنَّ الروايةَ الباطلةَ تُحَوِّلُ الآياتِ من الذينَ نزلَتْ فيهم من اليهودِ والمنافقين، وتجعلُها نازلةً في كبارِ الصحابةِ: «نَزَلَتْ في فُلانٍ وفُلانٍ وفلانٍ»: وأرادت الروايةُ بهذا الخلفاءَ الثلاثةَ أبا بكرٍ وعمر وعثمان. فهم الثلاثةُ الذين ارتدّوا على أَدبارِهم من بعدِ ما تبيَّن لهم الهُدى!! وارتدادُ الخلفاءِ الثلاثةِ عن الهدى تركُهم الاعترافَ بعليٍّ أَميراً للمؤمنين، بعدَما أخذَ منهم الرسولُ ﷺ العهدَ بمبايعةِ عليٍّ، لكنهم خالَفوه وارتَدّوا!!

ـ كما تقولُ الرواية ـ.

ومن تحريفِ الروايةِ للآية إضافةُ كلمةِ «في عليٍّ» لها، بحيثُ أَصبَحَ نَصُّ الآيةِ هكذا «ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نَزَّلَ اللهُ في عليٍّ سنطيعُكم في بعضِ الأمرِ»! ونشهدُ أنَّ اللهَ لم يُنزِلِ الآيةَ بهذا اللفظ!

والذين كرِهوا ما نَزَّلَ اللهُ في عليٍّ تَحْصُرُهم الروايةُ في بني أُميَّة، الذين كانَ منهم الخليفةُ الثالثُ عثمانُ ومعاويةُ رضي الله عنهما. وتَزعمُ الروايةُ أنَّه تحالَفَ أبو بكر وعمرُ مع بَني أُمية، واتَّفقوا على نَزْعِ الولايةِ من عليٍّ، وحرمانِ آلِ البيتِ من حَقِّهم في الخُمُس، وكَرِهَ هؤلاءِ الآياتِ التي أَنزلَها اللهُ على رسولِهِ، وصَرَّحَ فيها بولايةِ عليٍّ رضي الله عنه!!

وهكذا جَمعت الروايةُ بينَ التحريفِ اللفظيِّ والتحريفِ المعنويِّ للآية، لتوافقَ هوى القومِ المحرِّفين!!

من هم المتآمرون الذين أبرموا أمراً؟:

١٤٦ ـ حَرَّفَت الرواية معنى قولِه تعالى: ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ۞ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم﴾ [الزخرف: ٧٩ ـ ٨٠]، وقالت في تحريفها: أَبرمَ الثلاثةُ أبو بكرٍ وعمرُ وأبو عبيدة أَمْراً، وتآمَروا على نزعِ الإمارةِ عن عليٍّ، وإعطائِها لأبي بكر، واللهُ مُطَّلعٌ عليهم، يعلمُ سِرَّهم ونجواهم!!

وهذا تحريفٌ لمعنى الآية، فلم يكنْ ما فعَلَه الصحابةُ الثلاثةُ رضوانُ الله عليهم تآمراً ولُؤماً، إنما كانَ مراعاةً لمصلحةِ الأُمَّة.

ويستحيلُ عَقْلاً ونقْلاً أن تَنزلَ الآياتُ فيهم! كان توجُّهُهم لسقيفةِ بني ساعِدَة لمناقشَةِ الأنصارِ في الخلافةِ، بعدَ وفاةِ رسولِ الله ﷺ، في السنةِ الحاديةِ عشرة من الهجرة، والآياتُ نازلةٌ في سورةِ الزخرفِ المكيةِ قبلَ الهجرة، فكيفَ تنزلُ الآياتُ قبلَ الحادثة بأكثر من خمسةَ عشَر عاماً؟!

آياتُ سورةِ الزخرف نازلةٌ في كفارِ قريشٍ المجرمين، الذين تآمَروا على حَرْبِ

رسولِ اللهِ ﷺ ودينه. . ولم تنزل في ذَمِّ أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ.

افتراء على الخلفاء الثلاثة:

١٤٧ ـ روى الكلينيّ عن أبي عبدِالله ـ جعفر الصادق ـ في قولِ الله عز وجل: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ قال: نزَلَتْ فيهم، حيثُ دَخَلوا الكعبة، فتَعاهَدوا وتعاقَدوا على كفرِهم وجحودِهم بما نَزَلَ في أَميرِ المؤمنين، فأَلْحدوا في البيتِ بظلمِهم الرسولَ ووليّه، فبُعْداً للقومِ الظالمين» [الكافي ١: ٤٢١].

الآيةُ التي ذَكَرَتْها الروايةُ تتحدَّثُ عن الكفارِ. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥].

تذُمُّ الآيةُ الكفارَ الذين كانوا يُحاربونَ هذا الدين، ويَصُدُّونَ الناسَ عن سبيلِ الله، ويَصُدّونَ المسلمينَ في المدينةِ بعدَ الهجرة عن المسجدِ الحرام، ويَمنعونَهم من الحجِّ أَو العمرة، مع أَنَّ اللهَ جعلَ هذا المسجدَ الحرامَ للناسِ جميعاً، أَهْلِ مكة وأَهلِ البادية وغيرِهم.

وهدَّدَ اللهُ كلَّ مَنْ أَلْحَدَ في المسجدِ الحرام، أَو ظَلَمَ، أَو اعتَدى على الآخرين، بالعذابِ الأَليم.

ولكنَّ الروايةَ العجيبةَ تُحَوِّلُ الآيةَ إلى غيرِ ما سِيقَتْ لهُ، وتَجعلُها إِدانةً للخلفاءِ الثلاثة، أَبي بكر وعمر وعثمان، وتكْذِبُ عليهم عندما تَزعمُ أَنهم دخَلوا الكعبة، وتَعاهَدوا وتَعاقَدوا على حَذْفِ كل كلمةٍ في القرآن، تتحدَّثُ عن ولايةِ عليٍّ رضي الله عنه، وبذلك أَلْحَدوا في المسجدِ الحرام، وظَلَموا الرسولَ ﷺ وعلياً رضي الله عنه، وبذلك كانوا ظالمين!!

ونُكَذِّبُ الروايةَ الباطلةَ في افترائِها على الصحابةِ الكرامِ رضوانِ اللهِ عليهم. .

هل الصحابة في ضلال مبين؟:

١٤٨ ـ روى الكليني عن أبي عبدِالله ـ جعفر الصادق ـ في قولِ الله: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الملك: ٢٩]. قال: يا معشر المكذِّبين: حيثُ أَنبأْتُكم رسالةَ ربِّي في

ولايةِ عليٍّ والأئمةِ من بعدِه، سَتَعلَمونَ مَن هو في ضلالٍ مبين» [الكافي ١ : ٤٢١].

الآية في سياقِ المواجهةِ بينَ رسولِ الله ﷺ وأَعدائِه الكافرين. قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

المؤمنونَ آمنوا باللهِ وتوكَّلوا عليه، والكُفارُ رَفَضوا ذلك، فهدَّدَتْهم الآيةُ بالعذابِ الأَليم، لأَنهم في ضلالٍ مبين.

فلا كلامَ في الآيةِ عن الولاية، وكانت الروايةُ كاذبةً عندما حَمَلَتْها على ولايةِ عليٍّ رضي الله عنه، وادَّعَتْ أَنَّ الرسولَ ﷺ أَمَرَ المسلمينَ بموالاةِ عليٍّ من بعدِهِ، ولكنَّهم خالَفوه وتركوا وليَّه، وهذا ادِّعاءٌ باطلٌ.

هل هدد الله الذين تركوا ولاية علي؟:

١٤٩ ـ روى الكليني عن أبي عبدِالله في قولِه تعالى: ﴿ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ قال: هم الذين كفروا بتركِهم ولايةَ أميرِ المؤمنين، سيذيقُهم اللهُ عذاباً شديداً في الدنيا» [الكافي ١ : ٤٢١].

الآيةُ نازلةٌ في تهديدِ الكفار. قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ۞ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٦ ـ ٢٧].

وحَوَّلَتْها الروايةُ المردودةُ عن الكفارِ، الذين حارَبوا القرآنَ، وكذَّبوا رسولَ اللهِ ﷺ، وجَعَلوها إِدانةً وذَمّاً للصحابةِ الكرام، واعتبرَتْهم كفاراً، لأَنهم تركوا ولايةَ عليٍّ، وجعلوا الخلافةَ لأَبي بكر!! وهذا تحريف مرفوض لمعنى الآية!

هل يذكر أهل الولاية مع الله؟:

١٥٠ ـ روى الكليني عن أَبي عبدِالله ـ جعفر الصادق ـ في قوله تعالى: «ذلك بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم» قال: إذا دُعِيَ اللهُ وحْدَه وأَهْلُ الولايةِ كَفَرْتُم..» [الكافي ١ : ٤٢١].

أخطأت الروايةُ في كلماتِ الآيةِ أوّلاً، فالآيةُ هي: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ﴾ [غافر: ١٢] فحَرَّفَت الروايةُ كلمةَ «ذلكم» بالميمِ إلى كلمةِ «ذلك»!

وأضافت الروايةُ كلمةَ «وأَهلُ الولاية»، وهذا افتراءٌ وضلال.. وهذه الإضافةُ تتناقَضُ مع معنى الآيةِ وسياقِها، فهي نازلةٌ في الكفارِ حقيقةً. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢] فالكفارُ يَرفضونَ الإيمانَ بوحدانيةِ الله، ويُشركونَ به آلهةً أُخرى. وجعلت الروايةُ الآيةَ ذماً للمسلمين من غير الشيعة!

العذاب الواقع بمنكري ولاية علي!!

١٥١ـ روى الكليني عن أبي عبدِالله ـ جعفر الصادق ـ في قولِه تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾ [المعارج: ١ ـ ٢]. **قال: «سأَل سائلٌ بعذابٍ واقعٍ للكافرينَ بولايةِ عليٍّ ليسَ له دافع!» ثم قال: هكذا واللهِ نزَلَ بها جبريلُ على محمدٍ ﷺ»** [الكافي ١: ٤٢٢].

تُهددُ الآياتُ الكفارَ باللهِ بعذابٍ واقع، لا دافعَ ولا رادَّ له.

وتُخطىءُ الروايةُ خَطَأَيْن:

الأول: عندما تُضيفُ لها كلمةً من كلامِ البشر، وتَجعلُها بهذا اللفظ: «للكافرين بولاية عليٍّ ليس له دافع»، ويُقسمُ أبو عبدِالله بأنَّ جبريلَ أَنزلَها بهذا اللفظ على محمدٍ ﷺ، ولكنَّ أبا بكر وعمرَ وعثمانَ حَذفوا من القرآنِ كلمةَ «بولايةِ عليٍّ»، حتى لا يُدينوا أنفسَهم. وهذا تحريفٌ من الروايةِ وأَصحابِها لكلامِ الله، وإِضافةُ ما ليسَ منه له، والزعمُ بأَنَّ هذا الكلامَ المخلوطَ من عندِالله!!

الثاني: عندما تُحَوِّلُ الآيةَ من موضوعِها الأساسيّ، وهو تهديدُها للكافرينَ باللّهِ، المنكرينَ للحقِّ، وتُوَجِّهُها إلى ذَمِّ الصحابةِ ومَنْ بعدَهم مِن أَهْلِ السنة، عندما تَصفُهم بأَنَّهم من الكافرين، لأَنهم أَنكروا ولايةَ عليٍّ رضي الله عنه!

هل من أفك عن الولاية أفك عن الجنة؟:

١٥٢ـ روى الكليني عن أبي جعفر ـ محمد الباقر ـ في قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ * يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ [الذاريات: ٨ ـ ٩] قال: «إنكم لفي قول مختلف (في أَمْرِ الولاية)، يُؤْفَكُ عنهُ مَنْ أُفِكَ» أَيْ: مَنْ أُفِكَ عن الولايةِ أُفِكَ عنِ الجَنَّةِ» [الكافي ١: ٤٢٢].

تتحدَّثُ الآياتُ عن الكفار، الذين خالَفوا المسلمين، فلم يُؤْمِنوا بالقرآنِ ولا بِما فيه، وصُرِفوا عن الحَقِّ، وآمَنوا بالباطل. قال تعالى: ﴿وَالسَّمَآءِ ذَاتِ الْحُبُكِ * إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ * يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ * قُتِلَ الْخَرَّٰصُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ [الذاريات: ٧ ـ ١١].

ولكنَّ الروايةَ الباطلةَ حوَّلَتْها إلى المسلمينَ المخالفينَ للشيعةِ في أَمْرِ الولاية، وجعلَتْها تهديداً لهؤلاءِ المسلمينَ الذين لا يقولونَ بولايةِ عليٍّ والأَئمةِ من بعده، سواء كانوا من الصحابةِ أو ممن جاءوا بعدهم!!

والضميرُ المذكَّر في «عَنْهُ» تُعيدُه الروايةُ على الولايةِ، ولا يَهمُّها الوقوعُ في الخطأ، حتى لو كان خطأً نحوياً، إذ لا تجوزُ إعادةُ الضميرِ المذكَّرِ في «عنه» إلى «الولايةِ» المؤَنَّثة، التي لم يسبق لها ذِكْرٌ في الآية.

وتزعمُ الروايةُ الباطلةُ أَنَّ أَيَّ مسلمٍ أُفِكَ وصُرِفَ عن الولايةِ ولم يَقُلْ بها، فسيؤفَكُ ويُصْرَفُ عن الجنة! أَيْ أَنَّهُ لن يدخُلَ الجنَّةَ إلاّ الشيعة، أَما غيرُهم فهم كفارٌ مخلَّدونَ في النار!

هل الولاية هي فك الرقبة؟:

١٥٣ـ روى الكليني عن أبي عبدِالله ـ جعفر الصادق ـ في قوله تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ [البلد: ١١ ـ ١٣]. قال: فَكُّ الرقبة هو: ولايةُ أميرِ المؤمنين﴾ [الكافي ١: ٤٢٢].

تدعو الآياتُ كُلَّ إنسانٍ إلى أَنْ يقتحِمَ العقبة، وفَسَّرَت العقبةَ بأَنَّها فكُّ رقبة، أَو

إطعامُ يتيمٍ أو مسكينٍ في يومِ مجاعة. قال تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد: ١١ ـ ١٦].

معنى «فكُّ رقبة» إعتاقُ عبد، وأُطلقت الرقبةُ على الإنسانِ من بابِ إطلاقِ الجزءِ على الكُلِّ، لأهميَّةِ هذا الجُزْء.

وسُمِّي عِتْقُ العبدِ هنا «فَكُّ رقبة»، وسُمِّي «تحريرُ رقبة» في آيات أخرى، منها قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾ [المجادلة: ٣].

ولكنَّ الروايةَ العجيبةَ تصرفُ الآيةَ عن معناها الصحيح، وتحملُها على «ولايةِ عليٍّ»، المسألةِ التي تُشغلُ بالَ الكلينيِّ وجماعتِه، فيوجِّهونَ كلَّ الآياتِ إليها. ولا أدري كيف كانَتْ ولايةُ عليٍّ فَكَّ رقبة؟ وهي فَكٌّ لأيِّ رقبة؟ هل رقبةُ عليٍّ أم رقبةُ من آمنَ بهذه الولاية؟ وما دَخْلُ الآياتِ الحكيمةِ بهذه المسألةِ الباطلة؟

هل قدم الصدق هو ولاية علي؟

١٥٤ ـ روى الكليني عن أبي عبدالله ـ جعفر الصادق ـ في قولِه تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢] قال: ولايةُ أَميرِ المؤمنين» [الكافي ١: ٤٢٢].

تذكرُ الآيةُ خلاصةَ رسالةِ الرسولِ ﷺ، فهي قائمةٌ على تبشيرِ المؤمنين بحسنِ الثواب، وإنذارِ الكفارِ بالعذاب. قال تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾ [يونس: ٢].

و«الذين آمنوا» في الآية عامَّةٌ، تشملُ جميعَ المؤمنينَ من أُمَّةِ محمدٍ ﷺ، هؤلاءِ المستقيمونَ فائزونَ عندَ الله، لهم قَدَمَ صِدْقٍ في الجنة.

ولكنَّ الروايةَ العجيبةَ لا تُبقي هذا الوَصْفَ على عمومِه، وإنما تُخَصِّصُه ليكونَ

شاهداً لفكرةِ الإمامةِ والولاية، فالذين آمنوا هم الذين آمَنوا بولايةِ عليٍّ رضي الله عنه أميراً للمؤمنين!! وهذا تحكُّمٌ وصَرْفٌ مرفوض..

هل منكرو ولاية علي قطعت لهم ثياب من نار؟:

١٥٥ ـ روى الكليني عن أبي جعفر في قوله تعالى: «هذان خصمان اختصموا في ربهم» قال: الذين كفروا بولايةِ عليٍّ قُطِّعَتْ لهم ثيابٌ من نار» [الكافي ١: ٤٢٢].

تتحدث الآيةُ عن الخلافِ والخصامِ بينَ المؤمنين والكفار وتعرضُ مشهداً لتعذيبِ الكفار. قال تعالى: ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ﴾ [الحج: ١٩ ـ ٢٠].

والحديثُ في الآيةِ عن الكفارِ، على العمومِ والشمول. لأنها قالَتْ: «فالذين كفروا» واسْمُ الموصولِ من صِيَغِ العُموم.

ولكنَّ الروايةَ العجيبةَ خصَّصَتْ هذا العمومَ بدونِ مُخَصِّص، وحملت الآيةَ على معنىً باطلٍ خاطىء. «الذين كفروا» هم الذين أنكروا ولايةَ عليٍّ رضي الله عنه. وهم المسلمونَ من غيرِ الشيعة، سواءٌ كانوا من الصحابةِ أو التابعينَ أو مَنْ بعْدَهم، فكلُّ مَن لم يؤمنْ بولايةِ عليٍّ ـ بالمفهوم الذي عندَ الكلينيِّ وجماعتِه ـ فهو كافِر، يُعَذَّبُ بالعذابِ المذكورِ في الآية..

هل بيت نوح هو ولاية علي؟:

١٥٦ ـ روى الكلينيّ عن أَبي عبدِالله ـ جعفر الصادق ـ في قوله تعالى: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا﴾ قال: البيتُ هو الولاية. مَنْ دَخَلَ في الولاية دَخَلَ في بيتِ الأَنبياء» [الكافي ١: ٤٢٣].

تذكرُ الآيةُ دُعاءَ نوحٍ عليه السلام، الذي دعا ربَّه، بالمغفرةِ له ولوالدَيْه، ولمن دخَلَ بيتَه مؤمناً، وللمؤمنين والمؤمنات. قال تعالى: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾ [نوح: ٢٨].

وقد أضاف نوحٌ عليه السلام بيتَه إليه «ولمن دخل بيتي مؤمناً» وكانَ بيتُ نوحٍ عليه السلام قبلَ نُزولِ القرآنِ بآلافِ السنين، وهو البيتُ الماديُّ المجسَّمُ المعروف، الذي كان يسكنُ فيه..

ورغمَ هذا كُلِّه فإنَّ الروايةَ العجيبةَ تَلاعَبَتْ بالبيت، وحرَّفَتْه وأَوَّلَتْه، وصَرَفَتْه إلى ولايةِ عليٍّ رضي الله عنه. وصارَ معنى دعاءِ نوحٍ عليه السلام: «ولمن دخل بيتي مؤمناً»: ربِّ اغفر لكلِّ واحِدٍ من المسلمينَ اتَّخذَ عليَّ بنَ أَبي طالبٍ ولياً وإماماً، فمن دخلَ في موالاةِ عليٍّ دخلَ بيتي ونالَ الأَمانَ!!

إنه مبالغةٌ وغُلُوٌّ وتحكُّم، قائمٌ على الهوى والمزاج، ولا يَتفقُ مع عقْلٍ أَو منطق..

هل فضل الله هو الولاية؟:

١٥٧ - روى الكليني عن الرضا، في قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]. قال: بولايةِ محمدٍ وآلِ محمد، خيرٌ مما يجمَعُ هؤلاءِ من دُنياهم» [الكافي ١: ٤٢٣].

يَدعو اللهُ المؤمنين إلى أَنْ يفرَحوا بفضْله عليهم ورحمتِه لهم، لأَنَّ هذا خيرٌ من كلِّ ما يَجمعونَ من المالِ والمتاعِ والدنيا.

والفضلُ والرحمةُ في الآيةِ اسْما جنسٍ، يَدُلّان على العُموم، ويَنطبِقانِ على كلِّ شيء تفضَّلَ اللهُ به عليهم، سواءٌ كان مادِّيّاً أو معنوياً، وعلى كلِّ رحمةٍ أسبغَها اللهُ عليهم، ماديةً كانتْ أَو معنوية.

لكنَّ الروايةَ العجيبةَ تُقَدِّم معنىً خاصّاً للفضْلِ والرحمة، إنه ولايةُ محمدٍ وآلِ محمدٍ ﷺ. ونَعترفُ أن رسالةَ محمد ﷺ من أظهرِ مظاهرِ فضْلِ اللهِ ورحمتِه، وأَبرَكِها وأَفْضَلِها، لكن لا يَجوزُ قصْرُ الآيةِ عليها، وتخصيصُ اللفظِ العامِّ بها، لعدمِ وجودِ دليلٍ على التخصيص!

أما ولايةُ الأئمَّةِ فلا هي من الفضْلِ ولا من الرحمة، وإنما هي فكرةٌ باطلةٌ عند

الكلينيِّ وجماعتِه، ليس عليها دليل، فقصْرُ الآيةِ العامَّةِ عليها باطلٌ مردود!!

هل أذن علي هي الواعية؟:

١٥٨ـ روى الكليني عن أبي عبدِالله في قولِه تعالى: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ قال: لما نزلَتْ الآيةُ: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ أمسَكَ رسولُ الله ﷺ بأُذُنِ عليٍّ، ثم قال: هي أُذُنُكَ يا عليّ» [الكافي ١ : ٤٢٣].

تتحدَّثُ الآياتُ عن الذينَ يتَّعِظونَ، ويَعْتَبرونَ مما يرَوْنَ أو يسمَعون. قال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ۞ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١١ ـ ١٢].

والأُذُنُ الواعيةُ هي التي تُحسنُ الاستماع، وتعي ما تَسمع، ثم تفكِّرُ وتتدبَّرُ وتتَّعِظُ مما تسمع!

و«أُذُنٌ واعية» في الآيةِ نَكِرَةٌ، وهذا التنكيرُ مَقْصود، يدلُّ على العمومِ والشمولِ.. إنَّها تنطبقُ على أُذُنِ كلِّ مسلمٍ متدبِّرٍ، مفكِّرٍ متَّعِظ، يَعي ما يَسمع، سواء كانَ من الصحابةِ أو التابعين أو مَنْ بعدَهم، من العلماءِ والفقهاءِ والمفكرين والدعاةِ والمصلحين..

ويدخلُ في هؤلاءِ أمَيْرُ المؤمنين عليُّ بنُ أَبي طالب رضي الله عنه، فقد كانَ مِن فقهاءِ وعلماءِ الصحابة.

أَمّا الحادثةُ فإنها لم تَصِحّ إلى رسولِ الله ﷺ، ولذلك لا نعتمِدُها ولا نقولُ بها. ولسنا مع روايةِ الكلينيِّ في قصْرِ الأُذُنِ الواعيةِ على أُذُنِ عليٍّ رضي الله عنه، لأَنها عامَّةٌ في كلِّ أُذُن لكلِّ مسلم بصير..

هل الصحابة ظلموا آل محمد حقهم؟:

١٥٩ـ روى الكليني عن أبي جعفر ـ محمد الباقر ـ قال: نَزَلَ جبريلُ بهذه الآيةِ على محمدٍ ﷺ هكذا «فبَدَّل الذين ظلَموا آلَ محمدٍ حقَّهم قولاً غيرَ الذي قيلَ لهم فأنزلنا على الذين ظلموا آلَ محمد حقَّهم رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون» [الكافي ١ : ٤٢٣ ـ ٤٢٤].

الآيةُ في سياقِ الحديثِ عن قصةِ بني إسرائيل في سورةِ البقرة، تتحدَّثُ عن مخالفاتِ المخالِفين منهم. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ۞ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٨ ـ ٥٩].

أَمَرَ اللهُ بني إسرائيلَ أَنْ يدْخُلوا القريةَ التي يفتَحُها لهم، عابدين ذاكرينَ ساجدينَ شاكرينَ للّه، وأَنْ يقولوا: ربَّنا حُطَّ عنّا ذنوبَنا، واغفر لنا خطايانا..

ولكنَّهم لم يُنَفِّذوا أَمْرَ الله، وإنما بدَّلوهُ وغيَّروه، وأَتوا بقولٍ آخرَ وفعْلٍ آخرَ: بَدَلَ أَنْ يدخُلوا بابَ القريةِ ساجدينَ، دخَلوا يَزْحَفونَ على مُؤَخَّراتِهم كالأَطفال، وبَدَلَ أَنْ يقولوا: رَبَّنا حُطَّ عنَّا ذنوبَنا، قالوا: حبةٌ في شعيرة، فذمَّهم اللهُ لتغييرِهم وتبديلِهم..

«الذين ظلموا» في الآيةِ يُرادُ بهم أُولئك القومُ الظالمون المبَدِّلونَ من بني إسرائيل: هم بدَّلوا قَوْلاً غيرَ الذي قيلَ لهم، واللهُ أَوْقَعَ بِهِم العذابَ بسببِ تبديلِهم..

ولم تَسْلَمْ هذه الآيةُ ذاتُ البُعْدِ التاريخيِّ الإخباريِّ من تَلاعُبِ وتحريفِ الكلينيِّ، حيثُ حرَّفَتْ روايتُه لفظها ومعناها! وذلكَ بإسقاطِها وإنزالِها على الصحابة، الذين تزعمُ الروايةُ أَنهم أَكَلوا حقَّ عليٍّ رضي الله عنه، وأَخذوا منه الولاية!

تُحَدِّدُ الروايةُ العجيبةُ «الذين ظلموا» بالصحابةِ زَمَنَ الخلفاءِ الراشدين، وسببُ وصْفِهِم بالظلم أنهم ظلموا آلَ محمدٍ ﷺ حقَّهم.

وتُحَرِّفُ الروايةُ الآيةَ عندما تَدَّعي إِضافةَ كلمةِ «آلِ محمد حقَّهم» عليها، وتزعُمُ أَنَّ جبريلَ أَنزلَ الآيةَ بتلك الكلمةِ المُضافَةِ!! ولكنَّ الصحابةَ الظالمينَ حرَّفوا القرآنَ عندما جمعوهُ، وحذفوا كلمةَ «آل محمد حقَّهم» من الآية، حتى لا تكونَ إدانةً لهم!!

تحريف عجيب لآيتين من القرآن!!:

١٦٠ ـ روى الكلينيّ عن أبي جعفر ـ محمد الباقر ـ قال: نزلَ جبريلُ بهذه الآيةِ هكذا: «إن الذين ظلموا آلَ محمدٍ حَقَّهم لم يكن اللهُ ليغفرَ لهم ولا ليهديَهم طريقاً، إلا

جهنَّمَ خالدين فيها أبداً، وكان ذلك على اللهِ يسيراً» ثم قال: «يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم في ولاية عليٍّ، فآمِنوا خيراً لكم، وإنْ تكفُروا بولايةِ عليٍّ فإنَّ للّه ما في السموات وما في الأرض. .» [الكافي ١: ٤٢٤].

لننظُر في الآياتِ التي زَعَمَت الروايةُ نُزولَ جبريلَ بها، هل هي موجودَةٌ في القرآن؟!

الآيةُ الأولى ذكرَها أَبو جعفر بهذا اللفظ: «إن الذين ظلموا آلَ محمدٍ حقَّهم لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً. إلا طريق جهنم خالدين فيها أبداً وكان ذلك على الله يسيراً».

والآيةُ في القرآنِ هكذا، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا * إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [النساء: ١٦٨ ـ ١٦٩].

اللهُ يقولُ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ . . ﴾ وتنسبُ الروايةُ إلى أَبي جعفرٍ أَنَّ الآيةَ هي: «إن الذين ظلموا آلَ محمدٍ حقَّهم»، ولكنَّ الصحابةَ الظالمينَ زمَنَ أَبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ، حذفوا جملة «ظلموا آل محمدٍ حقَّهم» ووضعوا مكانها جملةَ «كفروا وظلموا».

ونحنُ نُبَرِّىءُ الصحابةَ من التلاعبِ بالقرآن، ونشهدُ أنهم حفظوا القرآنَ عندما جمعُوهُ، فلم يزيدوا عليه شيئاً، ولم يُنقِصُوا أو يحذِفوا منه شيئاً.

ونشهدُ أَنَّ الروايةَ كاذبةٌ مُحَرِّفَةٌ لكلامِ الله، تزيدُ عليه ما ليسَ منه، وهذا باطلٌ مردود.

وتتلاعبُ الروايةُ بالآيةِ الثانيةِ، وتَزيدُ عليها كلاماً، ما أَنزلَه اللّه على محمدٍ ﷺ. الآية تقول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ . . . ﴾ [النساء: ١٧٠].

وحرَّفَت الروايةُ الآيةَ فأَصبحَتْ بعدَ الزيادةِ عليها هكذا: «يا أيها الناس قد جاءكم

الرسول بالحق من ربكم في ولاية علي، فآمنوا خيراً لكم، وإن تكفروا بولاية علي فإن لله ما في السماوات وما في الأرض...».

أضافَتْ «في ولاية عليٍّ» على الجملةِ الأُولى، لتُقنعَ المسلمين بأَنَّ القرآنَ نَصَّ على ولايةِ عليٍّ، وأنَّ الرسولَ ﷺ نَصَّ على ذلكَ أيضاً! وأَضافَتْ «بولايةِ عليٍّ» على الجملةِ الثانيةِ لتُقْنعَ المسلمين بأَنَّ الذين لم يؤمنوا بولايةِ عليٍّ - كما يؤمنُ بها الشيعة - هم كافرون مخلَّدونَ في النار!!

ونحنُ نَبْرَأُ إلى اللّه من كلِّ مَن زادَ حرفاً على كتابِ الله، أو أَنقَصَ منه حرفاً!!

وتحريف لآية ثالثة!!

١٦١ - روى الكلينيّ عن أبي جعفر - محمد الباقر - قال: «هكذا أُنزلَت هذه الآية: "ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به في علي لكان خيراً لهم.." [الكافي ١: ٤٢٤].

أضافت الروايةُ كلمةَ «في عليٍّ» على الآية، وزَعَمَتْ إنزالَها بهذه الإضافة، وأنَّ الصحابةَ حَذَفوها من المصحف! وهذا كذبٌ وافتراءٌ وتحريفٌ لكلامِ الله!

الآية هي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ..﴾ [النساء: ٦٦].

المأمونون بدل المؤمنين!!

١٦٢ - روى الكليني عن الحسينِ بن مياح، عن مَن أخبره، قال: «قرأ رجلٌ عند أبي عبدِالله - جعفر الصادق - قولَه تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥] فقالَ له: ليسَ هكذا هي! إنما هي «والمأمونون». ونحن المأمونون» [الكافي ١: ٤٢٤].

الآيةُ التي أنزلَها اللهُ على رسولِه ﷺ هي قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَالْمُؤْمِنُونَ ..﴾ وفيها دعوةُ المؤمنين إلى العملِ الصالح، وإخبارُهم بأَنَّ اللهَ ورسولَه والمؤمنين يرونَ عملَهم...

واعترضَ جعفرُ الصادقُ على هذا الكلام، وصَوَّبَ للقارىء قراءَتَه، وقالَ له: ليست الكلمةُ «المؤمنون»، بل هي «المأمونون». والمأمونون جمعٌ، مفرَدُه «مأمون»، وهو اسمُ مفعول من «أَمِنَ» تقول: أَمِنَ، فهو آمِنٌ، وهو مَأْمون!

وخصَّ جعفرُ الصادقُ المأمونين بالأَئمةِ المعصومين، عندما قالَ للقارىء: «نحن المأمونون»..

وتحريفُ الآية، بتحويل المؤمنين إلى «مأمونين» تلاعبٌ بالقرآن، وتغييرٌ وتبديلٌ لكلماته، ولا يفعَلُ ذلك مسلمٌ يؤمنُ بالله!!

هل هذه آية «صراطُ عليٍّ مستقيم»؟!:

١٦٣ - روى الكليني عن أبي عبدِالله - جعفر الصادق - قال: الآيةُ هكذا: «هذا صِراطُ عَلِيٍّ مُستقيمٌ» [الكافي ١: ٤٢٤].

الآيةُ في سياقِ الحديثِ عن قصةِ آدمَ عليه السلام، وما جرى بينَه وبينَ إبليس، وتُخبرُ عن ما قالَه اللهُ لإبليسَ بعدَما تعهَّدَ بإغواءِ أبناءِ آدَمَ. قالَ تعالى: ﴿ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ۝ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ.. ﴾ [الحجر: ٤١ - ٤٢].

الإشارةُ في «هذا» إلى صراطِ الله، الذي هو دينُ اللهِ وعهدُه. و«هذا» في محلِّ رفْع مبتدأ. و«صراطٌ» خبر مرفوع، وتنوينُه لتعظيمِه وتفخيمِه، و«مستقيمٌ» صفةٌ لما قبلَها «صراطٌ». و«عَلَيَّ» شبهُ جملة، مكوَّنةٌ من حرفِ الجرِّ «على»، وياءِ المتكلم العائِد على الله. أَي: هذا صراطٌ مستقيم عَلَيَّ، أَلتزمُ أَنا بِه. والمرادُ بالصراطِ المستقيمِ على اللهِ ما ذكَرَتْهُ الآيةُ اللاحقة: «إِنَّ عبادي ليس لك عليهم سلطانٌ».

والمعنى: أعطى اللهُ عهْداً بأَنْ لا يجعلَ لإِبْليسَ سلطاناً على عبادِهِ الصالحين.

وتتلاعبُ الروايةُ بالآيةِ وتُحَرِّفُها، وتُحَوِّلُ شبه الجملة «عَلَيَّ» من جارٍّ ومجرورٍ إلى اسْمِ «عَلِيٍّ»، وتحذفُ التنوينَ من «صراطٌ»، وتضيفُه إلى «عَلِيٍّ».

وصارتْ الآيةُ بعدَ التحريفِ هكذا: «هذا صِراطُ عَلِيٍّ مُستقيمٌ». وصارَ معناها: هذا الصراطُ المستقيمُ صراطُ علِيِّ بْنِ أَبي طالب، الذي أَمَرَ اللهُ باتخاذِهِ وليّاً وأَميراً!!

وهكذا نرى الروايةَ العجيبةَ لا تتورَّعُ عن تحريفِ الآيةِ، وتغييرِ كلماتِها وتبديلِها، لتكونَ شاهدةً لعقيدةِ أَصحابِها، في إِيمانِهم بعليٍّ بْنِ أَبي طالب، إِيماناً يكادُ يُساوي إِيمانهم بمحمّدٍ رسولِ الله ﷺ، إنْ لم يَفُقْ عليه!!

ونَبْرَأُ إلى الله من هذا الكذب والافتراء، والتحريف المتعمَّدِ لكلامِ الله!!

إضافة «ولاية علي» إلى الآية:

١٦٤ - روى الكليني عن أبي جعفر - محمد الباقر - قال: نَزَلَ جبريلُ بهذهِ الآيةِ هكذا: «فأَبى أكثرُ الناسِ بولايةِ عليٍّ إلاّ كُفوراً». وقال: ونزَلَ جبريلُ بهذهِ الآيةِ هكذا: «وقُلِ الحق من ربكم في ولايةِ عليٍّ، فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر، إنا أعتدنا للظالمين آلَ محمد ناراً» [الكافي ١: ٤٢٥].

حرَّفَتْ الروايةُ العجيبةُ آيَتَيْنِ من القرآن:

الآيةُ الأُولى: قولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٨٩].

صَرَّفَ اللهُ للناس في القرآن أَمثالاً عديدة، لكنَّهم لم يَسْتَجيبوا لها، وأَصَرُّوا على كُفرِهم باللهِ وبالوحيِ وبالقرآن.

لكنَّ الروايةَ حرَّفَت الآيةَ، وأَضافَتْ كلمةَ «بولايةِ عليٍّ» لها، فصارَتْ بعدَ التحريفِ عندهم هكذا: «فأبى أكثرُ الناسِ بولايةِ عليٍّ إلا كفوراً». وخصَّصَت الكفْرَ في الآيةِ بالكفرِ بولايةِ عليٍّ، فهؤلاءِ الكفارُ هم المسلمون الذينَ أنْكَروا أنْ يكونَ القرآنُ نَصَّ على ولايةِ عليٍّ، وهم جمهورُ المسلمينَ من غيرِ الشيعة.

الآية الثانية: قولُه تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩].

تُخبرُ الآيةُ أَنَّ القرآنَ هو الحَقُّ من عندِ الله، وهو خطابُ اللهِ للناس.. ومِن الناسِ مَنْ يؤمنونَ به، ومنهم مَنْ يكفرونَ به، وقد توَعَّدَ اللهُ الظالمينَ الكافرينَ بالعذابِ.

وعَدَت الروايةُ على الآيةِ بالتحريفِ والتلاعُب، وأَضافَتْ لها كلماتٍ بشريةً كاذِبة، لتكونَ شاهدةً لعليٍّ رضي الله عنه! أَضافَتْ «في ولايةِ عليٍّ»، وأَضافَتْ «آلَ محمد»، وخَلَطَتْ كلامَ اللهِ بكلامِ البشَر!!

الحقُّ في الآيةِ هو القرآن، والحَقُّ في الروايةِ هو ولايةُ عليٍّ وحْدَها!!

«الظالمون» في الآيةِ هم الكافرون الذينَ ظلَموا أنفُسَهم بكفرِهم، والظالِمونَ في الروايةِ هم المسلمون الذي اعْتَدَوا على عليٍّ وآلِهِ وأَكلوا حقوقَهم، حسبَ مزاعمِ أصحابِ الرواية!

من الذي يرونه زلفة فتساء وجوههم؟:

١٦٥ - روى الكليني عن أبي جعفر - محمد الباقر - في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ [الملك: ٢٧]، قال: هذه الآيةُ نزَلَتْ في أَميرِ المؤمنين وأَصحابِهِ، الذين عملوا ما عملوا، يرونَ أَميرَ المؤمنين في أَغْبَطِ الأَماكِنِ لهم، فتُساءُ وجوهُهم ويُقالُ لهم: هذا الذي كنتم به تدَّعون، والذي انتحلتُم اسْمَه» [الكافي ١: ٤٢٥].

تتحدَّثُ الآيةُ عن موقفِ الكفارِ الذين كانوا يُنكرونَ يومَ القيامة، وعن مفاجأَتِهم بذلك اليوم، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۞ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ [الملك: ٢٥ - ٢٧]. أَيْ: عندما يرى الكافرون المكذِّبونَ بيوم القيامةِ ذلكَ اليومَ قريباً منهم، تُساءُ وجوهُهم، ويَندمونَ ويتحسَّرون، ويُقالُ لهم: هذا اليومُ الذي كنتم في الدنيا تُكذِّبونَ به.

فالهاءُ في «رَأَوْهُ» تعودُ على يومِ القيامة. واسمُ الإشارةِ في «هذا الذي» يُرادُ به يومُ القيامة.

ولكنَّ الروايةَ العجيبةَ تأْبى إلاَّ أَنْ تَجعَلَ الآيةَ في عليٍّ رضي الله عنه، ومُخالفيه من الصحابة، وأَنْ تجعَلَ الآيةَ ذَمّاً لهؤلاء المخالفين!! ومعنى الآيةِ على هذا الفهم الخاطىء: لما رأى الصحابةُ - الذين خالَفوا علياً وأَكَلوا حقَّه - علياً في أَغبَطِ وأَفضلِ

الأَماكِن، أَعلى منهم بدرجاتٍ، تُساءُ وجوهُهم، ويتحسَّرونَ ويَندمون، ويُقالُ لهم: هذا هو عليٌّ، الذي كنتم في الدنيا تدَّعونَ صِفتَه، وتَنتحلونَ اسمَه، ويجعلُ أحدُكم نفسَهُ أَميراً للمؤمنين مكانَه، ها هو أفضلُ منكم!!

ونشهدُ أنَّ الآية لا تدلُّ على هذا المعنى الخاطىء، الذي حمَلَتْه الروايةُ العجيبةُ عليه!!

هل علي يؤذن في أهل النار؟!:

١٦٦ - روى الكلينيّ عن أحمد بن عمرَ الحلال قال: سألْتُ أَبا الحسَنِ عن قوله تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤] قال: المؤذِّنُ هو أَميرُ المؤمنين. .» [الكافي ١ : ٤٢٦].

تتحدَّثُ الآيةُ عن الكفارِ عندَ إِدخالِهم النارَ، وماذا سيُقالُ لهم فيها. قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ. .﴾ [الأعراف: ٤٤ - ٤٥].

يقولُ أهلُ الجنةِ لأهلِ النار: نحنُ وَجَدْنا ما وَعَدنا ربُّنا حقاً، فها نحنُ مُنَعَّمونَ في الجنة، فكيفَ الأَمْرُ عندكم؟ لقد وَعَدَكم اللهُ النارَ إن كفرْتُم، فهل وجدْتُم ما وعَدَ ربُّكم حقاً؟ وهل أنتم معذَّبونَ الآنَ في النار؟

أَجابَ أَهلُ النارِ جواباً مختَصراً، بِذُلٍّ وهَوان: ﴿قَالُوا۟ نَعَمْ﴾!

عندَ ذلكَ يقفُ واحدٌ بينَ أَصحابِ النار، ويُنادي بصوتٍ عالٍ، يَلعَنُ فيهِ هؤلاءِ الكافرينَ الظالمين: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ . .﴾.

وأَبهمت الآيةُ هذا المؤذِّنَ، ولم تُبَيِّنْه، فقطْ ذَكَرَتْ موضِعَه، فهو «بينَهم». أَيْ: موجودٌ بينهم. ولنْ يكونَ رجلٌ مسلمٌ موجوداً بينهم في النار، فهو إمّا أَنْ يكونَ واحداً من الكافرين، وإمّا أن يكونَ واحِداً من الملائكة، ومعلومٌ أنَّ الملائكةَ زبانيةُ النار، يُعذِّبونَ الكفارَ فيها.

وهذا معناهُ أنَّه يستحِيلُ أنْ يكونَ المؤذِّنُ عليَّ بْنَ أَبي طالبٍ رضي الله عنه كما تزعُمُ الرواية، فما الذي أوجدَهُ بين الكفارِ في النار؟

هل هدي الصحابة إلى ولايةِ علي؟

١٦٧ ـ روى الكلينيُّ عن أبي عبدِالله ـ جعفرِ الصادق ـ في قوله تعالى: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [الحج: ٢٤] قال: ذاكَ حمزةُ وجعفرُ وعبيدةُ وسلمانُ وأبو ذر والمقدادُ بن الأَسود وعمار، هُدوا إلى أميرِ المؤمنين.. وقولُه: «حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم (يعني: أميرَ المؤمنين) وكَرَّهَ إليكم الكفرَ والفسوقَ والعصيان (هم: الأوّلُ والثاني والثالث)[1]» [الكافي ١: ٤٢٦].

تتلاعبُ الروايةُ العجيبةُ بآيَتَيْنِ، وتُحَرِّفُ معناهما، وتُحَمِّلُهما ما لا يُمكنُ أنْ تدُلاَّ عليه:

الآيةُ الأُولى: قولُه تعالى: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾.

.. تتحدَّثُ الآيةُ عن المؤمنينَ في الجنة، وتُثْني عليهم، لما كانوا عليه من هُدىً في الدنيا، قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۞ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ..﴾ [الحج: ٢٣ ـ ٢٤].

هَدى الله المؤمنين وهم في الدُّنيا إلى الطيِّبِ من القول، ووفَّقَهُم إلى حُسْنِ اختيارِ القولِ المناسِب، كما هَداهُم إلى الصراطِ المستقيم، الذي هو صراطُ اللهِ الحميد.

---

(١) يعمد الكليني إلى ضم جزأين من آيتين متباعدتين من سورة واحدة وإدخال اسم علي بن أبي طالب بينهما، أو جزأين من آيتين مختلفتين من سورتين مختلفتين وحشر اسم عليٍّ بينهما، أو اتهام صحابة رسول الله ﷺ بالكفر والفسوق والعصيان [الأول والثاني والثالث]!؟ وهذا التحريف من جنس تحريف اليهود للتوراة والذي أشار إليه القرآن الكريم ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦] (الناشر).

ولقد كانت الروايةُ مخطئة، حيثُ خصَّصَت الآيةَ بعليٍّ ومَن وافقَه وأيَّدَهُ من الصحابةِ رضوانُ اللهِ عليهم. .

من هم الصحابةُ المؤمنون الذين يُدخلُهم الله جناتٍ تجري من تحتِها الأنهار؟ إنهم ـ حسبَ تحديدِ الرواية ـ سبعةٌ فقط: حمزة وجعفر وعبيدة، وسلمان وأبو ذر، والمقداد وعمّار!!

ولماذا هؤلاء السبعة فقط؟!

الثلاثةُ الأوائلُ استُشهِدوا في حياةِ رسولِ اللهِ ﷺ، ولم يُدرِكوا الخِلافَ بينَ الصحابةِ بعدَ وفاةِ رسولِ اللهِ ﷺ: عبيدةُ بنُ الحارثِ استُشْهِدَ في غزوةِ بدر، وحمزةُ استُشْهِدَ في غزوَةِ أُحُد، وجعفرُ استشهدَ في غزوةِ مؤتة. وسلمانُ الفارسيّ وأبو ذرٍّ الغفاريُّ والمقدادُ بن الأسود تُوفّوا في خلافةِ عثمان. . ولم يُدرك الصراعَ المسلَّحَ إلاَّ عمارٌ الذي تُوُفِّي في معركةِ صِفِّين!

إنَّ الروايةَ الباطلةَ اختارَت السبعةِ، من بينِ آلافِ الصحابة، وكانَ اختيارُها مزاجياً قائماً على الهوى والتحكمِ، ولا دليلَ عليهِ من شرْعٍ أو عقل!

أما القولُ الذي هُدِيَ إليهِ هؤلاءِ الصحابةُ السبعة ـ حسب زعم الروايةِ الباطلة ـ فهو الإيمانُ بأَنَّ علياً رضي الله عنه هو أَميرُ المؤمنين! وكيفَ هُدِيَ هؤلاءِ السبعةُ إلى هذا، وقد ماتَ ستةٌ منهم قبلَ أَنْ يكونَ عليٌّ أَميراً للمؤمنين، والوحيدُ منهم الذي بقيَ حتى بايَعَه هو عمارٌ رضي الله عنه!

هل الخلفاء الثلاثة هم الكفر والفسوق والعصيان؟:

١٦٨ ـ الآيةُ الثانية: قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧].

يَمتَنُّ اللهُ على المؤمنين بأَنه حَبَّبَ إليهم الإيمانَ وزيَّنَه في قلوبهم، والإيمانُ هو الإيمانُ المعروفُ عندَ المسلمين بأركانِهِ الستَّة، وبكونِه تصديقاً ينتجُ عنه قولٌ وعمل!

ويمتَنُّ اللهُ على المؤمنين أيضاً بأنه كرَّهَ إليهم نقيضَ الإيمانِ وضدَّه، وهو: الكفر والفسوقُ والعصيان، وبذلك صاروا راشدين!

وتأبي الروايةُ العجيبةُ الباطلةُ إلاّ التلاعُبَ والتحريف، فالإيمانُ الذي حَبَّبَهُ اللهُ للمؤمنين ليسَ الإيمانَ بالله، ولكنَّه الإيمانُ بأَنَّ علياً هو أَميرُ المؤمنين! ومَنْ لم يؤمِنْ بأَنَّ عليّاً أَميرٌ للمؤمنين فهو كافرٌ مخلَّدٌ في النار!

أَما الكفرُ والفسوقُ والعصيانُ عندَ الروايةِ فهو الأَوَّلُ والثاني والثالث؟ مَنْ هم هؤلاءِ الثلاثة! إنهُم الخليفةُ الأَوَّلُ أَبو بكر الصِّدِّيق، والخليفةُ الثاني عمرُ بن الخطاب، والخليفةُ الثالثُ عثمانُ بنُ عفان، رضي الله عنهم! أَبو بكر هو الكُفْرُ، وعمرُ هو الفسوقُ، وعثمانُ هو العصيانُ! والمؤمنون يَكْرَهونَ الكفْرَ والفسوقَ والعصيان، أيْ: يكرهونَ أَبا بكرٍ وعمرَ وعثمان!

بهذا الضلال والافتراء والتَّخريف يُفَسِّرُ الكلينيُّ آياتِ القرآن!!

هل كره الرسول الخلفاء الثلاثة؟:

١٦٩ـ روى الكليني عن علي بن جعفر قال: سمعتُ أبا الحسن ـ موسى الكاظم ـ يقول: لما رأى رسولُ اللهِ ﷺ تَيْماً وعَدِياً وبني أُميّة يركبونَ منبرَه أَفظَعَه، فأَنزلَ اللهُ قرآناً يَتأَسَّى به، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴾ [طه: ١١٦].. ثم أوحى إليه: يا محمد: إِني أَمَرْتُ فلم أُطَعْ، فلا تجزَعْ أَنتَ إِذا أَمَرْتَ فَلم تُطَعْ في وصِيِّكَ! [الكافي ١: ٤٢٦].

تفتري الروايةُ الباطلةُ على الله، وعلى رسولِه ﷺ، عندما تزعُمُ أَنَّ الرسولَ ﷺ حَزِنَ بسببِ الخلفاءِ الثلاثةِ الذين سيأْتونَ من بعدِه، فواساهُ اللهُ، ودَعاهُ إلى أن يتأَسَّى بهِ سُبحانَه! فاللهُ أَمَرَ إبليسَ أَنْ يسجُدَ لآدَمَ، فعَصاهُ ولم يُنَفِّذْ أَمْرَهُ، أَيْ أَنَّ اللهَ أَمَرَ فلم يُطَعْ، فلا يَجزَع الرسولُ ﷺ إذا أَمَرَ أَبا بكر وعمر وعثمان بمبايعةِ وصيِّه علي، ولكنهم يُخالفونَ أَمْرَه، ويعتدونَ على وَصِيِّه!

أَرادت الروايةُ المفتريةُ بِتَيْمٍ أَبا بكر الصِّدّيق رضي الله عنه، لأنه من قبيلةِ «تَيْم»، وأَرادَت بعدِيٍّ عُمَرَ رضي الله عنه، لأَنه من قبيلة «عَدِيٍّ»، وأَرادت ببني أُمية عُثمانَ

رضي الله عنه، لأنه من بني أُميّة! وبذلك شتمت الروايةُ الخلفاء الثلاثة، الذين هم أحبُّ الناسِ إلى رسولِ الله ﷺ.

هل عدم موالاة الأئمة هلاك وكفر؟:

١٧٠ـ روى الكليني عن الحسينِ بن نعيم الصحاف قال: سأَلْتُ أَبا عبدِالله عن قولِه تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ . . » [التغابن: ٢] **فقال: عرَفَ اللهُ إِيمانَهم بموالاتِنا وكُفْرَهم بها، يومَ أَخَذَ عليهم الميثاق، وهم ذَرٌّ في صُلْبِ آدَمَ! وسأَلْتُهُ عن قولِه تعالى:** ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [التغابن: ١٢] **فقال: أَمَا والله ما هلَكَ مَن كانَ قبلَكم، وما هَلَكَ مَن هَلَكَ، حتى يقومَ قائِمُنا، إلاّ في ترْكِ ولايتِنا، وجُحودِ حقِّنا، وما خَرَجَ رسولُ اللهِ ﷺ من الدنيا حتى أَلزَمَ رقابَ هذه الأُمَّةِ حقَّنا!»** [الكافي ١: ٤٢٦ ـ ٤٢٧].

لا بُدَّ عند رواياتِ الكلينيِّ من تحريفِ معاني الآيات، بتَرْكِ معناها الصَّحيح، وحَمْلِها على الولايةِ والإمامة، ولا بُدَّ أَنْ تكونَ خادمةً للإمامةِ، وشاهدةً للأئمة!!

أَخبرَ اللهُ أَنَّ الناسَ قسمان: قسمٌ مؤمنون وقسمٌ كافرون: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ والإيمانُ هو الإيمانُ المعروف بأركانِه الستة، والكفْرُ هو إنكارُ أَحَدِ أَركانِ الإيمانِ السِّتَّةِ، ولكنَّ روايةَ الكلينيّ تُخصصُ الإيمانَ والكفْرَ بالموقفِ من الأئمةِ الأَوصياءِ، فالمؤمنُ هو الذي آمَنَ بالأئمة، والكافرُ هو الذي كفَرَ بالأَئمة!!

وإذا أَمَرَ اللهُ بطاعةِ اللهِ ورسولِه، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ فإنها ليست طاعة مطلقة ـ عند الكليني وجماعتِه ـ وليست طاعةً شاملةً لكلِّ الواجباتِ والتكاليفِ الشرعية، وإنما هي عندهم طاعةٌ خاصّة، هي طاعَةُ الإمامِ المعصوم، والهالكُ عندهم هو الذي لم يوالِ الأَئمة، وجَحَدَ حقَّهم!

وتفتري الروايةُ على رسولِ اللهِ ﷺ، عندما تدَّعي أنه ﷺ أَلْزَمَ رِقابَ الأُمَّةِ حقَّ الأئمّة، وأَمَرَ كُلَّ فردٍ بموالاتِهم ومبايعتِهم . .

وعلى هذا الزعم والادِّعاءِ يكونُ أَبو بكر وعمرُ وعثمانُ وباقي الصحابةِ أَوَّلَ مَنْ عَصَوُا اللهَ ورسولَه لأَنَّهم لم يتَّخِذوا علياً ولياً وأَميراً للمؤمنين!!

تفسير غريب للبئر المعطلة والقصر المشيد:

١٧١ - روى الكليني عن أبي الحسن - موسى الكاظم - في قوله تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥]. فقال: البئر المعطَّلة: الإمامُ الصامت. والقَصْرُ المشيد: الإمامُ الناطق» [الكافي ١ : ٤٢٧].

وهذا تحريفٌ آخَرَ لمعنى الآية، فهي بزعم الروايةِ تتحدَّثُ عن الولايةِ والإمامة. مع أَنها لا تتحدَّثُ عن إمامٍ صامت ولا إمامٍ ناطق، وإنما تتحدَّثُ عن الآثارِ الباقيةِ بعدَ إهلاكِ وتدميرِ الكافرينَ السابقين. قال تعالى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ * وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ * وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ ۖ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ * فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ * أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٢ - ٤٦].

هل نعمة الله هي ولاية علي؟!!:

١٧٢ - روى الكليني عن علي بنِ الحسين - زين العابدين - في قوله تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣] قال: لما نزلَتْ ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ [المائدة: ٥٥] اجتمع نَفَرٌ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ في مسجدِ المدينة، فقالَ بعضُهم لبعض: ما تقولون في هذه الآية؟ قال بعضُهم: إنْ كَفَرْنا بهذه الآيةِ نكفرْ بسائرِها، وإنْ آمنَّا بها فهذا ذُلٌّ، حين يُسلِّطُ علينا ابنُ أَبي طالب!! فقالوا: قد علِمْنا أنَّ محمداً صادقٌ فيما يقول، ولكنَّا نتولاَّه، ولا نُطيعُ علياً فيما أَمَرَنا! فنزلت هذه الآية: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ أيْ: يعرفونَ ولايةَ عليٍّ، وأكثرُهم الكافرونَ بها!» يعرفون يعني ولاية [علي بن أبي طالب] وأكثرهم الكافرون بالولاية. [الكافي ١ : ٤٢٧].

تُخطىءُ هذه الروايةُ في فهمِ الآيات، وتَفْتَري على أَصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ وتختلقُ حادثةً وَقَعَتْ من الصحابة، مع أَنها لم تَقَع، وتَدَّعي نُزولَ آياتٍ بسببِها،

وتُوظفُ كلَّ هذا الزعمِ والاختلاقِ ليكونَ شاهداً لمسألةِ الإمامةِ، والنَّصِّ عليها من عندِ اللّه!

وتزعمُ الروايةُ أَنَّ اللهَ أَنزلَ في عليٍّ قولَه تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ . . . وهذا زعْمٌ باطلٌ وادِّعاءٌ مردود، سَبَقَ أَنْ ناقَشْناهُ وَرَدَدْناه، وبيَّنَّا عَدَم إنزالِ آيةٍ صريحة، تنُصُّ على ولايةِ عليٍّ رضي الله عنه!

وتختلقُ الروايةُ تآمُرَ الصحابةِ على عليٍّ رضي الله عنه في حياةِ النبيِّ ﷺ، وهذا افتراءٌ باطل. . وتدَّعي أَنَّ اللهَ أَنزَلَ آيةً بعدَ اجتماعِهم وتآمُرِهم، ذمَّهم فيها، واعتبرَهم كافرين. وهذا ادِّعاءٌ كاذب!

وبناءً على ذلك الزعمِ والافتراءِ تُفَسِّرُ الروايةُ الآيةَ تَفْسيراً خاطِئاً، عندما تجعلُها شاهدةً لولايةِ وإمامةِ عليٍّ. قالَ تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ومَعْناها حسبَ ادِّعاءِ الرواية: يَعرفُ الصحابةُ نعمةَ اللهِ في عليٍّ، ويتأكَّدونَ أَنَّ اللهَ أَمَرَ في القرآن باتِّخاذِهِ ولِيّاً ووصِيّاً وإِماماً، لكنَّهم لم يُنَفِّذوا الأَمر، ولم يجعلوه وليّاً إماماً، وإنما أنكروا ذلك، وصاروا كافِرينَ بهذه الولاية!!

الآيةُ في سياقِ الإخبارِ عن كفارِ قريش، الذين لم يشكُروا اللهَ على نِعَمِهِ التي أَنعَمَ بها عليهم، وتُهددُهم بالعذاب. قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ * فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ * يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [النحل: ٨١ ـ ٨٣] إنهم يعرفون أن محمداً ﷺ هو رسول الله، ومع ذلك ينكرون نبوته ويكفرون به!!

هل أبو بكر وعمر أشركا في ولاية علي؟!

١٧٣ ـ روى الكليني عن أميرِ المؤمنين علي بن أبي طالب في قوله: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ قال: هذا في ابنِ حَنْتَمَة وصاحبِهِ، إنْ جاهَداكَ على أَنْ تُشرِكَ بي في الوَصيَّة، وتَعْدِلَ عن مَنْ أُمِرْتَ بطاعتِهِ، فلا تُطِعْهُما ولا تَسمعْ قولَهما. . » [الكافي ١ : ٤٢٨].

تكذبُ الروايةُ على أَميرِ المؤمنين عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وتَنْسبُ له

كلاماً لم يَقُلْه، هو تحريفٌ لمعنى آيةٍ من القرآن، تتحدَّثُ عن عدمِ طاعةِ الوالِدَيْن المشركَيْن، إن طَلَبا من ابنِهما المؤمنِ الكفرَ بالله. . جَعَلَها تتحدَّث عن أبي بكرٍ وعمر، وتنهى عن طاعتِهِما إذا أَشركا بعليّ، ولَم يجعَلاه وليّاً كما أَمَرَ الله!!

وتصِفُ عُمَرَ بصفةِ «ابْنِ حَنْتَمَة» وهي صفةُ ذَمٍّ وانتقاص، و«حَنْتَمَةُ» لَقَبٌ لُقِّبَتْ بِهِ أُمّه!

مَن الذي يُخاطبُه عليٌّ، ويقولُ له: إن جاهَداكَ على أَن تُشركَ بي في الوصية؟ لم تَذْكُره الرواية! المهمُّ عندها أَنَّ أَبا بكر وعمرَ أَشْرَكا نفسيهما بعليٍّ في الولاية، وعَدَلا عن طاعتِهِ ومبايعتِه، وبذلك خالَفا أمْرَ الله! وعلى المسلمينَ أَن لا يُطيعوهُما!!

إنَّ علياً رضي الله عنه بريءٌ من هذا التحريفِ والتَّلاعُب!

لا تتحدَّثُ الآيةُ عن ولايةِ عليٍّ رضي الله عنه، ولا تَذُمُّ أَبا بكرٍ وعمرَ رضي الله عنهما. . إنها آيةٌ من سورةِ لقمان المكية، تتحدَّثُ عن برِّ الوالدَيْنِ، وتُحدِّدُ علاقةَ المسلم بوالِدَيْهِ الكافرَيْن، في ماذا يُطيعُهما، وفي ماذا لا يُطيعُهما. قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ۞ وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ . . ﴾ [لقمان: ١٤ ـ ١٥].

هل أسرة علي هي الشجرة الطيبة المثمرة؟!

١٧٤ ـ روى الكليني عن عمرو بن حريث قال: سأَلتُ أَبا عبدِالله ـ جعفرَ الصادق ـ عن قول الله: ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ فقالَ: رسولُ الله ﷺ أَصْلُها، وأَميرُ المؤمنين فَرْعُها، والأَئمةُ من ذريتِهما أغصانُها، وعلمُ الأَئمةِ ثمرتُها، وشيعتُهم المؤمنونَ ورَقُها. . » [الكافي ١: ٤٢٨].

تُحددُ الروايةُ الآيةَ بآلِ البيت، بدونِ دليلٍ على هذا التحديد! لِننظرْ في الآيةِ، ثم نَنْظرْ في التحديدِ الذي ذَكَرَتْه الرواية!

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ

وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: ٢٤ ـ ٢٥].

هذه الآيةُ من آياتِ الأَمثالِ في القرآن، حيثُ شَبَّهت الكلمةَ الطيبةَ ـ في قُوَّتِها وحَيويَّتِها ونَفْعِها وعَطائِها واستمرارِها وحياتِها ـ بالشجرةِ الطيبةِ في ذلك كلِّه، وفصَّلَت الآيةُ أَحوالَ المشبَّهِ به، وهو الشجرةُ الطيبة، فهي قويةٌ ثابتة ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾، جُذورُها ممتدَّةٌ ضاربةٌ في أَعماقِ الأَرض، وهي شجرةٌ ناميةٌ حيّةٌ ﴿وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾، أغصانُها وفُروعُها قويةٌ ممتدَّةٌ إلى أَعلى، وأَوراقُها خضراءُ يانعة، وهي شجرةٌ مثمرة: ﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ﴾ وثمارُها متواصلةٌ مباركةٌ مفيدة. .

وهكذا المشبَّهُ، وهو الكلمةُ الطيبة، وهي الإسلامُ في قوتِه ورسوخِه، وفي امتدادِه وانتشارِه، وفي مبادِئِه وأَحكامِه وتشريعاتِه، وفي حضورِه عَبْرَ الزمانِ والمكانِ، وأَثَرِه في الناس، وفي رجالِه وجنودِه وحملتِه ودعاتِه. .

وكم أَخطأت الروايةُ عندما فرَّغَت الآيةَ من هذا العمومِ والحيويةِ والتواصل، وحَصَرَتْها في عدَد محدَّدٍ من آلِ البيت: الرسولُ ﷺ الأَصْلُ، وعليٌّ رضي الله عنه الفرع، والأَئمَّةُ الأَغصان، وعلمهم الثمرة، والشيعةُ الوَرَقُ. . إِنَّ هذا تحديدٌ يَقومُ على الهَوى والمزاج، بدون دَليل أَو برهان!

هل إنكار ولاية علي خطيئة تقود إلى النار؟!:

١٧٥ـ روى الكليني عن أبي حمزة عن أحدهما (!!) في قولِ الله عز وجل: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١] قال: هو الذي جَحَدَ إِمامةَ أَميرِ المؤمنين، فهو الذي كَسَبَ سيئةً، وهو من أَصحابِ النار» [الكافي ١: ٤٢٩].

تتحدَّثُ الآيةُ عن الكافر، الذي يَعْملُ السيئاتِ، ويرتكبُ الخطايا، فهو من أَصحابِ النّار. وهي في سياقِ آياتٍ تتحدَّثُ عن تكذيبِ اليهودِ الكفارِ في مزاعمِهِم. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٠ ـ ٨١].

لكنَّ الروايةَ تُحَرِّفُ معنى الآيةِ، وتَنْقُلُها من هذا المعنى العامِّ، في نزولِها في الكفارِ اليهود، إلى معنىً خاصّ لم تَرِدْ فيه، كما تُخصصُ السيئةَ بما لم تُشِرْ له الآية.. حيثُ جعلَت الحديثَ فيها عن المسلمين، الذين لم يُؤْمِنوا بولايةِ عليٍّ رضي الله عنه، على الطريقةِ الشيعيةِ المعروفة. والسَّيئةُ فيها خاصّةٌ بجحودِ وإنكارِ إمامةِ عليٍّ رضي الله عنه، فالذين لم يُؤْمنوا بإمامة عليٍّ على الطريقة الشيعيّة المغالية هم أصحابُ النارِ هم فيها خالدون.

تفسير عجيب لمجموعة من الآيات!!

نقدم هذه الرواية التي رواها الكليني عن محمد الباقر، والتي أجابَ فيها تلميذَه عن سؤالٍ وجَّهَه إليه، وفسَّرَ فيها عدة آياتٍ من القرآن، فرَّغَها من معناها القرآني الصحيح، وحَمَلَها على معنى خاطىء، لا تُشيرُ إليه، وذلك بجعْلِها شاهدةً للإمامةِ والولاية، وثناءً على الأَئمَةِ المعصومين وشيعتِهم..

١٧٦ ـ روى الكلينيّ عن أبي عبيدةَ الحَذَّاءِ قال: سأَلتُ أبا جعفر ـ محمد الباقر ـ عن الاستطاعةِ وقولِ الناس.

فتلا هذه الآية: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْۗ..﴾ [هود: ١١٨ ـ ١١٩] ثم قال لي: يا أَبا عبيدة: الناسُ كلُّهم مختلفون في إصابةِ القولِ، وكلُّهم هالك.

فقلتُ له: اللهُ يقول: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ﴾!!

قال: هؤلاءِ شيعَتُنا، خَلقَهم اللهُ لرحمتِهِ!!

وقال: ومعنى قوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْۗ﴾: خلقهم اللهُ لطاعةِ الإمام..

وقال: ومعنى قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍۚ﴾: الرحمةُ هنا هي علْمُ الإمام، أي: وسعَ علْمُ الإمامِ ـ الذي هو من علْمِ اللهِ ـ شيعَتَنا..

ثم قال: ومعنى قوله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾: سأَكتبُ ولايةَ الإمام وطاعتَه.

ثم قال: ومعنى قوله: ﴿ يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾: هو النبيُّ والوصيُّ والقائمُ، يجدونَهُ مكتوباً عندهم.

ومعنى: ﴿ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾: هو القائمُ إذا قام.

ومعنى: ﴿ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾: المنكَرُ إنكارُ فضْلِ الإمام وجَحْدُه.

ومعنى: ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾: أَخْذُ العلمِ من أَهْلِه، وهم الأَئمة.

ومعنى: ﴿ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾: الخبائثُ هي أَقوالُ الذين يُخالفونَ الإِمام.

ومعنى: ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ ﴾: هي الذنوبُ التي كانوا فيها، قبلَ معرفتِهِم فضْلَ الإمام.

ومعنى: ﴿ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾: الأَغلالُ هي ما كانوا يقولونَ من تَرْكِ فَضْلِ الإمام، فلما عَرفوا فَضْلَ الإِمامِ وَضَعَ عنهم إِصْرَهم.

ومعنى: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ ﴾: الذينَ آمنوا بالإِمام..

ومعنى قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا ﴾: هم الذينَ لم يَعْبُدوا الجِبْتَ والطاغوت، وهم فلانٌ وفلانٌ وفلان... وعبادتُهم طاعةُ الناسِ لهم.

ومعنى قوله: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾: هم شيعَتُنا، يبشِّرهم الإِمامُ بقيامِ القائم، وبظهورِه، وبقتْلِ أَعدائِهم، وبالنجاةِ في الآخرة. [الكافي ١: ٤٢٩].

وهكذا نرى القضية الأساسية عندهم هي الإمامَ والإمامة، والثناءَ على شيعةِ الإمام، وذَمَّ الذين يُخالفونَهم. وكلُّ آياتِ القرآنِ عندهم يجبُ أَنْ تكونَ خادمةً لهذه القضية، وشاهدةً لها. ويَجبُ إِبعادُها عن معناها الصحيح، الذي يشهدُ له القرآنُ واللغة، وتحريفُها لتكونَ دليلاً على ما لا يمكنُ أَنْ تدلَّ عليه!!

هل الإيمان بالإمامة أساس الدرجات عند الله؟:

١٧٧ ـ روى الكليني عن عمارِ الساباطي قال: سأَلْتُ أَبا عبدِالله ـ جعفر الصادق ـ عن قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۞

هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ . .﴾ [آل عمران: ١٦٢ ـ ١٦٣]. . فقال: الذين اتَّبعوا رضوانَ اللهِ هم الأئمة، وهم ـ واللهِ يا عَمّار ـ دَرَجاتٌ للمؤمنين، وبولايتِهم ومعرفتِهم إيّانا، يُضاعِفُ اللهُ لهم أعمالَهم، ويرفعُ لهم الدرجاتِ العُلى!» [الكافي ١: ٤٣٠].

تُبيِّنُ الآيةُ عدمَ تساوي المؤمنين المتَّبعينَ لرضوانِ الله، مع الكافرينَ الذين باءوا بغضبٍ من الله.

والكلامُ في الآيةِ عن كُلِّ المؤمنينَ الصالحين المتَّبِعين لرضوانِ الله، على اختلافِ الزمانِ والمكان، وهؤلاءِ المؤمنونَ درجات، مُتفاوِتونَ فيها، حسبَ أعمالِهم وعباداتِهم.

ولكنَّ الروايةَ تُخصصُها بالأئمةِ والشيعةِ بدونِ دليل: فالذينَ اتَّبَعوا رضوانَ الله هم الأئمةُ فقط، وهم دَرَجاتٌ لشيعتِهِم، وكلما ازدادَ إيمانُ شيعَتِهم بهم ارتفعَتْ درجاتُهم عندَ الله!!

هل الإمامة شرط رفع الأعمال عند الله؟:

١٧٨ ـ روى الكليني عن أبي عبدِالله ـ جعفر الصادق ـ في قولِه تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر: ١٠] قال: هي ولايَتُنا أَهْلَ البيت، فَمَنْ لم يَتولَّنا لم يَرفع اللهُ له عملًا!» [الكافي ١: ٤٣٠].

الكلامُ الطيبُ الجميلُ الحلالُ يصعَدُ إلى اللهِ تعالى، ولكن لا بدَّ لهذا الكلامِ الطيب من رافع يرفعُه، ويعتمدُ عليه في الصعود، وهذا الرافعُ هو العملُ الصالح. . فالآيةُ عامَّةٌ في كلِّ عملٍ صالحٍ وكَلِمٍ طَيِّب.

لكنَّها عندهم خاصَّةٌ بدونِ دليل، فالعملُ الصالحُ الذي يُرفعُ هو القولُ والإيمانُ بولايةِ الأئمة، وهو شرطٌ في قَبولِ الأعمالِ عندَ الله، فمَنْ لم يَتَولَّ الأئمةَ لا يُقْبَلُ منه عملٌ، ولا يُرفَعُ له شيء! وهذا تحكُّمٌ وقولٌ بالهوى، بدون دليلٍ أو بُرهان!

هل الكفلان هما الحسن والحسين؟:

۱۷۹ـ روى الكلينيُّ عن أَبي عبدِالله في قوله تعالى: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ [الحديد: ۲۸] قال: الكِفْلان هما الحَسَنُ والحُسَيْن. والنورُ الذي تمشونَ به هو إِمامٌ تأتمّونَ به!» [الكافي ۱: ٤٣٠].

الآيةُ في سياقِ ترغيبِ غيرِ المسلمين بالدخولِ في الإِسلام، كاليهودِ والنصارى، فإذا آمنوا بالرسولِ ﷺ ودَخلوا في الإِسلام، فإن اللهَ يُعطيهم نصيبَيْنِ كامِلَيْنِ من رحمتِه، ويَجعلُ لهم نوراً يمشونَ به في حياتِهم، وهو نورُ الإِسلام.

ولكنَّ الروايةَ العجيبةَ تُحَرِّفُ معنى الآية، وتُخَصِّصُها بمعنى خاطىء، لا تحتملُه ولا تدلُّ عليه.

الكِفْلانِ شَخْصانِ، هما الحَسَنُ والحُسَين، والنورُ الذي يَمشونَ به هو الإِمامُ المعصوم، الذي يأْتَمونَ به.

وبهذا يكونُ معنى الآية: إذا آمنتُم باللهِ واتَّقيتُموه، فإِنَّ اللهَ يُؤْتيكُم الحَسَنَ والحسينَ، ويُؤْتيكُم إِماماً معصوماً تأتَمونَ به!!

والقرآنُ مُنَزَّهٌ عن هذا العبَثِ والتَّلاعُبِ والتحريف، الذي يُسمِّيه الكلينيُّ وجماعتُه تفسيراً!!

هل علي هو الولي حقا؟!

۱۸۰ـ روى الكليني عن أبي عبدِالله ـ جعفر الصادق ـ في قوله تعالى: ﴿۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ﴾: قال: ما تقولُ في عَلِيٍّ؟ قُلْ: إِي ورَبّي إنه لحق». [الكافي ۱: ٤٣٠].

الكلامُ في الآيةِ عن تكذيبِ الكفارِ بالوحي وبالقرآن، ويُقسمُ الرسولُ ﷺ لهم اليمينَ بالله إنه لحق. فالضميرُ المنفصلُ «هو» يَعودُ على الوحي. والمعنى: يسألكَ يا محمد كفارُ قومك مُتشكِّكين، ويَقولون: هل هذا القرآنُ حَقّ؟ وهل هو من عندِالله؟ وعليك أَنْ تجيبَهم قائلاً: إِي ورَبّي، إنَّ هذا القرآنَ حقّ!

ولكنَّ الروايةَ العجيبةَ تُخصصُ السؤالَ والجوابَ بعليٍّ رضي الله عنه، وتَربطُ الضميرَ المنفصلَ «هو» في الجملةِ بعليّ، ولا أدري أيَّ لُغَةٍ تُعيدُه على عليّ! وما دَخْلُ عليٍّ رضي الله عنه في الوحيِ والصراعِ والمواجهةِ مع المشركين!!

هدفُ الروايةِ العجيبةِ أَنْ تجعَلَ ولايةَ عليٍّ رضي الله عنه حَقّاً صَريحاً مَنْصوصاً عليه في القرآنِ!! ولو أدَّى ذلك إلى تحريفِ معنى القرآن!!

لا تفك الرقاب من النار إلا بالإيمان بالأئمة!!:

١٨١ ـ روى الكليني عن أبانِ بن تغلب، قال: قلتُ لأَبي عبدِالله ـ جعفر الصادق ـ جُعِلْتُ فِداك ما معنى قوله تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ [البلد: ١١].

فقالَ: مَن أَكرَمَهُ اللهُ بولايَتِنا فقد جازَ العقَبة، ونحنُ تلكَ العقبة، التي مَن اقتَحَمَها نَجا!

فسكَتُّ. فقالَ لي: هلاّ أُفيدُكَ حَرْفاً، خيرٌ لكَ من الدنيا وما فيها؟

قلت: بلى. جُعِلْتُ فِداك!

قال: قولُه: «فك رقبة». الناسُ كلُّهم عبيدُ النار، غيرُك وأصحابُك، فإِنَّ اللهَ فَكَّ رقابَكم من النارِ بولايتِنا أهلَ البيت!» [الكافي ١: ٤٣٠ ـ ٤٣١].

تحثُّ الآياتُ الكافرَ على اقتحامِ العقبةِ، وتَجاوُزِها بسلامٍ وأَمانٍ، وحتى لا يبقى القارىءُ في حَيرة، تُقَدِّمُ له معنى العقبةِ، وتحصُرُه بأنَّه عِتْقُ عَبْدٍ وتحريرُه، أو إطعامُ يَتيمٍ أو مِسكينٍ في يوم مجاعة. قالَ تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ * ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد: ١١ ـ ١٧].

ولكنَّ الروايةَ العجيبةَ تَتلاعَبُ بهذه الآيات، وتقدمُ لها تفسيراً خاصاً، لا يتفقُ معَ لغةٍ أو منطقٍ: العقَبةُ: الأَئمةُ. واقتحامُ العقبة: الإيمانُ بالأَئمةِ وموالاتِهم، ومَنِ اقتحَمَ العقَبَةَ نجا، أَيْ: مَنْ والَى الأَئمةَ نجا. ومَنْ لَمْ يُوالِهم لَم يَقتحِم العقبة، ولم يَنْجُ ولم يَسْلَمْ.

وفكُّ الرقبةِ عندَ الروايةِ تخليصُها من النار، وليسَ تَحريرَ العَبْد، وفَكُّ الرقبة محصورٌ بالإيمانِ بالأَئمة، ومَنْ لم يكنْ من الشيعةِ فإنه من عَبيدِ النار، ولا تُفَكُّ رقبَةُ أَحدٍ من النار إلاّ أن يكونَ شيعياً، يؤمنُ بالأَئمةِ وموالاتِهِم!

إنَّ الكلينيَّ وجماعتَه يوظِّفونَ آياتِ القرآنِ لخدمتِهم، ونصرةِ مذهبِهم، ولتكفيرِ خصومِهِم من المسلمين، فكلُّ أَهْلِ السنةِ عَبيدُ النار، لا تُفَكُّ رقابُهم منها، لأَنَّ الجنةَ مقصورةٌ على الشيعةِ المؤمنينَ بالأَئمة!!

هل ولاية علي هي عهد الله؟

١٨٢ ـ روى الكليني عن أبي عبدِالله ـ جعفر الصادق ـ في قوله تعالى: «وأَوفو بعهدي» : بولايةِ أمير المؤمنين. «أُوفِ بعهدكم»: أُوفِ لكم بالجنة» [الكافي ١: ٤٣١].

الآيةُ في سياقِ ذمِّ اليهودِ لسوءِ موقفِهم من رسولِ اللهِ ﷺ، حيثُ كذَّبوهُ وكفروا به، يأْمُرُهم اللهُ بالإيمانِ به واتِّباعِه. قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۞ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ. .﴾ [البقرة: ٤٠ ـ ٤١].

أَمَرَ اللهُ بني إِسرائيلَ أَنْ يُوفوا بعهدِهِ، ليوفيَ هو بعهدِهِم، وعهدُه الذي يُذَكِّرُهم به هو وجوبُ الإِيمانِ بالرسولِ الخاتم ﷺ، وهذا العهدُ أَخذهُ منهم على لسانِ رسلِهِم وأَنبيائِهم. والذي أشارَ له قولُه تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

إنَّ معنى إيفائِهم بعهدِ الله تصديقُهم للرسولِ ﷺ، ودخولُهم في الإسلام. . فإن فعلوا ذلك أدخلَهم الجنة.

تُلغي الروايةُ العجيبةُ هذا المعنى الهامَّ لعهدِ الله، وتَحملُه على معنى غير صحيح، وهو وجوبُ الإِيمانِ بأَنَّ اللهَ عيَّنَ علياً رضي الله عنه أَميراً للمؤمنين. وهذا كلامٌ باطل، ليس عليه دليل.

هل دعا الرسول إلى ولاية علي؟:

سَجَّلَ الكلينيُّ حِواراً «تفسيرياً» عَجيباً، فَسَّرَ فيه جعفرُ الصادقُ آياتٍ من سورةِ مريمَ تَفْسيراً خاصّاً، حيثُ وظَّفَها لخدمةِ فكرتِهم حولَ الإمامةِ والولايةِ والأَئمةِ والأَوصياء، وهي نموذجٌ واضحٌ للتحريفِ المقصودِ لمعاني القرآن.

١٨٣ـ قال أبو بصير: قال أبو عبدِالله ـ جعفر الصادق ـ في قولِه تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم: ٧٣] قال: كانَ رسولُ الله ﷺ دعا قريشاً إلى ولايتِنا، فنَفَروا وأَنكروا، فقالَ الذينَ كفروا من قريشٍ للذين آمنوا وأَقروا لأَميرِ المؤمنين ولنا أَهْل البيت: أيُّ الفريقَيْنِ خَيْرٌ مَقاماً وأَحسنُ ندياً. تَعْييراً منهم!» [الكافي ١: ٤٣١].

في هذا الكلامِ افتراءٌ على رسولِ الله ﷺ، فلم يَدْعُ ﷺ قُريشاً إلى ولايةِ آلِ البيت، ولا إلى الإقرارِ بأَنَّ عليّاً وصيٌّ من بعده، وأنه أَميرُ المؤمنين، إنما دَعاهُم إلى الإيمانِ بالله وتوحيدِهِ وعدمِ الشركِ به، وكانَ يقولُ لهم: قولوا: لا إله إلا الله، تُفْلِحوا..

وليسَ المرادُ بالذين آمنوا في الآيةِ الذين أَقَرُّوا لأَميرِ المؤمنين وللأَئمّةِ من بعْدِهِم، إنما المُرادُ بهم الذينَ دَخَلوا في الإِسلام، وحَقَّقوا أَركانَ الإِيمان، ولا يَجوزُ تحريفُ كلماتِ الآية، والافتراءُ عليها، وحملُها على غيرِ معناها الصَّحيح!!

هل الضلالة هي ترك ولاية علي؟:

١٨٤ـ قال أبو بصير لأبي عبدالله: ما معنى قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَـٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٥]. قال: كلُّهم كانوا في الضَّلالة، لا يُؤمنونَ بولايةِ أميرِ المؤمنين، ولا بولايتنا، فكانوا ضالّين مُضلّين، فيمُدُّ لهم في ضلالتِهم وطغيانِهم حتى يموتوا، فيُصَيِّرُهم اللهُ شَرّاً مكاناً وأَضْعَفَ جُنداً» [الكافي ١: ٤٣١].

الضلالةُ في الآية هي الكفر، وكلُّ كافر ضالٌّ بعيدٌ عن الحقِّ، واللهُ يَمُدُّ له من العذابِ مدّاً، فيزدادُ بذلك ضَلالاً، حتى يموتَ كافراً.

ولكنَّ الضلالةَ عند أبي عبدِالله هي إنكارُ ولايةِ أميرِ المؤمنين عليٍّ رضي الله عنه، وولايةِ الأئمةِ الأوصياءِ من بعدِه! وكلُّ مَنْ أنكرَ هذه الولاية، ولم يُؤمنْ بأنَّ اللهَ نصَّ عليها في القرآنِ فهو ضالٌّ مضلٌّ، وكافرٌ هالك! ومعنى هذا أنَّ مَنْ لم يكن شيعياً فهو كافرٌ ضالٌّ!

هل الموعود المنتظر هو خروج القائم؟!:

١٨٥ ـ قال أبو بصير لأبي عبدِالله: ما معنى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ [مريم: ٧٥]؟ قال: ما يوعَدونَ هو خُروجُ القائم، عند ذلك سيعْلَمونَ بعدَما يَنزلُ بهم من عندِ اللهِ على يَدِ قائِمِهِ، مَنْ هو شرٌّ مكاناً عندَ القائم، ومَنْ هو أضعَفُ جنداً» [الكافي ١: ٤٣١].

يُؤمنُ الشيعةُ أنَّ اللهَ ادَّخرَ عندَه القائم، وسيُنزلُه في آخرِ الزمان، بعدَ انتشارِ الفساد، وسيملأُ الأَرضَ نوراً وعدْلاً، وسيكونُ استمراراً للأئمةِ المعصومين!

وفكرةُ القائمِ مردودةٌ من أَساسِها، لأنه لا دليلَ عليها من قرآنٍ أو من سُنّة!

وفسَّر أبو عبدِالله الآيةَ تفسيراً على أساسِ هذه الفكرةِ الباطلة، فالذي ينتظرُهُ الناسُ هو خروجُ هذا القائم، وسيوقعُ هذا القائمُ العِقابَ على مَنْ خالفه، وسيُقَرِّبُ القائمُ أَولياءَه منه، وسيُبعِد خُصومَه. عندَ ذلك سيَعلمونَ من صاحبُ المكانِ الشّريرِ البعيدِ عن القائم!

بهذا الكلامِ الباطلِ يُفَسَّرُ كلامُ الله!!

مع أَنَّ الآيةَ تتحدَّثُ عن وعيدٍ وتهديدٍ للكافرين الضالّين، المحاربينَ للإسلام، والذي توعَّدهم اللهُ به إمّا عذابٌ مفاجِىءٌ يَصُبُّه عليهم، وإمّا قيامُ الساعة، عند ذلك سيعلَمونَ مدى ضلالِهم وخسارتِهم، وأَنّهم شَرٌّ مكاناً وأضعَفُ جنداً.

هل زيادة الهدى بخروج القائم!!

١٨٦ ـ قال أبو بصير: قلت لأبي عبدِالله: وما معنى قوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًىۗ﴾؟ [مريم: ٧٦] قال: يَزيدُهم اللهُ هدى على هُدى يومَ خروجِ

القائم، باتِّباعِهم القائمَ، حيثُ لا يَجْحَدونَه ولا يُنكرونَه!» [الكافي ١ : ٤٣١].

تُحددُ الروايةُ الزيادةَ بيومِ خُروجِ القائم، وتَقْصُرُ الهُدى على اتِّباعِهم القائمَ! وهذا تفسيرٌ مردود، لأَنَّ الهُدى في الآيةِ عامٌّ في كلِّ اتباعٍ للحَقِّ وثَباتٍ عليهِ، وعبادةٍ وطاعةٍ لله، هؤلاءِ المهْتَدون يَزيدُهم اللهُ هدى، ويتمثلُ في ازْدِيادِهم من العبادة. .

هل العهد عند الله هو موالاة الأئمة؟:

١٨٧ـ قال أبو بصير: قلت لأبي عبدِالله: ما معنى قوله تعالى: ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾ [مريم: ٨٧]. قال: الذي اتخذَ عندَ الرحمنِ عهْداً هو الذي دانَ اللهَ بولايةِ أَميرِ المؤمنين والأئمةِ من بعدِه، فالعهدُ عند الله هو ولايتُهم! [الكافي ١ : ٤٣١].

تقصرُ الروايةُ العهدَ عند اللهِ على الذي آمَنَ بولايةِ أَميرِ المؤمنين عليٍّ رضي الله عنه، والأَئمةِ من بَعْدِهِ، فالعهدُ هو عهدُ الولايةِ!.. وهذا تفسيرٌ باطلٌ ومردود، ولا دليلَ من قرآنٍ أو حديثٍ صحيح على أَنَّ اللهَ أَوجَبَ على المسلمينَ الإيمانَ بولايةِ عليٍّ والأَئمةِ من ذريَّته، وجَعَلَ هذا ركناً من أَركانِ الإِيمانِ! والقولُ بذلك قولٌ بالباطل.

المرادُ بالعهدِ هنا العبادةُ والطاعة، والذي اتخَذَ عند الرحمٰن عهداً هو كلُّ مسلمٍ صالحٍ عابد، قَدَّم عبادات خالصةً لله، واتخذها عهداً عنده، ليَجْزِيَه عليها يومَ القيامة!

هل الود هو ولاية أمير المؤمنين؟!:

١٨٨ـ قال أبو بصير: قلت لأبي عبدِالله: ما معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾ [مريم: ٩٦] قال: الودُّ هنا هو ولايةُ أَميرِ المؤمنين! [الكافي ١ : ٤٣١].

الوُدُّ هو الإيمانُ بولايةِ عليٍّ رضي اللهُ عنه، والذين سيجعلُ لهم الرحمنُ وُدّاً هم الذين آمنوا بالولاية. والذين لم يُؤمنوا بالولايةِ هذا الإيمان محرومون من هذا الوُدّ!

وهذا افتراءٌ على الله! فالوُدُّ هو الحُبُّ، واللهُ يحبُّ كلَّ المسلمين العابدين الصالحين.

هل القرآن ميسر بولاية علي؟

١٨٩ ـ قال أبو بصير: قلت لأبي عبدِالله: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴾ [مريم: ٩٧]. **قال: إنما يَسَّرَهُ اللهُ على لسانِه، حينَ أَقامَ أَميرَ المؤمنين عَلَماً، فبشَّرَ بِهِ المؤمنين، وأَنْذَرَ به الكافرين»** [الكافي ١ : ٤٣١].

تَفتري الروايةُ على الآيةِ عندما تُفَسِّرُ التيسير على لسانِ الرسولِ ﷺ بكونِ عليٍّ رضي الله عنه عَلَماً ودَليلاً عليه، وذلك حسَبَ زعْمِهم أَنَّ اللهَ عَيَّنَ علياً إِماماً من بعده، وأنَّ الرسولَ ﷺ بَشَّرَ به المؤمنين بولايتِه، وأَنذرَ بولايتِهِ القومَ اللُّدَّ الأَعداءً له، وهم الكفارُ بولايته!!

وهذا افتراءٌ باطل، فالذي يَسَّرَهُ اللهُ بلسانِ رسولِهِ ﷺ هو القرآنُ الكريم، ولسانُه ﷺ هو اللسانُ العربي، ولذلك أنزلَ اللهُ القرآنَ الكريمَ بلسانٍ عربيٍّ مبين، وجعلَه ميسَّراً للذكْر، وبشَّرَ الرسولُ ﷺ به المؤمنين المتقين، وأَنذرَ به الكفارَ اللَّدودين.. فالكلامُ عن القرآنِ وليسَ عن ولايةِ عليٍّ..

هل يعمي الله أبصار منكري ولاية علي؟!:

١٩٠ ـ قال أبو بصير: قلت لأبي عبد الله: ما معنى قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يَس: ٧] **فقال: حقَّ القولُ على أَكثرِهم، وهم الذين لا يُقِرُّون بولايةِ أَميرِ المؤمنين والأَئمةِ من بعدِه، فهم لا يؤمنونَ بإِمامةِ أَميرِ المؤمنين والأَوصياءِ من بعده.**

ولمّا لم يُؤْمِنوا بذلك كانت عقوبتُهم المذكورةُ في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۞ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ .. ﴾ [يَس: ٨ ـ ٩] **عاقَبَهم اللهُ في الدنيا بأَنْ جعلَهم لا يُبصرونَ عقوبةً منه لهم، حيثُ أنكَروا ولايةَ أَميرِ المؤمنين، والأَئمّةِ من بعده هذا في الدنيا، وفي الآخرةِ في نارِ جهنم مقمحون»** [الكافي ١ : ٤٣٢].

هذا تفسيرٌ باطلٌ للآيات، وجَّهَها كلَّها لولايةِ عليٍّ والأئمّةِ من بعدِه، وهي الفكرةُ الباطلةُ المردودةُ عندنا من أَساسِها، فحملُ الآياتِ عليها تحريفٌ باطلٌ لمعناها..

تتحدَّثُ الآياتُ عن الكفارِ حقيقة، وهم الذين أنكروا نبوةَ محمدٍ ﷺ، وكذَّبوا به، والقولُ الذي حَقَّ على هؤلاءِ الكفار هو طبعُ اللهِ على قلوبهم بسببِ اختيارِهم الكفر، لأنَّ سنةَ اللهِ أَنَّ مَنِ اختارَ الكفرَ يَطبَعُ اللهُ على قلبِه! وبما أنَّ اللهَ طَبَعَ على قلوبهم فلن يؤمنوا بعد ذلك!!

هل اتباع الذكر بموالاة أمير المؤمنين؟!

١٩١ ـ قال أبو بصير: قلت لأبي عبدِالله: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ...﴾ [يس: ١٠ ـ ١١] قال: إنهم لا يؤمنون باللهِ، وبولايةِ عليٍّ، والأئمةِ من بعدِه! وأنتَ تُنذرُ من اتَّبَعَ الذِّكْرَ، والذكرُ هو أَميرُ المؤمنين!» [الكافي ١: ٤٣٢].

هذا تفسيرٌ مردودٌ للآية، فالإِيمانُ الذي نَفَتْهُ عنهم الآيةُ هو الإيمانُ بولايةِ عليٍّ والأَئمةِ من بعده! وهذا باطلٌ وضلال. إنَّ الإيمانَ معروفٌ في الكتابِ والسُّنَّة، وهو تحقيقُ أَركانِ الإِيمانِ الستة.

وتلاعبت الروايةُ بالآيةِ عندما جعَلت «الذِّكْرَ» المذكورَ فيها هو أَميرَ المؤمنين، فصارَ معنى الجملةِ: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ﴾: تُنذرُ الرجلَ الذي اتبعَ علياً أميرَ المؤمنين!!

الصحيحُ أَنَّ الذكرَ في الآية هو القرآنُ، والذي اتبعَ الذكْرَ هو الذي آمَنَ بالقرآن، والتزمَ بما فيه، وطبَّقَ أَحكامَه!!

* * *

أخطاء في تفسير مجموعات من الآيات

نقفُ الآن مع نوعٍ آخرَ من رواياتِ الكلينيِّ التفسيرية، تختلفُ عن الرواياتِ السابقة، فالإمامُ المعصومُ لا يُفسِّرُ آيةً أو آيتَيْن كما رأينا في الرواياتِ السابقة، وإنما يُفَسِّرُ مجموعةَ آياتٍ من السورة، على الطريقةِ السابقةِ الخاطئةِ في التفسير. وهذا النوعُ أشبهُ ما يكونُ دروساً في التفسير. وسنقفُ مع هذه الدروس مُحَلِّلين مُصَوِّبينَ بِعونِ الله.

روى الكلينيُّ عن محمدِ بنِ الفضيل قال: «سألْتُ أبا الحسنِ الماضي عليه السلام».

المسؤول إمامٌ من الأَئمةِ الإثني عشَرَ، كنيتُه أبو الحسَن، ولقبُه «الماضي» فمن هو؟

هم أئمةٌ ثلاثة، كلٌّ منهم يُكْنى بأَبي الحَسَن:

- الإمامُ السابع: موسى بن جعفر. الملقَّبُ بالكاظم.
- الإمامُ الثامن: عليُّ بن موسى. الملقَّبُ بالرِّضا.
- الإمامُ العاشر: عليُّ بن محمد. الملقَّبُ بالهادي.

لعلَّ المقصودَ هو موسى بن جعفر، لأَنه وَصَفَه بالماضي، ولعلَّ معنى الماضي السابق المتقدِّم على غيره.

ويهمُّنا الوقوفُ مع التفسيرِ المنسوبِ لأَبي الحسنِ لمعرفةِ مكْمَنِ خطئِه، وما هو الصوابُ فيه!

سأَلَه محمدُ بن الفضيل عن تفسيرِ آياتٍ من سور: الصف، والمنافقون، والملك، والحاقة، والجن، والمزمل، والمدثر، والإنسان، والمرسلات.

الخطأ في تفسيرِ آياتِ سورة الصف:

١٩٢ ـ قال ابنُ الفضيل: سألتُ أَبا الحسنِ الماضي عن قولِ الله عزَّ وجل: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾؟ قال: يُريدونَ ليُطفئوا وِلايةَ أَميرِ المؤمنين بأفواهِهم...

قلتُ: وقولُه: ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾؟ قال: اللهُ مُتِمُّ الإمامَة، فنورُ اللهِ هو الإمام!

قلت: وقولُه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾؟ قال: هو الذي أرسلَ رسولَه بالولايةِ لوَصِيِّه، والولايةُ هي دينُ الحق!

قلت: وقولُه: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾؟ قال: يُظهرُه على جميعِ الأَدْيانِ، عندَ قيامِ القائم..

قلتُ: وقولِه: ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾؟ قال: هم الكافرون بولايةِ عليٍّ..

قلت: هذا تنزيل؟ قالَ: نعم. أَمّا هذا الحرفُ فتنزيل، وأمّا غيرُه فتأويل..» [الكافي ١: ٤٣٢].

الآياتُ المسؤولُ عنها هي قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۞ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٨ ـ ٩].

الكلامُ عن جهودِ الكفارِ في حَرْبِ الإسلام، أَخْبَرَ اللهُ أَنهم يُريدونَ ليُطفِئوا نورَ اللهِ بأَفواهِهم، فالمرادُ بنورِ اللهِ الإسلام. ولكنَّهم فاشلونَ، لَن ينجحوا في تحقيقِ هدَفهم، فاللهُ مُتِمُّ نورِه، أَيْ: سينصرُ دينَه، وينشُرُه في كُلِّ بقاعِ الأَرض، لأَنه سبحانه أَرسلَ رسولَه محمداً ﷺ بالهُدى ودينِ الحقِّ، وآتاهُ الآياتِ والبيِّناتِ والحجَجَ والبراهين، وسيُظهِرُهُ على الدينِ كلِّه، رغمَ أَنفِ الكافرين والمشركينَ الكارهين لذلك!

لكنَّ أَبا الحسن يَصْرِفُ الآياتِ عن هذا المعنى الصحيح، ويُحَوِّلُها إلى الولايةِ والإمام: فالذينَ يُريدونَ هم المسلمونَ من غيرِ الشيعة! ونورُ الله الذي أرادوا إطفاءَه هو ولايةُ وإمامةُ أَميرِ المؤمنين عليٍّ رضيَ الله عنه! ونورُ الله الذي سَيُتِمَّه اللهُ هو إمامةُ الإمامِ المعصوم!! والهُدى الذي أرسلَ اللهُ رسولَه به هو الولايةُ لوصيِّه عليٍّ رضي الله

عنه، حيثُ أَمَرَ الصحابةَ أَنْ يُبايعوا علياً، لأَنَّ الولاية له من بعدِه. . وسيُظهِرُ اللهُ دينَه على الأَدْيانِ كُلِّها، وذلك عند ظهورِ وخُروجِ القائم في آخِرِ الزمان، ولن يُتِمَّ اللهُ نورَه إلاّ بظهورِ القائم، ولو كرهَ الكافرون، وهم المنكرونَ لولايةِ علي. . .

الخطأ في تفسير آيات من سورة المنافقون:

١٩٣ ـ قال محمدُ بنُ الفضيل: قلتُ لأَبي الحسن: **قولُه تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾ قال: سمَّى اللهُ مَن لَمْ يتَّبعْ رسولَه في ولايةِ وَصِيِّه مُنافقين، وجَعَلَ مَنْ جَحَدَ وَصيَّةَ إمامِه كَمَنْ جَحَدَ محمداً، وأَنزلَ بذلك قرآناً!! فقالَ: يا محمد: «إذا جاءك المنافقون (بولايةِ وصيِّك) قالوا نشهد إنك لرسول الله، والله يعلم إنك لرسوله، والله يشهد إن المنافقين (بولاية عليٍّ) لكاذبون، اتخذوا أَيمانَهم جُنَّةً فصدوا عن سبيل الله (والسبيلُ هو الوَصِيُّ) إنهم ساءَ ما كانوا يعملون. ذلك بأَنهم آمنوا (برسالتِك) ثم كفروا (بولايةِ وَصِيِّك) فطبَعَ (الله) على قلوبهم فهم لا يفقهون. وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله (قيل لهم ارجعوا إلى ولاية عليٍّ، يستغفرْ لكم النبيُّ من ذنوبكم) لَوَّوْا رؤوسهم، ورأيتهم يَصُدّونَ (عن ولايةِ عليٍّ) وهم مستكبرون. . »** [الكافي ١ : ٤٣٣].

المنافقونَ صنفٌ من أصناف الكفار في الحقيقة، وهم قومٌ كانوا يُظهِرونَ الإسلامَ ويُخفونَ الكفر، وهم في الدَّرْكِ الأَسفلِ من النار.

لكنَّ المنافقينَ عندَ الكلينيِّ وجماعتِه هم المسلمونَ من غيرِ الشيعة، وهم منافقونَ عندهم لأَنَّهم لم يُطيعوا الرسولَ ﷺ، عندما أَمَرَهم بمبايعَةِ وصيِّه عليٍّ من بعدِه، وزَعموا أنَّ مَنْ جحَدَ إمامةَ عليٍّ الوصيِّ كمنْ أَنكَرَ نبوةَ محمدِ النبيِّ ﷺ. . وهذه مبالغةٌ ومغالاةٌ مرفوضة، ومَعناها أَنَّ كُلَّ الصحابةِ منافقونَ وكفار، باستثناءِ أَقلَّ من عشرةٍ منهم.

المنافقونَ عندَ أَبي الحسن ليسوا الذين يُخفونَ الكفْرَ ويُظهِرونَ الإِسلام، لكنهم الذين يُنكِرونَ ولايةَ عليٍّ رضي الله عنه. هؤلاءِ المنافقونَ المنكرونَ لولايةِ عليٍّ كاذبون، حتى لو قالوا: نشهدُ إنك لرسولُ الله!! وهم بهذه اليمين صَدّوا عن سبيلِ الله، وسبيلُ اللهِ محصورٌ بالوصيِّ عليٍّ، وصَدُّهم عن سبيلِ الله بإنكارِ إمامَتِهِ. وهؤلاءِ

المنكرونَ لولايةِ الوصيِّ عليٍّ كافرونَ منافقونَ، حتى لو كانوا من الصحابة، لأنهم آمنوا بالنبيِّ محمدٍ ﷺ ثم كفروا بولايةِ الوصيِّ عليٍّ، وبذلك طَبَعَ اللهُ على قلوبِهم.. وإذا قيلَ لهؤلاءِ المنافقين: ارجعوا إلى ولايةِ عليٍّ، يستغفرْ لكم النبيُّ ذُنوبَكم، أَعْرَضوا ورَفضوا واستكْبَروا، وأَنْكَروا ولايةَ عليٍّ...

بهذا الافتراءِ والتحريفِ والعَبَثِ والهراءِ يُفَسِّرونَ آياتِ سورةِ المنافقون، وهي قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ * ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ * وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ..﴾ [المنافقون: ١ ـ ٥].

الخطأ في تفسير آية سورة الملك:

١٩٤ ـ قال محمدُ بنُ الفضيل: وسأَلْتُ أَبا الحسن عن معنى قولِه تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: ٢٢]؟ قال: «إن اللهَ ضَرَبَ مَثَلَ مَنْ حادَ عن ولايةِ عليٍّ كَمَن يمشي على وجهِهِ، لا يَهتدي لأَمْرِهِ، وجَعَلَ مَنْ تَبِعَهُ سوياً على صراطٍ مستقيم، والصراطُ المستقيمُ هو أميرُ المؤمنين» [الكافي ١: ٤٣٣].

تُبينُ الآيةُ أنه لا يستوي رَجلان مختلفان: الأول: يَمشي على وجهه، والثاني: يمشي على رجلَيْه، وهو سويٌّ معتدلٌ مستقيم، يعرفُ طريقَه وغايتَه وواجبَه.

والذي يمشي مُكِباً على وجْهِه هو الكافر، لأَنه ضالٌّ ضائعٌ تائِهٌ حيران، يتخبَّط في سيرِهِ وحياتِه وعملِه، والذي يَمشي سوِياً على صراطٍ مستقيم هو المؤمنُ المهتدي الواثقُ. فالآيةُ عامَّةٌ في كل مؤمنٍ وكافر، بدليلِ اسمِ الموصولِ «مَنْ» المذكورِ فيها مرتَيْن، ومعلومٌ أَنَّ اسْمَ الموصولِ من صيغِ العُموم.

ولكنَّ أَبا الحسنِ لا يُبقي الآيةَ على عُمومِها وشُمولِها لكلِّ مسلمٍ وكافر، ويَذهبُ

بها إلى معنى بعيدٍ غريبٍ عنها، مرفوضٍ إسلامياً، إنه ولايةُ عليٍّ رضي الله عنه!! فالصراطُ المستقيمُ هو أَميرُ المؤمنين! ومَنْ يمشي سوياً على صراطٍ مستقيم هو من آمَنَ بأَنَّ علياً رضي الله عنه هو وصيّ النبيِّ ﷺ، وأَميرُ المؤمنين من بعدِه!! أَمّا الذي يَمشي مكبّاً على وجهه فهو الذي حادَ عن ولايةِ عليٍّ، وجَعَلَ غيرَه وليّاً وأَميراً للمؤمنين!! أَيْ أَنَّ الآيةَ تذُمُّ الصحابةَ الذين بايَعوا أبا بكر وعمر وعثمان قبلَ عليٍّ، رضي اللهُ عن جميعِ الصحابة! وهذا فهمٌ خاطىءٌ وتفسيرٌ مردودٌ للآية!

الخطأ في تفسير آيات سورة الحاقة:

١٩٥ ـ قال الله عز وجل: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ * وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ * إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ * وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ * وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ * تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ * وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ * لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ * فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ * وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ * وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ * وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ * وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ * فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحاقة: ٣٨ ـ ٥٢].

أ ـ قال محمدُ بن الفضيل: قلتُ لأَبي الحسَن: قولُه تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾؟ قال: يَعْني جبريل عن الله في ولايةِ عليٍّ..».

أَيْ أَنَّ جبريل نزَلَ بولايةِ عليٍّ من عندِ الله، وأَمَرَ بها رسولُ اللهِ ﷺ.

وهذا تفسيرٌ باطل، فالهاءُ في ﴿إِنَّهُۥ﴾ تَعودُ على القرآن، وليس على عليٍّ رضي الله عنه، و﴿رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾: المرادُ به رسولُ اللهِ ﷺ، وليس جبريل عليه السلام، بدليل أنه نفى بعد ذلك أنه قولُ شاعر أو كاهن! والمعنى: هذا القرآنُ الذي تسمعونه، هو لفظُ رسولٍ كريم، هو رسولُكم محمدٌ ﷺ، أَسْمَعَكُم إياه كما تَلَقّاه، بدونِ زيادَةٍ أو نقصان!

ب ـ قالَ ابنُ الفضيل: فقلتُ له: فقوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ﴾؟ قال: قالوا: إِنَّ محمداً كذابٌ على ربِّه، وما أَمرَهُ الله بهذا في عليٍّ!».

ما الدليلُ عندَه على أَنَّ الحديثَ في الآيةِ عن عليٍّ رضيَ الله عنه وولايتِه؟ ومَنْ أَدْراهُ أَنهم كذَّبوا محمداً ﷺ لمَّا بلَّغَهم أمْرَ اللهِ في تعيينِ عليٍّ أَميراً للمؤمنين؟..

الكلامُ عن القرآن، فلما أسمعَ الرسولُ ﷺ المشركينَ القرآن، وأخبرهم أنه كلامُ الله، كذَّبوه، وقالوا هذا قولُ شاعر، فقالَتْ لهم الآية: هذا القرآنُ ليس بقولِ شاعر. .

جـ ـ وتابعَ أبو الحسنِ تفسيرَه لآياتِ السورة فقال: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: إنَّ ولايةَ عليٍّ تنزيلٌ من رب العالمين!»!: مع أنَّ الكلامَ عن القرآن، وتقريرِ أنه تنزيلٌ من عندِ الله. . وصَرْفُ الآيةِ لولايةِ عليٍّ تحريفٌ لها!

د ـ ثم قال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾: إنَّ ولايةَ عليٍّ لتذكرةٌ للعالمين. ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾: بولايةِ عليٍّ. . ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: إنَّ علياً لحسرةٌ على الكافرين. . ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾: إنَّ ولايةَ عليٍّ لَحَقُّ اليقين. . » [الكافي ١: ٤٣٣].

الكلامُ في الآياتِ عن القرآن، وتقريرِ حقيقةِ أنه من عندِ الله، ولكنَّ أبا الحسن يصرفُها عن هذا المعنى الصحيح، ويَقْصُرُها على ولايةِ عليٍّ رضي الله عنه، فكلُّ ضميرٍ في الآياتِ يعودُ على القرآن، صَرَفه عنه، وحَوَّلَه إلى ولايةِ عليّ، التي أَقحَمَها إقحاماً على الآيات، مع أنها لا تُشيرُ لها من قريبٍ أو من بعيد!!

الخطأ في تفسير آيات من سورة الجن:

١٩٦ ـ أ ـ قال ابنُ الفضيل: قلتُ لأبي الحسن: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا . .﴾ [الجن: ١٣].

قال: المرادُ بالهُدى هنا ولايةُ عليّ، ونحنُ آمنّا بولايةِ مولانا، ومَنْ يؤمنْ بولايةِ مولاه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً. . »! [الكافي ١: ٤٣٣].

تُخبرُ الآياتُ عن موقفِ الجنِّ لمّا سمِعوا آياتِ القرآن، فلمّا سمِعُوها من رسولِ الله ﷺ أيْقَنوا أنَّها من عندِ الله، فآمَنوا واهْتَدوا ودخلوا في الإسلام.

فاعِل «سمعْنا» يعودُ على الجن. والمرادُ بالهُدى القرآن. ومعنى «آمَنّا به»: آمَنّا بالقرآن، وأَيقَنّا أَنّه كلامُ الله، ومعنى «فَمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً»: كُلُّ من دَخَلَ في الإسلام والتزمَ به نالَ الأَمانَ، وسَلِمَ من الخوف. .

ولكنَّ أَبا الحسن يُحَرِّفُ معنى الآية، ويُقدِّمُ لها تفْسيراً خاطئاً: ففاعِلُ «سمعْنا»

يَعودُ على الشيعةِ فقط. والمرادُ بالهُدى في الآيةِ ولايةُ عليٍّ والأئمةِ من بعدِه. ومعنى «آمَنّا به»: آمنّا بتلك الولاية! ومعنى «فمن يؤمن بربه»: مَنْ آمَنَ بولايةِ عليٍّ والأئمة. . . ونشْهَدُ أَنَّ هذا كلامٌ باطلٌ نُنَزِّهُ كلامَ اللهِ عنه!!

ب ـ قالَ ابنُ الفَضيل: وقلْتُ لأبي الحسن: فقولُه: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾: قال: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ دَعَا النّاسَ إلى ولايةِ عليّ، فاجتمعَتْ إليهِ قُريش، فقالوا: يا محمد: اعْفِنا من هذا! فقالَ لهم رسولُ اللهِ ﷺ: هذا إلى الله، وليسَ إليَّ! فاتَّهَموه وخرَجوا من عنده، فأَنزلَ اللهُ عليه قولَه تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ۞ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ (في أمر عليٍّ) ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ (في ولاية عليّ) ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۞ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٢ ـ ٢٤]. [الكافي ١: ٤٣٤].

لا أحدَ ينفَع أيَّ مخلوق، ولن يدفعَ عنه قَدَرَ الله، وتَقْصُرُ الآيةُ مهمةَ الرسولِ ﷺ على البلاغ، وقد بلَّغَ ﷺ دينَ الله، ومَنْ رَفَضَ دعوتَه، وعصى اللهَ ورسولَه فإنه مُهَدَّدٌ بعذابِ جهنم. . فالكلامُ في الآياتِ عن الإسلامِ وتبليغِ الدينِ وتهديدِ الكافرينِ بالعذابِ في الآخرة.

ولكنَّ أبا الحسن يُقَدِّمُ لها تفسيراً باطلاً، حيثُ يَقْصُرُها على الإمامةِ والولايةِ والرجعةِ وخروجِ القائم. . حيثُ زعمَ أَنَّ الرسولَ ﷺ كان مأموراً بالتبليغ بشأْنِ عليّ، ونفَّذَ الرسولُ ﷺ أمْرَ اللهِ، وقامَتْ دعوتُه على النَّصِّ على ولايةِ عليٍّ من بعدِه! ولما دَعا قريشاً إلى اتباعِ عليٍّ من بعدِه، رَفَضوا دعوتَه فهدَّدَهم الله! فالآياتُ الثلاثةُ نازلةٌ بشأْنِ هذه الحادثة!!

وهذا زَعْمٌ باطلٌ، وافتراءٌ وكَذِبٌ على الله وعلى كتابِه وعلى رسولِه ﷺ. . ولا كلامَ في هذه الآياتِ ـ ولا في غيرِها ـ على ولايةِ عليٍّ، ولا ولايةِ مَنْ بَعْدَه، لأَنها تُوجِبُ تبليغَ دينِ اللهِ كاملاً، إلى الناسِ كافّة. .

وأخطأَ أبو الحسن عندما حَمَلَ التهديدَ للكفارِ في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ على خروجِ القائمِ وجنودِهِ في آخرِ الزمان! لأَنه لا خُروجَ للقائم، إنما التهديدُ للكفار،

بما سوف يشاهدون من العذاب يوم القيامة . .

الخطأ في تفسير آيات من سورة المزمل:

١٩٧ - قالَ ابنُ الفضيل: قلتُ لأَبي الحسَن: قولُه تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝ وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ [المزمل: ١٠ - ١١].

قال: واصبر على ما يقولون فيك. . . وذَرْني يا محمّد والمكذِّبين بوَصيِّكَ» [الكافي ١: ٤٣٤].

يُهددُ اللهُ الكفارَ المترَفين الأَغنياء، لأَنهم كذَّبوا رسولَ اللهِ ﷺ، ورفضوا دعوتَه، وكَفَروا به.

ولكنَّ أَبا الحسن يُخَصِّصُ تكذيبَهم بأنه تكذيبٌ بوصيِّه عليٍّ رضي الله عنه، فكلُّ مَن لم يؤمنْ بأَنَّ علياً وَصِيٌّ له، وأَمير المؤمنين من بعدِه، فهو من المكذِّبين المشمولين بهذه الآية . .

وهذا افتراءٌ على الآية، وتحريفٌ لمعناها.

الخطأ في تفسير آيات من سورة المدثر:

١٩٨ - قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ۝ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ۝ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ۝ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ۝ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ۝ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ۝ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ . . ﴾ [المدثر: ٣١ - ٣٧].

أ - قال ابنُ الفضيل: قلتُ لأَبي الحسن: قوله: ﴿ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ﴾ قال: يَستيقنونَ أَنَّ اللهَ ورسولَه ووصيَّه حق، ويزدادُ المؤمنون بولايةِ الوصيِّ إيماناً!! [الكافي ١: ٤٣٤].

يُريدُ اللهُ أَنْ يستيقنَ الذين أُوتوا الكتابَ من اليهودِ والنصارى بالحَقِّ، وهو الذي أنزلَه اللهُ على رسولِه ﷺ.

وحتى هذا المعنى العام لم يُبْقِه أبو الحسن على عُمومِه، وأَضافَ له ما ليسَ منه. قالَ: «يستيقنون أنَّ اللهَ ورسولَه ووصيَّه حقّ»! فما دخلُ الوصيِّ؟! إنه لا وَصِيَّ أَوَّلاً، ولا مكانَ له هنا ثانياً، ولا مناسبةَ لعطفِهِ على اللهِ ورسولِه ثالثاً!!

و«الذين آمنوا» في قوله: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ هم المؤمنون، الذين حقَّقوا أَركانَ الإيمانِ الستة، والتزموا بكلِّ ما في الإسلام! ولكنَّهم عندَ أَبي الحسن المؤمنون إيماناً خاصاً، إنهم المؤمنونَ بولايةِ الوصِيِّ عليِّ بن أَبي طالب رضي الله عنه! وهذا افتراءٌ على المؤمنين، وتحريفٌ لمعنى كلامِ اللهِ، لأَنه لا دليلَ له على هذا التخصيص..

ب ـ قالَ ابنُ الفضيل: قلتُ له: فقوله: ﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾؟ قال: لا يَرْتابونَ بولاية علي..».

يريدُ اللهُ أَنْ لا يرتابَ المؤمنونَ بالحقِّ، الشاملِ لكلِّ ما في القرآنِ من حقائق، وكُلِّ ما في الإسلام من مبادىء. ولكنَّ أَبا الحسن حَرَّفَ معنى هذه الجملة، إلى معنى غريبٍ عنها، لا تدلُّ عليه: إنها ولايةُ عليٍّ رضي اللهُ عنه. أَيْ: أَرادَ اللهُ أَنْ لا يرتابَ المؤمنونَ أَنَّه عيَّنَ علياً وصياً لرسولِه ﷺ، وأَميراً للمؤمنين من بعدِه! وهذا افتراءٌ على الآية.

جـ ـ قالَ ابنُ الفضيل: قلتُ له: فقولُه: ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾؟ قال: هي ولايةُ عليٍّ! قلتُ: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾؟ قال: هي الولايةُ. قلت: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾؟ قال: مَنْ تقدَّمَ إلى ولايتِنا أُخِّرَ عن سقَر، ومَنْ تأَخَّرَ عنَّا تقدَّمَ إلى سَقَر..» [الكافي ١: ٤٣٤].

الكلامُ في الآياتِ عن دعوةِ الرسولِ ﷺ، وموقفِ الناسِ منها، فالضميرُ المتصلُ «الهاء» في قوله: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾ يَعودُ على الدعوة. والتقديرُ: إنَّ دعوةَ ورسالةَ الرسولِ الخاتمِ آيةٌ عظيمةٌ من آياتِ اللهِ الكُبَر.

ولكنَّ أَبا الحسن يُعيدُ «هي» على ما لا يَصحُّ عودُها عليه، لأَنه لا كلامَ عنه في الآيةِ، وهو ولايةُ عليٍّ رضي الله عنه، ويُفَسِّرُ الآيةَ بأَنّ معناها: إنَّ ولايةَ عليٍّ ذكرى

للبَشَر، لأنها إحدى الآيات الكبيرة!!

والمرادُ بالتقدُّم والتأخُّر في قوله: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ الإيمانُ والكفر.. والمتقدِّمُ هو الذي اختارَ الإيمانَ وسبَقَ إليه، وبذلك كان من السابقين المقرَّبين، والمتأَخِّرُ هو الذي تأَخَّرَ عن الإيمان، وأَصَرَّ على كُفْرِه، وبذلك تأَخَّرَ عن الخير.

لكنَّ أَبا الحسن حَرَّفَ معنى الآية، وفرَّغَها من هذا المعنى العام المقصود، وحَمَلَها على معنى غريبٍ عن الإسلام، هو ولايةُ عليٍّ وآلِ البيت من بعدِه، وهذا ركنٌ من أركانِ الإيمانِ عندهم، فالمتقدمُ هو السابقُ إلى ولايةِ آلِ البيت، والمتأَخِّرُ هو المتأَخِّرُ عن القولِ بالإمامةِ والولاية!!

ومن الافتراءِ على اللهِ وعلى القرآنِ والإيمانِ ربطُهم القولَ بالولايةِ بسَقَر، وقد ذَكَرَ أَبو الحسنِ جملةً كبيرةً خطيرة، وهي قوله: مَنْ تقدَّمَ إلى ولايتِنا أُخِّرَ عن سَقَرَ، ومَنْ تأَخَّرَ عنَّا تقدَّمَ إلى سَقَر!! إنه بهذا يُضيفُ إلى الدين ما ليسَ منه، ويوجِبُ على المسلمين ما لم يوجبْه الله، وهذا باطلٌ في دينِ الله!!

د ـ قال ابنُ الفضيل: قلتُ له: قولُه تعالى: ﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾؟ قال: هم واللهِ شيعَتُنا!».

أَثنى اللهُ في القرآنِ على أصحابِ اليمين، وأَخبرَ أَنهم في الجنَّة، وأَنهم ثُلَّةٌ من الأَوَّلين، وثُلَّةٌ من الآخِرين، وهذا وَصْفٌ يشملُ كلَّ المسلمين الصالحين الفائزين بالجنة.

ولكنَّ أبا الحسن يقصرُهم على شيعةِ أَئمةِ آلِ البيت! وهذا تفسيرٌ باطل، وفهمٌ خاطىء.

هـ ـ قال: قلتُ له: قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾؟ قال: معناه: إنا لم نَتولَّ وصِيَّ محمَّدٍ والأَوصياءَ من بعدِه!

الكلامُ في الآياتِ عن الكفارِ المجرمين، الذين أَدْخَلَهم اللهُ في سَقَر، فعندما سأَلَهم أصحابُ اليمين عن أسبابِ دخولِهم في سَقَر، ذَكروا مجموعةَ أَسباب، منها أنهم

لم يكونوا من المصلّين. قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۞ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ۞ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ۞ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۞ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ۞ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر: ٣٨ ـ ٤٣].

ولكنَّ أَبا الحسن يُحَرِّفُ معنى الآية، ويَصْرِفُها إلى ما لا تدلُّ عليه. المصلُّونَ في اللغةِ والشرعِ والعقلِ والعرفِ هم الذين يؤَدُّونَ شعائرَ الصَّلاةِ المعروفة، التي أَوجَبَها اللهُ على المسلمين. والصلاةُ عند أبي الحسن هي موالاةُ عليٍّ والأَئمةِ من بعدِه! وهل هذا المعنى يقبلُه الشرعُ أو العقلُ؟ اللهمَّ لا. . .

وعلى هذا التحريف صارَ مَعْنى الآية: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾ لم نَتَولَّ وَصِيَّ محمدٍ والأَوصياءَ من بعدِهِ! ونُنَزِّهُ كلامَ اللهِ عن هذا العبثِ والسُّخف!!

و ـ قالَ ابنُ الفضيل: قلتُ له: فقوله: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾؟ قال: «فما لهم عن الولايةِ معرضين» [الكافي ١: ٤٣٤].

تتعجبُ الآيةُ من الكفارِ، لإعراضِهم عن التذكرة، والتذكرةُ هنا هي دَعوةُ رسولِ اللهِ ﷺ. وهي المذكورةُ في الآياتِ السابقة: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ۞ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٣٥ ـ ٣٦]. . وهي المذكورةُ في آخرِ السورة: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ۞ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۞ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٤ ـ ٥٦].

ولكنَّ أَبا الحسن يُفَرِّغُ الآيةَ من عمومِها، الشاملِ للإسلامِ كُلِّه، ويَصْرِفُها عن معناها الصحيح، ويَذهَبُ بها إلى مَعْنى آخر، لا تحتملُه ولا تدلُّ عليه. فالتذكرةُ عندَ أبي الحسن هي ولايةُ عليّ، والآيةُ تذمُّ المعرضينَ عنِ التذكرة، وهم لَيْسوا الكفارَ الذين رَفَضوا الدخولَ في الإسلام، وإنما هم عندَه الآخَرون المخالفونَ للشيعة، الذين لم يجعلوا الولايةَ جزءاً من الدين، ولم يَعتبروا الأئمةَ والأَوصياءَ مُعَيَّنين من عندِ الله!!

الخطأ في تفسير آيات من سورة الإنسان:

١٩٩ ـ أ ـ قالَ ابنُ الفضيل: قلتُ لأبي الحسَن: قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧] قال: يوفون بالنذرِ الذي أخَذَه اللهُ عليهم من ولايتِنا!».

أخطأَ في اعتبارِ أَنَّ المرادَ بالنَّذْرِ الولايةَ! وما هي الصلةُ بينَ النَّذْرِ والولايةِ لعليٍّ

رضي الله عنه؟ النَّذْرُ هو أَنْ يُلزمَ الإنسانُ نفسَه أَنْ يعمَلَ عَمَلاً، إذا تحقَّقَ له شيء، وأَوجبَ اللهُ عليهِ فعلَ ما أَلْزَمَ بهِ نفسَه إذا تحقَّقَ المنذورُ! والوفاءُ بالنَّذر من صفاتِ المؤمنين الصالحين.. وأَينَ النَّذْرُ من زَعْمِ وجوبِ ولايةِ عليٍّ رضي الله عنهُ على المسلمين؟!

ب ـ قال: قلتُ له: قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٣]. قال: نحنُ نزَّلْنا عليكَ القرآنَ بولايةِ عليٍّ تنْزيلاً [الكافي ١: ٤٣٥].

الكلامُ في الآيةِ عن إنزالِ القرآنِ على رسولِ اللهِ ﷺ، وتقريرِ أنَّه من عندِ الله، والرَّدِّ على الكفارِ الذين نفوا ذلك.

وتحكَّم أبو الحَسَنِ بالآيةِ، وقَصَرَها على غيرِ ما تَدُلُّ عليهِ، وزَعَمَ أَنَّ الآيةَ تُقررُ وجودَ آياتٍ تنصُّ على أَنَّ الولايةَ والوصايةَ والإمامةَ لعليٍّ رضي الله عنه، بعدَ رسولِ اللهِ ﷺ.. وبما أنه لا توجدُ آياتٌ بالولاية، فإنهم يزعمونَ أَنَّ الصحابةَ لما جَمعوا القرآنَ زمَنَ عثمانَ رضي الله عنه حَذَفوا تلكَ الآيات، حتى لا يُدينَهم أحد!... وهذا كذبٌ وافتراءٌ على القرآنِ وعلى الصحابة..

جـ ـ قالَ ابنُ الفضيل: قوله: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٩]. قال: هي الولاية».

أَي: المرادُ بالتذكرةِ في الآيةِ هو ولايةُ عليٍّ رضي الله عنه. وهذا كلامٌ مردود، لأَنَّ المراد بالتذكرةِ رسالةُ الرسولِ ﷺ ودعوتُه.

د ـ قالَ ابنُ الفضيل: فقوله تعالى: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ۚ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا..﴾ [الإنسان: ٣١].. يُدْخِلُ اللهُ مَنْ يشاءُ في ولايتِنا..

ثم قال لي: أَلا ترى أن اللهَ يقولُ عن الظالمين: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥٧]. ثم قال: إنَّ اللهَ أعزُّ وأَمنعُ من أَنْ يُظْلَمَ، أَو يَنسبَ نفسَه إلى الظلم، ولكنَّ اللهَ خَلَطَنا بنفسِهِ! فجعلَ ظُلمَنا ظُلْمَه، وولايَتَنا ولايتَه!!» [الكافي ١: ٤٣٥].

المرادُ برحمةِ اللهِ في الآيةِ الدخولُ في دينِه، الذي ارتضاه للناس ديناً، فاللهُ يُدخلُ مَن يَشاءُ أَنْ يرحَمَه في دينِه، ويُلْهِمُه اعتناقَ الإسلام، وهذه رحمةٌ به. أمّا الكافِرونَ فإنَّهم ظالمونَ محرومونَ من هذه الرحمة، ومخلَّدونَ في نارِ جهنَّم..

ولكنَّ أبا الحسن يُبعدُ الآيةَ والرحمةَ التي فيها عن هذا العمومِ المقصود، ويذهبُ بها إلى معنى غريب عنها: فالرحمةُ عندَه هي ولايةُ الأَئمة، ومعنى: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ﴾: يجعلُ مَنْ يشاءُ مؤمناً بولايةِ عليٍّ والأَئمة من بعده..

والظالمونَ عندَه هم الذينَ يُنكرونَ ولايةَ الأئمة، وهؤلاءِ عندَه مُعَذَّبونَ عذاباً أليماً، وهؤلاء كلُّ المسلمين من غير الشيعة!!

ولما بيَّنَ معنى كونِهم ظالمين، واستشهدَ عليه بآيةٍ أُخرى، صَرَّحَتْ بأَنّهم لا يَقْدِرونَ على أَنْ يَظْلِموا الله، وإنما هم بذلك يظلِمونَ أَنفُسَهم، ذكرَ جملةً غيرَ صحيحة، وهي: «ولكنَّ اللهَ خَلَطَنا بنفسِه، فجعَلَ ظُلْمَنا ظُلْمَه، وولايَتَنا ولايَتَه»!!

كيف يخلِطُ اللهُ الأَئمةَ بنفسِه؟ وهل يمكنُ أَنْ يُخْلَطَ المخلوقُ بالخالق؟ وأَنْ تُمْزَجَ الأُلوهيةُ بالعبودية؟ نعوذُ باللهِ من هذا الكلام، الذي نُسِبَ إلى هذا الإمام!

الخطأ في تفسير آيات من سورة المرسلات:

٢٠٠ - أ - قال محمدُ بنُ الفضيل: قلتُ لأَبي الحسن: قولُه تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ١٩]. قال: ويلٌ للمكذِّبين يا محمد بما أَوحيتُ إليك من ولايةِ عليِّ بنِ أَبي طالب»..

يُهددُ اللهُ المكَذِّبينَ بالعذابِ والويل، والمكَذِّبون هم الكافرون، الذين كذَّبوا رسولَ اللهِ ﷺ، ورَفَضوا دعوتَه، ولم يَدْخُلوا في الإسلام.

لكنَّ أَبا الحسن، يحصرُهم بما لا تدُلُّ عليه الآية، وهم المكذِّبونَ بالآياتِ القرآنيةِ الصريحة، التي نصَّتْ على ولايةِ عليٍّ رضي الله عنه! وهذا افتراءٌ على القرآن!

وهم ما زالوا يُصِرُّونَ على أَنَّ الصحابة حَذَفوا من القرآنِ الآياتِ التي صَرَّحَتْ بأَنَّ علياً رضي الله عنه هو أَميرُ المؤمنين!

ب ـ قال ابنُ الفضيل: قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ۞ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ۞ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [المرسلات: ١٦ ـ ١٨]. قال: «الأوَّلين»: الذين كذَّبوا الرسولَ في طاعةِ الأوصياء. و«المجرمين»: مَنْ أَجْرَمَ إلى آلِ محمدٍ، وركِبَ من وصيِّهِ ما ركب» [الكافي ١: ٤٣٥].

أَخبرَ اللهُ أنه أهلَكَ الأَوَّلين، وأَهلَكَ بعدَهُم الآخِرين، وأَنَّ هذه هي سنَّتُه في المجرِمين من الأَولين والآخِرين..

والمُرادُ بالأَوَّلين الكفارُ من الأَقوامِ السابقين كقومِ نوحٍ وعادٍ وثمود.

ولكنَّ «الأَوَّلين»: عند أَبي الحَسَنِ يُرادُ بهم الصحابة! لأَنهم أَوَّلُ أَجيالِ المسلمين، وقد أَهلَكَهم الله، لأَنهم لم يأْخُذوا بوصيةِ الرسولِ ﷺ في عليٍّ، وهم مجرمون، أَجْرَموا إلى آلِ محمَّدٍ ﷺ، وفَعَلوا بوَصِيِّهِ عليٍّ ما فَعلوا!!

هذا عبثٌ بمعاني الآيات، وافتراءٌ وكذبٌ على أَصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ.

جـ ـ قالَ ابنُ الفضيل: قلتُ له: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴾ [المرسلات: ٤١]. قال: نحنُ وشيعَتُنا المتَّقون! ليس على مِلَّةِ إبراهيمَ غيرُنا، وسائرُ الناسِ منها براءٌ!!

يُثْني اللهُ على المتَّقين، ويُخبرُ أَنَّهم منعَّمونَ، في جَنّاتٍ وعيون، وهذه صفةٌ تشملُ كُلَّ المسلمين الصالحين، على اختلافِ الزمانِ والمكان.

ولكنَّ أَبا الحسن يَحصُرُ هذه الصفةَ بالأَئمةِ وشيعتِهم فقط، هم وحْدَهم المؤمنون المتَّقونَ الصالحون، وغيرهم محرومون من هذه الصفات! وهذا كذبٌ وافتراءٌ وادِّعاء!!

الخطأ في تفسير آيات من سورة طه:

٢٠١ ـ روى الكلينيُّ عن أَبي بَصيرٍ قال: قلتُ لأَبي عبدِالله ـ جعفر الصادق ـ في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾؟ قال: مَنْ أَعرَضَ عن ولايةِ أَميرِ المؤمنين، فإِنَّ لهُ معيشةً ضنكاً!!

قلتُ: فقولُه تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾؟ قال: كانَ في الدنيا أعمى القلبِ عن ولايةِ أَميرِ المؤمنين، وسَيَحْشُرُهُ اللهُ أَعْمَى البصرِ في الآخرة..

قلت: فقوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾؟ قال: الآياتُ: الأَئمة. و«نسيتَها»: تركْتَ الأَئمة. و«كذلك اليومَ تُنْسى»: كذلك اليومَ تُتْرَكُ في النار، كما تَرَكْتَ الأَئمةَ في الدُّنيا، فلم تُطعْ أمرهم، ولم تسمع قولَهم!

قلت: فقولُه: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ﴾؟ قال: مَنْ أَشركَ بولايةِ أَمير المؤمنين غيرَه، وتركَ الأَئمةَ معاندة، فلم يتولَّهم ولم يتبعْ آثارَهم، يُعَذَّبُ في النار!» [الكافي ١: ٤٣٥ ـ ٤٣٦].

يسأَلُ أَبو بصيرٍ إِمامَه أَبا عبدِالله عن الذين تتحدَّثُ عنهم هذه الآياتُ من سورة طَه: قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ۞ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۞ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ۞ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه: ١٢٤ ـ ١٢٧].

وقدَّم أبو عبدِالله تفسيراً عجيباً لهذه الآيات، وذلك بحَمْلِها على العقيدة التي لا تُفارقُ عُقولَ الشيعة، وتستمرُّ تُخايلُ لهم في كلِّ شيء، ولذلك يُجَيِّرونَ لها كلَّ شيء، ويُوَظِّفونَ لخدمتها كلَّ شيء، وهي عقيدة الإمامةِ والولاية.

خصَّصَ ذِكْرَ اللهِ في ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾ بالولاية. وهذا تخصيصٌ باطل، لأَنَّ ذكْرَ اللهِ شاملٌ لكلِّ ما أَمَرَ به اللهُ من عبادتِهِ وطاعتِه!

وخصَّصَ عمى الإنسان في الدُّنيا بالإعراضِ عن ولايةِ أَميرِ المؤمنين. وهذا باطل، فكلُّ كافرٍ هو أَعمى القلبِ في الدنيا..

وخصَّصَ الآياتِ في ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾ بالأَئمة. وجعلَ معنى «كذلك أتتك آياتنا فنسيتها»: أتاكَ الأَئمةُ في الدنيا فتركتَهم، ولم تُطع أَمرَهم، ولم تسمعْ قولَهم! وهذا تخصيصق باطل. فالمرادُ بآياتِ اللهِ البيناتُ والحجج والبراهين، التي جاءَتْ في دينِ الله، كما أَنَّ المرادَ بها آياتُ القرآن، التي بيَّنَت الأَحكام والتشريعات. ونسيانُ الكافرِ لها بتركِها وعدمِ العملِ بها، ويُعاقبُه اللهُ بتركِه ليُعَذَّبَ في نارِ جهنم..

الخطأ في تفسير آياتِ من سورة النبأ:

٢٠٢ـ قال محمدُ بنُ الفضيل: قلت لأبي الحسن: ما قوله: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ [النبأ: ٣٨].

قال: نحنُ ـ والله ـ المأذونُ لهم يومَ القيامة، والقائِلون صَواباً!! قلتُ: ماذا تقولون إذا تكلَّمْتُم؟ قالوا: نُمَجِّدُ ربَّنا، ونُصَلِّي على نبيِّنا ﷺ، ونشفعُ لشيعَتِنا، فلا يرُدُّنا ربُّنا..» [الكافي ١: ٤٣٥].

هذا تفسيرٌ مردود، وفهمٌ مغلوط، وتحريفٌ لمعنى الآية، بحملِها على ما لم تَرِدْ له...

يُخبرُ اللهُ أَنَّ كلَّ المخلوقين يقفونَ يومَ القيامةِ خائِفين، ومنهم الملائكةُ، وعلى رأْسِهم جبريلُ عليه السلام، ولا يتكلَّمُ أَحَدٌ من الواقفين إلا إذا أذِنَ اللهُ له بالكلام، وقالَ كلاماً صائباً صحيحاً.

ولا يتكلَّمُ يومئذ إلاّ الأَنبياء، حيثُ يقولونَ أَثْناءَ مُرورِهم على الصراط: اللهمَّ سلِّمْ سَلِّمْ.. ويتكلَّمُ سيدُ الأَنبياءِ محمدُ ﷺ شافعاً لأُمَّتِه.

والزعمُ بأَنَّ الأَئمةَ هم المأذونُ لهم في الكلامِ يومَ القيامة باطلٌ ومردود، لأَنه زعمٌ لا دليلَ عليه، ولأَنَّ القائلين الشافعين هم الأَنبياءُ والمرسلون..

الخطأ في تفسير آيات من سورة المطففين:

٢٠٣ـ أـ قال محمدُ بنُ الفضيل: قلت لأبي الحسَن: قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴾ [المطففين: ٧]. قال: هم الذين فَجَروا في حَقِّ الأَئمة، واعْتَدَوا عليهم..» [الكافي ١: ٤٣٥].

الفجارُ هم الذين كفَروا وفَجَروا. وهذا وصفٌ يَنطبقُ على كلِّ الكافرين على اختلافِ الزمانِ والمكان.

ولكنَّ أَبا الحسنِ يذهبُ بها بعيداً، ويَصْرِفُها عن معناها العامّ، ويقصُرُها على معنى غريبِ عنها، فالفُجّارُ عنده هم الذين فجَروا في حقِّ الأَئمةِ فقط، فاعتدوا عليهم،

وأَكلوا حقوقهم . . وهذا كلامٌ باطل!!

ب ـ وقال محمدُ بن الفضيل: قلتُ لأَبي الحسن: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين: ١٧]. قال: هذا أميرُ المؤمنين. .» [الكافي ١: ٤٣٥].

يُهَدِّدُ اللهُ الكفارَ المكذِّبين بيومِ الدين بالعذابِ يومَ القيامة، قال تعالى عنهم: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ * ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين: ١٥ ـ ١٧].

اسمُ الإِشارة «هذا» يعودُ على «يومِ الدين»، الذي كانوا يُكذِّبونَ به، وهو المذكورُ في قولِه تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ * وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ . .﴾ [المطففين: ١٠ ـ ١٢].

ولا أَدري ما الدليلُ على عودَة اسمِ الإِشارة على «أَميرِ المؤمنين»؟ وأَينَ ذِكْرُ أَمير المؤمنين في الآياتِ السابقة؟

معنى قوله تعالى: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ حسبَ روايةِ أَبي الحسَن: هذا أَميرُ المؤمنين عليٌّ، الذي كنتم به تُكَذِّبون!! وهذا خطأٌ في تفسيرِ الآية!!

الخطأ في تفسير آيات من سورة الشورى:

٢٠٤ ـ أ ـ قال أبو بصير: قلت لأبي عبدالله: معنى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ [الشورى: ١٩]. قال: يرزقُ اللهُ مَنْ يشاءُ من عبادِهِ ولايةَ أَميرِ المؤمنين. .» [الكافي ١: ٤٣٦].

يُخبرُ اللهُ أَنه لطيفٌ بعبادِه، وأَنَّ الرزقَ كُلَّه عندَه، وهو يرزقُ مَنْ يشاءُ ما يشاء، والرزقُ في الآيةِ عامٌّ، يشملُ كلَّ أَنواعِ الرزقِ ومظاهرِهِ.

لكنَّ أَبا عبدِالله يحملُ الآيةَ على معنى بعيدٍ عنها، ويجعَلُ المرادَ بالرزق هنا الولاية! فمعنى: «يرزق من يشاء»: يوفِّقُ مَن يشاءُ للقولِ بولايةِ أَميرِ المؤمنين! وهذا تفسيرٌ مردودٌ للآية، لا تدلُّ عليه ولا تشيرُ إِليه . .

ب ـ وقالَ أبو بصير: قلتُ لأَبي عبدالله: ما معنى قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ

حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠]؟ قال: **حَرْثُ الآخِرةِ معرفةُ أَميرِ المؤمنين والأَئمة، و«نزد له في حرثه»: يَستوفي نصيبَه من دولةِ الأَئِمة. «ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب»: ليسَ له نصيبٌ في دولةِ الحقِّ مع القائم»** [الكافي ١: ٤٣٦].

فرَّقَت الآيةُ بين صنفَيْنِ من الناس: صنفٍ يريدونَ حرثَ الآخرة، وصنفٍ يريدونَ حرثَ الدنيا.. وحَرْثُ الآخرة هو نعيمُ الجنة، أيْ أَنَّ المؤمنَ يُريدُ الجنةَ ونعيمَها وخيراتها، ويسعى إليها سَعْيَها، وَوَعَدَ اللهُ هذا المؤمنَ أَنْ يَزيدَ لهُ في هذا النعيم، بأَنْ يُضاعِفَ لهُ أَجْرَهُ وثوابَه.. وحرثُ الدنيا هو متاعُها وملذاتُها، والكافرُ لا يفكرُ بالآخرة، وإنما يريدُ متاعَ الدنيا، وقد وَعَدَه اللهُ أَنْ يؤتيه من هذا الحرثِ والمتاع.

ولكنَّ أَبا عبدِالله لا يأخذُ الآيةَ على هذا العُموم في تحديدِ المرادِ بحرثِ الدنيا وحرثِ الآخرة، وإنما يُوظفُها لخدمةِ فكرته حولَ الإمامةِ والإمام والوصايةِ والقيام!

حرثُ الآخرةِ عندَ أَبي عبدِالله معرفةُ أَمير المؤمنين! كيف؟ لا أدري!! ومعنى زيادَةِ اللهِ له في حرثِه عنده: أَنْ يأْخُذَ هذا الإنسانُ نصيبَه من دولةِ الأَئمة في الدنيا! والذي يُريدُ حرثَ الدنيا عنده هو الذي لا يَعرفُ الإمامَ، هذا لا نَصيب له في الآخرة، بمعنى أنه لا نَصيبَ له في دولةِ القائمِ عندما يَخرُج في آخرِ الزمان!!

إنَّ هذا الكلامَ لا يَصِحُّ أَنْ يُسَمَّى تفسيراً للآية، إنما هو تحريفٌ لمعناها، والإتيانُ بكلامٍ غريب، لا تدلُّ الآيةُ عليه، ولا تُشيرُ إليه!!

***

القرآن وهذه الحوادث

أ ـ القرآن وولادة الحسين بن علي

روى الكليني رواية عجيبة حولَ ولادةِ الحسينِ بنِ عليٍّ بنِ أبي طالب رضي الله عنهما، ولولا أنّه ادّعى نزولَ آيةٍ بها لما وَقَفْنا أَمامَ الروايةِ الأُسطورة، لأنَّ كتابَ «الكافي» مليءٌ بالروايات الباطلة والمفتراة، وإنما وقْفَتُنا هنا مع رواياته التفسيرية فقط.

فاطمة والحسين وآية سورة الأحقاف:

٢٠٥ ـ روى الكلينيّ عن أبي عبدِالله ـ جعفر الصادق ـ أنه قالَ عن ولادَةِ الحسينِ بن عليّ: نزلَ جبريلُ على رسولِ اللهِ ﷺ، فقالَ له: يا محمد: إنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بمولودٍ يولَدُ من فاطمة، تقتُلُه أُمَّتكَ من بعدِك!! فقال: يا جبريلُ: وعلى رَبِّي السلامُ، لا حاجةَ لي في مولودٍ يولَدُ من فاطمة، تقتُلُه أُمَّتي من بعدي!! فعرجَ جبريلُ، ثم هَبَط، فقال له مثلَ ذلك، فردَّ عليه بنفس الرَّدِّ.. فعرجَ جبريلُ، ثم هبط، فقالَ له مثلَ ذلك، ثم قال له: يا محمد إنَّ ربَّكَ يقرئُك السَّلامَ، ويُبَشِّرُكَ بأنه جاعلٌ في ذريةِ هذا الذي سيُقْتَلُ الإمامةَ والولايةَ والوصاية!!! فقال: قد رضيتُ!!

ثم أَرسلَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى فاطمة، فقال لها: إنَّ اللهَ يُبَشِّرُني بمولودٍ يولَدُ لكِ، تَقْتُلُه أُمَّتي من بعدي! فقالَتْ له: لا حاجةَ لي في مولودٍ مني، تقتُلُه أُمَّتُكَ من بعدك!! فأخبرَها أنَّ اللهَ قد جعلَ في ذريتِه الإمامةَ والوِصايةَ والولاية!! فقالَتْ لهُ: إني قد رَضيتُ.. فحمَلَتْه كُرْهاً ووضَعَتْهُ كُرْهاً!!

ونزلَ في هذا قولُه تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ﴾ [الأحقاف: ١٥] فلولا أنه قالَ: أَصْلِحْ لي في ذُرّيّتي، لكانَتْ ذريّتُه كُلُّهم أئمة..

ولم يَرضَع الحسينُ من فاطمة، ولا من أُنثى!! كان يُؤتى به النبيَّ ﷺ، فيضعُ إبهامَه في فيه، فيمصُّ منها ما يكفيهِ اليومَيْنِ والثلاثِ، فَنَبَتَ لحمُ الحسينِ مِن لحمِ رسولِ اللهِ ﷺ ودَمِه!! ولم يولَدْ لستةِ أَشهرٍ إلاّ عيسى ابنُ مريمَ والحسَينُ بن علي.. » [الكافي ١ : ٤٦٤ _ ٤٦٥].

هذه روايةٌ خرافيةٌ أُسطوريةٌ باطلة، في ولادةِ الحسينِ رضي الله عنه، لم يَصِحَّ منها شيء، وإلا فكيفَ يرفضُ رسولُ اللهِ ﷺ ما قَدَّرَهُ اللهُ بشأنِ الحسينِ، ويَرُدُّ عليه أَمْرَه، ولم يَرْضَ من اللهِ إلاّ بعدَما أَخبرَه اللهُ أَنه جعلَ الإمامةَ والولايةَ في ذريةِ الحسين!!

والغريبُ أَنَّ الحسينَ لما وُلِدَ كانَ يرضعُ من إصبع رسولِ الله ﷺ، وكانت المصَّةُ من الإصبع تكفيهِ لمدةِ اليومين والثلاث!! ومطلوبٌ منا أن نُلغيَ عقولَنا، وأَنْ نُصَدّقَ هذه الخرافات!!

لا يَهمُّنا مناقشةُ هذه الخرافة هنا، إنما يهمُّنا مناقشةُ الزعمِ بنزولِ آيةِ سورةِ الأَحقاف بشأنِ ميلادِ الحسينِ رضي الله عنه..

الآيةُ من سورةِ الأَحقاف، وهي سورةٌ مكيَّة، وولادةُ الحسينِ رضي الله عنه كانتْ في السنة الثالثة للهجرة، ولا تَنزلُ الآيةُ قبلَ وُقوعِ الحادثةِ بستِّ سنوات!

معنى الكره في الحمل والوضع:

الراجح أن قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ لم ينزلْ بشخصٍ معين، لا الحسينِ بن عليّ ولا غيرِه، إنما هي تتحدَّثُ عن برِّ الرجلِ المؤمنِ بوالِدَيْه المؤمنَيْن. وهذا ينطبقُ على كُلِّ أَبناءِ أَصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ، ومنهم الحسينُ بن علي رضي الله عنهما، أَمّا الزعْمُ بأَنها نازلةٌ بميلادِ الحسينِ فهذا باطلٌ وافتراء.

والزعمُ بأَنَّ فاطمةَ الزهراء رضيَ اللهُ عنها كَرِهَت الحملَ بالحسينِ وولادتِه، لأَنها أُخْبِرَتْ أنه سيُقْتَلُ، فهذا باطل، وهو افتراءٌ عليها رضي الله عنها، وعلى أَبيها ﷺ. والزعمُ بأَنَّ قوله تعالى ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾، يتحدَّثُ عن حملِ فاطمةَ

بالحسين رضي الله عنهما، فهذا افتراءٌ عليها وعلى القرآن!!

إنَّ قولَه تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ يتحدَّثُ عن كُلِّ امرأَةٍ تحملُ وتَضَع، ويُشيرُ إلى ملازمةِ حَمْلِ المرأة ـ أَيةِ امرأة ـ للمشقةِ والشدةِ والأَلم، فالكُرهُ والمشقةُ تبدأ مع المرأةِ من بدايةِ حَمْلِها، مروراً بأَسابيعِ وشهورِ الحمل، وانتهاءً بآلامِ المخاضِ والوضع!

لكنَّ هذا الكُرْهَ لا يَعني الكراهيةَ والبغضاء، والرفضَ وعدمَ الرغبة، بل إنَّ هذا الكرهَ هو المشقةُ والأَلم، وهو يتعلَّقُ بالجسمِ والبدنِ والأَعصاب. لكنَّ هذا الكُرْهَ مرغوبٌ مطلوبٌ محبَّب، تستلِذُّه الحامل وترغَبُ فيه، وبعدَ الوضعِ تبدأُ تفكِّرُ بحمْلٍ جديد رغم كُرْهِ ومشقّةِ الحملِ والوضْعِ!!

ب ـ القرآن وتقديم المال للإمام

أَوردَ الكلينيُّ رواياتٍ، فسَّرَ فيها آياتٍ، استَنْطَقَها على أَنَّ دفعَ المالِ للإمامِ المعصوم صلةً له من أفضلِ الأَموال المنْفَقَة!

كيف يزكي الإمام الشيعة بأخذ أموالهم؟:

٢٠٦ ـ روي عن أبي عبدِالله ـ جعفر الصادق ـ أنه قال: مَنْ زعَمَ أَنَّ الإمامَ يحتاجُ إلى ما في أَيدي الناس فهو كافر!.. إنما الناسُ يحتاجونَ أَنْ يَقْبَلَ منهم الإمام. قال اللهُ عز وجل: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣] [الكافي ١: ٥٣٧].

وروى عن أبي عبدِاللهِ نفسِه أَنه قال: إنِّي لآخُذُ من أَحَدِكم الدرهم، وإنِّي لمن أكثرِ أَهلِ المدينةِ مالاً، ما أُريدُ بذلك إلاّ أن تَطَهَّروا.. ﴾ [الكافي ١: ٥٣٨].

تزعمُ الروايةُ أَنَّ الإمامَ هو الذي يمتَنُّ على أَتْباعِهِ، ويتفضَّلُ عليهم، عندما يرضى ويقبلُ منهم أَموالَهم، التي يُقَدِّمونها صلةً منهم له، لأَنهم هم المستفيدونَ من تقديمِ هذه الأَموالِ له، فهو يُطَهِّرُهُم ويُزَكِّيهم بذلك!

واستشهدَ على رأيه بقولِه تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ..﴾ [التوبة: ١٠٣].

الآيةُ خطابٌ من اللهِ لنبيِّه محمدٍ ﷺ، يَطلبُ منه أَنْ يأْخُذَ من أَموالِ المسلمين المتصدِّقين صدقة، وعندما يأخُذُها منهم فإنه يُطهِّرُهم ويزكِّيهم بها، فهم بدفْعِها يتطهَّرون، ويتخلَّصون من النقائصِ والرذائل، ويرتَقونَ إلى عالَمِ الفضائل.

وهذا الخطابُ خاصٌّ لرسولِ اللهِ ﷺ، ولا يُعَمَّمُ على غيره، فالتطهيرُ والتزكيةُ والصلاةُ عليهم والدعاءُ لهم، من خصوصياتِ رسولِ اللهِ ﷺ، أَمّا أَخْذُ صدَقاتِهِم وزكواتِهِم، فهذا عام، ينتقلُ من رسولِ اللهِ ﷺ إلى الأُمراءِ والخلفاءِ من بعده!!

هل حق الله في المال ينتقل للإمام؟:

٢٠٧ - روى الكليني عن أَبي عبدِالله - جعفر الصادق - قال: ما من شيءٍ أَحَبُّ إلى اللهِ من إخراجِ الدَّراهم إلى الإمام، وإِنَّ اللهَ ليجعلُ له الدرهمَ في الجنةِ مثْلَ جبلِ أُحُد، قال اللهُ عز وجل: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ . .﴾ [البقرة: ٢٤٥].

وقال أبو عبدالله: إنَّ اللهَ لم يَسْأَل خَلْقَه ما في أَيديهم قَرْضاً، لأَنَّه يَحتاجُ إليه، وما كان للّه من حَقٍّ، فإنما هو إلى وليِّه . .» [الكافي ١: ٥٣٧].

هذا الكلامُ ادِّعاءٌ وتَقَوُّلٌ على الله، ويحتاجُ إلى دليلٍ وبُرهان، ولا بُدَّ أَنْ يعتمدَ على علم يقينيّ، وإِلاّ رُدَّ على قائِله، لأَنه من بابِ القولِ بدونِ علْم . .

لا دليلَ من القرآنِ ولا من السُّنَّةِ على أَنَّ إخراجَ الأَموالِ إلى الإِمامِ من أَحَبِّ الأَعمالِ إلى الله، ولا دليلَ على أَنَّ اللهَ يُضاعِفُ الدرهمَ المنفقَ على الإِمامِ بحيثُ يجعلُه مثلَ جبلِ أُحُد.

واستنطاقُ آية، والاستدلالُ لها على هذه الفكرةِ مردودٌ منقوضٌ، والزعمُ بأَنَّها نازلةٌ في النفقةِ على الإمامِ زعمٌ باطل . .

الآيةُ عامَّةٌ في كُلِّ إنفاقٍ في سبيلِ الله، وهي حَثٌّ على ذلك. قال تعالى: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً . .﴾ [البقرة: ٢٤٥].

ومن بابِ الترغيبِ في النفقةِ والصدقةِ، اعتبرَتْها الآيةُ إقراضاً للّه قرضاً حسناً . .

ولا تُؤْخَذُ الآيةُ على ظاهرها، فاللهُ لا يحتاجُ إلى المال، ولا يَطلبُ من المتصدِّقين أَنْ يُقرِضوهُ له، ليُعيدَه لهم مُضاعَفاً، لأَنَّه غنيٌّ عن العالمين. إنما هي دعوةٌ لكلِّ المتصدِّقين المنفِقين، للصَّدَقَةِ على المُحتاجين، والإنفاقِ عليهم، واللهُ يُضاعِفُ لهم الثواب!

وخطأُ الروايةِ حملُ الآيةِ على صِلَةِ الإمام وتقديمِ الأَموالِ له، فهذا تخصيصٌ للآيةِ بدونِ مخَصِّصٍ مقبول، وادِّعاءٌ ليس عليه دليلٌ.

ج ـ القرآن والفيء وفاطمة والصديق

أورد الكلينيُّ رواياتٍ عديدةً في باب «الفيء والأَنفال وتفسير الخُمُسِ وحدودُه وما يجبُ فيه». تكلَّمَ فيها عن تقسيمِ الفيءِ زَمَنَ رسولِ اللهِ ﷺ، وما كانَ يُعطي منه لعليٍّ وفاطمة رضي الله عنهما.

ويهمُّنا هنا أَنْ نقفَ على روايةٍ أوردَها، تتحدَّثُ عن «أَرْضِ فَدَك»، التي كانت لرسولِ الله ﷺ، وجاءَتْ ابنتُه فاطمةُ رضي الله عنها تطالبُ به على أَنه ميراثُ أَبيها آلَ إليها!

نص الرواية المزعومة!!:

روى الكلينيّ عن علي بنِ أَسباط قال: وَرَدَ أَبو الحسن موسى ـ هو الإمامُ السابعُ موسى الكاظم ـ علي المهديِّ، فرآهُ يَرُدُّ المظالم، فقالَ له: يا أَميرَ المؤمنين[1]: ما بالُ مظلمتِنا لا تُرَدُّ؟ فقالَ له: وما ذاكَ يا أبا الحسن؟

قال: إن اللهَ لَمّا فتَحَ على نبيِّه محمدٍ ﷺ فَدَكَ وما والاها، لم يوجِفْ عليه بِخَيْلٍ ولا رِكاب. فأَنزلَ اللهُ على نبيِّه ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ [الإسراء: ٢٦].

فلم يَدْرِ رسولُ اللهِ ﷺ مَنْ هم، فراجَعَ في ذلكَ جبريلَ، وراجعَ جبريلُ ربَّه، فأَوحى إليهِ أَنْ ادْفَعْ فَدَكَ إلى فاطمة!! فدعاها رسولُ اللهِ ﷺ فقالَ لها: إِنَّ اللهَ أَمَرَني أَنْ

---

(١) كيف يخاطب الإمام السابع موسى الكاظم المهديَّ العباسي بلقب أمير المؤمنين، وهو مصطلح يختصُّ به الإمام علي بن أبي طالب والأئمة من ورثته.. فهل هذا من باب التقية!؟ (الناشر).

أَدفَعَ إِليكِ فَدَكَ! قالتْ: قد قبلْتُ يا رسولَ اللهِ، من اللهِ ومِنك!!

فلم يزَلْ وُكلاؤُها فيها حياةَ رسولِ اللهِ ﷺ.. فلمّا وَلِيَها أَبو بكرٍ أَخرَجَ عنها وُكلاءَها.. فأَتَتْه، فسأَلَتْه أَنْ يَرُدَّها عليها! فقالَ لها: ائتِني بأَسودَ أَو أَحمرَ يشهدُ لكِ بذلك! فجاءَتْ بأَميرِ المؤمنين وأُمِّ أَيمَن، فشهِدا لها، فكتَبَ لها بتَرْكِ التَّعرُّض!!

فخرَجَتْ والكتابُ معها، فلقيَها عمر، فقالَ لها: ما مَعَكِ يا بنتَ محمد؟ قالت: كتابٌ كتبَه لي ابنُ أَبي قُحافة. قالَ لها: أَرِنيه، فأَبَتْ! فانْتَزَعَه من يدِها، ونظَرَ فيه، ثم تَفَلَ فيه، ومحاهُ وخَرَقَه! ثم قالَ لها: هذا مما لم يوجِفْ عليه أَبوكِ بخيلٍ ولا رِكاب..

فقال المهدي: يا أَبا الحسن: حُدَّها لي!

فقال: حَدٌّ منها جبلُ أُحُد، وحَدٌّ منها عريشُ مصر، وحدٌّ منها سيفُ البحر، وحدٌّ منها دومَةُ الجندل!!

فقالَ له المهدي: كُلُّ هذا؟

قال: نعم يا أَمير المؤمنين هذا كلُّه، إِنَّ هذا كُلَّه مما لم يوجِفْ رسولُ اللهِ ﷺ على أَهْلِهِ بخيلٍ ولا رِكاب!

فقال المهدي: هذا كثير.. وأَنْظُرُ فيه!! ولم يفْعَلْ..» [الكافي ١: ٥٤٣].

أهم الأخطاء في الرواية المزعومة!:

في هذه الروايةِ مجموعةٌ من الأخطاء، من أهمها:

١ ـ الروايةُ باطلةٌ ومردودةٌ حديثياً، فلم تُنْقَلْ بسنَدٍ صحيحٍ أَو مَقْبول. ومعلومٌ أَنَّ صحةَ سَنَدِ الحديثِ شرطٌ أَساسيٌّ لقَبولِ الحادثةِ والروايةِ.

٢ ـ تزعمُ الروايةُ أَنَّ اللهَ أَنزلَ على رسولِه ﷺ بعدَ فتح فَدَكَ قولَه تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦]. وهذا زعمٌ باطلٌ، يردُّه الواقعُ والتاريخ.

سورةُ الإسراءِ مكية، كان نزولُها قبلَ الهجرةِ بأَكثرَ من خمس سنوات، وفتْحُ فَدَكَ كانَ بعدَ فتحِ خيبر في السنةِ السابعةِ من الهجرة، أَيْ أَنَّ الآيةَ أُنزِلَتْ قبلَ الحادثةِ باثْنَتَي عشرةَ سنة. فكيفَ تزعُمُ الروايةُ نُزولَ الآيةِ بعدَ فتْحِ فَدَكَ؟!

٣ ـ تدَّعي الروايةُ أَنَّ النبيَّ ﷺ لم يُحسِنْ فهْمَ الآية، ولم يَدْرِ مَنْ هو القَريبُ الذي أَمَرَه اللهُ أَنْ يؤتِيَهُ حقَّه، فسأَلَ جبريلَ الذي سأَلَ اللّهَ، فأَخبرَهُ اللهُ أَنْ يُؤْتِيَ فَدَكَ لابنتِهِ فاطمة!

وهذا ادِّعاءٌ باطل، وزعمٌ مردود، وافتراءٌ على اللهِ ورسولِهِ ﷺ! ونقول: لم يأْمُر اللهُ رسولَه ﷺ أَنْ يعطيَ فَدَكَ إِلى ابنتِه، ولم تأْخُذْها منه، ولم تجعل وُكلاءَها فيها في حياتِه!!

٤ ـ عندما طلبَ الخليفةُ المهديُّ من موسى الكاظمِ أَنْ يذكرَ له حدودَ منطقةِ فَدَك، توسَّعَ في حدودِها، حتى شملَتْ شمالَ الحجازِ وجنوبَ الشام: حيثُ زعَمَ أَنها من جبلِ أُحُدٍ جنوباً، إِلى عريشِ مصرَ في سيناءَ شمالاً، إِلى سيفِ البحر على شاطىءِ البحرِ الأَحْمَر غرباً، إِلى دومةِ الجندلِ في وسطِ الجزيرةِ العربية شَرْقاً! وهذا توسُّعٌ كبيرٌ في تحديدِ المنطقة، علماً أَنَّ منطقةَ فَدَك محصورةٌ بين خَيْبَرَ جنوباً وتَيْماءَ شمالاً!!

٥ ـ زعمت الروايةُ أَنَّ فاطمةَ رضي الله عنها قدَّمَتْ شاهدَيْنِ على أَنَّ الرسولَ ﷺ أَعطاها أَرْضَ فَدَك، والشاهدانِ هما زوجُها عليٌّ، والسيِّدَةُ أُمُّ أَيْمَن رضي الله عنهم جميعاً، فكتبَ لها أَبو بكرٍ رضي الله عنه كتاباً، أَقرَّها على أَنَّ فَدَكَ مِلْكٌ لها، ولكنَّ عمرَ رضي الله عنه أَخَذَ الكتابَ ومزَّقَه، وبذلك حُرِمَتْ فاطمةُ من ميراثِ أَبيها، واعتدى أبو بكرٍ وعمرُ على حقِّ آلِ البيت!!

وهذا افتراءٌ على كلِّ الصحابةِ الذين ذُكِرَتْ أَسماؤُهم في الرواية: افتراءٌ على فاطمةَ وعليٍّ وأُمِّ أَيمن، وافتراءٌ على أَبي بكر وعمر، رضي الله عنهم جميعاً.

أهم الروايات الصحيحة فيما جرى بين فاطمة والصديق:

جرى بين فاطمة وبين أَبي بكر رضي الله عنهما كلامٌ بشأنِ أَرْضِ فَدَك، ورَوَتْهُ كتُبُ السنةِ بأَسانيدَ صحيحة.

١ - روى البخاريُّ ومسلمٌ عن عائشةَ رضي اللهُ عنها قالَتْ: لما تُوفِّيَ رسولُ اللهِ ﷺ، أَرادَتْ أَزواجُ النبيِّ ﷺ أَنْ يبعَثْنَ عثمانَ بنَ عفَّان إلى أَبي بكر، فيسأَلْنَه ميراثَهُنَّ من النبيِّ ﷺ. فقالَتْ لهنَّ عائشة: أَليسَ قد قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لا نُورَثُ، ما تَرَكْنا فهو صَدَقَة»!

[البخاري برقم: ٦٧٣٠. ومسلم برقم: ١٧٥٨].

٢ - روى البخاريُّ ومسلمٌ عن عائشةَ رضي الله عنها: أَنَّ فاطمةَ بنتَ رسولِ اللهِ ﷺ أَرسَلَتْ إلى أَبي بكرٍ الصّدّيق، تسأَلُهُ ميراثَها من رسولِ الله ﷺ، مما أَفاءَ اللهُ عليهِ بالمدينةِ وفَدَك، وما بقيَ من خُمس خَيْبَر!... فقالَ لها أَبو بكر: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «لا نُورَثُ، ما تَرَكْنا صَدَقة، إنما يأْكُلُ آلُ محمدٍ ﷺ من هذا المال»!.. وإنِّي والله لا أُغيِّرُ شيئاً من صَدَقةِ رسولِ اللهِ ﷺ عن حالِها التي كانَت عليها في عَهْدِ رسولِ اللهِ ﷺ، ولأَعْمَلَنَّ فيها بما عملَ بهِ رسولُ اللهِ ﷺ... وأَبى أَنْ يدفَعَ إلى فاطمةَ شيئاً..».

[البخاري برقم: ٣٧١١. ومسلم برقم: ١٧٥٩].

٣ - وروى البخاريُّ ومسلمٌ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها أَنَّ فاطمةَ والعباسَ رضي الله عنهما أَتَيا أَبا بكرٍ رضي الله عنه يلْتَمِسانِ ميراثَهُما من رسولِ اللهِ ﷺ، وهما حينئذٍ يَطلُبانِ أَرْضَيْهِما مِن فَدَك، وسَهْمَهُما مِن خيبر... فقالَ لهما أَبو بكر: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «لا نُورَثُ، ما تركْنا صَدَقة، إنما يأْكُلُ آلُ محمَّدٍ من هذا المال..».

[البخاري برقم: ٣٧٢٦. ومسلم برقم: ١٧٥٩].

٤ - وروى البخاريُّ ومسلمٌ عن مالكِ بنِ أَوس بن الحَدَثانِ حَديثاً طويلاً في احتِكام عليٍّ والعباسِ إلى أَميرِ المؤمنين عمرَ رضيَ اللهُ عنهم... ومما جاءَ في روايتِه قولُه: «... فأَتاهُ حاجبُه يَرْفَأُ، فقال: هل لكَ في عثمانَ والزبيرِ وعبدِالرحمن وسعدٍ؟

قال: نعم، فأَذِنَ لهم. . . ثم قال: هل لكَ في عليٍّ وعباس؟ قالَ: نَعَم. . قالَ العباسُ: يا أَمير المؤمنين: اقْضِ بيني وبينَ هذا!!

قالَ عمرُ: أَنْشُدُكُم باللهِ، الذي بإِذْنِهِ تقومُ السماءُ والأَرض، هل تعلمونَ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «لا نُورَثُ، ما تَركْنا صَدَقة»؟ فقالَ الرَّهطُ: قد قالَ ذلك. فأَقبلَ على عليٍّ والعباس، فقال: هل تعلمانِ أَنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ قالَ ذلك؟ قالا: قد قالَ ذلك. .

قال عمرُ: فإِنِّي أُحَدِّثُكم عن هذا الأَمْرِ: إِنَّ اللهَ قد كانَ خَصَّ رسولَهُ ﷺ في هذا الفيءِ بشيْءٍ، لم يُعْطِه أَحداً غيرَه. فقالَ تعالى: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [الحشر: ٧] فكانَتْ خالصةً لرسولِ اللهِ ﷺ، واللهِ ما احْتازَها دونَكُم، ولا اسْتأْثَرَ بها عليكم، لقد أَعْطاكُموه، وبثَّها فيكم حتى بقيَ منها هذا المال، فكان النبيُّ ينفقُ على أَهْلِهِ من هذا المال نفقةَ سنتِه، ثم يأْخُذُ ما بقيَ، فيجعلُه مَجْعَلَ مَالِ الله. . . أَنْشُدُكُم باللهِ: هل تعلمونَ ذلك؟ قالوا: نعم. . . ثم قالَ لعليٍّ والعَبّاس: أَنْشُدُكُما بالله، هل تعلمان ذلك؟ قالا: نعم. . .».

[البخاري برقم ٧٦٢٨. ومسلم برقم: ١٧٥٧].

دلالات مهمة من تلك الروايات:

تدل هذه الروايات الصحيحة عند البخاري ومسلم وغيرهما على دلالاتٍ عديدة، منها:

١ ـ كانَ رسولُ اللهِ ﷺ صَريحاً في أَنّه لا يُورَثُ، لأَنَّ كُلَّ الأَنبياءِ لا يُورَثون، فما خلَّفوهُ فهو صَدَقَةٌ في سبيلِ الله.

٢ ـ منطوقُ هذا الحديثِ الصريحُ أَنَّ فاطمةَ لا تَرِثُ أَباها ﷺ، ولا نَصيبَ لها من تركتِه، لأَنَّ ما تركَهُ خَلْفَه فهو صَدَقةٌ في سبيلِ الله. .

٣ ـ ظَنَّتْ أَزواجُ النَّبيِّ ﷺ أَنَّ لهُنَّ نصيباً من ميراثِ رسولِ اللهِ ﷺ، وهَمَمْنَ أَنْ يُكلِّمْنَ أَبا بكرٍ رضي الله عنه بذلك، ولما أَسمَعَتْهُنَّ عائشةُ رضي الله عنها حديثَ رسولِ

اللهِ ﷺ بذلك الْتَزَمْنَ به، وتوقَّفْنَ عمَّا هَمَمْنَ بهِ. .

٤ ـ لم يكن عندَ فاطمةَ رضي اللهُ عنها علمٌ بحديثِ أَبيها ﷺ: «نحنُ لا نُورَثُ، ما تركناهُ فهو صَدَقة»، ولذلك ظَنَّتْ أَنَّ لها نَصيباً من تركةِ رسولِ اللهِ ﷺ، ولما أَسمَعَها أَبو بكرٍ رضي الله عنه الحديثَ، توقَّفَتْ عن مُطالبتِها، واستسلمتْ للحقِّ، وعَرَفَتْ أَنه لا ميراثَ لها ولا لغيرِها، وهذه شهادةٌ لها في قبولِها الحقّ.

٥ ـ لما صارَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنه أَميراً للمؤمنين، أَبْقى أَرضَ فَدَكَ في سبيلِ الله، ولم يستولِ عليها باعتبارِهِ وارِثاً لرسولِ اللهِ ﷺ، ودَلَّ هذا على خطأ ما زَعَمَتْهُ روايةُ الكلينيِّ السابقة!!

* * *

الأخطاء في كتاب الإيمان والكفر

هل خلق الأئمة من غير مادة خلق الآخرين؟:

أخبرَ اللهُ أَنَّ كتابَ الأبرارِ في عِلِّيِّين، وكتابَ الفُجَّارِ في سجين. قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۞ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۞ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ [المطففين: ٧ ـ ٩]. وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۞ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۞ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۞ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ . .﴾ [المطففين: ١٨ ـ ٢١].

ما المُرادُ بكتابِ الأَبرارِ وكتابِ الفجّارِ عندَ الكليني؟

٢٠٨ ـ روى عن أبي جعفر ـ محمد الباقر ـ قال: خَلَقَنا اللهُ من أَعْلى عِلِّيِّين، وخَلَقَ قُلوبَ شيعَتِنا مما خَلَقَنا منه، وخلقَ أَبدانَهم مما دونَ ذلك، وقلوبُهم تهوي إلينا لأَنها خُلِقَتْ مما خُلِقْنا منه. قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۞ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۞ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۞ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ وخلقَ عدوَّنا من سجّين، وخلقَ قلوبَ شيعتِهم مما خلقَهم منه، وأَبدانُهم مما دون ذلك، فقلوبُهم تهوي إليهم، لأَنها خُلِقَتْ مما خُلِقوا منه: قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۞ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۞ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ [الكافي ٢ : ٤].

تُحدد الروايةُ المراد بالكتابِ بأَنَّهُ المادَةُ التي خُلِقَ منها الناس، فمعنى ﴿كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾: المادَةُ التي خَلَقَهم اللهُ منها، وهي في علِّيِّين، ومعنى ﴿كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ المادَةُ التي خَلَقَهم اللهُ منها، وهي في سجِّين!!

وهذا تفسيرٌ مردودٌ وفهمٌ خاطىء للآية. إنَّ المادّة التي خَلَقَ اللهُ منها الناسَ جميعاً واحدة، وهي مادّةٌ «بيولوجية» عامّة، شاملةٌ للجميع، مؤمنين وكافرين، أنبياءَ وأئمة، وشيعةً وسنة. . . كلُّ إنسانٍ خَلَقَه اللهُ من مَنِيٍّ يُمْنى قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۞ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ۞ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۞ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ . .﴾ [القيامة: ٣٦ ـ ٣٩].

كتابُ الأَبرارِ في علّيِّين، وهو سِجلُّ أَعمالِهم، الذي سُجِّلَتْ فيهِ كُلُّ أَقوالِهم وأَعمالِهم، إنَّهم أَبرارٌ صالحون، أَعمالُهم صالحة، يُسجلُها اللهُ في كتابِهم، ويرفعُه اللهُ لهم إلى علّيِّين، وهو المكانُ العالي الشريفُ السامي، المتناسبُ مع سُمُوِّ أَعمالِهم الصالحة، ومع هِمَمِهم العالية، ونفوسِهم المشرقة.

وكتابُ الفجّارِ في سجّين، وهو سجلُّ أَعمالِهم وأَقوالِهم السيئة، وهي خبيثةٌ مظلمةٌ، ولذلك يَهوي بها إلى سجين، فهو متناسبٌ مع دناءَةِ أَعمالِهم، ودناءَةِ نفوسِهم وصفاتِهم..

تفسير عجيب للحب والنوى:

أَخبرَ اللهُ أَنه خالقٌ لكلِّ شيء، ومن ذلك الحبّ والنَّوى. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [الأنعام: ٩٥].

ما المُرادُ بالحَبِّ والنَّوى في الآية؟ وما المرادُ بالميتِ والحَيِّ فيها؟

٢٠٩ - روى الكلينيّ عن أَبي عبدِاللهِ كلاماً طويلاً، نأخذُ منه ما يتفقُ مع موضوعِنا: قال: «... قبضَ اللهُ قبضةً من السماءِ السابعةِ بيمينه، وقبضَ قبضةً أُخرى من الأَرضِ السابعةِ بشمالِه.. وقال للتي في يمينه: منكِ الرسلُ والأَنبياءُ والأَوصياء، والصِّدِّيقون والمؤمنونَ والسُّعداء، وقال للّتي في شمالِه: منكِ الجبّارونَ والمشركونَ والكافرونَ والطواغيت.. ثم إنَّ الطينتَيْن خُلِطَتا جميعاً، وذلك قولُ الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ فالحَبُّ طينةُ المؤمنين، التي أَلْقى اللهُ عليها محبَّتَه، والنَّوى طينَةُ الكافرين. الذين نأَوْا عن كُلِّ خير! وإِنما سُمِّيَ «نَوى» من أَجلِ أَنه نأَى عن كلِّ خيرٍ وتباعَدَ عنه.

وقوله تعالى: ﴿يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي﴾: الحَيُّ المؤمنُ، الذي تخرجُ طينتُه من طينةِ الكافر.. والميِّتُ الكافر، الذي تخرجُ طينته من طينةِ المؤمن..» [الكافي ٢: ٥].

القولُ بأَنَّ طينةَ المؤمنِ مأَخوذَةٌ من السماءِ السابعة، وطينَةَ الكافرِ مأَخوذَةٌ من الأَرضِ السُّفْلى السابعةِ ليسَ عليه دَليلٌ من القرآنِ أَوِ السُّنَّة، ولذلك هو مردودٌ عندنا..

والزعْمُ بأَنَّ اللهَ مَزَجَ طينةَ المؤمنِ والكافرِ معاً زَعْمٌ باطل، لأنه لا دليلَ عليه.

امّا تفسيرُ الآيةِ بذلك التفسيرِ فهو خطأٌ وباطل، وهو يقومُ على التلاعبِ والتحريف!

«الحَبُّ» من الحُبِّ، والمرادُ به طينةُ المؤمن، التي أَحَبَّها اللهُ... والنَّوى من النَّأْيِ وهو البعدُ، والمرادُ به طينةُ الكافر، التي أَبعدَها اللهُ، فصارَتْ نوى بعيداً!!

بهذا الهراءِ السخيفِ تُفَسِّرُ الروايةُ الآية: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴾ فالحَبُّ الحُبُّ، والنَّوى النَّأْيُ والبُعدُ!

وهذا افتراءٌ على القرآن، وتحريفٌ لمعانيه، ودليلُ جَهْلِ الذي نُسِبَ له باللغةِ وبالقرآنِ وبالتفسير..

الحَبُّ في الآيةِ اسمُ جنْسٍ، يشملُ كُلَّ أَنواعِ الحبوبِ والمزروعاتِ والبذور، كحبوبِ القمحِ والشعيرِ والأرزِ والعدسِ والفولِ والحمص وغيرِها، كما يشملُ كُلَّ الحبوبِ غير المأكولَة.

والنَّوى في الآيةِ اسمُ جنسٍ، مُفْرَدُهُ «نواة»، وتشملُ جميعَ أَنواعِ الأَشجارِ التي تتكاثرُ عن طريقِ النَّوى، كنوى النخل واللوزِ والجوزِ والخوخِ والمشمش، وغيرها..

وجمَعَت الكلمتانِ «الحَب والنَّوى» جميعَ النباتات والمزروعات، وجميعَ الأَشجارِ والثمار.

وأخطأت الروايةُ عندما جعلَت معنى قوله: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾ إخراجَ المؤمنِ الحَيِّ من طينةِ الكافرِ الميت، وإخراجَ الكافرِ الميتِ من طينةِ المؤمنِ الحي..

إنَّ هذه الجملةَ تفسيرٌ للجملةِ قبلَها: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴾ والمرادُ بإِخْراجِ الحَيِّ من الميت إخراجُ الحَبَّةِ الناميةِ، والمتمثلةِ بالنبتةِ أو الفسيلةِ الخضراءِ، من الحَبَّةِ أو النواةِ اليابسة.. والمرادُ بإِخراجِ الميتِ من الحَيِّ إخراجُ الحبوبِ اليابسةِ في نهايةِ الموسمِ الزراعي، أَو إخراجُ النوى اليابسِ في نهاية موسم الثمار. فاللوحةُ زراعيةٌ حيةٌ مصوَّرة!!

تفسير مردود للحسنة والسيئة:

٢١٠ ـ روى الكُلينيُّ في بابِ «التقيةِ» عن أبي عبدِالله ـ جعفر الصادق ـ في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ قال: الحسنةُ: التُّقْيةُ. والسيئةُ: الإذاعة» [الكافي ٢: ٢١٧].

التُّقيةُ عند الشيعة جزءٌ أَساسيٌّ في الدين، ولقد نَقَلَ الكلينيُّ قولَ أَبي عبدِالله: «إِنَّ تسعةَ أَعشارِ الدينِ في التُّقية، ولا دينَ لمن لا تُقيَةَ له» [الكافي ٢: ٢١٧].

ولذلك حمَلت الروايةُ الآيةَ التي نحنُ بصددها على التُّقْية، فالحسنَةُ في الآيةِ هي التُّقْية، والسَّيئةُ فيها هي الإذاعةُ والإِعلان! بمعنى أنه إذا أخفى الإمامُ أَو بعضُ أَتْباعِه ما عندهم من أفكارٍ وآراء، وأَظهروا عكْسَها، فقد جاءُوا بالحَسَنات، وإذا كان بعضُهم واضحين، وأَعْلَنوا ما يُؤمنونَ به فقد جاءُوا بالسيئات.

ومع أَنَّنا نخالِفُهم في مبدأ التُّقيةِ أَساساً، إلا أَنَّنا هنا نبيِّنُ خطأ تفسيرِهم للآية، فالآيةُ في سياقِ الإخبارِ عن مؤمني أهلِ الكتاب، الذين اقتنعوا بالإسلام، ودَخَلوا فيه.

قال تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۞ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۞ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [القصص: ٥١ ـ ٥٤].

من صفاتِ هؤلاءِ المؤمنين أَنهم «يدرءون بالحسنة السيئة» أي: يدفعونَ السيئةَ بالحسنةِ، ويفعلونَ الحسنةَ ليمحوا بها السيئة. كما قال رسولُ اللهِ ﷺ: «وأَتْبعِ السيئةَ الحسنةَ تَمْحُها».

والحسنةُ والسيئةُ في الآيةِ كلمتانِ عامّتان، شاملتانِ لكلِّ حسنةٍ ولكلِّ سيئة، من الأَقوالِ والأَعمالِ والتصرفات.

فتخصيصُ الحسنةِ بالتُّقْية، وتخصيص السيئةِ بالإذاعة تَقَوُّلٌ وادِّعاء، وهو خطأٌ مردود، لأَنَّ الآيةَ لا تَحتملُه ولا تدلُّ عليه!!

لا تقية في كلام إبراهيم ويوسف عليهما السلام:

٢١١ ـ روى الكلينيّ عن أبي بصير، قال: قال أبو عبدِالله ـ جعفر الصادق ـ: **التقيةُ من دينِ الله! قلتُ: مِن دينِ الله؟ قال: إيْ واللهِ، من دينِ الله. ولقد قالَ يوسفُ: ﴿ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴾ والله ما كانوا سَرَقوا شيئاً. ولقد قالَ إبراهيمُ: ﴿ إِنِّى سَقِيمٌ ﴾، وواللهِ ما كانَ سقيماً»** [الكافي ٢ : ٢١٧].

فوجىءَ أَبو بصير عندما قالَ له إمامُه أَبو عبدِالله: التقيةُ من دينِ اللهِ! وسبقَ أنْ ذكَرْنا أَنَّ التُّقيَةَ ليستْ من دينِ الله، وأَنَّ الأَصْلَ في المسلمِ أَنْ لا يلجأَ إليها مع المسلمين، وإذا اضطرَّ إليها مع الكفارِ فلا مانع، أَما مع المسلمين فلا، علماً أن الشيعة كانوا يستعملونها مع المسلمين!

والآيتانِ اللّتانِ استشهدَ بهما أبو عبدِالله لا تَدُلاّن على جوازِ التُّقية، لأَنهما في سياقٍ لا صِلَةَ له بالتُّقيَة!

الآيةُ الأُولى في سياقِ الإخْبارِ عن ما جرى بينَ يوسفَ عليه السلام وبينَ إخوتِه، فلما أَتَوا بأَخيهم، واجتمعَ يوسفُ به، وأَخبرَه أَنه أَخوه، جَهَّزَهم بجَهازِهم، ووضَعَ السقايةَ في رحلِ أَخيه، دونَ أَنْ يعرِفَ ذلكَ أَحَد، ولما فَقَدَ فتيانُ يوسفَ عليهِ السلام صُواعَ الملِكِ، نادَوا في القافلةِ متَّهِمين لهم بالسرقة. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ۞ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ۞ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ..﴾ [يوسف: ٧٠ ـ ٧٢].

وليسَ في الآيةِ تُقْيَة، لأَنَّ الذي قال: ﴿ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴾ ليسَ هو يوسفَ عليه السلام، الذي وضَعَ السقايةَ في رَحْلِ أَخيه، وإنما هو أَحدُ فتيانِ يوسفَ عليه السلام، لأَنه فقدَ صُواعَ الملِك، ولم يَدْرِ أَنَّ يوسفَ هو الذي وضَعَها في رَحْلِ أَخيه، وكان صادِقاً ـ حسب الظاهر ـ في اتِّهامِهِ لهم بالسَّرِقَةِ!

والآيةُ الثانيةُ أَخبرتْ عن قولِ إبراهيمَ عليه السلام لقومه المشركين، قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ۞ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ۞ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ۞ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ۞ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ [الصافات: ٨٥ ـ ٩٠].

ليسَ في قولِ إبراهيمَ عليه السلام: «إني سقيم» تُقْيَةٌ ولا كذِبٌ، إنما هو قولٌ صحيحٌ، وينطبقُ على إبراهيمَ عليه السلام في ذلك تماماً، فلما قالَ لهم: إني سقيم، كان سقيماً حقاً.

كانَ القومُ مشركينَ بالله، ويعبدونَ غيرَ الله، ويَبدو أنه اقتربَ موعِدُ عيدٍ لهم، وكانَ لهم في عيدِهِم ممارساتٌ شركيةٌ محرَّمةٌ، ولما حانَ موعدُ عيدِهم أُصيبَ إبراهيمُ عليه السلام بالسَّقَم، لمعرفتِهِ بما سيفعَلُه قومُه، من أَفعالٍ وممارسات باطلة، فحزنَ وتألَّم، وتأَثَّرتْ نفسُه ومشاعرُه. ولما قالَ لهم: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ تركوهُ وانصرفوا عنه، وذهبوا إلى عيدِهم: ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾.

والمسلمُ منّا إذا رأى مسلمينَ مرتكبِين للمعاصي فإنه يَسقمُ ويحزَنُ ويتألَّم، ويُخبرهم أنه سقيمٌ مريضٌ مما يفعلون، ولعلَّ سقَمَ إبراهيمَ عليهِ السلام كان قريباً من هذا..

هل التقية هي الأحسن؟:

٢١٢ - روى الكليني عن أبي عبدِالله - جعفر الصادق - في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ قالَ: الحسنة: التُّقيةُ. والسَّيِّئةُ: الإذاعة. وقالَ في قولِه تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ﴾: التي هي أحسنُ التُّقية» [الكافي ٢: ٢١٨].

ما زالَ أَبو عبدِالله يُصِرُّ على أَنَّ المرادَ بالحسنةِ في هذه الآيات التُّقيَة، وأَنَّ السيِّئةَ التي في مقابلِها هي الإذاعة.

علماً بأَنَّ هذه الآياتِ لا تدلُّ على التقيةِ ولا على الإذاعة:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤] عامٌّ يشملُ كُلَّ حسنةٍ محبوبةٍ مرغوبة، من الأَقوالِ والأَفعال، ويشمَلُ كُلَّ سيِّئةٍ من الأَقوالِ والأَفعالِ. فالحسنةُ والسيئةُ بهذا العمومِ والشمول، لا تَستويانِ ولا تَتماثلان، ولذلك مطلوبٌ من المسلم أن يفعلَ الحسنات..

وقوله تعالى: ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩٦]، يَدْعو إلى أَنْ يدفَعَ السيئةَ بالتي هي أَحسن، والسيئةُ عامّةٌ في كلِّ حرامٍ من الأَقوالِ والأَفعال، والتي تدفعُها وتُبطِلُها وتُزيلُها هي الحسنةُ. فالحسنةُ عامّة، وليست خاصة بالتقية، كما زعَمَتْ روايةُ الكلينيّ!

هل عمل أصحاب الكهف بالتقية؟!

٢١٣ ـ روى الكليني عن أبي عبدِالله ـ جعفر الصادق ـ قال: ما بَلَغَتْ تُقْيَةُ أَحدٍ تُقْيَةَ أَصحابِ الكهف، إنْ كانوا ليشهدونَ الأَعياد، ويَشُدّونَ الزنانير! فأَعطاهم اللهُ أَجْرَهُم مرّتين!!» [الكافي ٢: ٢١٨].

يدَّعي الروايةُ أَنَّ أَصحابَ الكهفِ المؤمنين كانوا يتعامَلونَ مع قومِهم المشركين بالتُّقْية، حيثُ كانوا يشاركونَهم في الحياةِ الاجتماعية، ويَعيشونَ معهم، ويأْكلونَ ويشربونَ معهم، ويشهدونَ أَعيادَهم الشركية معهم، ويَشُدُّونَ الزنانيرَ على أَوساطِهم، كما يَفعلُ أَقوامُهم!

وهذا ادّعاءٌ باطل، وافتراءٌ واضحٌ مكذوبٌ على أَصحابِ الكهف. فقد أَخبرَ اللهُ أَنَّ أَصحابَ الكهف اعْتَزَلوا قومَهم المشركين، وأَوَوْا إلى الكهف، وطَلَبوا من اللهِ تيسيرَ إقامَتِهم فيه، فأَماتَهم بأَنْ جعلَهُم ينامُونَ ثلاثمائةٍ وتسعَ سنوات!!

قال تعالى: ﴿ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ۝ وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا ۝ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ۝ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ﴾ [الكهف: ١٣ ـ ١٦].

وقال تعالى عنهم: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا ۝ إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ۝ وَكَذَٰلِكَ

﴿أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ١٩ ـ ٢١].

إنَّ روايةَ الكلينيّ تُخالفُ هذه الآياتِ الصريحةَ، في حديثِها عن أصحابِ الكهفِ، عندما تفتري عليهم بأنهم كانوا يُعاملونَ قومَهم بالتُّقية، مع أنهم اعتزَلوهم وفارَقوهم!!

خطأ الاستشهاد بآية على التقية!!:

٢١٤ ـ روى الكلينيّ في باب «علامةِ المؤمن وصفاتِه» عن الرضا، قال: «لا يكونُ المؤمنُ مؤمناً حتى يكونَ فيه ثلاثُ خِصال: سُنَّةٌ من ربِّه، وسنةٌ من نبيِّه، وسنةٌ من وليِّه..

فأَمّا السُّنَّةُ من ربِّه فكِتْمانُ سِرِّه، قال الله عز وجل: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦ ـ ٢٧].. وأمَّا السُّنَّةُ من نبيِّه فمُداراةُ الناس، فإنَّ اللهَ عز وجل أمرَ نبيَّه بمداراةِ الناس، فقال: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ..﴾ [الأعراف: ١٩٩].. وأمّا السنَّةُ من وَليِّه فالصبرُ في البأساءِ والضراء..» [الكافي ٢: ٢٤١ ـ ٢٤٢].

تدَّعي الروايةُ أَنَّ المؤمنَ لا يكونُ مؤمِناً إلا إذا عَمِلَ بالتُّقْيَة، وكَتَمَ سِرَّه، وأَخْفى ما عندَه، فإذا وَجَدَ مَنْ يطمئنُّ إليه جَهَرَ به!

وتدَّعي الروايةُ أَنَّ المؤمنَ في هذا الموقفِ يأْخذُ سُنَّةً من ربِّه! أي: يَقْتَدي بربِّه في هذا الكتمانِ والإِسرار!! واستشهدت الروايةُ على هذا الفهمِ بقولِه تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾.

ووَجْهُ الاستشهادِ بالآيةِ أَنَّ اللهَ يُخْفي غيبَه عن خَلْقِهِ، ولا يُظهِرُ أَحَداً من خَلقِهِ عليه إلاّ المُرْتضى من رسلِهِ.

فإذا كانَ اللهُ لا يُظهرُ على غيبِهِ إلاّ مَنِ ارتضى من رسول، ويُخفي ذلك على باقي

خَلْقه، فعلى المؤمنِ أَنْ يكونَ كذلك، وأَنْ يكتمَ سرَّه، إلاّ عن مَنْ ارتضى من الناس!!

وهذا استشهادٌ مردودٌ بالآية، لعدمِ وجود صلةٍ بينَ إخفاء اللهِ الغيبَ عن عمومِ خلْقِه، وكتمانِ المؤمنِ لسِرِّه عن الآخرين.. فمن المعلوم أَنَّ اللهَ اخْتَصَّ بعلْم الغيب، ولا يَعلمُ أَحَدٌ شيئاً من الغيب، إلا ما عَلَّمَه اللهُ إياه، حتى لو كانَ مَلَكاً مقرَّباً أو نبيّاً مُرْسلاً، فالرسولُ ﷺ لم يَعلمْ من الغيبِ إلاّ ما علَّمَهُ اللهُ إيّاه. قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ..﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وأَنْ يكتمَ الإنسانُ سِرَّهُ عن غيرِهِ ليسَ من هذا الباب، فكيفَ تزعمُ الروايةُ أَنَّ المؤمنَ فيه سُنَّةٌ من الله، ويَقْتدي باللهِ عندما يكتمُ سِرَّه؟..

هل عدم طاعة الإمام شرك بالله؟

٢١٥ - روى الكليني في باب «الشرك» من كتاب «الإيمانِ والكفرِ» عن أَبي عبدِالله - جعفر الصادق - في قول الله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]. قال: هو شركُ طاعةٍ وليس شركَ عبادة!» [الكافي ٢: ٢٩٧].

وقالَ أَيضاً: «أُمِرَ الناسُ بمعرفتِنا، والرَّدِّ إلينا، والتسليم لنا.. ثم قال: وإنْ صامُوا وصلّوا، وشهِدوا أَنْ لا إله إلا الله، ولكنهم جعَلوا في أَنفُسِهِم أَنْ لا يَرُدُّوا إلينا، كانوا بذلك مشركين..» [الكافي ٢: ٣٩٨].

تتحدّثُ الآيةُ عن شِرْكِ أَكثرِ الناس بالله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ والشركُ في الآيةِ عامٌّ، يشملُ كُلَّ صُوَرِ الشِّرك، ومنها شِرْكُ العبادة، وشركُ الطاعة، وشركُ النية والتوجُّه، وشركٌ في الوحدانيةِ والإيمان. فالذين أَلّهوا غيرَ اللهِ أَشركوا به، والذين عبَدوا غيرَه أَشركوا به، والذين أطاعوا غيرَه أَشركوا به، والذين عَمِلوا لغيرِه أَشركوا به.

ولكنَّ أَبا عبدِالله يَقْصرُ الآيةَ على شِرْكِ الطاعة، ويُخَصِّصُها به، مع عدمِ وجودِ دليلٍ على التخصيص، ولذلك نَرُدُّهُ ولا نقبَلُه، ونَرى إبقاءَ المعنى في الآيةِ على عمومِه!

وهدفُ أَبي عبدِالله من تخصيصِ الآيةِ بشرْكِ الطاعةِ الوصولُ إلى أَنَّ طاعةَ الأَئمةِ طاعةٌ مُطْلَقة، ومَنْ لم يَفْعَل ذلك كان مُشرِكاً بالله! وهذا ما صرَّحَ به في قوله: «وإن صاموا وصَلّوا، وشَهِدوا أن لا إله إلا الله، فإن لم يَرُدُّوا الأَمْرَ إلينا، كانوا بذلك مشركين!».

الظلم هو الشرك وليس الشك!!

٢١٦ - روى الكليني عن أَبي بصير، قال: سأَلتُ أبا عبدِالله عن قولِ اللهِ عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ قال: بشك» [الكافي ٢: ٣٩٩].

أَخبرَ اللهُ أَنَّ المؤمنينَ الذين لم يَخْلِطوا إِيمانَهم بظُلم، هم الآمِنونَ عندَ الله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

وخصَّصَ أبو عبدِ الله ـ جعفرُ الصادق ـ الظلْم في الآيةِ بالشكِّ، أَيْ: الشكُّ بالله.

وهذا التفسيرُ والتخصيصُ يتعارَضُ مع بيانِ وتفسيرِ رسولِ اللهِ ﷺ، الذي صَوَّبَ فيه للصحابةِ فَهْمَهم، وأزالَ اللَّبْسَ عن الآية. فلما سمعَ الصحابةُ الآيةَ حمَلوا الظلمَ فيها على المعصية، وهم عُرضةٌ للمعصية، وليسوا معصومين، فقالوا: يا رسولَ الله: أَيُّنا لم يَظْلِمْ نَفْسَه؟

فقالَ ﷺ: الظلمُ الشركُ، أَما سمعتُم قولَ العبدِ الصالح: ﴿يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

الرسولُ ﷺ فسَّرَ الظلمَ بالشِّرْك، وخَصَّصَهُ به، واستشهدَ على ذلك بآية سورةِ لقمان. وهذا يَدْعونا إلى رَدِّ كلامِ أَبي عبدِالله، الذي خصَّصَ الظلْمَ بالشك.

من هم المرجون لأمر الله؟

٢١٧ - روى الكلينيّ في بابِ «المُرْجَوْنَ لأَمرِ الله» من كتاب «الإِيمانِ والكفر» عن أبي جعفر في قول الله: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٦]. **قال: هم قومٌ كانوا مشركين، فقتَلوا مثلَ حمزة وجعفر وأَشباهِهما من**

المؤمنين، ثم إنهم دخَلوا في الإِسْلام، فوحَّدوا اللهَ، وترَكوا الشركَ، ولم يَعْرِفوا الإيمانَ بقلوبِهم، فيكونوا من المؤمنين، فتجبُ لهم الجنة، ولم يكونوا على جُحودِهم فيكفروا، فتجبُ لهم النار، فهم على تلك الحال، إمّا يُعَذِّبُهم وإمّا يتوبُ عليهم. .» [الكافي ٢ : ٤٠٧].

هؤلاء القوم المرجونَ لأَمرِ اللهِ عندَ أَبي جعفر هم قومٌ تخلَّوا عن الكفرِ والشرك، فسَلِموا بذلك من الخلود في النارِ كالكُفار، ودَخَلوا في الإِسلام، وصارُوا من المسلمين في الظاهر، ولكنَّ الإيمانَ لم يدخُلْ قلوبَهم كباقي المؤمنين، فلا هم مشركون، ولا هم مؤمنون، فهؤلاء مُرْجَوْنَ لأَمْرِ الله، إمّا أَنْ يعذِّبَهم، وإمّا أَنْ يتوبَ عليهم!

ولم يَذْكر أبو جعفر نهايتَهم: هل عذبَهم اللهُ أَم تابَ عليهم!

وهذا الفهمُ للآيةِ مردود، لا يتفقُ مع سياقِها، ولا مع جَوِّ نُزولِها!

الآيةُ في سياقِ الحديثِ عن المتخلِّفين عن غزوةِ تبوك، التي وقعَتْ في السنةِ التاسعةِ للهجرة. فبعضُهم كانوا من المنافقين الكاذبين، اعْتَذَروا عن تخلُّفِهم كَذِباً، فسكتَ عنهم رسولُ الله ﷺ، احتقاراً لهم. وبعضُهم اعترفوا بذَنْبهم ولم يُقدِّموا أَعذاراً، فهؤلاء تابَ اللهُ عليهم. وبعضُهم لم يقدِّموا أَعذاراً، فأَرجأَهم الله.

قالَ اللهُ عن الصنفِ الأَول: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۞ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٥ ـ ٩٦].

وقالَ اللهُ عن الصنفِ الثاني: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ . .﴾ [التوبة: ١٠٢ ـ ١٠٣].

وقالَ اللهُ عن الصنفِ الثالث: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٦].

الراجحُ أَنَّ هؤلاءِ هم الثلاثةُ الصادقون، الذين تخَلَّفوا بدونِ عُذْر، ونَدِموا على ذلك، واعتذروا أَمامَ رسولِ اللهِ ﷺ، وهم: كعبُ بنُ مالك، ومرارةُ بن الربيع، وهلالُ ابنُ أُمية. وقد وقعَتْ لهم تجربةٌ عظيمة، وقصةٌ مؤثِّرة، رواها كعبُ بنُ مالك رضي الله عنه، وقد قاطعَهم المسلمونَ خمسين يوماً، بأَمْرِ رسولِ اللهِ ﷺ. ووردَتْ قصةُ المخلَّفين الثلاثة عند البخاريِّ ومسلمٍ وغيرهما.

وبعدَ خمسينَ يوماً من مقاطعتِهم، وبَعدما أَرجأَ اللهُ قَبولَ توبتِهم أَنزلَ آياتٍ من سورةِ التوبة بقَبولِها، وهي قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ . .﴾ [التوبة: ١١٨].

وبهذا نعرفُ خطأَ كلامِ الروايةِ عن أُولئك القوم. .

ثم إنَّ كلامَ الروايةِ يتعارضُ مع حقائقِ العقيدة والإيمان، فمن المعلوم أَنَّ الإِنسانَ يدخلُ في الإِسلامِ إذا نطقَ بالشهادتين، ويكونُ مؤمناً من أَهلِ الجنة، فكيفَ يدخلُون في الإِسلام ولا يكونون مؤمنين؟ هذا كلامٌ مردودٌ.

لا عصمة لغير رسول الله:

٢١٨ ـ روى الكليني عن علي بن رئاب، قال: سأَلْتُ أبا عبدِالله ـ جعفر الصادق ـ عن قولِ اللهِ عز وجل: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الشورى: ٣٠]. فقلتُ له: أَرأيتَ ما أَصابَ علياً وأَهلَ بيتِه من بعدِه، هل هو بما كسبتْ أيديهم؟ وهم أهلُ بيتِ طهارةٍ معصومون!! فقال: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كانَ يتوبُ إلى اللهِ ويستغفرُه في كلِّ يومٍ وليلةٍ مائةَ مرة، من غيرِ ذنب، إنَّ اللهَ يخصُّ أَولياءَه بالمصائبِ ليأْجُرَهم عليها من غيرِ ذنب. .» [الكافي ٢: ٤٥٠].

ظاهرُ الآيةِ أَنَّ كلَّ ما يُصيبُ الإِنسانَ من مصائبَ، فهو عقوبةٌ له من الله، على ما كسبتْ يداهُ من ذنوبٍ ومعاصٍ. وقد أَثارَ هذا إِشكالاً عندَ عليِّ بن رِئاب، فتوجَّهَ بالسؤالِ إلى جعفر الصادق: عليٌّ وأهلُ بيتِه معصومون، وأَصابَتْهم مصائبُ عديدة، والمصائبُ لا تكونُ إلا بسببِ الذنوب، فكيف نفسِّرُ ما أَصابَهم؟!

فقالَ لهُ جعفرُ الصادق: ليسَ كلُّ المصائبِ بسببِ الذنوب، فقد يُصيبُ اللهُ بعضَ أَوليائِهِ بالمصائبِ ليأجُرَهم عليها، وهذا كاستغفارِ رسولِ اللهِ ﷺ، فمعَ أَنه معصوم، إلاّ أَنه كانَ يتوبُ إلى الله ويستغفرُه في اليوم مائة مرة!

ونوافقُ جعفرَ الصادق على أَنَّ بعضَ المصائب لا تكونُ بسببِ الذنوب، وهي التي تُصيبُ الصالحين، فيصيبُهم اللهُ بها ليزيدَ أَجرهم ويَرفعَ منزلتَهم عنده.

وعلى هذا يُحملُ قولُه تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ على الأَكثرِ والأَغلب، وليس على الحَصْر، فمعظمُ المصائبِ التي تُصيبُ الناسَ تكونُ بسببِ الذنوب والمعاصي، ولكنَّ بعضَها ليس بهذا السَّبب.

لكننا لا نوافقُه في القولِ بالعصمةِ لآلِ البيت، وعدمِ وقوعِهم في أخطاء أو ذنوب.. إنهم عرضةٌ للوقوع في المعاصي والذنوب، ولا عصمة عندَ أَهلِ السنةِ إلا لرسولِ الله ﷺ.

هل التدافع خاص بالشيعة؟:

٢١٩ ـ روى الكليني عن أبي عبدِالله، قال: إنَّ اللهَ ليدفعُ بمَنْ يُصَلّي من شيعَتِنا، عمن لا يُصلّي من شيعَتِنا، ولو أَجمعوا على تركِ الصلاةِ لَهَلكوا، وإنَّ اللهَ ليدفعُ بمن يزكّي من شيعتِنا عمّنْ لا يُزكّي، ولو أَجمعوا على تركِ الزكاةِ لَهَلَكوا، وإنَّ اللهَ ليدفعُ بمن يحجُّ من شيعتِنا عمن لا يحجّ، ولو أَجمعوا على تركِ الحجِّ لهَلَكوا. وهو قولُ اللهِ عز وجل: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١] فواللهِ ما نَزَلَتْ إلَّا فيكم، ولا عنى بها غيرَكم. [الكافي ١: ٤٥١].

معنى الآيةِ عندَ أَبي عبدالله: إنَّ اللهَ يدفَعُ بالصالحين من الشيعةِ عن غيرِ الصالحين منهم، أَيْ يَحمي ويحفظُ غيرَ الصالحين بالصالحين.. وهذا معنى مردود!!

ليست الآيةُ خاصَّةً بحفظِ اللهِ للشيعة، ولا بحمايةِ بعضِ الشيعة للشيعة، ولا يَجوزُ تخصيصُها بالشيعة، حتى إنَّ أَبا عبدِالله أَقسَم بالله على تخصيصِها بهم، حيثُ قال: فواللهِ ما نَزَلَتْ إلَّا فيكم، ولا عَنىٰ بها غيرَكم!!

تتحدَثُ الآيةُ عن سنةٍ ربّانيّةٍ مطَّرِدَة، تحكُم حياةَ البشَر، هي «سُنَّةُ التَّدافع» الضروريةُ لصلاحِ وإصلاحِ الحياةِ البشرية، فلولا دفعُ اللهِ الناسَ بعضَهم ببعضٍ لفسدت الأرض، لأَنَّ عَدَمَ التدافع يعني السكونَ والهمود، وقَتْلَ الحياةِ والحيوية.. والتدافعُ يجبُ أَنْ يؤخَذَ على عُمومِه، بحيثُ يشملُ جميعَ صورِ ومظاهرِ وأَلوانِ التدافع.. فالناسُ يتدافعون ويتزاحمون ويتَصارَعون، ويَتَنافَسون ويتَصادَمون، ويَخْتَلفون ويَقْتَتِلون.

وبذلك تتحققُ الحياةُ والحركة، وبذلك تصلحُ الأَرض، ويتمُّ تعميرُها وتحريكُها والارتقاءُ بها. وكم نخسرُ عندما نُفَرِّغُ الآيةَ من معناها الحضاريِّ الإنسانيِّ الشامل، ونَقْصُرُها على حمايةِ الشيعةِ المقصِّرينَ بالشيعةِ الصالحين؟!

***

الأخطاء التفسيرية في كتاب «فضل القرآن»

اختلاف مصحف الأئمة عن مصحف عموم المسلمين:

٢٢٠ ـ روى الكلينيّ في كتابِ «فضلِ القرآن» أَنَّ أَحَدَ الأَتْباعِ سأَلَ أَبا الحسَنِ فقالَ له: جُعِلْتُ فِداك: إِنَّا نسمعُ الآياتِ في القرآن، ليسَ هي عندنا كما نسمعُها، ولا نُحسنُ أن نقرأها كما بَلَغَنا عنكم فهل نأْثَم؟؟

فقال: لا. اقرأوا كما تعلَّمْتُم، فسيَجيئكم مَن يُعَلِّمُكُم!!» [الكافي ٢: ٦١٩].

في هذه الروايةِ العجيبةِ إِشاراتٌ خطيرة، تتعلقُ بالمصحفِ وحفظِ القرآن، فالسائلُ لاحظَ اختلافاً في القرآن، بينَ ما تعلَّمَه من الأَئمةِ وسمعَه منهم، وبينَ ما يسمعُه من المسلمين الآخرين، فوقَعَ في حيرة، وخشيَ أَنْ يأْثَمَ، فسأَلَ أَبا الحسنِ عن ذلك، فأَقَرَّ أَبو الحسن بوجودِ الاختلافِ بين المصحفَيْن، وطالبَ السائلَ أَن يبقَى على المصحَفِ الذي عندَ العامّة، وفي المستقبل سيأتي مَنْ يُقدِّمُ للناسِ القرآنَ الصحيح، ويُعَلِّمُهم القراءة الصحيحة! وهو القائمُ الذي يؤمنُ الشيعةُ بخروجِه في آخرِ الزمان!

وهذا كلامٌ خطيرٌ، لأَنه يُصَرِّحُ بعدمِ حفظِ القرآن، وبوجودِ التحريفِ فيه، وبأَنَّ القرآن الذي عندَ غيرِ الشيعةِ مُحَرَّف، وأَنَّ القرآنَ الصحيحَ هو الذي عندَ الشيعة، وأَنَّ القائمَ عندما يخرجُ في آخرِ الزمانِ سيُعَلِّمُ الناسَ القرآنَ الصحيح!

لا نقولُ إلاّ أنَّ هذا الكلامَ باطل! ونُذَكِّرُ بالقاعدةِ الإِيمانيّة الصريحةِ بكفرِ كلِّ من ادَّعى أَنَّ القرآنَ الذي بينَ أَيدي المسلمين مُحرَّف، وفيه زيادةٌ أو حذْف!!

فالمسلمونَ يوقنونَ أَنَّ المصحفَ الذي بينَ أَيديهم هو نفسُه الذي أنزلَهُ اللهُ على نبيِّه محمد ﷺ، بدونِ زيادةٍ أو نقْصان!

هل نزل ثلث القرآن في الأئمة؟:

٢٢١ ـ روى الكليني في كتابِ فضلِ القرآنِ عن الأَصبغ بن نَباتَةَ قال: سمعتُ أَميرَ المؤمنين رضيَ اللهُ عنه يقول: نزلَ القرآنُ أَثْلاثاً: ثُلُثٌ فينا وفي عدوِّنا، وثُلُثٌ سُنَنٌ وأَمثال، وثُلُثٌ فرائضُ وأَحكام!» [الكافي ٢: ٦٢٧].

تنسبُ الروايةُ لعليِّ بنِ أَبي طالبٍ رضيَ الله عنه أنه قَسَّمَ القرآنَ إلى ثلاثةِ أَقسام، واعتبرَ ثُلُثَ القرآنِ نازلاً في آلِ البيتِ وأَعدائِهم، ومَنْ هُم أَعداؤهم؟ إنهم أَهلُ السنَّةِ من الصحابةِ ومَنْ بعدَهُم، الذين يزعُمُ الشيعةُ أَنهم اعْتَدوا على حَقِّ عليٍّ رضي الله عنه في الخلافة، وبايَعوا أبا بكرٍ وعمرَ وعُثمانَ رضي الله عنهم قبلَه.. ثم القرونُ اللاحقةُ زمَنَ الأُمويِّين والعبّاسيِّين ومَنْ بعدَهم..

ولذلك يُضيفونَ إلى بعضِ الآياتِ كلماتٍ تنُصُّ على ولايةِ عليٍّ والأَئمةِ من بعدِه، ويزعمونَ أَنَّ الصحابةَ حذَفوها من المصحفِ، لما جَمَعوهُ زمنَ عثمانَ رضي الله عنه، لئلا تكونَ إِدانةً لهم.

ونشهدُ أَنَّ هذا افتراءٌ على اللهِ وعلى رسولِهِ وعلى كتابِه، وعلى جنودِهِ من الصحابةِ الكرامِ رضوانُ الله عليهم..

هل الفرقان أخص من القرآن؟:

٢٢٢ ـ روى الكلينيّ أَن أحدَ الأَتباعِ سأَلَ أَبا عبدِاللهِ ـ جعفر الصادق ـ فقالَ له: القرآنُ والفرقان: أَهُما شيئانِ أَو شيءٌ واحد؟

فقالَ: القرآنُ جملةُ الكتاب، والفرقانُ المحكَم الواجبُ العملُ به!» [الكافي ٢: ٦٣].

يُفَرِّقُ جعفرُ الصادقُ بينَ القرآنِ والفُرقان، فالقرآنُ في نظرِهِ هو كتابُ اللهِ كُلُّه، أمَّا الفرقانُ في نظرِهِ فهو جزءٌ من القرآن، وهو ذلك الجزءُ المحكَمُ الذي لم يُنْسَخْ، والذي هو تكاليفُ وأَحكامٌ شرعيةٌ، أَمرَ اللهُ بالالتزامِ بها!

وهذا التفريقُ بينهما لا دليلَ عليه، وهو كلامٌ مرجوحٌ، ولا أَدري لماذا سمَّى

الأَحكامَ والتشريعاتِ المحكمةِ فُرقاناً! ولماذا خصَّ الفرقانَ بها؟ ولماذا باقي موضوعاتِ القرآنِ ليستْ فرقاناً. . .

الراجحُ أَنَّ القرآنَ والكتابَ والفرقانَ أَسماءٌ ثلاثةٌ أُطلِقَتْ على كلامِ اللهِ، النازلِ على نبيِّه محمدٍ ﷺ، وكلُّ اسمٍ منها يلاحظُ صفةً من صفاتِ هذا الكلامِ الإِلهي:

هو كلُّه «قرآن»، لأَنَّ المسلمَ يقرؤُه ويتلوه، ومعلومٌ أَنَّ القرآنَ مصدرٌ بمعنى الكلام المقروء!

وهو كُلُّه «كتابٌ»، لأَنَّه مكتوبٌ مُدَوَّنٌ في المصحفِ، يَنظرُ فيه المسلمون، ويُقَلِّبونَ أَوراقَه. ومعلومٌ أَنَّ الكتابَ مصدر بمعنى الكلام المكتوبِ على الأَوراق.

وهو كُلُّه «فرقان»، لأَنه يُفَرِّقُ بينَ الحقِّ والباطل، فكلُّ ما فيه فهو حقّ، وكلُّ ما وافقَه فهو حَقّ، وكلُّ ما خالَفَه وناقَضَه فهو باطل!!

هل هما قرآنان مختلفان؟:

٢٢٣ - روى الكلينيّ عن سفيانِ بنِ السّمط، قال: سأَلْتُ أَبا عبدِالله عن تنزيلِ القرآنِ؟ فقال: اقْرَءُوا كما عُلِّمْتُم! [الكافي ٢: ٦٣١].

يسأَلُ سفيانُ بنُ السمط أَبا عبدِالله عن تنزيلِ القرآنِ وسُوَرِهِ وآياتِهِ؟ فيُجيبُه قائلاً: اقرءوا كما عُلِّمْتُم! أَي: اقرءُوا القرآنَ كما عَلَّمَكُم إِيّاهُ أَئمتكم!!

وكأَنَّ السؤالَ والجوابَ يؤكِّدانِ نظرةَ القومِ إِلى القرآن، من أَنهما قُرْآنانِ: قرآنٌ عامٌ عندَ عمومِ المسلمين، وهذا أَصابَه تغييرٌ وتبديلٌ وتحريف! وقرآنٌ خاصٌّ وهو الذي عندهم، والذي كَتَبَه عليُّ بنُ أَبي طالب، وأَخْفاهُ عن الصحابة، وتوارَثَه من بَعْدِه الأَئمةُ والأَوصياء، وأَعادَ إِليهِ آياتِ الولايةِ والوصايةِ والإِمامة، التي حَذَفَها الصحابة!

هل في القرآن أسماء سبعين كافرا؟:

٢٢٤ - روى الكلينيّ عن أحمد بنِ محمد بن أبي نصر قال: دَفَعَ إِليَّ أَبو الحسنِ مصحفاً، وقال: لا تَنْظُرْ فيه!! ففتحْتُه وقرأْتُ فيه: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ١] **فوجَدْتُ فيه اسمَ سبعينَ رَجُلاً من قريش،**

بأَسمائِهم وأَسماءِ آبائِهم. . . ثم قالَ لي أَبو الحسنِ: ابْعَثْ لي بالمُصحف. . . » [الكافي ٢: ٦٣١].

يخبرُ أَحمدُ بنُ محمدِ بنُ أَبي نصر أَنَّ إِمامَهُ أَبا الحسنِ أَعطاهُ مُصْحَفاً خاصّاً، كانَ معَ الإمامِ، وطلَبَ منه أَنْ لا يَنْظُرَ فيه، ولا يَطلعَ على سوَرِهِ وآياتِهِ! ولعلّ هذا المنعَ إثارةٌ نه بأُسلوبٍ آخرَ لينظرَ فيه، لأَنَّ كلَّ ممنوعٍ مرغوب، كما يقولون. ولذلك نظَرَ فيه!

قرأَ فيه سورة البينة، التي هي من قصارِ السُّوَرِ، فلما قرأَ الآيةَ الأُولى منها ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ﴾ وَجَدَ بجانبِ الآيةِ أسماءَ سبعينَ رَجُلاً من قريشٍ مذكورين باعتبارِهم كافرين! ثم أَعادَ المصحفَ إِلى إِمامِهِ أَبي الحسن!

معنى هذه الروايةِ المعتمدةِ عندَ الكلينيّ وجماعتِهِ وجودُ مصحَفَيْن: مصحفٍ عامٍّ عندَ عمومِ المسلمين، ومصحفٍ خاصٍّ عندَ أَئمةِ الشيعةِ، وهذا المصحفُ الخاصُّ يختلفُ عن مصحف المسلمين العامّ، ومعنى هذا أَنَّ مصحفَ عمومِ المسلمين مُحَرَّفٌ، محذوفٌ منه سورٌ وآياتٌ كثيرة!!

والدليلُ على حَذْفِ كلامٍ كثير من مصحفِ المسلمين العامّ عندَ الكلينيِّ أَنَّ سورةَ البينةِ في مصحَفِ الأَئمةِ الخاصِّ ذكَرَتْ سبعينَ رجلاً من كفارِ قريش، بأَسمائِهم وأَسماءِ آبائِهم، وهذه الأَسماءُ غيرُ مذكورةٍ في المصحفِ العام!

وهذا كلامٌ كذبٌ وافتراءٌ على القرآنِ، وافتراءٌ على أَصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ، ونبرأ إلى اللهِ منه!

المصحف المزعوم الذي جمعه علي؟:

٢٢٥ ـ روى الكليني عن سالمِ بنِ سلمة قال: قرَأَ رجلٌ على أَبي عبدِالله وأَنا أَسمعُ، حُروفاً من القرآن، ليسَ على ما يقرؤُها الناسُ!!

فقالَ أَبو عبدِالله: كُفَّ عن هذهِ القراءة، اقرَأْ كما يقرأُ الناس، حتى يقومَ القائم! فإذا قامَ القائمُ قَرَأَ كتابَ اللهِ على حَدِّه، وأَخرجَ المصحفَ الذي كتبَه عَلِيٌّ. .

وقال أبو عبدِالله: حينَ فرَغَ عليٌّ من كتابةِ المصحف، أخرجه إلى النّاس، وقالَ لهم: هذا كتابُ اللهِ عز وجل، كما أنزلَه على نبيِّه محمدٍ ﷺ، وقد جمعْتُه من اللَّوْحَين!

فقالوا له: هو ذا عنْدَنا مصحفٌ جامعٌ فيه القرآن، لا حاجَةَ لنا فيه!

فقالَ لهم: أَما واللهِ لا تَقْرَءونَه بعدَ يومِكم هذا أبداً!! إنما كانَ عَلَيَّ أَنْ أُخبرَكم به حينَ جمعْتُه لتقْرَءوه!. [الكافي ٢: ٦٣٣].

هذه روايةٌ خطيرةٌ، تُشَكِّك في حفْظِ القرآنِ تشكيكاً صريحاً، ويُؤمنُ بها الشيعة، لأنهم يعتقدونَ أَنَّ كلَّ رواياتِ الكلينيِّ في «الكافي» صحيحةٌ لا شكَّ فيها..

قرأَ رجلٌ من الشيعةِ آياتٍ من القرآنِ أَمامَ الإمامِ أَبي عبدِالله، وكانت قراءَتُه على غيرِ ما يقرَؤُه عُمومُ المسلمين، أَيْ أَنَّ الآياتِ التي قَرَأَها من مصحفٍ خاصٍّ، تختلفُ عن الآياتِ الموجودةِ عندَ عمومِ المسلمين..

ولما سمعَ أَبو عبدِالله قراءَتَه دَعاهُ إِلى التوقُّفِ عنها، وطلبَ منه أَنْ لا يُخالِفَ ما في المصحفِ العامِّ الذي معَ المسلمين! وهدَفُ أَبي عبدِ اللهِ من هذا المنعِ أَنْ لا يُثيرَ عليهِ وعلى الأَئمةِ عُمومَ المسلمين، فهذا المنعُ من بابِ «التقية»، الذي يؤمنُ به ويمارسُه الأئمةُ ومَن معهم من الأَتباع!

ثم زَعَمَ أَبو عبدِالله أَنَّ المصحفَ الخاصَّ سَيَبْقى محجوباً عن عمومِ المسلمين، ولَنْ يَظهرَ عليهم إلا عندَ ظهورِ القائم، الذي هو المهديُّ المنتظر، فعندما يخرجُ سيُلغي القرآنَ المحرَّفَ الذي مَعَنا، وسيُخْرِجُ المصحفَ الخاصَّ، الذي ينتظرُ الشيعةُ خروجَه!!

ثمَّ ادَّعى أن عليَّ بنَ أَبي طالبٍ رضي الله عنه اعتكَفَ في بيتِه بعدَ وفاةِ رسولِ اللهِ ﷺ، وكتبَ المصحَفَ كامِلاً، كما تعلَّمَهُ من رسولِ اللهِ ﷺ! واختلفَ هذا المصحَفُ عن المصحفِ الآخرِ الذي معَ الصحابةِ، والذي جُمعَ زَمَنَ عثمانَ رضيَ اللهُ عنه!!

وادَّعَى أَنَّ علياً رضيَ اللهُ عنهُ دعا الصحابةَ إلى أَخْذِ كتابِه الذي جَمَعَه، لأَنَّه هو المصحَفُ الصحيحُ، وادَّعَى أنه قالَ لهم: «هذا كتابُ الله، كما أَنزلَهُ اللهُ على محمدٍ ﷺ، وقد جمعْتُه من اللَّوْحَيْن!».

وادَّعى أنَّ الصحابةَ رَفَضوا مصحفَ عليٍّ رضي الله عنه، وقالوا له: عندنا مصحفٌ جامع، فيه القرآنُ كلُّه، ولا حاجةَ لنا بمصحَفِك!!

فغَضِبَ عليٌّ رضي الله عنه منهم، وحَجَبَ مصحَفَهُ وأَخفاه، وقالَ لهم: واللهِ لا ترونَه بعدَ يومِكم هذا أَبداً؟!

وزَعَمَ الشيعةُ أَنَّ المصحَفَ الصحيحَ الذي كَتَبَهُ عليٌّ رضي اللهُ عنه أَخفاهُ عنده، ثم سَلَّمَه للإمامِ من بعدِه ـ الحسنِ بنِ عليّ رضي اللهُ عنه ـ ثم توارثَه الأَئمةُ من بعدِه، ولا يُظهِرونَهُ إلاَّ للخاصَّةِ من أَتْباعِهِم، ويَزعمونَ أَنَّ هذا المصحفَ الصحيحَ الخاصَّ لا يُخْرَجُ للناسِ إلاّ عندَ خروجِ المهديِّ ـ وهو القائم ـ المنتظرِ في آخر الزمان.

ولذلك دعا جعفرُ الصادقُ القارىءَ إلى أَنْ لا يُخالِفَ المصحفَ الذي عند عمومِ المسلمين، لأَنَّ القائمَ هو الذي سيُظهِرُ القرآنَ الصَّحيحَ، وعند ذلك سيُقْرَأُ كتابُ اللهِ قراءةً صحيحة!

ومعنى هذه الروايةِ الخطيرةِ أَنَّ الصحابةَ حَرَّفوا القرآنَ، لمَّا جمعوه وكتَبوه زمنَ أَبي بكرٍ، ثمَّ زمنَ عثمانَ رضي الله عنهما!!

وهذا كذبٌ وافتراءٌ على الصحابة، وعلى عليٍّ رضي اللهُ عنه! وإنَّ الحادثةَ التي تَنسبُها الروايةُ لعليٍّ رضي الله عنهُ غيرُ صحيحة، فلم يُخالفْ عليٌّ الصحابةَ في المصحف، ولم يَكتبْ مصحفاً خاصّاً، وإنما كانَ معَ الصحابةِ في جمعِ القرآن، وهو يؤمنُ كما يؤمنُ الصحابةُ أَنَّ المصحفَ الذي جَمعوهُ، وأَجمعوا عليه، هو الذي أَنزلَهُ اللهُ على رسولِه ﷺ، لم يَزيدوا عليه شيئاً، ولم يَحْذِفوا منه شيئاً.

لقد كانَ عليٌّ من المقرَّبينَ المستشارين لأَبي بكر، وكان مُؤَيِّداً لجمعِ القرآن، الذي تمَّ بتوصيةٍ من عمر، كما كانَ من المقرَّبين المستشارين لعثمان، وكان مُؤَيِّداً له في جمعِه للقرآن، لم يتَّهِمْه، ولم يُشكِّكْ في فعلِه!

ولقد كانَ عليٌّ صريحاً في تأييدِ ما فعَل عثمان، فلما كانَ أَميراً للمؤمنين، وكانَ في الكوفةِ، قال لأَتباعِهِ: لا تقولوا في عثمانَ في جمعِهِ للقرآن، فواللهِ ما فعَلَ عثمانُ ذلك إلاَّ بموافقةٍ منّا، ولو كنتُ مكانَ عثمانَ لفعَلْتُ كما فَعَلَ عثمان!!

هذا هو الصحيحُ في رأْيِ عليٍّ في جمعِ القرآنِ زمَنَ أَبي بكر وعثمان، رضي الله عنهم جميعاً. وهو الذي يتّفقُ مع شخصيّةِ عليٍّ وإيمانِه ومحبّتِه للصحابةِ، وموافقتِه لهم. أَمّا الروايةُ التي نَسَبَها الكلينيّ له فإنها مردودةٌ باطلة، لأَنها تفْتَري وتكذبُ عليه!!

هل آيات القرآن سبعة عشر ألفا؟

٢٢٦ ـ روى الكلينيّ عن أَبي عبدِ الله ـ جعفر الصادق ـ قالَ: إنَّ القرآنَ الذي جاءَ به جبريلُ إلى محمّدٍ ﷺ سبعةَ عشرَ أَلفَ آية!!» [الكافي ١ : ٦٣٤].

هل القرآنُ النازلُ على محمدٍ ﷺ سبعةَ عشرَ ألفَ آية؟ ما معنى هذا الكلام الذي نسبَهُ الكلينيّ إلى جعفرِ الصادق؟

الراجحُ أَنَّ عددَ آياتِ القرآنِ ستةُ آلاف ومائتانِ وستٌّ وثلاثون آية، وهذا هو العَدُّ «الكوفيُّ» للآيات، الذي عَدَّه الكوفيّون، وفي مقدمتِهم التابعيُّ القرآنيُّ الجليل أبو عبدالرحمن السلمي.

وهناكَ اختلافٌ خفيفٌ في عدِّ الآياتِ بين الكوفيِّين والشاميّين والحجازيين، لكنَه يسيرٌ جداً، ويقومُ على الاختلافِ في تحديدِ بدايةِ ونهايةِ بعضِ الآياتِ القليلة.

ولم يكن الخلافُ اليسيرُ بين الكوفيّين والشاميّين في كلماتِ وحروفِ الآيات، لأَنَّ المسلمين أَجمعوا على أَنَّ ما بينَ دفَّتي المصحفِ هو كلامُ الله، النازلُ على محمدٍ ﷺ، بدونِ زيادةٍ أو نقصان!

فكيفَ تدَّعي الروايةُ المنسوبةُ إلى جعفرِ الصادق أَنَّ عدَدَ آياتِ القرآن هو سبعةَ عشرَ ألفِ آية؟ وهو رقمٌ يساوي ثلاثةَ أضعافِ الرقمِ الصحيح تقريباً؟ وأينَ ذهبَ ما يَزيدُ على عشرةِ آلافِ آية؟

إمّا أن تكونَ الروايةُ صحيحةً، وأَنَّ الصحابةَ لمّا جمَعوا القرآنَ زمنَ أَبي بكر، ثم زمنَ عثمان، حَذَفوا حوالَي ثُلُثَي القرآن، وأَبْقَوا الثُّلُث منه! ومَعنى هذا أَنَّهم حرَّفوا القرآنَ وغيَّروه وبَدَّلوه، وحَذفوا منه! ومعنى هذا أنَّ المصحفَ الذي بينَ أَيدِينا الآنَ ليسَ هو القرآنُ النازلُ على محمدٍ ﷺ!!

وإمّا أن تكونَ الروايةُ عندَ الكلينيّ كاذبةً مفتراة، وباطلةً مردودة! وهذا ما نؤمنُ به! لقد كذَبَت الروايةُ العجيبةُ على جعفرِ الصادق، ونَسَبَتْ له ما لا يمكنُ عقلاً أن يقولَه!

إنَّ إجماعَ المسلمين على أَنَّ القرآنَ الموجودَ بينَ دفَّتي المصحف، والموجودَ بينَ أَيدي المسلمين، هو نفسُه القرآنُ الذي أنزلَه اللهُ على رسولِه محمدٍ ﷺ، لم يُحْذَفْ منه حرفٌ، ولم يُزَدْ عليهِ حرفٌ!!

* * *

المحتوى

* * *